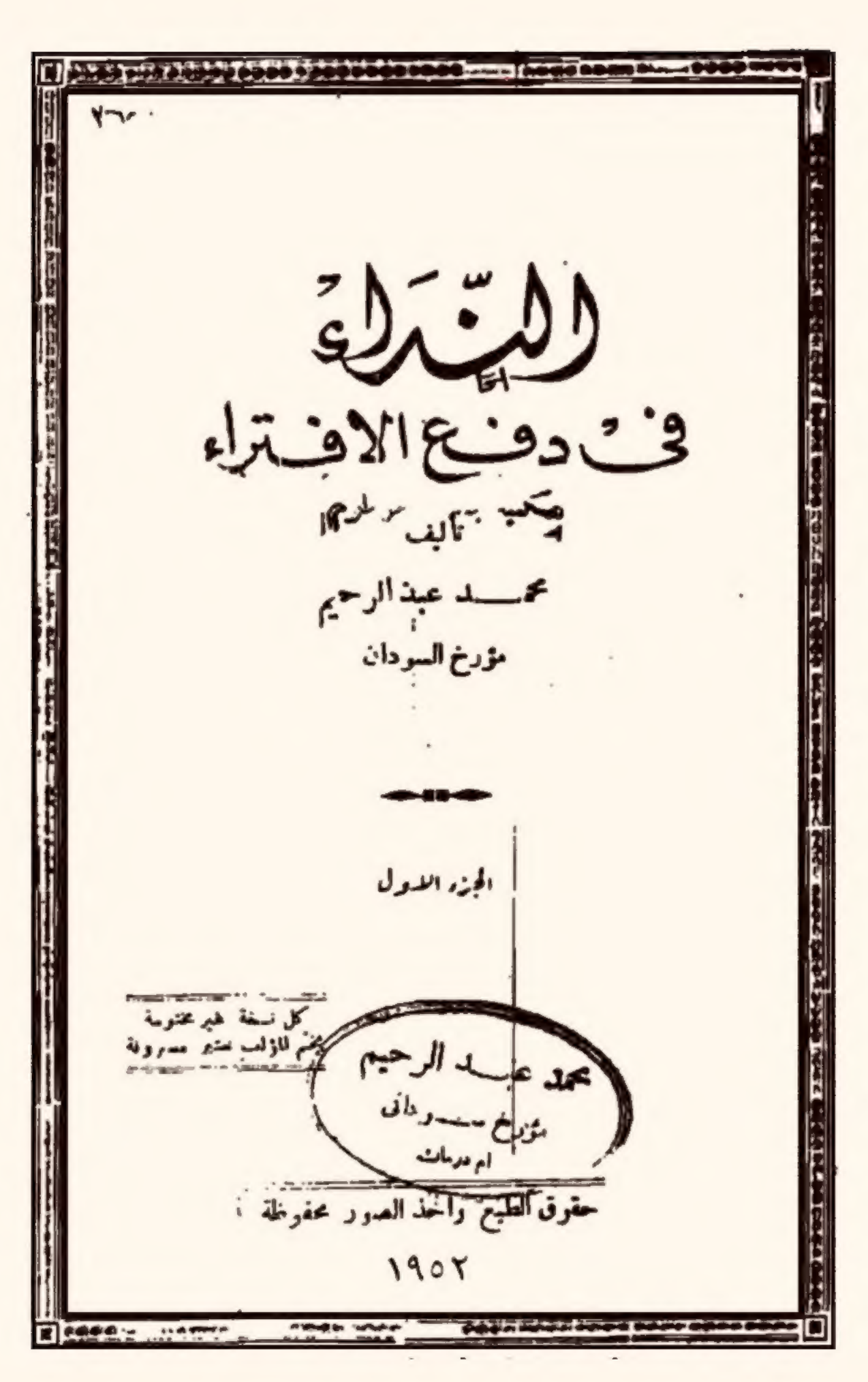

النداء
في دفع الافتراء

تأليف

محمد عبد الرحيم

مؤرخ السودان

الجزء الاول

كل نسخة غير مختومة
بختم المؤلف تعتبر مسروقة

محمد عبد الرحيم
مؤرخ سوداني
ام درمان

حقوق الطبع واخذ الصور محفوظة

١٩٥٢

المؤلف

بعض أبناء المؤلف من اليمين إلى الشمال ضياء الدين وزين العابدين وبدر الدين

الاهداء

لسمو أمير الصعيد . عاهل الأمة . ومنهل مجدها
وحامي ذمارها . ومجرعلومها . للقريب والبعيد
أحمد فؤاد الثاني . أمد الله به عميد والديه

بعد كلمة الاهداء تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه فصار جلالته أحمد فؤاد الثاني ملكا لمصر والسودان ومن حسن حظ الأمة تم ذلك الانقلاب بدون ان تراق قطرة دم . يهمة ويقظة رفعة علي ماهر رئيس الوزارة المصرية وصنوه اللواء محمد نجيب قائد القوات المسلحة التي كانت قابضة على الأمن بيد من حديد تزحف الدبابات ومن فوقها اسراب الطائرات بارض مصر فاصبح كل آمنا على حقه وكل بما فعلت يداه رهين ؟

(ب)

طور مصر الجديد

قد جعل الله لكل شيء سببا فكانت لهذا الانقلاب أسباب مؤلمه اذ جمع الملك جموحا لا يليق بكرامته ونيل الأمة التي صارت في المكان الأول من دول الشرق هذا ولقد أقمت في القاهرة ٢٤ شهرا اجتمعت في غضونها بكثير من فضلاء مصر فما سمعت مثنيا على سياسة الملك ولا سلوكه الشخصي وشهدت بضع مظاهرات يهتف الشعب بسقوطه وقد تفرق تلك المظاهرات بجفاء وغلظة وبينما كان الشعب ينوء من وطأة الجور ويتألم لدستور تلاشى أمره ولم يبق سوى اسمه إذ وثب بطلان مصريان هما رفعة على ماهر رئيس الوزارة المصرية وصفوة اللواء محمد نجيب قائد القوات المسلحة المصرية وباغتا الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان باجراآت جريئة موفقة خفقت لها القلوب واشرأبت الأعناق وشخصت الابصار بجميع العالم وذلك بعد أن حوصرت سرايات الملك واوصدت فوهات الطرق ونشرت الجنود في الاماكن المهمة وسارت كتائب الفرسان والدبابات في الطرق العظيمة ومن فوقها أسراب الطائرات

وقد قبض على بعض سماسرة الفساد وقدم القائد اللواء محمد نجيب المذكرة الآتية الى الملك فاروق الأول بواسطة الرئيس علي ماهر الذي أقنع الملك بالتنازل عن العرش لابنه جلالة أحمد فؤاد الثاني فاضطر الملك الى النزول لرغبة الأمة ، واليك مذكرة اللواء محمد نجيب نقلا السنة ٧٨ العدد ٢٤٠٠٤ بتاريخ ١ أغسطس سنة ١٩٥٢ و ١٠ ذي القعدة سنة ١٣٧١ من جريدة الأهرام

أذاع سعادة اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة بعد منتصف ليل أمس البيان التالي :

بني وطني . اليوم وقد قام الجيش بواجبه الذي قصد به الوقوف في وجه الطغيان والفساد وتثبيت دعائم الدستور ، نرى ان واجبنا الاول ، وهو ما نزاوله الآن ليل نهار هو إصلاح أمور الجيش وتطهيره والعمل السريع الحاسم لكي يقف قوة فعالة في أقرب فرصة ممكنة للذود عن مصالح البلاد .

ونؤكد الآن ان الأمور السياسية وكل ما يختص بإدارة الحكم متروكة في أيدي الحكومة تزاولها في ظل أحكام الدستور الذي كافحنا لتوطيده لصالح الشعب

الجيش وقد كان أول الهيئات العاملة على تطهير صفوفه وتسليم قيادته لأيد أمينه صالحة نزيهة يرى أن يقوم الجميع بهذا العمل فى كل صفوفه على أن يكون التطهير كاملا يتناول الأداة الحكومية والأحزاب والهيئات دون أى تأخير او تسويف ، وانا نعتقد أن المصريين جميعا على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم يقدرون فى هذه الظروف المسئوليات الجديده التى يجب على الجميع مواجهتها فى جرأة وشجاعة لرفع شأن الوطن

كما يرى الجيش ان تعلن الاحزاب والهيئات المسئولة للشعب برامج محددة واضحة المعالم حتى يكون الشعب على بينة من أمره والله ولى التوفيق .

كما أذاع الانذار الموجه الى الملك السابق وفيما يلى نصه .

من الفريق أركان حرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك فاروق الأول

انه ظرا لما لاقته الأمة فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته ، ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والامن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسيم هذه الخطى ، فأثرى من أثرى وفجر من فجر وكيف لا و ناس على دين ملوكهم

لذلك قد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة ١٣٧١ ، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتكم كل مايترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج

فريق أركان حرب محمد نجيب

الاسكندرية فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢ و ٤ من ذى القعدة ١٣٧١

الملك فاروق يتنازل عن العرش

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبغى سعادتها ورفاهيتها .

ولما كنا نرغب رغبة اكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى توجهها فى هـذه الظروف الدقيقة ونزولا على ارادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير احمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه .

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذو القعدة ١٣٧١ ٢٦ يوليه ١٩٥٢

فاروق

المناداة بالملك أحمد فؤاد الثانى

أذاع مجلس الوزراء الى الأمة المصرية البيان التالى .

فى الوقت الذى نزل فيه الملك فاروق الأول عن العرش لولى عهده وغادر الديار المصرية ينادى مجلس الوزراء بحضرة صاحب الجلالة احمد فؤاد الثانى ملكا لمصر والسودان . ويدعو الله ان تنعم البلاد فى عهده بما تصبو اليه من رقى ومجد وسعادة

بولكلى فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ فى ٤ ذو القعده ١٣٧١

مجلس الوزراء يتولى سلطات الملك

وجه مجلس الوزراء الى الأمة المصرية الكريمة البيان التالى .

بعد ان تودى بحضرة صاحب الجلالة احمد فؤاد الثانى ملكا لمصر والسودان يعلن مجلس الوزراء انه تولى منذ اليوم سلطات الملك الدستورية باسم الأمة المصرية . وتحت مسئوليته الى أن يحين الوقت الذى يجب عليه فيه أن يسلم مقاليدها الى مجلس الوصاية وفقا لأحكام الدستور .

التطهير

لم تقف الوزارة المصرية وقائد القوات المسلحة عند قلب الأوضاع السالفة والرجوع الى نظام الدستور المصرى قبل تطهير البلاد من القسم المخصوص والقلم السياسى الذان طالما قاوما الابرياء ونكلا بالفضلاء بزعم هذا شيوعى وذاك يقف حجر عثرة فى سبيل نظم الاصلاح الدستورى وغير ذلك من المختلقات التى صيرت أفراد الشعب يفزعون لصوت النفير وصرير السرير فى عهد تمتع العالم فيه بالأمن على الحياة والمال بدون عناء وتحمل نفقات طائلة ولما لغى هذان القسمان فى أول أغسطس سنة ١٩٥٢ كاد يتمايل الشعب عجبا ويرقص طربا لاسيما وتضاعف سروره عندما أذاع الاهرام على أن القيادة حققت ١ نسف منزل رفعه مصطفى النحاس ٢ مقتل الشهيد عبد القادر طه ٣ مقتل الدكتور محمد على أيوب ٤ الاعتداء على النائب رفيق الطرزى وعزمت فى تحقيق قضايا أخرى لاتخلو من شائبة الغرض أهمها قضية السلاح والذخائر التى كانت سببا فى فوز اليهود وضياع الكثير من رجال الجيش المصرى وقضية الشيخ حسن البنا الذى كان إغتياله واسعافه بالعلاج واجراآت القضاء ومعاملة عائلته والاخوان المسلمين صورة تمثل الظلم وجفاء الطبع بما لم يروه التاريخ منذ عصوره الاولى وقرونه الوسطى هذا والغاء الرتب والالقاب التركية التى طالما فتن المصريون بها زمنا طويلا لاسيما واستلاء الحكومة على أموال الملك السابق وتخفيض مرتب الملك الحالى من ١٠٠ الف الى ٣٦ الفا من الجنيهات المصرية يخصم ١٢ الفا للثلاثة أوصياء عليه

(و)

القـــائد

اللواء محمد نجيب بطل رواية الانقلاب الذى طالما حاولته مصر منذ سنة ١٨٨٢ وذهبت فى سبيله بدرت المال وبهج الرجال بدون جدوى . . . لا كمحمد نجيب الذى وثب بطريقه مبتكرة جبارة دلت على عبقرية نادرة وسياسة اطلقت لسان الأمة بالثناء عليه والإذعان لآرائه الصائبة والآمال وطيدة بأن يكون الجيش فى عهده جيشاً كاملا لحماية البلاد .

(د)

الرئيس علي ماهر

فقد تكررت رئاسته على ماهو لوزارة المعرفة وكان في كل طور من أطواره المثل الأعلى للنزاهة وحسن السياسة وأراد ربك أن يكون هذا الانقلاب على يده الأمر الذي جعل الأمة تشعر شعوراً تاماً بثمار الصعاب وإماطة الأذى عن سبيلها وهي خطوة أولى من نوعها إذ والت الوزارات المالكية وتلاشت دسائس عامرة الفساد وأصبحت السماء صافية الأديم والطريق مهداً لنهضة تجعل الأمة في المكان اللائق بها .

هؤلاء أعضاء مجلس الوصاية

من اليمين القائم مقام محمد رشاد مهنا وسمو الامير محمد عبد المنعم رئيس المجلس ومحمد يحيى الدين بركات احد اعضاء المجلس وهم المسؤلون عن القيام بشؤون الملك أحمد فؤاد الثاني والى جوارهم الرئيس علي ماهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد فاهمال التاريخ فى السودان جعله نهباً موزعا بين العالم فهرع الكتاب عليه فأخذوه من غير أهله فضلوا به وأضلوا غيرهم واغربهم سطو الافرنج الذين يتلقونه محرفا لعجمتهم واذا ماترجمه المترجمون زادوا الطين بله وهناك ضوعف الخلط وغابت شمس الحقيقة بين هذا وذاك وبما أنى وقفت قلمى للدفاع عن الحقيقه به فاصبحت اكتب ردودا فى الصحف ولكن كان بعض هذه الاغلاط تظهر فى مؤلفات بلغات عجمى وما ترجمت إلا منذ عهد قريب فاضطررت الى نقدها نقدا بريئا تكتنفه سلامة النية لتصايح الاغلاط فى طبعاتها الثانية وانى لمستعد لتزويد المؤلفين إن تكرموا وسألونى عن أية ناحية يرى المؤلفون الاسهاب عنها وعنوانى أم درمان ربع رابع حارة أولى منزل نمرة ١١١٥ اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه .

هذا وأرانى مضطراً الى الاكثار من الصور لاطلاع القراء على صفات السودانيين الحقيقية التى طالما اتخذها المؤلفون مكانا للسخريه بعد تشويهها والحال انهم يرون كثيراً من السودانيين عرب وزنج يجولون بين ظهرانيهم بمصر وننظر ماذا يقولون بعدئذ حتى اذا بدرت الإساآت فنعالجها بما يناسب من الدفاع اللازم حفظا لكرامة شعب وادع لاتصبو نفسه لغير السلام والوحدة بالمعنى الصحيح

المقطم ١٢٩٩١ في ١ نوفمبر سنة ١٩٣١ ٢٠ جماد الثاني سنة ١٣٥٠

ضوء جديد على مصير

الجنرال غردون باشا

اطلعت بمزيد الغبطة والسرور على ماجاء بعددي المقطم الاغر بتاريخ ١٥ و ١٦ اغسطس سنة ١٩٣١ بهذا العنوان . ذلك ماصاغته انامل اللادي جوانت كريمة المركيز سلسبوري في الجزء الثالث من كتاب « حياة روبرت مركيز سلسبوري » وانني وان كنت احترم المؤلفة نبوغها وسعة اطلاعها وغزارة أدبها وأجل والدها عن تعمد الخطأ في مذكراته .

وقد كانت عبارة عن خلاصة الاخبار الرسمية التي تصل اليه في وقت يحوم فيه الخطب وأحيطت عاصمة الخرطوم بزهاء مئاتي ألف حربة تلمع وقطعت المواصلات ولا يجرأ أحد من ملقف الاخبار الحقيقية الا ما كان يأخذه الجواسيس من الاطراف بلا تروٍ وتمحيص فلذا استصبح اللادي جوانت عفواً بأن تتنازل فتسمح لي بأن اعلق تعليقا

بسيطا على مانسقته . لست اقصد من ذلك الاعتراض ومجرد الانتقاد كلا بل اتماما للفائدة التى ترمى اليها . هذا وارجو ان لايتوهم القارىء بأنى أقول على سبيل الحدس والتخمين ولا سيما لما ينقله الرواة هذا عن ذاك متأثرين بالعاطفة انتصارا للغالب أو المغلوب . ولكنى شاهدت ذلك بعينى رأسى وأن كنت يافعا حديث السن إلا أنى اعى جيدا مادار فى تلك الملاحم الهائلة التى عقد دخانها اكليلا على رأس الخرطوم وكادت الأرض تميد بمن فيها لصوت البنادق وقصف المدافع وصياح الفرسان وجلبة الهجوم. وكذا رأيت بعد ماوضعت الحرب أوزارها جثة الجنرال غردون مسجاة تحت سلالم قصره كأنها مضغة لحم لا نظام فيها من شدة وقع السهام ورأسه معلقا بسوق أم درمان يحيط بها المتفرجون من الرعاع والصبيان . ومما يدعو الى الاعجاب بمواهب ذلك البطل الانجليزى انه صرف بحكمته عشرات الآلاف من صفوة السودان الى الدفاع تحت لوائه حتى صرعوا الى جانبه مع انه يخالفهم فى الجنس والدين واللغة وماكان يحسن التفاهم معهم الا نادراً إذا لم يكن ثمت مترجم .

قالت اللادى جوانت فيما أخذته عن مذكرات ابيها « ولو كان غير صادق الولاء لنفسه وللقوم الذين أقسم ليحميهم لخلص نفسا واحدة فقط وهى نفسه . ومضت الشهور وهو يوزع الجرايات ويعالج لمحنا على ايدى ضباط غير مخلصين واعدم بالرصاص ضابطين على جبنهما » إلى أن قالت « وكان على السطح لما بدأ الهجوم فوجد وقتا لاستلال سيفه فى يد وحمل مسدسا فى الأخرى قبلما تدخل طلائع العدو والقصر فقابلهم كما يقابل المحارب عدوه . ويقال أنه فتح طريقا بسيفه ومر على كومة من الجثث الى أخر السلم قبلما يسقط مثخنا بالجراح » فنقول أما قولها ولو كان غير صادق الولاء لنفسه وللقوم الذين أقسم ليحميهم لخلص نفسا واحدة فقط وهى نفسه . فذلك أمر دونه خرط القتاد وشيب الغراب . لأن الثورة إذ ذاك نشبت برائنها فى جميع أنحاء السودان . ولو أفلت بحيلة مامن محيط الخرطوم فى ذلك الوقت لوجد فى كل غيل كمينا كما حدث للكولونيل استيوارت فى بلاد المناصير (١) لأن الحماس كان يتأجج فى نفوس الثوار ولا يمكنوا رجلا ابيض اللون شاحب البشرة أن يفلت من بينهم ولو اتخذ نفقا

---

(١) الكولونيل استيوارت كان نائبا لغردون باشا ولما اشتدت وطأة العدو على الخرطوم وبلغ سكانها درجة الياس بعثه غردون على الباخرة عباس تخفرها باخرتان بهما ضابط مصرى برتبة قائمقام وعساكر ولما بلغ استيوارت محطة قنينيطه رجعت الباخرتان واستمرت الباخرة عباس فى سيرها ولبثت ارتصمت فى صخرة وغرقت فخرج استيوارت إلى الشاطىء فجاءه سليمان نعمان ودفر وقال له أذهب بنا نحضر لك جمال تحملك إلى كورتى ولما خرج معه قتله وأرسل سلابه للمهدى بأم درمان كان ضمنها يومية غردون ومفتاح الشفرة

الأرض أو سلما إلى السماء إلا إذا سلم وصانع فى ولائه لهم إلى أن يجد مندوحة كما فعل سلاتين باشا وغيره وقد أبى الجنرال غردون الرضى بذلك أما قولها . « مضت الشهور وهو يوزع الجرايات ويعالج المحن على أيدى ضباط غير مخلصين واعدم بالرصاص ضابطين على جبهتها » فقول يأباه العقل ويبطله القياس . لأن الناس كانوا فى السودان على حالين أما ايمان صحيح أو كفر صريح فنجد الرجل مع الجنرال غردون على اتم ولاء إلى اليوم الأخير وابنه مع المهدى وكلاهما صادق فى وجه لايشوب اعتقاده شيء من الرياء والمداجاة كالاستاذ الشيخ الامين الضرير رئيس وعميد علماء السودان الذى قاسى مضض العذاب مع الجنرال فى الحصر وابنه على الأمين من أخلص امراء المهدية الذين أداروا رحى تلك الحروب بيقين ثابت وعزم اكيد والذين اخلصوا كان اخلاصهم رغبة لارهبة وهو من اجل سياسة غردون التى نهج فيها نهجا هدم به مابناه اسلافه من ولاة السودان كما تراه من خطابه الذى أملاه على ابراهيم بك لبيب مأمور ضبطة الخرطوم الذى القاه على الوف من سكان الخرطوم على منصة الخطابه والناس منصتون كانما على رؤسهم الطير واليك نص الخطاب .

يا أهالى السودان عموما أن الجناب العالى الخديوى يسلم عليكم صغيرا و كبيرا أحرارا وعبيدا ، إناثا وذكورا . وكذلك جلالة الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند . وأنكم لاتجهلون شفقتى عليكم ومحبتى لكم . وقد سائنى ما سمعته عنكم حيث نشبت الحرب بينكم وتعطلت تجارتكم وسفكت دماؤكم ومنعتم من تادية فريضة الحج التى هى من أركان الاسلام وزيارة قبر النبى عليه السلام وقد اساء هذا الحال كلا من جلالة الملكة وسمو الخديو المعظم . فانتدبت من قبل حكومة جلالة الملكة لأكون واليا على السودان ومرخصا لى فوق العادة . وقد صار فصل السودان عن مصر فصلا تاما . (١) وفوض إلى الحكم المطلق . وقد حاربت السيد محمد أحمد المهدى بفحوى تأمورتى واعترفت له بالسلطنة المطلقة على السودان العربى برمته على شرط أن لايمد يده لغيره (٢) هذا ولقد ألغيت جميع الأوامر الصادرة بمنع تجارة الرقيق . وتجاوزت عن جميع المتأخرات من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٢ . وقد تجاوزت أيضا عن ضرائب ثلاث سنوات منذ أول سنة ١٨٨٤ وأمرت باحراق دفاتر المتأخرات . وأمرت

(١) انظر من أى زمن بدىء حديث الفصل

(٢) رأس المهدى المنصب ولم يعترف بولاية غردون ولم يقنع بسلطته وهناك كتب جواباً إلى المهدى وعنون الظرف شيخ محمد أحمد . فقال الشيخ محمد عبده أنه لم يقبل السلطنة وهكذلك لاتهمه العزل منها

باطلاق جميع المسجونين على اختلاف جرائمهم وتنوع جناياتهم وعزمت منذ الآن ان لايكون اعضاء حكومتى إلا من الوطنيين حيث انى اود تشكيل حكومة وطنية ليحكم السودان نفسه بنفسه (١) وقد عينت عوض الكريم أباسن مديرا للخرطوم واخلعت عليه برتبة الباشوية . ولى الامل بان العلائق ستصبح بينى وبين سلطان العرب وثيقة العرى . وقد أمرت منذ اليوم بفتح ابواب الحصون واتلافها وسحب الجنود منها لتلتفتوا الى عمران بلادكم وحرث اراضيكم واتماء تجارتكم والسلام عليكم السلام

فذهب الناس فى تاويل تلك السياسة مذهبين فريق قال باستحسانها والدفاع عن كيانها . وفريق نبذها وراء ظهوره . وقال انها ضرب من ضروب الغوية والمحالة ولابد أن تظهر يوما ماق ثوب غير ثوبها الحالى . فتملص هؤلاء من بين سكان الخرطوم وانخرطوا فى سلك الثائرين . واصبحوا اشد اعداء الجنرال . اما الضابطان اللذان قتلا فيها حسن باشا ابراهيم والسعيد باشا حسين الجيعان واليك خلاصة السبب فى اعدامهما . اغار الشيخ ابراهيم بن الشيخ العبيد على ضواحى الخرطوم بحرى . وبدأ بحصر الخرطوم . فرأى الجنرال غردون طرده من حول المدينة . فانتدب اربع فرق عسكرية ثلاث منها بقيادة ضباط وطنيين . وهم حسن باشا ابراهيم الشلالى والسعيد باشا حسين الجيعانى ومولى بك الرباطابى وميتواغا التركى . جازت تلك الفرق النيل الازرق الى بلدة جليقو أى مكان ضبطه الخرطوم بحرى الحالى . وماكاد يراها العدو حتى جاء منحدراً كالسيل الجارف فهناك حدثت بينهما معركة شديدة وكان الجنرال غردون والمستر باور القنصل الانكليزى وفرج باشا الزينى رئيس اركان حرب الجنود بالخرطوم على سطح سراى الجنرال . وكان لديهم مدفع . اخذ غردون يطلق منه القنابل على صفوف الاعداء . فرغما عن ذلك هزمت فرق الجنود شر هزيمة وقتل مولى بك وميتو اغا وصار حسن باشا والسعيد حسين باشا كل منهما يعترض للجنود المنهزمين ويضربهم بعرض سيفه لحرضاهم على الكر على العدو الذى كانت اسيافه تلعب فى رقابهم . وكانت اسوء الصدف بين فرج الزينى باشا وهذين الضابطين ضغائن : فقال فرج باشا للجنرال انظر خيانة

(١) هذا هو حديث الحكم الذاتى الذى يقلقه العالم ويريد الوقت الحاضر والصحيح أنه ضمن المشروعات التى زود بها الجنرال غردون منذ سنة ١٨٨٤ م ولم يزل فى مصورات السياسة الانكليزية التى ينتظر بها الظروف والمناسبات فما أشبه اليوم بالأمس كان غردون أعلن الفصل وبدأ فى حديث الحكم الذاتى كما أن السير روبرت هاو عمل المجلس التشريعى وسار على ضوئه لتأليف الحكم كما بدأه غردون باشا ومصر لاهية عما يسمى المفاوضات والتصريحات التى لاتقرب بعيداً ولاتسمع صديقا اللهم رحماك .

ضبـــاطك كيف يضربون جندهم بالسيف ليبدوهم خدمة للمهدى فترك أطـلاق المدفع واخذ بنظارته المعظمة ينظر ماذكر عن الضابطين . ولما تحقق ضربهما بالسيوف للعسكر أمر بالقاء القبض عليهما ووضعهما بالسجن وأمر بقتلهما حمية . فقتلا سراً بداخل السجن وكان عبد الحميد بك أبورقيبة الشـابق أسيرا فى يد الثـائرين قبل هـذه الحـادثة . فهرب منهم وعاد إلى الخرطـوم فسأله الجنرال غردون أفهل سمع شيئا من الاعـــداء يدل على اتحـاد بينهم وبين الضـابطين المحكوم عليهم بالاعـدام . فأجابه بان الدراويش حانقون عليهما لمحاولتهما رد الجنـود للحرب فـأسف الجـنرال على تسرعـه باعـدامهما وطلب اولادهما ووعـد باعطـائهم الدية بعـد أنتهـاء ازمة الحصر . وقـد انتقـدت الجرائد المصرية تسرع الجـنرال فى الحـكم عليهما . ومن الغريب أنه كان كلاهما فى أشـد الحرص على ولاء الجنرال غردون باشا ولما تآمر سليمان الزبير باشا على الجنرال فى البدة دارا بمديرية دارفور ١٢٩١ هـ كتب السعيد خطابا سريا إلى غردون فى بلدة الطويشية يحذره فيه شر تلك المؤامرة . ولما وصله الجواب احتاط لنفسه وبعد وصوله دارا منحه رتبـة البكباشى وعينه وكيلا للمدير شكا . ولا غرابة فى مراعن ظالما سلط عليه ، وكانت هذه سببا فى حدوث حرب بينه وبين سليمان الزبير باشا الذى سار بعـدها واغار على مديرية بحر الغزال وفتك بمن فيها من الجنـود والتجـارة وقتل نائب المـدير عثمان ابتر وامر شـاهـين ابن المـدير حتى جـهزت له حملة عسكرية بقيادة جعفر باشا الايطالى أما فرج باشا فهو ضابـط مثل تلك الدسائس حتى صارت له ديدنا وخلقا ملازما . انظر ماجاء فى كتاب (كشف الستار) لمؤلفه السيد احمد عرابى باشا بالصحيفة نمرة ٢٢٠ تجد ماخلاصته ، انه دعا صف ضباط الآلاى السودانى بمصر فى سنة ١٨٨١ وحرضهم على العصيان والعقوق . فقبض عليه اولئك الجنـود وسلموه الى الاميرالاى عبد العـال حلمى بك فاردعـه السجن وكتب تقرير عنه لوزارة الجهـادية المصرية التى شكلت له محكمة عسكرية . حـكمت عليه بالنفى إلى السودان إلا أن محمد رؤف باشا الحقه بالجيش المصرى فى السودان ومنحه رتبة اللواء) وعاد فقتل دورا اعـدم به ضابطين من احـذق رجال العسكرية هـذا وانرجىء بقية الكلام إلى غـدوان غدا لناظره قريب ؟

تحريرا فى كتم بمدرية دارفور فى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣١

المقطم عدد ١٢٩٩٧ بتاريخ ٨ نوفمبر سنة ١٩٣١

ضوء جديد

على مصير الجنرال غردون باشا

وفاء لما وعدنا به قراء هذا الجريدة . نأتى على بقية الكلام عن مصير الجنرال غردون باشا فنقول . لما رفض المهدى قبول منصب السلطنه على السودان الغربى واخذ يلح على الجنرال غردون فى التسليم والانخراط فى سلك انصاره . تميز الجنرال غيظا وحسر عن ساعد الجد وعول على الدفاع . فاخذ فى رسم خططه وكانت المدينة محاطة بخندق عميق [1] من النيل الابيض الى النيل الازرق يمثل نصف دائرة له ثلاث ابواب وهى «ا» باب الكلاكله مما يلى النيل الابيض «ب» باب المسلمية وهو فى مكان محطة السكة الحديد بالخرطوم الآن «ج» يرى مما يلى النيل لازرق ذلك من اعمال عبد القادر حلمى باشا فزاد الجنرال غردون افى تقوية الاخيرة وشيد سور من وراء الخندق فتح به المزاغل ليقى الجنود مقذوفات العدو . ونثر امام الخندق عثرات وعوائق وكانت فى الخرطوم ١٢ باخرة سلحها بالمدافع وفيها من الجنود خمس اورط نظاميه اثنان من الجنود المصرية وثلاث من الجنود السودانية و٢٥ اردبا من الباشبزق فجند سبعة أرادى أخرى علاوة على المتطوعين من الموظفين والاعيان لأن الدفاع اصبح عن العرض والمال . فقسم الجنرال تلك القوات الى خمسة أقسام . قسم بقيادة الميرلاى حسن بك البهنساوى المصرى ناط به الدفاع عن والطابية الأولى أى طابية الكلاكله . قسم بقيادة اللواء فرج باشا الزينى ناط به الدفاع عن بوابة المسلمية وقسم بقيادة القائمقام بخيت بك بطراكى السودان ناط به الدفاع عن طابية برى وقسم بقيادة الميرلاى ساتى بك أبو القاسم الدنقلاوى مدير بحر الغزال وكان بمأمورته فى الخرطوم ناط به الدفاع البحرى . وقسم بقيادة اللواء فرج باشا أم درمان ناط به الدفاع عن طابية أم درمان والطوبجية فى كل تلك الاقسام تحت أشراف اميرالاى محمد بك العنبانى المصرى ولما انتهى الجنرال من رسم خططه وإعداد معداته كتب خطابا إلى المهدى بعنوان «الشيخ محمد أحمد» أى أنه عزله من السلطنه على السودان الغربى . إلا أن المهدى كانت نعرته دينية بحتة فلم يحفل بالولاية ولم يتمتع بابهة السلطنه . فبديهى أن من كانت هذه حاله لا يؤلمه العزل منها . فالولاية لم تخفض حرارة مرجل الثورة ولم تلبس

(١) كان الخندق من عمل البكباشى أحمد ثابت او الدكتور محجوب ثابت المصرى اصلا والدنقلاوى مولدا . اجتمعت به فى أواخر سنة ١٩٣٤ بعد عودته من البعثة الزراعية فقابلنى عند السلالم أحد محررى الصحف المصرية فارسل الية ليرجع من الطريق وقال له أقرأ ما امليته عليك اليسمعه مؤرخ ويخبرك أن كان هناك خطأ فتلاه على فكانت أخباره صحيحة تدل بوضوح على عناية بتاريخ البلاد الذى عبثت به افلام غيره .

الدعوة غير ردائها الملطخ بدم الحروب . وفى ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ قطع خط التلغراف بين سواكن وسنكات وفى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٨٣ قطع خط التلغراف بين بربر وكسلا . فادرك الجنرال أنه لابد من قطع المواصلات بينه وبين مصر . فجار النيل الازرق إلى قصر راسخ بك بالخرطوم بحرى وبعث أحدى عشر رسالة برقيه إلى السير افلن بارنج «اللورد كرومر» أبلغه فيها بما وصلت إليه الحالة السياسية فى الخرطوم . وارفق ذلك بتلغراف بتاريخ أول مارس سنة ١٨٨٤ قال فيه مانصه . —

(لم ازل اعتقد كمال الاعتقاد . ان اخلاء السودان ممكن ولكن أقول لك انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم اذا لم تساعدنى الحكومة بما أوضحته اليك) فأجابه السر بارينج بتاريخ ٢ مارس سنة ١٨٨٤ قال فيه (قد تلقيت الاحدى عشر رسالة تلغرافية المرسلة الى منكم فى الاربعة أيام الاخيرة بخصوص السياسة العامة وانى شديد الرغبة فى مساعدتك بكل طريقة ولكنى لم اتمكن من معرفة ماتريده الان وأرى خير طريقة هى ان تلخص المسألة جيدا وتخبرنى تلغرافيا بما تصوبه فكتب الجنرال غردون يقول (يجب على الحكومة مساعدتى واجابة طلباتى ضرب لازب) وبينما كان الناس يعللون النفس بانفراج الأزمة ووصول الحملة الانكليزية إذ قام الشيخ المضوى عبد الرحمن المحمى خريج الأزهر فى مكان ضواحى الخرطوم فاجتمعت

الشيخ المضوى عبد الرحمن

حوله قوات تقدر بعشرة الآف مقاتل وشرعت فى حصر الخرطوم وكانت القوات بقيادة الشيخ ابراهيم محمد بدر ومعه من الأمراء قبيله المحسن بقيادة احمد الفزيع والشكرية القدورات والمسلميه بقيادة أحمد ود عمار والمغاربة بقيادة محمد عبد السلام وسكان ضواحى الخرطوم بقيادة بابكر محمد والبطاحيين بقيادة طه عبد الباقى والحمايته بقيادة سليمان ودكامر بدأت تلك القوات بحصر الخرطوم فسارت لطردها قوه بقياده امير الاى ابراهيم فوزى بك ولواء بعد ذلك، حدثت بينهما مناوشة جرح فيها ابراهيم فوزى بك وعادت قوته بلا جدوى. أما المهدى فانتدب قائده المشهور الحاج محمد أبو قرجه ولقبه بأمير البحرين وأمره بالزحف على الخرطوم وكان جيشه كثيفا فاسرع فى زحفه إلى أن جاز النيل الابيض ووجد فى طريقه قوه من جنود الباشبزق بقيادة امير الاى صالح بك الملك الشايقى وباشا، الذى فتك بالطيب ود حمدون داعية المهديه فى مدنى وحفر خندقا فى فداسى تحصن به ليحمى طريق المواصلات بين الخرطوم وسنار التى كان يحصرها عامر المكاشف وودكريف وعبد القادر ابو الحسنى وغيرهم. فأحاطت قوه أبو قرجه بحامية فداسى احاطة السوار بالمعصم واطلقت عليها نارا حامية حتى اكرهتها على التسليم وأسر قائدها وبضعة سناجق من ضباطه. ثم واصل زحفه إلى الخرطوم وحصرها. وهناك قطعت التلغرافات بين مصر والخرطوم وفى ١٩ مايو سنة ١٦٨٤ سقطت مديريه بربر وفى ١٨ مايو سنة ١٨٨٤ حدثت أول واقعة بين حامية الدبه وجيش حمد المهدى «١». وقد رأى الجنرال ضرورة طرد حامية أبو قرجة فانتدب لها قوة نظامية بقيادة محمد على باشا واخرى من جنود الباشبزق بقيادة خشم الموس بك «باشا اخيرا» فهجمت القوتان على حامية ابى قرجة وبعد معركة دموية هائلة قتل حصان بى قرجه وسقط أبراكيه فظن اتباعه أن أميرهم قتل

---

(١) تلك واقعة الكرد فى شمال الدبة بدنقلا قد تقابل بها جيشان أحدهما من أنصار المهدية والثانى من حامية دنقلا. وكان المدير اذ ذاك اللواء مصطفى باور باشا الذى كان أول مدير صانع المهدى وحارب جيشه ونجا لمصر موفور الكرامة. حدثت الحرب واشتد ضرامها ولقد ساعد الأهالى فيها كالملك طميل وغيره من البديريه والفتح كما كانت نساء تنقشى تدعين لسعيد محمد فرح فى أغان مشهورة منها.

يا أبى ود جباى لا تنوم ... وفرق سعيد مثل الصقر حوم

أى احرسه واحفظه من أذى الحرب أما ود جباى فمن كبار الاولياء له مقام يزار قريبا من مكان الواقعة: هذا وقد هزم جيش أحمد المهدى هزيمة نكراء وكان قاضى السرية الفقيه وديسن من شرق مروى فجاء أحدهم يقوله.

الله من رامتونا فى الكرد ... ألمنه قاضى الاسلام شرد

سبق البغال أمامه قرد ... وجاب خبر الهوم فى البلد

فهزموا شر هزيمة بعد خسائر فادحة . ومن الغريب وجدت بين قتلى الأنصار امرأة دنقلاويه تدعى ست البنات قابضة بيدها قائم سيفها كانت تحارب إلى أن صرعت فى حومة الوغى. وفى أواخر أغسطس سنه ١٨٨٤ تقدم محمد على حسين باشا بجيشه إلى بلدة العلفون فبدد بعض الثوار فيها وجاز النيل الازرق قاصدا بلدة أم ذبان إلا أن كمينا من الأنصار أحاط به وأعمل فيه السيف فقتل الباشا ومزقت جنوده. وفى ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ هاجم الامير الاى ساتى بك قومندان الوابورات الحربية الأمير الشيخ فضله فى شجو محو بك وحدثت بينهما حرب هائلة اظهر الفريقان فيها من ضروب الشجاعة ما يدعو إلى الاعجاب. هذا وقد صارت قوات المهدية تتقاطر على الخرطوم بقيادة عبد الرحمن النجومة وعبد القادر ود مدرع وغيرهما . وقد بلغ الجنرال غردون أن رجلا من دعاة المهدية يدعى حامد ود الفكى عبد الله التفت حوله جموع عظيمة بالقطينه على بعد ٨٥ كيلوا متر جنوب الخرطوم فأمر ساتى بك بتبديد تلك الجموع فسار هذا على باخرة مسلحة وبعد مناوشة بسيطة قتل ساتى بك وعادت الباخرة . وكان هذا الضابط حاذقا مقداما. فأسف الجنرال لمقتله واظهر نهاية المجاملة لدريه وعين أخاه أحمد بك أبو القاسم فى منصبه . وكان البكاء ممنوعا فى الخرطوم فأباحه الجنرال على ساتى بك .

ووصل المهدى وعسكر فى ديم أبى سعد غربى النيل الأبيض على بعد ٨ أميال من الخرطوم وأمر الأمير حمدان أبى عنجة بحصر طابية أم درمان فتقدم هذا وحصرها حتى اجبرها على التسليم بعد قاندها أشاره إلى الجنرال غردون باشا أخبره فيها بأن الميرة والذخيرة فقدتا فحاول الجنرال أن يبعث اليه ما طلبه فلم يمكنه ذلك وبعد اليأس كتب أشارة يأذن له فى التسليم حفظا لكرامته وصونا لدماء الجنود . فسلم قائد طابية ام درمان فى ٥ يناير سنة ١٨٨٥ م وكانت هذه سببا فى قرب مواقع العدو الى الخرطوم فأخذت مقذوفاته تنهال عليها فى كل وقت . واشتدت وطأة المجاعة فى الخرطوم ووقعت المالية فى مهاوى الافلاس فصارا الجنرال يقترض من الاغنياء ويعطيهم صكوكا . وطبع أوراق البون ولما يئس كتب وصية بتاريخ ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ قال فيها انى أوصى الحكومتين الانكليزية والخديوية بالإحسان الى قبيلتى الشكرية والحمدة ومكانأتهما مكانأة تليق بشرف الحكومتين كما أنى أوصى بهاتين القبيلتين خيراً . وأوصيهما بالرجل الذى ضحى بحياته ابتغاء مرضاة الحكومة الا وهو الشيخ محمد شريف نور الدائم استاذ المهدى وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وأنى اعفو عن كل سكان السودان الذين اشتركوا فى الثورة وأصلوني حربا دموية كادت تذهب بحياتى وحياة الالوف من أهل الخرطوم إلا أربعة منهم تحسن حكومة جلالة الملكة اذا اذبحتهم على قبرى بعد عاتى وهم عثمان دقنة الذى أحدث القلاقل فى السودان الشرقى وقطع بينه وبين بربر طريقا لايكلف السفر فيها مشقة كما يكلف عتمور أبو حمد والثانى محمد الخير الذى اولا قيامه بدعوة المهدى فى بربر وسقوطها فى يده لاستطاعت أنا وكل أهل الخرطوم النزوح إلى مصر متى رأينا الخطر بارزا من جهة المهدى وأنصاره . واولا قيام محمد الخير هذا وسقوط بربر لوصلت الحملة الانكليزية بأسهل مما وصلت قبلها حملة الجنرال هكس ثالثهم الشيخ المضوى الذى حرض القبائل بالضواحى على حصرى . وكان هو ومن تابعه أول من اطلق الرصاص على حصون الخرطوم وكان يكتب الى الكتب المشحونة بهجائى وهجاء جلالة الملكة خلافا لمولاه المهدى ورابعهم الشيخ العبيد

وفى مساء ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ جاز المهدى النيل الابيض على فلائك صغيره فى جنح الظلام ولم يكن معه إلا خلفاؤه وبضعة اشخاص من حاشيته . ودعا اليه امراء جنده وأمرهم بالهجوم فى غسق الليل ثم حصنهم على النيات وودعهم وداعا ودعا لهم بخير وأذن لهم بالانصراف إلى فى مراكزهم فى خط النار وقفل راجعا لام درمان . فما ورد يصل اليه حتى سمع الناس دويا عظيما يكاد يصم الاذان وهب المحصورون من سباتهم

سلاتين باشا فى عنقه جنزير يلف بعضه فى وسطه ويربط طرفه على وتد عند مدخل الخيمه التى أخرج منها لعرض رأس الجنرال غردون عليه وإنك لترى من انحنائه لهول الموقف .

وأطلقوا سواريخ لانارة الأفق لكى يتبينوا طريق الهاجمين . وهناك أطلقوا النار عليهم إلا أن العدو تمكن من كسر الضلع اليمنى واجتاح قوة الامير الاى حسن بك البهنساوى (١) ، ولكنهم لم يدخلوا المدينة بل عرجوا إلى باب المسلمية فهزم الجنود إلى داخل المدينة وتبعهم الأنصار يعملون السيف فى رقابهم . أما الجنرال فأمر وابوره بالاستعداد وأخذ نظارته لينظر بها سير الهجوم ودفاع جنده حتى إذا ما شاهد بوارد الخطر يدخل وابوره ويجرى به إلا أن جماعة من البارکيين كانوا يعرفون الطريق المؤدى إلى سراى الجنرال فجاءوا يهرولون فى الأزقة ولم يرهم الجنرال لاشتغاله بالنظر إلى سير المعركة الناشبة على طول خط النار حتى سمع طلقات عند باب السراى بين الخضراء والهاجمين . ومن ثم صعد الانصار على السلالم فقابلهم الجنرال ببذلته العسكرية والسيف فى جنبه قائلا « اين مولاكم محمد أحمد » فأجابوه بطعنة نجلاء صرعته وجروه من رجله إلى الأرض ولم يزل به رمق من الحياة ثم حزوا رأسه وحملوه بين المتحاربين الذين ما كادوا ينظرون اليه حتى كفوا عن الحرب . ثم حملوا الرأس على الوابور الذى كان أمام السراى . فسار به إلى المهدى بأم درمان . وأشاع بعضهم أن المهدى أباح قتل ثلاث قبائل لمدة ثلاثة أيام وهى الشايقية والشكرية والشنبله كذبا وافتراء عليه فذهبت بذلك أرواح بريئة . ويقال أن المهدى أوصى الأمراء بأمر ثلاثة وأن يقدموا اليه أحياء وهم الجنرال غردون باشا والاستاذ الشيخ الأمين الضرير والسيد عبدالرحمن الخرسانى إلا أن فساد النظام قضى بقتل الجنرال والشيخ الخرسانى ونجا الشيخ الأمين

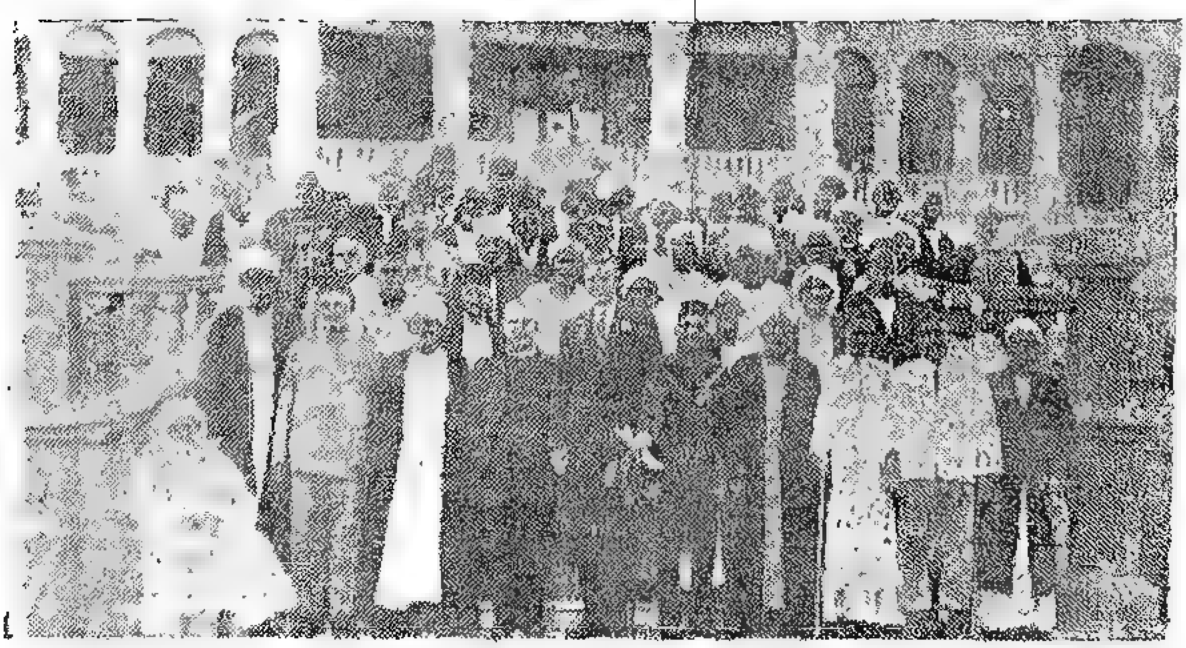

الامرى

قد ترى بينهم السر مق حاكم السودان العام والطران جوين رئيس الكنيسة الأنكليزية بالخرطوم

(١) حسن بك البهنساوى أتهم بالاهمال وشكات — له محكمة بمصر فحكمت ببراءته مما نسب اليه .

الضرير لحزم ابنه على الذى كتبنا عنه فى المقال الأولى وأنه أسرع إلى دار أبيه وأحاطه بسياج من رجاله المدججين بالسلاح وساقه إلى أن تجاوز به منطقة الخطر . ومما يؤيد صدق الرواية أن المهدى قابله أحسن مقابله مع أنه أفتى بتدجيله وتكذيب دعوته ولما توفى صلى المهدى عليه بتكبيرات زاد فيها على المعتاده ولما سئل عن ذلك. قال مابرحت أطلب من الله له المغفرة حتى قبل شفاعتى فيه ولاشك انه لو نجا الجنرال لوجدمنه ما يليق بكرامته حتى يطلق به السيد أحمد عرابى فيزيد به القوادم من جناحه: أما القتلى من الضباط والاعيان فهم القائمقام بخيت بطراكى بك وقد دافع دفاع الابطال واللواء فرج الزينى باشا وقد فر من الميدان بعد أن خلع بذلته العسكرية ولكن قبض عليه ولما فتش وجدت معه ساعة ذهب وخاتم نقش عليه اسمه فقتلوه وقتلوا السيد حسين مجدى الذى كان من فطاحل علماء المصريين والمفتى شاكر والشيخ موسى المفتى المحلى والشيخ محمد خوجلى ودحتيك قاضى القضاة والاستاذ محمد السقا ومحمد حسن باشا مأمور المالية وابو بكر بك الحاركوك ومحمود بك محى الدين وقريافص بك القمص رئيس قلم بالحكمدارية ومحمد بك مصطفى سكرتير الحكمدار والبكباشى فضل ابراهيم وادريس بك النور الخبير وخليل بك شنوده ومحمد بك بدوى رئيس المجلس المحلى وأحمد بك على جلاب وموسى باشا شوقى وابراهيم بك لبيب مأمور الضبطيه وابراهيم بك رشدى سكرتير الجنرال سابقا ومحمد بك ابراهيم وفضل المولى بك عصمت رئيس التلغراف والاميرالاى محمد بك العتباى قومندان عموم الطوبجيه وكان أحمد بك ابو القاسم يقاوم الى ان سقطت الخرطوم حتى رسى الى الشاطىء وسلم مع جنوده. وقد هرب كثير من الضباط والجنود الى الصحراء ومن الغريب أن رجلا مصريا يدعى الاسطى عبد الله كان بالترسانه ولما اشتد هجوم الانصار اخذ يمسح وجهه بالزفت ليكون اسود فينجوا من القتل وبينما هو مشغول بصبغته اذ بفارس هجم على عبد اسود كان بوابا فقطع رأسه فترك عبد الله حيلته وقذف بنفسه فى البحر فنجا الى جزيرة توتى وعاش الى عهد قريب وكان الخطب عظيما والرزء جسيما فلا يكاد المرء يمر بطريق فى حى من احياء المدينة الا ويرى اكداسا من جثث القتلى ٩٠ ٪. وطنيون اذن فكيف يكون الاخلاص الذى تريده اللادى جوانت بعد ضياع المال ومهج الرجال . فسبحانه تعالى خط قلمه بما الكل عليه الآن ومايكون وما كان.

كتبه فى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣١ بمديرية دارفور

ماكادت المقطم تنشر هذين المقالين فى الرد على اللادى جوانت حتى وردت لى مكاتبات الشكر تترى من جهات شتى منهم من يطلب المزيد وآخرون يرددن نشر ذلك فى كتاب منهم السيد عبد الرحمن المهدى باشا الذى قال لى لقد نصلت شجاعتكم الأدبية فى هذا الرد بلا تضييع وقتك فى الرد على الجرائد بل اكتب لنا تاريخا عن المهدية وألفت على الأثر « بدائع الأثر فى تاريخ المهدى المنتظر. »

اعلام الاسلام

« عن مهدى الله » هذا مؤلف وضعه الاستاذ توفيق أحمد البكرى عن تاريخ المهديه جاء فى آخره كلام عن الحملة الانجليزية بقيادة اللورد ولسلى ووصولها الخرطوم بعد سقوطها — قال

(اللورد ولسلى)

مضى يوم وأعقبه يوم. وسمع فى ضحى الاربعاء هزيم المدافع شمالى جزيرة توتى ولاحت باخرتان فوق احداهما سر تشارلس ولسن وبعض الضباط والجنود البريطانيين. وهما تحدان السير لاسعاف غردون ولكن بعد فوات الوقت كما تنبأ الصوفى فى مذكراته. وتطلع رجال الباخرتان يفتشان وسط الدخان المنعقد فوق الخرطوم عن العلم المصرى يرفرف فوق قصر الحكدار فلم يبصروا له أثراً كان ذلك آخر عهده وحده بالذابل والخنوف. فارتدت الباخرتان من حيث جاءتا الخ هذا كلام أقرب إلى الخيال منه الى الحقيقة والصحيح ان حملة الانقاذ سارت سيرا بطيئا الى ان بلغت كورتى فاتخذت معسكرا فى شيطا وهناك قسمت الى جماعتين . سارت احداهما على فلائك بالنيل بقيادة الجنرال بُرل ورافقه الجنرال بركبرى ضابط سياسى وسارت الثانية

— (الجنرال بولار) —

(الجنرال اول)

(الجنرال بركيرى)

بصحراء بيوضة بقيادة الجنرال استيوارت ورافقه الجنرال تشارلس والسن ضابط سياسى اما

الأولى فقابلت جيش المهديه فى جبل كربكان وقد نشبت بينهما حرب هائلة قتل فيها الجنرال وارل وتولى القيادة بدلا عنه الجنرال بركتيرى الذى تقدم الى ابى حمد وأحرق بلاد الرباطات والمناصير

(الجنرال استوارت)

أما الحملة الصحراوية فانها بلغت جبال أبى طليح فوجدت الآبار محاطة بجيش المهدية بأمرة موسى ودحلو وكان الوقت حوالى الساعة الخامسة مساء الى ان وصلت الآبار بدون حرب وما كاد يبدو حاجب الشمس غدا حتى هجم عليها فرسان المهدية هجوما عنيفا اضطروا الانكليز الى الفرار من معسكرهم واشتغل الانصار بالغنائم فتمكن الانكليز من الكر عليهم واصلوهم نارا برحت بهم تبريحا فظيعا قتل به موسى ودحلو ومحمد بلال ونحو ٩٠٠ بين قتيل وجريح وهزم الباقون وكانت خسارة الانكليز عظيمة ولكنهم سكروا بخمرة النصر فتأثروا المنهزمين فى طريق المتمة فساروا طول الليل مجدين حتى ان بعض العساكر يسقط من التعاس وتمر عليه بغال الحملة فلا يشعر بها حتى يرفعه اخوانه وكان الغرض من ذلك ادراك المنهزمين قبل فما يجتمعوا ويكروا عليهم مرة أخرى ولسوء حظ الانكليز . وصلت فى نفس يوم انتصارهم فى أبى طليح نجدة تتألف من ٦٠٠٠ مقاتل لديها بضع مدافع كروب وجبلى بقيادة النور عنقره الذى اراد الزحف الى جبال ابى طليح إلا ان الحاج على ود سعد حضر واقعة أبى طليح وجرح فى يده. قال له لا تزحف لا بى طليح

فالانكليز بما وصلوا اليك غدا فتاخر الثور عنقره فى طرف المتمه بعد أن أقام شواخصا البسها جبب المهديه المرقعة ولف عليها العمائم أمام جنينة المتمه ونشر الرايات حول تلك الشواخص

(الجنرال تشارلس وتسن)

وما كاديبدوا حاجب الشمس حتى شاهد الجنرال استيوارت تلك العلامات فظن أنها معسكر الانصار فنظم جيشه بهيئة مربع متساوى الاضلاع جعل المدافع فى زواياه والضباط والخدم والحمة بداخله . وبينما كانت الجنود الانكليزية تسير إلى الجنينة إذ أطلق الثور عنقرة النار عليها من حنوبها . فاج الجيش الانكليزى واختلطت صفوفه فى بعضها . وأصيب الجنرال استيوارت فى بحسنه . فسقط ونزل سكرتيره مع طبيب الجيش لحمله ولكن أصيب السكرتير برصاصه فى رأسه فصرع جثة هامدة . وكان للجنرال خادم انكليزى رفع يده وهو يصيح قائلا يامولاى فأصيب برصاصة خرقت كفه . فتولى تشارلس ولسن القيادة ونادى فى جيشه بالتقدم الى ناحية النيل لكى لايموت ظمأ ان هم عادوا إلى أبى طليح فوصلوا أبى خروق فى طرف المتمة وقابلتهم به خمس بواخر بها اللواء محمد نصحى باشا المصرى وخيم الموس بك (باشا) وجنود لا يتجاوزوا ٣٠٠ بين مصرى وشايقة أرسلهم الجنرال غردون باشا لاحضار الحمة . فسأل تشارلس ولسن

عن الأنصار فقال له خشم الموس إن قائدهم كان ضابطا برتبة الاميرالاى فسلم للمهدى وصار من أمرائه . فقال إذن يجب القضاء عليه قبل وصولنا الخرطوم لاننا لو استطعنا انجاد الجنرال غردون ربما يقف هذا عقبة فى سبيلنا . ثم أمر بتسليح البواخر ووضع حوالات رملية فى أطرافها وأدخل بها جنود انكليزيه وترك نصفهم بالبر لمراجعة المتمة. أما النور فانه لم يهمل التدبير اذ أمر جيشه بالاحاطة بالمتمة. وقال كل جندى يحفر حفرة تقيه من رصاص العدو ويأخذ ماء وذرة يله بالمـــاء لعذائه وفى الصباح الباكر تقدم الانكليز وطوقوا المدينة من الخارج وسارت الخمس بواخر المسلحة بحراً ونشبت بينهما حرب بضع ساعات تراجع الانكليز بدون جدوى ثم عقدوا اجتماعا قرروا فيه ذهاب الجنرال تشارلس ولسن ببعض القوة بباخرتين وترك ثلاثة بواخر لحماية استيوارت المجروح ومعه أكثر الجنود . فسارت الباخرتان فى جنح الظلام دون أن يعلم الانصار شيئا من أمرهما .

اغراق إحـــدى الباخرتين

ومن سوء حظ الحملة وجدت نحو ٢٠٠ مقاتل بامرة أحمد ودفايت الجعلى من بلدة موبس جنوب شندى كامنة فى جبل شلال (السيلوكه) ولم يدريهم الانكليز حتى باغتوهم باطلاق النار عليهم . وكان المعتاد أن ريس الباخرة فى جوار الشلال ينظر مجرى الماء ليسير الباخرة به ولكن عندما سمع دوى الرصاص عليه نام على (الكويرته) فسارت الباخرة بغير هدى حتى ارتطمت بركابها فى الشلال وصار الماء ينهال إلى جوفها فأمسك الانكليز الباخرة الثانية وضموها على الغريقة وصاروا ينقلون مهماتهم وزادهم وذخيرتهم وركبوا بها وخلصوا عليها بعد مناوشة دامت من قنن الجبال نحو نصف ساعة ولو كان الجعليون يحسنون إطلاق الرصاص لا بادوا القوة عن بكرة أبيها هذا وسارت الباخرة بالانكليز ولما بلغت الجيلى خرج رجال من الشايقية ونادوا خشم الموس بك قائلين له إرجع فالجنرال غردون قتل ولا فائدة من ذهابكم اليه فأبلغ خشم الموس الجنرال ولسن ولكنه لم يصدق الخبر . فسارت الباخرة بدون أن يشعر بها أحد . ولا صحة لما قال وسمع فى ضحى الاربعاء هزيم المدافع شمالى جزيرة توتى . ولاحت باخرتان . كلا فالباخرة واحدة ولم تطلق عياراً ناريا واحداً بل كانت تتكتم على حركاتها حتى كادت تصل المقرن شاهـــدت فرسان المهدية يرتدون جبهم المرقعه فحاولت الرجوع ولكنها عرفت فى تلك اللحظة وأطلقت البنادق عليها الا أنها أسرعت فلم تصب بخسارة تذكر أما قوله وتطلع رجال الباخرتين يفتشان وسط الدخان المنعقد فوق الخرطوم

عن العلم المصرى يرفرف فوق قطر الحكمدار فباطل من ألفه إلى يائه فالحرب وضعت أوزارها وتراجعت الجيوش إلى أوكارها . فليس فى الخرطوم نار ولا دخان غير جثث القتلى والناس الذين كانوا يجمع الغنائم لبيت المال ولنرجع إلى إتمام الحديث عن باخرة الجنرال تشارلس ولسن . فانه ما كاد يصل شلال اسبلوكه حتى أتاه الرصاص من مكامن الانصار فكذلك اشتغل الريس بسلامته عن تسيير الباخرة حتى ارتطمت فى الشلال وأخذت تهوى إلى القاع (١) فنقل الانكليز أمتعتهم على فلائك صغيرة إلى الشاطئ الغربى وبعثوا رسلا إلى المتمة جاموهم باحدى البواخر الباقية هناك فوصلوا المتمة . وكتب الجنرال ولسن إلى اللورد ولسلى فى كورتى بفشل الحملة ومقتل الجنرال غردون وهذا أبرق للسير برنج وأمر القوة الموجودة بأبى حمد بالانسحاب .

حدثنى النور عنقرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ قال لى كنت مقيما وجيشى بالمتمة ننتظر هجوم الانكليز كما هاجمونا فى اليوم التالى لوصولهم ولكنهم تأخروا وفى مساء كل يوم نرى الانوار مضيئة . ونسمع حركتهم حتى عودة الباخرة التى جاءت بهم من الطريق فى يوم وصولها أخذوا ينقلون كل ثقيل إلى البحر وأوقدوا الأنوار كما كانت وخرجوا من معسكرهم ليلا ففى تلك الحركة توفى الجنرال استيوارت فدفنوه فى سفح جبل « جقدول » وتكروا قبره ولما مضى اليوم أخبرنى جماعة من الهوبجى قالوا انهم لم يروا انكليزيا فى المعسكر فأرسلت رجلا أكدلى صدق الخبر وهناك أمرت الفرسان بطردتهم إلى قرب كورتى هذا وطويت بذلك صحيفة الحملة وقال أحد النواب الانكليز فى لندن يجب ان لا يكافأ اللورد ولسلى لانه لم يؤد واجبه فى انقاذ الجنرال غردون فانى مررت بمعسكر اللورد ولسلى فى شمال كورتى فى ديسمبر سنة ١٩٤١ شيد الانكليز امامه نصبا تذكارية كتب عليها بحروف لاتينية مقدار الخسائر وكذا توجد نصب تذكارية بمروى

طابية مكركى

مكركى قرية فى يمين النيل وجنوب فركة تبعد عنها ببضعة كيلو مترات عندما مرت ضمن جيش المهدية واحتلتنا فركة للمحافظة على الحدود فى ابريل سنة ١٨٩٦م دخلت

---

(١) لم تزل الباخرتان راسيتان فوق شلال السبوكه الى وقت طبع هذا السفر من اراد أخذ صورة عنها فليذهب لمحطة الباخرتين فى أيام التجارة

تلك الطابيه وجلت فيها وهى مربعة لنا مغنى يدعى عثمان ود منصور جعلى كبشابى من سكان العكد قال

بين فركة ومكركى ... مثل القطا نركى
ننصر الدين غير شكى ... ويبقى كلا منا يحكى

وصلت فلول الانجليز الى مكركى وشيدت بها طابيه محكمة الوضع ولما لبثوا طويلا حتى ادركتهم جنود تقدر بنحو ١٢٠٠٠ مقاتل بأمرة المذكورين بعد اما القائد العام فعبد الماجد أبو السكيلك

١ — عبد الله ود سعد
٢ — مير غنى سوار الذهب
٣ — حسن أبو قرجه
٤ — بدوى أبو صفيه
٥ — ابراهيم ود حمزه
٦ — الشيخ رحمه
٧ — محمد احمد حاج عطوه
٨ — على عجول

فعسكر هؤلاء جنوب الطابيه واتخذوا منزل القاضى فرج عبدالسلام استحكاما فتحوا به المزاغل وحصروا الانكليز حتى اضطروهم الى حفر سرب يأخذون به الماء من النيل نحو ٦٠ يوما استعان الانكليز ببعض الجنود السودانية وهاجموا أنصار المهدية فى صلاة الصبح فحاولوا الدفاع ولكنهم اضطروا الى الهزيمة بعد خسائر فادحة فكان من الشهداء بدوى أبو صفيحة وحسن أبو قرجه وجرح عبد الماجد أبو السكيلك جرحا بليغا حمل على بنادق رجاله الذين ساروا به جنوبا أما السردار فانه طلب ترقية ثلاثة ضباط - سودانيه من رتبة الملازم ثانى الى بكباشيه وهم

١ — مرجان محمود افندى
٢ — فرج أبو زيد افندى
٣ - سعيد افندى درويش

ولسوء الحظ كانت الوزارة المصرية لاترضى ترقية السودانى لأعلى من يوزباشى فدخلت المسألة فى طور جدل بين السردار والوزارة التى رقتهم يوزباشه وبعد زمن طول رفع هذا الحاجز . وترقى أثنان الى قائمقام مرجان بك محمود و فرج بك أبوزيد أما سعيد درويش فمات بالقضارف على بكباشى . وبعد اخليت طابيه مكركى وسار الانكليز إلى مصر وصارت الحدود حلفا . هذه آخر اطوار الحملة الانكليزية فى السودان

اغرب ماروى فى تلك الواقعة اى ابوطليح وجد بعد رجوع انصار المهدية لدفن أحد شهداهم

وجدوه براقلما بسكينة وصار يقطه فى دمه ويكتب فى جبته البيضاء سجعا لم اتذكر منه سوى قوله

يوم الثـــلاثاء الصباح	جونـا السنـاح وتبـاح
دوى المـدفـع وصـاح	ووجبت جنـة المصباح
مابجـرى تقيـل عـلى	بنـات آدم بفـاشن بى
وبنـاتى الحور بعـاننـالى	مـبجرى تقيـل بالحيـل
ومابخرب بعيـــة الخير	يوم الانجلـيز جونـا
والأمراء جروا خلونـا	مابجـرى تقيـل عـلى

بفاشن فالمقاشاة المباهات أى يفتخرن بشجاعتى وبنات الحور ينظرن الى بمثابة انى ضيف قادم للتزوج بهن فلا شك و لحالة هذه لا أولى منهن ما خوفا من موت يكون سبيلا الى جنة الفردوس وحورها

الشايقيـــة فى كتاب شبيـــكه

قد امتدح الدكتور مكى شبيكه قبيلة الشايقيه و بالغ فى ذلك حتى قال انهم قهروا الدناقله وفرضوا عليهم لاتاوه فهذا قول يكذبه الواقع ويبطله البرهان . وعليه نقول ان الذين اصطدموا مع الشايقيه من الدناقله هم « البديرية » الذين كانوا ينقسمون على خمس ممالك أربع الأولى فى الحتانه وكذا مسكه تنقسى والخندق وجزيرة أرقوا الخامة فيكردفان ، مملكة كاب بلول ، فانتهز الملك جاويش الأول غفلة الأولى فأخذ قصرها وحمل ماشاء ونهب من الماشية ما استطاع جمعه وعاد غرير العين منشرح الصدر . أما الدناقله فانهم أخذوا من ذلك انهم سوف يكونون هدفا لمطامع الشايقية مالم يستعدوا لقطع تلك المطامع بدفاع جيد فاجتمع اعيان الأربع ممالك بالخندق وبعد المداوله قرروا جلب الاسلحة النارية من القاهرة فقام بعض تجارهم واشتروا كمية عظيمة من شركات الافرنج بالقاهرة واستأجروا جماعة لتعليم استعمال تلك الاسلحة التى ماكانت معروفة الاستعمال بالسودان . ثم قسمت الاسلحة أخذ كل ملك نصيبه منها واختار من رجاله من يصلح للمحاربه بها وأعدوا العدة . حدث ذلك كله ولم يعرف الشايقية . الذين كروا فى جموع هائلة فقام ملك الدفار برجاله الى الخندق ونحا نحوه ملك تنقسى وسار اليهم ملك ارقو فاصبحت الخندق تموج بالجيوش الآتية من الجهات وأسندت القيادة العامة للملك بشير الخندقاوى وكان جبارا لايبالى بالمكاره هذا ماكان من امر الدناقله اما الشايقيه فغرهم قيام الدفارية من بلادهم فضاعف ذلك نشاطهم وواصلوا الزحف الى ان دنوا من بلدة القولدوقابلهم البديريه ونشبت الحرب بينهما وحرص الفريقان إلا أن الشايقيه لم يقو على الثبات أمام نيران البنادق فهزموا هزيمة نكراء وطاردهم فرسان البديرية الى بلدة الغربيه أما الملك جاويش فانه نزل من فرسه وجلس اى « فرش » فاجهز عليه العدو كما تدل أغانى الشايقيه فى محاربتهم حملة اسماعيل باشا التى قالوا فيها

تركب تنقنق جرسنـــا　　غرب ود العـــو دجلسنا

مالنا نحن ان فرشنـــا　　هيلنا من جاويش حرسنا

ولقد توسط بعض العلماء فى الصلح فتم بعدان غرس حجر طويل فى شمال النيل ويمين الغربية لم يزل قائما وهو الحد بين الشايقية والدناقله . اما فرض الاتاوة للشايقية فكذب من الالف الى الياى فالاتاوه تجبى انذاك من الشايقية والدناقله لملك سنار وعامله فرح والد سعيد محمد فرح الذى ظل كذلك الى سنة ١٢٣٦ هـ ، ١٨٢١ وأقره اسماعيل باشا على

ولايته التى بقيت فى سعيد محمد فرح الذى قتله خليفة المهدى وابنه يشغل منصبه الى الآن ولما هاجم احمد المهدى من دنقلا وفشل أسر الدناقلة جماعة من الشايقية وصاروا يؤنبونهم على ما كانوا يشيعونه قائلين بأنهم كانوا يربطون الدناقله بورق البصل وأخذ الدناقلة يفتخرون ويعرضون بالشايقية كقولهم

التركيه نحن القمنا حاربناهنا ... ماناعسا كرها المرتزقه كنا معاها[1]

شاهرين سيوفنا الماعشقا سواها ... ضعضعنا المدافع والجال خضناها

السودان ملكناه شهور وسنين ... بنو دنقل عظام وسط الرجال ظاهرين

شيدنا المكارم بدروع وحصين ... بالجود والعطا وفعل الخصال الزين

ومن اغان الدناقله فى الحماس ماقال محمد عثمان جقود

نحن الخيلنا غارن فى نواحى سواكن ... ونحن صغير نا يخطف فى الملوج الماكن[2]

نحن شايبنا عارف للحروب وعراكهن ... يدخن فى السواريخ قلبه ثابت وساكن[3]

---

(١) مانا أى نحن ماعسا كرها المرتزقه كنا معاها فى هذا تعريض بالشايقيه الذين كانوا ضد المهدية ماعدا الشيخ أحمد المهدى وقليل من الاعيان كود المتعارض والسكارورى وود سمريت وعمه ود أبو قمه

(٢) صغيرنا فيها تورية يحتمل الصغير من حيث هو ويحتمل عبد الرحمن صغير الحومى الذى اقلق مضاجع الانكليز بسواكن وكان يخلع ملابسه ماعدا السراويل ويحارب عاريا كضرار بن الازور الصحابى رضى الله عنه

(٣) شايبنا فيها أواريه ايضا يصح القصد بها الشايب حيث ما كان أو شايب أحمد الدنقلاوى من سكان السكاملين الذى كان رحمه الله من ابرز فرسان المهدية الذين اشتركوا فى حروب عثمان دقنه فى سواكن

هذه فتاة زين بها غلاف الكتاب بزعم أنها تمثل فتيات السودان والذى ينظر اليها

بعدها كألف صنف كما يقول ارباب الحوانيت أى لو جردتها مما بها لكانت أشبه شيء بفتيات البدو ولو نظرنا الى حلى يديها وقدميها كانت من فتيات الدنكا . ولو نظرنا حلى أذنيها لوجدناها من فتيات حافا والدر . ولو تركناها على ما فى عنقها صارت من فتيات الحضر . ولو نظرنا الى طيق الفاكهة لوجدناها من الباريا سكان النيل ما بين طوميشى لا والرجاف جنوبا وذلك مما يدل على أن الرسام لايعلم ذاتا من ذوات السودانيات . وانما كان يتخبط بغير هدى فشبهها بهذه وتلك كان من قبيل المصادفات كما قيل فى المثل قد يقع الحافر على الحافر .

ان أوهى البناء ماروعى فيه السرعة بدلا من الاتقان والجودة فالسودان يربو على مليون ميل مربع وليس من الحكمة أن يتعرض كاتب الى وصف ذلك الحيز من الارض المترامى الاطراف فى عشرة أيام أو عشره أشهر أو عشرة سنين اللهم اذا كان ملهما أوحى اليه بما كان وما سيكون وهذ ضرب من ضروب المستحيل لكاتب لم ير السودان فى حياته إلا مرة وصل بها لمكرار كالدكتور محمد حسين هيكل باشا الذى لم ير ١٠/٠ من الجبال والتلال والأوديه والغابات الكثيفة والآجام المخيفه لاسيما القبائل المختلفه والامشاج المتباينة حتى يؤلف كتابه الذى اسماه (عشرة أيام فى السودان) قال الدكتور هيكل باشا نقداً سيئاً لم يراع فيه شعور السودانيين ولعله يظن انهم لايشعرون واذا استفضبوا لايغضبون . . !!

كانت باسكلة المقرن مكينة لتنظيف الذرة الوارد من الجهات ولهذه الماكينة عمال وعاملات لتذرية الذرة بعد مروره على الماكينة بأجر مخصوص وكانت تلك النساء العاملات من الغلاته سكان تيجديا فى طريقهن الى الحج شبه تلك المسلمات العاملات لاجر يساعدهن على مصاريف الحج بالكلاب والسنا ندرى ماالذى حمله على الخشونة فى اللفظ أنضوب معين اللغة لديه أم انه حانق على السودان والسودانيين فيريد الانتقام والتشفى بمثل تلك الالفاظ التى كان الاخلق به ان يربأ بقلمه عنها وعن تلك السفسطه التى تعافها نفس السوقة ولايقول بها عاقل .

سلطان سودانى

ان من أغرب المتناقضات ذكر الروابط بين القطرين والاستشهاد عليها بصورة زعم انها ترمز لسلطان من زعماء السودان فهيكل باشا لم ير عدا البلاد الواقعة حوالى خط سكة حديد السودان من حلفا الى مكوار وزعماء القبائل بتلك المنطقه عرب فى سماتهم والوانهم ولهجاتهم واخلاقهم ودينهم وشممهم واباتهم وليس اقل من سكان القاهرة حضارة فترجو ان يفهمنا عن السلطان ذى الذيل لاى قبيلة من القبائل التى شاهدها أجعليه أم شايقية أم دنقلاوية أم شكرية أم مسليه أم حلاويه فالسودانيون اذا عجز عن بيان ذلك ربما اعتبروه تلابامسيا ولا تثريبه عليهم فى شىء من ذلك ان قابلوه بالمثل كما قال أحدهم

أن كنت لاترهب ذمى لما ... تعرف من صفحى عن الجاهل

فاخشى سكوتى اذ أنا منصت ... فيك لسموع خنا القائل

فالسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

ثم قال الخرطوم بلد جديد دخله الجيش المصرى ومن معه من فرق انكليزية سنة ١٨٩٨ فالفاه خرابا يبابا . ومن ذلك التاريخ أقيمت المدينه كما هيا فيها من معسكرات ومنازل وشوارع وطرق رسمت يوم رسمت على صورة الراية البريطانيه لتكون مثلا للنظام الانكليزى الهادىء المطمئن . ولم يجرء الى القول بتكاليف ذلك البناء البالغة ٦٠٩ - ٢٣٣ - ٦٩٥ جنيه على نفقة مصر كما رواه لبيب الشاهد باشا ولا رسم المدينه كالعلم الانكليزى والحال ان أول من خطها محمد على باشا وضحى فى سبيلها بابنه وفلذة كبده الامير اسماعيل واستردها بعد سقوطها عباس حلمى باشا بعد حروب يشيب لهولها الطفل ولم يقترح عمل تمثال له فى المقرن . فهيكل باشا أقر ذلك الوضع الشاذ مع أن السودانيه المغلوب على أمرهم مازالوا يطالبون بتنكيس التمثالين عن الجنرال غردون واللورد كتشنر ولم يقترح عمل مؤسسات باسم مصر لتقوية الرابطه بين القطرين ولم ينبت ببنت شفة عن ورشة الوابورات التى بعثها اسماعيل باشا الخديوى وكان عمال اسماعيل باشا الذين جاءوا لخدمتها لم يزل بعضهم على قيد الحياة كعبد النعيم وعلى الباتع لم يذكرها فى كتابه الذى أعده لمدح السياسة الانكليزية وللتشهير بالسودانيين ولو أن الوابورات زيد فى تقويتها فى عهد عباس حلمى باشا وهى التى تقوم بالمواصلات بين الخرطوم والرجاف الى سنة ١٣٧٠هـ . ١٩٥١م

وقال فى الصحيفه ٣٢ وانت اذا أردت أن تعرف شيئا من معنى هذه الحياة فلا سبيل لك إلا أن تقصد الديم حيث « تكلات » السودانيين المبنية من الطين القائمة فى ديم الوطنيين ترى شبه الحياة السودانية المحيطه بالخرطوم . فنقول له ليست تلك التكولات أقذر من الدراسة المحيطة بالقاهرة أمام كلية الشريعة ولا سكان القبور أمامها وهى الامام الشافعى والعزب فى ضاحيه مصر الجديدة . فاذا كانت التى القاهرة يرجع تاريخها الى ماوراء الميلاد لم يرتفع مستوى الفقير بها عن هذا الحد فكيف بطالب فقراء السودان مع انهم اسعد حالا وانعم بالا مما نرى بارياف مصر . والذى يجيل الطرف ويمعن الروية فيما كتب هيكل باشا قد لا يرى أروع من الثناء والاطراء على سياسة الاستعمار

١ — فى الشمال الميرم [1] خاطره بنت السلطان ناصر اندل أعظم سلاطين بحر الغزال وزوجة المؤلف .

٢ — السيدة بربره بنت حالة الأولى وأولادها كلاهما من بحر الغزال قارن بينهما والسلطان السودانى واحكم لهيكل باشا أو عليه .

(١) الميرم فى اصطلاح السودان الاميرة أو البرنسيسة كما يقول غير السودانيين

المـــواصـــلات

لقد ألف الاستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل الذى كان موظفا بشكة حديد السودان التى ساعدته بنقله الى جهات شتى كتابا عن المواصلات أهدانى نسخة منه فقرأته مغتبطا إلا أنى رأيت بعض الملاحظات فيه. فليسمح لى بابدائها اتماما للفائدة قال عن الملاحة الدائمة كريمة دنقلا ١٧٥ ميلا . ودنقلا كرمه ٢٢٢ ولعله عكس الموضوع لأنه لا يعقل ان تكون المسافه الاولى اقل من الثانيه وهنا فاته ان يذكر ما كان يقوم فى مجرى النيل من الجنادل والشلالات التى كانت عائقا للملاحة لولا ان بعث سمو اسماعيل باشا الخديوى بلوكا من اللقمجية لدير دنقلا وكلفه بتكسير تلك الشلالات فاشتغل البلوك بنشاط مدهش حتى استطاع ان يزيل الكثير من تلك العوائق كما تراه منشورا فى جـــريدة الوقائع المصرية. ولولا اقالة اسماعيل باشا لما بقى شلال فى مجرى النيل فابث ـ لالة الفاروق ملك الوادى لويتمم أعمال جده حتى لا نرى عائقا فى مجرى النيل بين الخرطوم والشلال. كذا أهمل الكلام عن «درب الأربعين» سمى كذلك لان القوافل تسير فيه ٤٠ يوما من الفاشر عاصمة دارفور تخترقه صحراء ليبية الى أسيوط. ثم تنقل التجارة بحرا الى القاهرة فيبلغ طريق الاربعين ١٠٨٠ ميلا وكانت المناهل فيه متنائية قدلا تصل القافلة الى مناهل الماء فى أقل من بضعة ايام. وكان السفر فيه لا يكون إلا فى فصل الشتاء وليست له علامات يعرف بها إلا النجوم أى القطب الشمالى «١» فسبحان القائل «وعلامات وبالنجم هم يهتدون»

اما صادرات دارفور الآنيه من هذا الطريق فأهمها سن الفيل والرقيق والابل وريش النعام والخرتيت الخ . وكانت لكل قافلة خبير وليس هو دليل القافلة كلا وكنه زعيم يحكم فيما شجر بين التجار وبينهم المضاربة فيما يعرض عليهم من انواع التجارة وهو كربان الباخرة فى المحيطات لا يقيد بقوانين الدول الاخرى واشهر خبراء دارفور الخبير امام والخبير يوسف والخبير ثابت والخبير على ويحمل الخبير تجارة السلطان التى تجبى اليه صنفا من الابل والرقيق وسن الفيل فيبيعها بمصر ويشترى لدوله ما يلزم من السيـــوف الهنديه والدروع والخوذات والحرير والجوخ والروائح العطرية والسجاد والخيام والبنادق والمدافع حتى كان لدى السلطان حسين بن السلطان محمد الفضل ١٦ مدفعا اربعة منها آتية ضمن هدية سعيد باشا لمناسبة ذكرناها فى كتابنا الدر المنثور عن تاريخ العرب

«١» هذه حكمة سنها الخالق جلت قدرته فمن الناس من يضل ناحية القبلة كما يحدث ذلك كثيراً للمسافرين براً وبحراً فلا يستطيعون معرفه القبله إلا بالقطب الشمالى كما قال احد العلماء

قطب الشمالى اجعل له حدو أذن يسرى ... بمصر وبالعراق حـــذو الاخرى
وإماما باليمـــن وبالشام خلفنا ... [illegible]

عشرين الف نسمة بين طالب وعامل وجندى. فليس من الحكمة ولا من سلامة الذوق ان تكال لهم الاساءة صباحا ومساء بدون ان يلاحظ شعورهم مع انهم يتألمون الى اقصى حدود التألم وانهم سخطوا على كتاب عشرة ايام فى السودان ، ونقدته صحف السودان عند ظهوره لاول مرة ومع ذلك أعيد بابشع الصور وامضى الالفاظ فى الطعن والتعريض . ولسنا ندرى افهل عرف وزير شئون السودان ذلك وأقره على ما به من عوج . أم ينظر الى ما وراء ذلك من قيل وقال . ولم يدر بذلك الحرب القائمة ضد كل سودانى وانه يتألم لمجرد قراءة تلك المطاعن ، بالمادة التى يحتاج اليها الكاتب المصرى فى السودان أكثر من ثمر الباليح فى شهر أغسطس كالبلاغة والشجاعة والمروءة والكرم والناس يضعون أحذيتهم خارج المساجد ويعودون اليها بعد انتهاء الصلاة فلا يجرأ لص الى تناول شىء وضع فى رحبة المسجد لا سيما وقد يضع السودانيون امتعتهم واموالهم فى قباب الاولياء فلا يجرأ لص الى مس تلك الامانات احتراما لمقام الولى. أفلم تسمعوا نفس المصرى الى وصف تلك الصفات الرائعة والاخلاق الكريمة . ولا يهوى غير السفسطة والقدح مع انه كذب واختلاق

وشجاعة السودانيين التى تقلب سوادهم بياضا معنويا بل اشتغل بسمره مع المصريين والسوريين ولم ينقل فى رحلته غير وصف سواد السودانيين وبياض ملابسهم وكان ذلك كتفسير الماء بالماء فمن فى مصر أو العالم اجمع يجهل سواد الوان السودانيين وبياض ملابسهم وبالرغم من هذا وذاك فلم يزل الشرقيون يرتشفون التاريخ من مؤلفات الافرنج كالمستر مكيكل وغيره كأنما أوحى اليهم من السماء فينشرون من تلك الروايات المعتلة حاجبا كثيفا يستر الحقائق التى تكاد تلمس باليد مع ان المستر ديبون مدير دارفور قدم لى نسخه من رحلة السيد محمد عمر التونسى فى سنة ١٩٢٣ وطلب الى تلخيص كتاب منها يدرس فى مدارس مديرتى دارفور وكسلا فقلت له رويدك حتى أدرس الرحلة وأفهم مابها وبعد هنيهة من الزمن اعدتها اليه واعتذرت عن الأخذ من تلك الرحلة التى حوت كثيراً من الأغلاط التاريخيه فألح على محتجا بان كاتبها يقول انه مكث فى دارفور سبع سنين فأجبته باننا اذ ذاك بالقاهرة عاصمة دارفور وانى مستعد لاقامة الدليل على خطأ التونسى وانى لا أدون أغلاط الدخلاء فاعرض نفسى لمقت من يأتى من الأجيال المقبلة

١٩ الروابط فى نظر هيكل باشا

ولقد ختم الدكتور هيكل باشا كتابه بالروابط بين القطرين بعباره طويلة قال ضمنها « من ناقلة القول ذكرى الروابط الطبيعية بين مصر والسودان وماتوجبه هذه الرابطة من حتمية توثيق الصلاة ثم رابطة النيل الخ . فنحن نقول لاغبار فى قوله وانما فاته يذكر ان عرب السودان من اصل مصرى ومثال ذلك ان الملك نمر صاحب الحادثة المشؤمة التى تتلخص فى حرق الامير اسماعيل باشا فى شندى هو السمداب الذين هم من بلدة الزينية بالاقصر . والسيد محمد احمد المهدى من قبيلة الخناقيه نسبة الى بلدة الخناق بين اسوان ودراو . ودار حامد بكردفان والزياديه بدارفور وبنى جرار فى البساطة . فالاصل فيهم الحامديه الذين هم فزاره فى بنى سويف والمنيا وكذا بنو هلبه والاصل فى مسجد موسى بالمنيا والانصار فى السودان وبمديرية الجيزه ومراكش كما ذكرنا هاوالتعليق عليها وهالم جراً . وبعد نهاية الكلام هدمه بصورة لو رأيتها لوليت منها فراراً ولملئت رعبا . فكيف لا الصورة بشعة جدا ولها ذيل طويل وعخالب نمر أقل هذا هو البرهان على الرابطه أو الوحدة التى بح صوت المصريين بالنداء بها هذا واقول قولا صريحا ولا اخشى فى ذلك لومة لائم ان جهل المصرى بالسودان وماينشره عنه من تلك الصور البذيئة لهو ابلغ دعاية ضد الرابطة والوحدة فالسودانيون لا يستسيغون ذلك التشهير ومنهم بمصر مايربو على

مكة ترفعون منارهم فوق بناء الكعبة . اما وصفه لصناعة الرهط وغيرها فلسنا فى حاجة التعليق عليه الا انه يقول ان عجز الرجل عن قطع سبعة صيور من الرهط قد يكون سببا فى نسخ الزواج فهذا لم نسمع به فى غير كتاب هيكل باشا الذى املاه عليه صديقه السورى وهذا لا يعلم شيئا من عادات البلاد ولولا ترفعه عن الاختلاط بسكان المدينة لما اخطأ الحقيقة ؟

١٨ — مكـــوار —

لقد انتهى بالدكتور المطاف الى خزان سنار ومكوار يوم الخميس ٢١ يناير سنة ١٩٢٦م وكان المجال ذو سعة لحديث طريف عن سنار تلك العاصمة التى كان لها أعظم الأثر فى تاريخ السودان وكان ملوكها يتلاعبون صولجان الملك عدة قرون هزم فى غضونها الملك بادى أبو شلوخ النجاشى ايا سو وجنده الذى كان يقدر بمئات الألوف فى واقعة الزكيات بين نهرى الدندر والرهد أما مكوار فنسبه الى احمد بك مكوار من قبيلة الفتيحات بأم درمان الذى مثل دوراً من أدوار البطولة مدهشا فى واقعة الخميس عندما أغار عامر المكاشف أمير المهدية على حامية سنار فهزمها وولج جيشه المدينه وأصبحت المحاربة بين الشوارع والأزقة فصعد أحمد مكوار بك مع عبيده على سطوح المنازل كما فعل ضابط مصرى برتبة الملازم مع رهط من عساكره السودانية الذين تساقوا جدران المديرية بعد أن كانوا فروه قولا يحافظون على الخزينة والجبخانه وصار أحمد مكوار والضابط المصرى يطلقان الرصاص على المكاشف وانصاره حتى جرح المكاشف وسقط من فرسه لشدة النزيف فحمله رجاله وخرجوا به الى عمارة عبد الساوى وهو يتلو قوله تعالى واذن للذين ظلموا ان يقاتلوا وان الله على نصرهم لقدير ، وبعد انتهاء المعركة شاهد أحمد مكوار المير لاى حسين بك شكرى المصرى مدير سنار والاستاذ محمد مكى الابيولى القاضى الشرعى ركبا ذهبية كانت راسية بالشاطئ وحاولا الفرار بها فاخرجهما أحمد مكوار من الذهبية وأوقف عليهما قرقولا فكوفىء بالترقية الى نائب مدير سنار وعزل المدير وهناك أخذ سكان المدينه من ضعف الحكومة انه لابد من حماية عائلاتهم فتجمعوا وتألفت منهم قوه عظيمة خرجت الى خط النار وهى تترنم بقولها

يوم الخميس دفنا العجاج جانا ... قتلنا وقتلنا والله ما أعطانا

الحربه أم سلوك فى الكبده رويانه ... البشرد نسيبه ومرته طلقانيه

لم يسأل الباشا السودانيين فيملوا عليه تلك القصص الطريفه عن اخبار الحروب

[illegible] عن مرسى الباخرة على رمال صحراوية انت مضطر كى تتخطاها الى ان تفوض اقرانك فيها الى قوله صادفت عينك من المساكن والمبانى مايزور عنه بصرك لحقارته وقذارته الى أخر ماحاكه من الزهرات . وقد فاته ان أم درمان مدينه لم تزل فى مهد التكوين خطها الامام المهدى فى ينبع سنة ١٣٠٢ هـ . ١٨٨٥ م كما أنه لم يذكر تاريخها قديما . فهى كانت عبارة عن ميناء تنهى اليها القوافل الآتية من دارفور ودنقلا وتجوز النيل الى الخرطوم وفى مايو سنة ١٨٢١ بلغت اليها الحملة المصرية بقيادة الامير اسماعيل باشا وجازت النيل الى الخرطوم اما مساحة المدينة فتبلغ ١٢ كيلو مترا مربعا أو أربعة أميال نصف مربعة خط المهدى بها جامعة البالغ ١٣ فدانا أو ٥٤٦٠٠ قدم مربع . لما دخل الانكليز والمصريون بها فرا السكان منها ولم يبق منهم عدا ٢٥ ٪ فصارت المنازل خاوية على عروشها . هدمت الامطار منها قسما مهما . وبعد بضع سنين أخذ بعض السكان يعودون اليها ويعيدون البناء على قواعد هندسية عظيمة ولقد تأنق كثيرون فى تنسيق دورهم التى تنافس أعظم المدن وهذه هى طبيعة العمران . انى زرت القاهرة فى مايو سنة ١٩١١ فوجدت بعض الاحياء كبولاق ، وكالة البلح ، وغيرها أوسخ ما تكون . ولما عدت الآن وجدتها كالمراءة والى الآن الحالة سائرة من حسن الى احسن وهكذا صارت أم درمان والخرطوم نمرة ثلاث حيذا لو عاد هيكل باشا ربما وجد مظهرا كالزمالك . فنقد البناء والنظام فى وقت رحلة الباشا سابق لأوانه لأن المنافسة فى التأنق والابداع لم يزد وقتها عن ربع قرن وهاهى القاهرة أقدم وأبهى مدن الشرق جادة فى طور جديد وهى سنة من سنن النشوء والارتقاء لاتحد بزمان ومكان فبعد ما كان سريانها بين ٣ و٤ أدوار بلغت ١٥ دورا ومشرئبة الى الافق والصعود اليها « باليسانسير » وهى خرقة من الخوارق الى ماكانت تدور بخيال النائم

١٧ الامير عثمان دقنه

وأعجب فى ذلك قوله عن الامير عثمان دقنه أنه يتظلم للحاكم العام بشأن نقص مرتبه من ١٤٠ بلحه الى ٩٠ فذلك لم يحصل وعثمان ماكان يعترف بالحاكم العام حتى يشكو اليه . وانه لم يزل كامل العقل دخل عليه اللورد كتشنر ذات يوم وقال له أما عرفتنى فأجابه قائلا لم اعرفك لان النصارى كثيرا مايحضروا عندى فقال له اللورد أنا كتشنر الهزمتك فى هندوب فقال له الامير وأنا هزمتك فى لجيزة فوجم كتشنر وخرج ولما سافر لاداء مناسك الحج وشاهد ارتفاع البناء بمكة جثا على ركبتيه وصار يبكى ويقول أهل

مع أن تلك البلاد بالرغم عن رداءة المناخ فأهلها عرضة للدغ الحيات ومصارعة الوحوش. سافرت فى رحلة لبحث التاريخ فى سنة ١٩٤٦ الى راجا فوجدت حادثين غريبين فيها رأيت شابا يدعى فضل الله فى قوسى ضربه جاموس بقرنيه بقر بطنه حتى سالت امعاؤه التى اعيدت وخيطت ولقد تم شفاؤه بغير طبيب وآخر يدعى بركة من قبيلة فروق سكان خورشمام شمال راجا خرجت اخته فى منتصف الليل لتقضى حاجتها فهجم عليها الأسد فصرعها وجلس على صدرها بعد ان انشب أظافره فى جسمها فصاحت قائلة ، يابركه الدود أكلنى ، فهب بركه من نومه اعزلا فوجد الاسد فوق اخته فوثب على ظهره وعضه فى اذنه فقفز الاسد من فوق اخته فحملها اخوها الى داخل منزلها بعد أن أصابها الأسد بجروح خطرة عولجت بغير طبيب هذا قليل من كثير[1]. كذا سرت فى يناير سنة ١٩٤٩ لبحث تاريخ وجغرافية جنوب دارفور بحثت عن شربة زيت خروع فى شفخانة برام فى وشفخانة الصمين فلم اجدها ولما عدت وجدت السيد على بدرى وزير الصحه بالنهود أبلغته حاجة البلاد الى الأدوية ولست ادرى ماذا فعل . فانا رجل وقفت قلمى للبحث والتمحيص فليأتى الباشا على ماقاله ببرهانه وقال كذلك عنيت الحكومة بمحاربة الزهرى وكان الكلام عن الزهرى اشبه شىء عن محاربة الملارية . هذا ولم أر فى ذلك الكتاب ماتصبو اليه نفسى عدا النقد والتحقير بالسودانيين كما ترى فى وصفه لمدينة أم درمان فيما يأتى الامر الذى صير الناس يتألمون له ويسخرون به لأنه لا ينظر الى غير النقائص التى قد لايخلو منها زمان ومكان هذا وهيكل باشا رحلته لمكوار أى انه لم ير ٠١٪ من مساحة مليـــون ميل مربع ولم يختلط بشعوبه المنتشرة فى بلاد مقنائية أفهل الهم بتاريخها أم جاء على لسان جبريل حتى يؤلف عنه كتابا مع انى اقول زارتنى بأم درمان سيدة انكليزيه بعد أن طافت فى أعالى النيل وجبال النوبه ثلاثة أشهر فى اثناء المحادثة قلت لها أفهل تقصدى من هذه الرحلة كتابة شىء من تاريخ السودان فقالت لااستطيع ان أعمل تاريخا فى وقت ضيق كهذه الرحلة ولكنى سمعت عن شهرتك بالتاريخ وجئت لأشوفك فانظر بربك الى تورع سيدة تخشى الوقوع فى الخطأ بعد ثلاثة أشهر وغيرها يكتب فى عشرة ايام ولايخشى فى ذلك لومة لائم.

الازدراء بأم درمان

فى الصحيفه ٥٥ قال عن مرسى باخرة المعدية عن المقرن . فهذه المدينة القديمة

(١) يسرنى ان اقترح على حكومة مصر أن تكثر من أولئك الأسود البشرية السود فى جيشها فلاشك ان يهزم الأسد بأسها ، يهزم الألف من أقرانه.

تكاد تقطر من زيت الطائرات والسيارات فهمس انكليزى الى أحد الامريكان فقال له كيف تحضرون لحفل عظيم بمثل هذه الملابس فهاج الامريكان وماجوا وضربوا الانكليز ضربا مبرحا حتى جاء قائدهم بسيارة من وادى سيـــدنا لحسم النزاع بعد أن حطمت الكراسى على الرؤس . فاذا كانت أكبر دول العالم تواغناها لاترى لوما على الصانع فيما يعلوه من ادارن العمل اذن فكيف ينتقد السودانى الذى لم يزل فى ذيل القافلة من أهل الحضارة والتمدين . وهنا نحن نرى كثيراً من العراة والحفاة يجولون بالقاهرة ولو سرت فى السودان طويلا وعرضا لاترى فيها حافيا كلا ولا محترف الشحذة فى أبواب المساجد كمقام الحسين والسيدة زينب ولا أولئك الاطفال الذين ينامون فى جدران المساجد يتوسدون الغبراء ويلتحفون السماء الى وقت تأليف هذا الكتاب فكفت يا أيها الدكتور فانا أسعد حالا وانعم بالا من كثير غيرنا والحمد لله وحده الذى بذرنا فى مليون ميل مربع من أرض خصبة التربة كثيرة الغايات ماكولة الثمر كالقنقليس أى ثمر التبلدى والعرديب والكوريب والنبق والهجليج والقضيم والكرسان والارز والتابون والبطيخ الذى يلدفى فى الصحارى والقيزان وزيت اللولى وأنقاشى وكردالى ودانبو ومخيت وثمر الدليب والدوم وأبو ليله وأم تقلقل وأوكو والجرقان أمديكو وثمر البشم والقنبيل وغير ذلك من أنواع البقول التى لايعتنى بزرعها لاسيما الطيور والصيد بانواعه الامر الذى جعل الفقراء فى السودان لايموتون جوعا مهما اشتدت وطأة المجاعة وهذه البقول قد لاتعرف فى غير السودان أفهل توجد فى أرض مصر تقول وأشجار ماكولة الثمر تنبت فى العراء لامالك لها به

---

١٠ مقاومـــة الامـــراض

فى الصفحة ٤٦ قال فقد كانت حمى الملاريا مما يفتك بالسودانيين فتكا ذريعا وذلك مما يضعف فيهم أسباب النشاط . وماتزال هذه الحمى منتشرة فى بعض انحاء السودان . لكن للحكومة فى مناطق كثيرة مقاومة شديدة انتجت ابادتها الخ هذا مايكذبه الواقع ويبطله البرهان . خدمت انا محاسبا فى مديرية بحر الغزال سنتى ١٩١٢ و ١٩١٣ وبمديرية منجلا سنتى ١٩٢١ و ١٩٢٢ وفى راجا وكفا كنجى سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦ وبدارفور من مارس سنة ١٩٣٠ الى ابريل سنة ١٩٣٤ فأصبت فى كل مكان من هذه بالملاريا اصابات شتى كادت تقضى على حياتى . لان فى كل مركز مساعد حكيم أى تمرجى ماهر . مثال ذلك يوجد مساعد حكيم فى راجا مسؤول عن المنطقة بين واو وحفرة النحاس أى ٤٠٠ ميل .

وهمت بستر الشرط فى الحال عزة | فاعطيتها روحى جزا ذلك الشرط

وقال الاستاذ نور الدين الحجازى فى شاب سودانى .

وذو شرط إذا لف العمامة | تعالى الله ما أبهى قوامه
رضيدة بشرطه فى طول عمرى | لان الشرط آخره السلامه

ليت شعرى كيف بدت سمات العرب وجمالهم الرائع لادباء مصر منذ عهد بعيد وغابت تلك الصفات لاهل جيلنا الذين لا يعرفون منها غير تلك الصفات المروعة التى تنشر بلا حياء بين طلبة العلم بمصر وجميعهم يتصف بأروع صفات البشر ويتكلم اللغة العربية بأفصح ما ينطقها غيرهم وبالرغم عن ذلك فانهم لا يعرفون بغير بربرى أو حبشى أو عبد وليس اللوم على المصرى بل الحكومة هى التى لم توفق حتى الآن لتدريس جغرافيه وتاريخ السودان بحال يكفل التفاهم بين سكان الوادى فلا يحدث تنافر بسبب ذلك الجهل العتيق

---

١٤ بؤس السودانيين بالخرطوم

وفى الصحيفه ٢٥ عند وصفه الخرطوم قال فاما مابعد من الاحياء السودانيه البحته فتتجلى فيها مظاهر الفاقه القاتلة ترى فجوات مفتوحة فى بناء منخفض هى حوانيت الصناع والباعة وترى فى هذه الفجوات جماعة السودانيين جلوسا وعليهم ملابسهم البيضاء أصبحت سمراء من الشمس والتراب . وترى أمامهم من صناعتهم العنجريبات والاحذية وغيرها الخ رفقا يا أيها الدكتور قدر عمر الخرطوم التى لم تتجاوز ٢٢ عاما من بدىء ظهورها فى طورها الحالى بعد أن كانت انقاضا تصول بينها الوحوش ومكنا لقطاع الطرق واللصوص . فالذى يقارن بينها وبين أحياء العامة بالقاهرة التى هى أبهى وأقدم مدن الشرق يعتبر مابلغت اليه الخرطوم طفرة تمدح عليها . أما سمار ملابس الصناع فليس أقذر من أرجل النساء والرجال والاطفال الذين يسيرون حفاتا بين أحياء القاهرة حتى يرى الشخص بلون غير لون قدميه السودتين لسيرهم ليلا ونهارا فى خضاض من جراء الكنس والرش اما ملابسهم فليست اخبث من ملابس الصناع فى دور الصناعة كالماكنيكية والطباعين وغيرهم حتى فى أمريكا التى دعوا اضباطها وجنودها بالنادى الانكليزى بالخرطوم لاحتفال عظيم أقامة الانكليز ولما حان وقت الدعوة جاء الامريكانيون بملابس

أتعرف ما بهذا الجواب قال به شنقى بالسجن . فقال له وكيف لاتهرب من الموت . فقال كيف أهرب فتضحك النساء على فرصى المدير باستبدال حكمه بالسجن وفى ذلك العهد أفرج عن المسجونين ليذهبوا الى دورهم ويعودون فى أوقات العمل ولم يزل الحال كذلك الى سنة ١٩٥١ م أفهل توجد هذه الاخلاق فى غير السودانيين فاذا كان فليتكرم هيكل باشا ليقول فى أى ناحية من مناحى الكرة الأرضية أفاكان الاجدر به أن ينقل من غرائب العادات الغير معلومة لمصر بدلا وصف تكلات الفقراء وملابسهم القذره وكيف لايربأ بقلمه عن تلك السفطه الممجوجه

١٣ السمات

ان السودان لم يزل بين زواياها المجهول وذلك مما لا جدال فيه كما تدل المؤلفات المصرية . قرأت فى كتيب صغير قررته وزارة المعارف يقول مؤلفه أن السودانيين يأكلون النمل بعد وضعه فى عسل النحل ويعتقد آخرون ان فى السودان أناسا لهم أذناب كالحيوانات الوحشيه وإذا ما اضطروا الى نشر صورة تدل على شخصية السودان أتو بصورة مشوهة الخلقة كغلاظ الأنف وبروز المشفرين مما يدعو الى الشك فى اتصال نسبه بآدم فالشاب الذى يدرس من نعومه اظفاره ان السودانى هو عبارة عن « البعبع » الذى يروع به كيف يرضى باخائه مهما نادى العالم بوحدة الوادى أو القطرين الشقيقين ذلك إن لم نقل بتكذيب أولئك الكتاب الذين نادوا على أنفسهم بالجهل وانهم لا يعلمون شيئا عن صفات واخلاق السودان الامر الذى صير ٧٥ ٪ لايعلم عن السودانى غير اسمه حتى العلماء منهم كما تدل اشعارهم عن عادة التقليح التى هى عربية كان الغرض منها الوقايه من العين لانها اسم من اسمائه تعالى « كافى » فاذا حسبت حروف كافى تجدها ١١ ، وهى عادة عربية تمت الى الاسلام بالمعنى الصحيح . فاذا شاهد مصرى امرأة عربية سودانية رائعة الجمال ظنها حبشية كما قال ابو حيان النحوى .

وبى حبشية سلبت فؤادى ... فليس يروق لى شيء سواها .
كمان لعوطها طرق ثلاث ... تسير بها القلوب الى هواها

وقال الاستاذ سراج الدين المدنى

غدت تستر الحسن البديع وقد بدت ... شروط محاسنها على اكمل الشرط

عنترة بن شداد العبسى المتوفى فى سنة ٦٠٠ ميلادية وسنة ٢٢ قبل الهجرة الذى يباهى بها فى قومه إذ قال

هلا سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم .

١١ وقبل أن اذهب بالقارىء بعيدا أقول أن الامام محمد احمد المهدى حصرت جيوشه طابيه أم درمان ولما نفدت الميرة والذخيرة اذن لها الجنرال غردون فى التسليم فسلمت اليه فقابلها بغاية السعة والرحب ومنح قائدها فرج باشا أم درمان لقب أمير على حاميته ولم ينزع عنها السلاح بل ضمها الى جيشه آمنة مطمئنة ولما دارت الدائرة عليه ودخلت الجيوش الانكليزية المصرية أم درمان بدأت بهدم قبته ونبش قبره بعد أن قتل أربع من أولاده وجرح السر السيد عبد الرحمن المهدى باشا فى كتفه الشمال جرحا خطراً وأخذت والدته السيدة مقبوله ضمن السبايا فى رشيد وزلزلت اقدام هذا البيت الكريم ونكست أعلام نعمته . ولما بلغ السيد عبد الرحمن المهدى بدهائه وحسن سياسته الى ارضاء الانكليز وكسب ودهم قال المصريون عنه « خلقه الانكليز » والصحيح اعكس تعصب فانه هو الذى خلق من عداء الانكليز وداً واخلاصا لانه رجل نافع شعبه ولحكومة بلاده قال لى فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ انه يدفع ضريبه ورخص عن دائرته ١٢٠ الفا من الجنيهات . وعليه فانى أقول ولا أخشى فى ذلك لومة لائم انه خير رجل تظله سماء السودان . فلم لا يبحث هيكل باشا هذه النواحى اللامعة المتلألة فى تاريخ السودان بدلا من أخبار البؤساء والفقراء وما يعلو ملابسهم من أدران العمل الشريف الذى أكثر ما تراه بالقاهرة الى هذه اللحظة ولكن :

عين الرضى عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

---

١٢ شمم السودانيين

فى حال حدوث المجاعات يوصد الرجل بيته عليه حتى يموت جوعا لكى لا يوصم بالتسول . واذا حارب عدوه ورأى بوادر الغلبة عليه يترجل عن جواده ويضع السيف من يده لكى يقتل صبراً بدلا عن عار الفرار . هذا وقتل رجل رجلا من جبال الميدوب فى الشمال الشرقى من دارفور واقد حكم عليه بالاعدام واعطى اليه جواب لمدير دارفور المستر متر و بالغاشر لتنفيذ الاعدام عليه فسار منفردا وقدم الجواب للمدير الذى سأله بقوله

والأصرار على الانتقام عميقا . انظر كيف عف الملك بادى أبو شلوخ عن ملك جبال تقلى بعد حربها وانتصار بادى على عدوه وكيف حارب الملك جاويش الملك نمر فى جبال النصوب بالبطانه ولما هزم السعداب وفرش الملك نمر ينتظر الموت من أعدائه كيف الملك جاويش عنه واقسم بان لايرفع سيفه على منهزم . ولما استحكم العداء بين قبيلتى الكبابيش وحمر بفتح الحاء وسكون الراء كلاهما من بدو كردفان ودارفور قررا فيما بينهما ان يعقل كل منهما إبله ويوقف نساءه وراء الابل ويتحاربا فى الوسط فالغالب تكون له الإبل والنساء وكانت هذه الشروط الأولى من نوعها عند بدو السودان

فى سنة ١٢٨٠ هـ اجتمع الفريقان فى غدير « أم الروس » كنى بأم الروس لما نثر حوله من رؤس المتحاربين فى تلك الحرب التى اشتهرت « بحرب العقال » وقد عقل كلاهما إبله وأوقف نساءه وأولاده ورقيقه من ورائها كان الميدان واسعا وتحاربا حربا هائله خمسة أيام من طلوع الشمس إلى غروبها وهناك ينادى بينهما مناد للكف عن القتال لكى تشتغل كل طائفة بدفن القتلى وتضميض كلوم الجرحى . وفى اليوم الخامس هزم الكبابيش وهنا عف الشيخ مكى أبو المليح بعد المقدرة فانه حلف طلاقا بان يعدم كل رجل من عشيرته يسطو على عفة امرأة كباشية من تلك المسبيات . ثم اعطى لكل امرأة جملا لركوبتها وناقة لشرب لبنها وعبدا وجارية لخدمتها وارسل السبايا بحراسة كوكبه من فرسانه ليلحقوا بهن بعولتهن وسمح لرجاله بما بقى من الغنائم . وكانت احدى الكباشيات تنعى قتلاها وتتوجع لفقدهم بقولها

وين أبودرق ووين عمى جاد الله	ووين شطيطه الما شرد ولى [1]
وين ولد كيتاوى أبو ايدآماشلى	ووين نلقى الفضا الفيه نتدلى [2]
وين نلقى التريك الفيه ناكل الفله	ولى بت أم بحر البادية منفله [3]

يؤخذ من هذه الحادثة ان الحرب فى السودان لازالت فيهم شمائل اسلافهم فى الجاهلية والاسلام كيف رانك لترى من تسامح الشيخ مكى أبى المليح مايشبه خلال

---

(١) وين يعنى اين أما أبودرق وجاد الله وشطيطه أبوا عجور زعم حالف فضل الله ود سالم وقتل فى حرب العقال تمدحه بان ماشرد ولى الأدبار

(٢) ثم عطفت تقول وين (اين) ولد كيتاوى أبو ايدا ماشلى فى تلك الحرب بل كان يضرب يمينا وشمالا الى ان قتل مقبلا لامدبرا . وتقول اين نجد الفضاء الذى تتدلى فنستريح من الهزيمة

(٣) التريك أباء لحنظ الغلال . أما بت أم بحر فتمثل بصحراء الماتول وقليل البادية إبادتها ومطاردة العدو لها

حتى يخضع الرغينه ففتك ذات يوم بقافلة كان منها سبعة عساكر اتراك فبثت الحكومة الجواسيس الذين توفقوا للقبض عليه وسجن فى بربر ولكنه فر من السجن واستجار بخليفة ود الحاج العبادى الذى اجاره وطلب من سليمان أغا البزارلى التركى مدير بربر بأن يخبره بدية المقتولين وخسارة القافله وانه يفرضها على بطانته العبابدة فرفض المدير وارسل قواسيه لاخذ رحمه بالقوة فحدثت بين مندوبى المدير والعبابدة حرب اضطرت المدير الى رفع المدفع فوق سطح المديريه وأطلقه على ديوان خليفة فقتل خليفة ومن معه بشأن حماية المستجير مع أنه كان عظيما اهداه سعيد باشا مدفعا كتب اسمه عليه

٦ حكمت محكمة كردفان على قاتل بالاعدام شنقا ولما قدم للتنفيذ ووضع الحبل على عنقه أحضر المسجونون للعظة فقيل للمحكوم عليه بماذا توصى قال يا أبو مروه وكان بين المسجونين أم بده أبو كندى زعيم دار حامد الذى وثب من بين المسجونين وخطف الحبل من عنق المحكوم عليه وحلف طلاقا إذا لم تقبل منه الدية لايقتل هذا الرجل وهو على قيد الحياة ولما قبل أهل المقتول بالدية دفع ١٠٠ ناقه وافرج عن القاتل

٧ وبينما كان الحاج قسيريه الجعفرى من دنقلا العرضى سائرآ بالخرطوم اذ شاهد جمعا حول المشنقة وحوله امرأة تحث التراب على رأسها فسأل عن الحادث فقيل له ابن هذه المرأة قتل وحكم عليه بالدية أو الاعدام فصاح المدير لايقاف الاعدام ثم ذهب لدكانه وعاد بالديه وافرج عن القاتل

٨ عندما آن وقت الاجل لمحمد باشا الخبير اعلم استدعى المحكمة الشرعية ووصى لاخيه حمزه باشا بربع مليون جنيه

٩ ابراهيم قرض سلطان دارفور استدعى الخبير على ابراهيم وخرجا للفسحة معا لرؤية ابل السلطان التى جاء بها الرعاة الى وادى تندلتى وكانت ٥٠٠٠ ناقه عدا الفحول والنتاج وبينما هما سائران بين الابل اذ شم حاشى ذيل حمار الخبير فقفز الحمار براكبه الذى سقط فالتفت السلطان اليه وقال ماالذى رماك فقال حاشى شم الحمار فقال له السلطان كل هذه الابل دفعتها اليك اى ترضية نظير وقوعك من الحمار

١٠ العفو عند المقدرة

أن من أنبل عادات عرب السودان العفو عند المقدرة فما كان الحقد يدوم آ

من البلاد. فهذه الخلاوى يأوى اليها الضيوف وطلبة العلم الغرباء وصاحب الخلوة يواسيهم فى السراء والضراء وهى ١ خلوة ابو بكر افندى زروق ٢ خلوة الشيخ عبد الله الدعيته ٣ خلوة محمد افندى عبد الرحمن سوركتى ٤ خلوة الشيخ أحمد الطاهر قاضى قضاة السودان ٥ خلاوى السر السيد عبد الرحمن المهدى باشا العديدة ٦ خلوة الشيخ محمد الصلح ٧ خلوة موسى شروتى ٨ خلوة الشيخ الفاتح قريب الله ٩ خلوة الشيخ مجذوب مدثر ١٠ خلوة الشيخ خليل عبد الماحد ١١ خلوة الشريف عبد الرحمن البيتى ١٢ خلوة الحاج أحمد بندر أما إيواء الواحد والثلاثة فلا يعتبر خلوة نرجو الله ان يديم هذه المكارم فى شعبنا ويجزى المحسنين خير الجزاء

ومما يدعو الى الأسف قام بعض الانتهازيين الى البدء بعمل لوكاندات فى الخرطوم وأم درمان منذ ثلاثة سنين أى بعد ربع قرن من رحلة الباشا وقد لا يأوى اليها عدا الأجانب ولكن لا مثيل لها فى عادات الأمة.

٢ دفن الجنائز . ليس فى السودان حنوتى أو ترى فاذا توفى شخص عظيما كان أو حقيرا يترك العمل ويقوم الرجال لدار المتوفى ويشتغلون بجهازه وغسله وتشييع جنازته محمولة على الأكتاف الى الصلاة عليها ومحاملة أهل الميت الى ٥ أو سبعة أيام يأتى كل فرد بكمية من البن أو الشاى أو السكر ويأتى الطعام من الجيران على سفر عظيمة وبعد يقوم ولى أمر المتوفى يشكر الجميع ويأذن لهم فى الانصراف لاعمالهم كما يقولون فى مثلهم « الجنازة ضيفه الحلة » أى يجب أكرامها على سكان الحلة بكسر الحاء اى القرية

٣ ذبح الثيران يباح فى دارفور للعريس يخرج فى رهط من أصدقائه الى المراعى ويعقر ثورا أو ثورين بقدر مايكفى لاطعام جموع العرس رجالا ونساء ولا حق لصاحب الثيران ان يعترض أو يطالب بحق

٤ (لا كل) ان الذى يتجول فى السودان طولا وعرضا لا يرى عربيا ولا زنجيا يأكل واقفا أو فى طريقه أو فى الترام كما هى الحالة بمصر لانهم يعتقدون ذلك مخلا بالعدالة

٥ استجارة المستجير. فالسودانى من كان قويا أو ضعيفا يجب عليه حماية المستجير وأغاثة الملهوف ولو أدى ذلك الى ذهاب حيانه وخراب داره والذى يتسكع فى الادراك يكون مضغة فى الافواه وهذه العادة سواء فيها العرب والزنج قام رجل يدعى رحمة شنكيت من بادية البشارية بقطع طريق القوافل بين بربر وسواكن وكسلا أيضا وكانت له عصابة فالقافلة التى لا تدفع له مباغا تفتدى به يقتل منها ماشاء

الدعاية للاستعمار

التى لا تعمل لغير خدمة الامبراطورية الانكليزية كانه لم يكن الا مروجا لخططها الجافة التى تمخضت بالاضرابات والمظاهرات من أجل سد الرمق من جهود شاقة كعمال سكة حديد السودان الذين يشتغلون كشياطين بنى الله سليمان عليه السلام ويتمون معاشهم بالنوم . وبوليس السودان الذى تجرد من صفات المروءة والانسانيه يضرب ويقتل مواطنيه بلا شفقة ولا رحمة أملا فى الحظوة لدى الانكليز وها قد دارت الدائرة عليه فأصبح كالرائص فى السلالم لم يره أهل الاودة الفوق ولا التحت . أى أنه لم يرض الانكليز ولا مواطنيه . وماذلك الا نتيجة الاقتصاد الذى نظمه اللورد شستر وامتدحه هيكل باشا بانه ابقى فى السودان لمصلحة السودان ولمصلحة الامبراطورية الى ان قال إنه ينفق أكثر من مرتبه الضخم الذى يتقاضاه . عجبا لجراءة الدكتور الذى يكيل الكلام بدون ان يقيم للحقيقة وزنا . أفهل كان اللورد يأكل رغيفا من الذهب حتى لاتكفيه مئات الجنيهات فى بلادأقة اللحمة يتراوح ثمنها بما مابين ٤ و٥ قروش وهكذا كان سعر الدجاجة ورطل اللبن من ١٥ الى ٢٠ مليم أفهل يعقل أن الانكليز يأتون برجل مسرف لايحسن تدبير حياته ليضع لهم اقتصادا يسيرون عليه مع أننا لانظن أن أكبر انكليزى يصرف ٢٠ ./. من مرتبه الشهرى وربما كان دون ذلك لعظم مرتباتهم . ولهذه المناسبة نقول كان سمو البرنس اسماعيل داود خدم فى السودان برتبة ملازم أول نائب مأمور كورتى له مرتب ١٠٠ جنيه يأتى اليه حواله من القاهرة فكان يعطى ذلك المبلغ مع مرتبه الذى هو دون العشرين جنيها لاحد موظفى المركز لكى يصرف منه فى معيشته وولائمه للافنديه المستخدمين معه ومرتب الخدم وبالرغم من ذلك فانه يتوفر بيده المتولى الصرف مابين ٣٠ و٤٠ جنيها يتركها له كمساعدة فى الشهر الآتى يتولى الصرف غير الأول ليأخذ نصيبه فى ذلك الوفر فانظر بربك كيف لم يستطع اميران يصرف ذلك المبلغ مع البذخ والاسراف لرغد السودان ولا تكفى اللورد شستر بضع مئات من الجنيهات . ولو تنازل هيكل باشا عن عظمته وكبريائه واختلط بالسودانيين لاملوا عليه كثيرا مما تصبو اليه نفس المصريين من مجاهل لم تزل مجهولة . كانت أجدى من تلك المثالب التى خلقها وهنا يجب أن نكمل ماجهله أو تجاهله

١ السودانيون لايعرفون اسم اللوكاندة بل كل بيت لوكاندة لايواء الضيوف وطلبة العلم وفى كل مدينة أوقرية دار اسمها خلوة فالمتذكر خلاوى ام درمان وحدها وقس عليها مابقى

والفور . وكان لكل قافلة حامية تتألف من ٢٠٠ جندى مسلحين بالرماح والدرق . لهم بوقات تضرب امامهم فاذا ما اعترض القافله معترض ترجل الخبير وتولى قيادة الحامية ويتقدم للدفاع عنها اما التجار فيحيطون القافلة . واذا ما عادوا لدارفور تنزل القافله فى بئر تسمى ليمنى وهناك يفرش الخبير سجادة ويدع التجار لتقديم هداياهم للسلطان فمنهم من يقدم سيوفا وآخر يدفع سجادا أو حريرا وهلم جرا فيكتب بذلك كشف وليس بعد ذلك نوع من الجمرك يطالبون به وتغادر القافلة بئر لمينى بعد أن يكتب الخبير كتابا للسلطان يخبره بالوقت الذى يصل فيه إلى الفاشر . وعندما يحين الوقت لوصول القافلة يضرب النحاس وتنفخ بوقات الحرب ويخرج السلطان تحيط به كوكبة من الفرسان فيقابل القافلة خارج الفاشر وقد يأتى التجار بملابس فاخرة وعلى رؤوسهم طرابيش عظيمة كطربوش ابراهيم باشا فيترجلون عن ركائبهم ويتقدمون لمصافحة السلطان ويسيرون معه الى داره ليتناولون معه طعام الغداء ويدفعون إليه رسائل الخديوى وكبار المصريين اما القافله فتسير الى الوكالات فى السوق وبعد خروجهم من السلطان يدفع الخبير كشفين لكبير الامناء احدهما عن هدايا التجار والثانى عن مال الدوله وفى الغد تقدم الاشياء التى بالكشفين . ويوم عودة القافله يعتبر من اهم اعياد الفور فلا يكاد ينقطع سماع الزغاريت وضرب الآلات وجلبة الصراخ والرقص ليلا الى وقت الفجر

حبذا لو فتح طريق الأربعين بالسيارات الكبيرة فتخفف كثيراً من عناء السفر لبعد الشقة وعواصف المشقة وما ذلك بالأمر المستحيل فقد شهدت بضع سيارات انكليزية سلسكته من أسيوط الى الفاشر فى سنة ١٩٣٣ م وما أظن أولئك الانكليز تجشموا تلك المصاعب إلا لغرض اقتصادى مهم فنحن أولى به . ان التفات العقلاء الى أحياء هذا الطريق الذى يرجع تاريخه الى ماوراء الميلاد كما تدل الآثار الاثرية به . أفهل من بطل يرفع قائمة الاشتراكات لتأسيس شركة سودانيه للنقل مابين فورت لامى بالسودان الفرنسى الى أسيوط حتى لايكون خيرنا لغيرنا وانى لفى تمام الثقة بانها تغدق على مساهميها خيراً كثيراً

لم يصلح السودانيون للجندية

لقد جاءت هذه الجملة فى كتاب عن الجغرافيه والتاريخ والتربية الوطنية لمؤلفه الاستاذ محمد أحمد الالفى ولست أدرى من أين له ذلك وليس هو من رجال الفن وبديهى ان المدرس أو ناظر المدرسة خاوى الوفاض عن الخبرة العسكرية حتى يعتمد رأيه فى تلك الجملة عن صلاحية السودانى للجنديه أم لا وبالرغم من ذلك فلدأنى بنبذة صغيرة عن أراء العسكريين فى مواهب السودانى هى ابرز صفاته التى اعترف لها العدو قبل الصديق فى سنة ١٨٦٣ طلب نابليون الثالث من سعيد باشا ان يمده بالاى من الجنود السودانيه لمساعدة الفرنسيين فى حرب المكسيك فأجاب سعيد باشا ملتمسه إلا أنه بعث اليه باورطة واحدة كانت تتألف من ٤٥٣ جنديا بما فى ذلك الضباط و اصف ضباط بقيادة البكباشى جبر الله محمد افندى ووكيلها يوزباشى الماس محمد افندى غادرت الأورطة ميناء الاسكندرية فى ٨ يناير سنة ١٨٦٣ على النقالة الفرنسيه لاسين وبعد ٤٧ يوما باغت « فيراكروز » أكبر قاعد بتلك البلاد وذلك بعد ان مات ٨ جنود من أفرادها وقد كتب عنها الجنرال الفرنسى القائد العام يقول انها كانت ذات ملابس حسنه وسلاح جيد وهيئه أنيقة واستعداد عسكرى يثير إعجاب كل من يراها ولقد قامت هذه الاورطه باعظم الخدم وأجلها وهى التى صدت غارات العصابات المكسيكية التى اقلقت مضاجع الفرنسيين . وفى مايو سنه ١٨٦٣ توفى قائدها البكباشى جبر الله محمد بالحمى الصفراء وخلفه الماس محمد أفندى . ولقد حدثت حرب فى ٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ فكتب القائد الفرنسى فقال عنهم « لقد كان هذا القتال رؤوس السودانيين المصريين الذين قاموا بأعبائه باسمى أكاليل الفخر فانهم لم يبالوا بالنار المنصبة عليهم من الأعداء وردوهم وهم يزيدون فى العدد عليهم تسع مرات على أعقابهم مدحورين » وفى هذه السنة اشتركت الاورطه فى ثمانية حروب . وقال قائد فيراكروز فى تقريره الى القائد العام « لقد سلك السودانيون المصريون مسلكا برهن على بطولتهم فقاتلو عددا يربو على عددهم اضعافا مضاعفة ولبثوا محتفظين بما بغلوه من قبل من الدرجة السامية فى الشجاعة . وفى ١٢ يوليو سنة ١٨٦٣ كتب القائد العام للوزارة الفرنسيه يقول « إن هؤلاء السودانيين المصريين الذين لاتسمح نفوسهم بان يبقى الاسير حيا . قد اسرفوا فى القتل . وانى لم أر فى حياتى مطلقا قتالا نشب بين سكون عميق وفى حماسة تضارع حماستهم . فقد كانت أعينهم وحدها هى التى تتكلم وكانت جرأتهم تذهل العقول وتحير الالباب حتى انكانهم ما كانوا جنوداً بل أسوداً » . فانظر بربك يا أيها الجغرافى رأيك وقارنه بما قال أكبر قواد أوربا

ولا تبخس السودانى مواهبه لانك ليس من رجال العسكرية ولم تشترك فى حرب الى جانب السودانى حتى تحكم له أو عليه فرحمه الله القائل

ان كنت مزكوما فليس بجائز مقالك هذا المسك ليس بفائح

راجع كتاب بطولة الاورطة السودانية فى حرب المكسيك لمؤلفه سمو الامير عمر طوسون باشا . وقبل ان اذهب بالقارىء بعيداً أقول حاربت فى استرجاع السودان فى أربع مواقع رأيت أمامى ثلاثه جيوش انكليز ومصريين وسودانيين ان قلت فانما قولى عن خبرة . كانت فى الجيش المصرى ست أورط سودانيه تسير فى المقدمة عند كل هجوم فما رأيت أشد منها بأسا ولا أثبت منها جنانا . وكفى بنا شاهدا الآلاى السودانى فى واقعه التل الكبير الذى أبيد عن بكرة أبيه ولم يرض الفرار راجع الكلام عنه فى كتاب مذكراتى فى نصف قرن لأحمد شفيق باشا ومن المعلوم ان فاقد الشىء لايعطيه فكيف أعطى الاستاذ محمد أحمد الالفى حكما جائرا على مواهب السودانى التى صيرته فى المكان الأول من رجال الجنديه راجع ذلك فى الجزء الرابع من كتاب صبح الاعشى تجد لامراء مصر تقديرا له فى المعاملة والذى يريد شجاعة السودانى ومواهبه فليراجع تاريخ المهديه وعلى كل حال الجندى السودانى هو يد المصرى اليمنى التى يجب ان يباهى بها لا أن يخلق لها المثالب خلقا فى كتاب يدرس للامة فالمعول عكس الحقيقه . ولهذه المناسبة تذكر قصه طريفه شاهد على بطوله السودانى تدل على أنه أصلح العالم للجنديه . كان السلطان على دينار يرسل إعانه سنويه لاحد امراء الشريفين فتصادف ان جاءت تلك الاعانه بيد الشيخ سيماوى أمين السلطان ومعه حرس بلوك

حاج الشيخ سيماوى
بطل أرمنة الحج

من الحماديه مسلحين ببنادق مرتين هنرى فوجد فى الطريق بين مكة والمدينة عشرات الوف من الحجاج بما فيهم المحمل المصرى وحرسه تقف أمامهم عصابة يربو عددها عن الالف مسلحين بأسلحه نارية تريد القضاء عليهم ونهب مالديهم أو يقدمون لها فداء لكى تتنحى لهم عن الطريق. فصاح الشيخ سيماوى فى الحجاج ليفتحوا له الطريق وتقدم على رأس بلوكه واطلق النار على رجال العصابه فكتسحهم عن طريق الحجاج فتناولت الجرائد المصرية الخبر ووصفت حاج الشيخ سيماوى بابلغ صفات البسالة ونعتته باسمى نعوت الاجلال وكان اذ ذاك مهبط احلال سكان وادى النيل. فها هو اليوم حى يرزق بأم درمان فالسودانيه فى ذلك سواسيه كاسنان المشط فسكانهم حاج الشيخ سيماوى فقط ينظرون المناسبات أو حدوث الكوارث والأزمات فهناك ترى من بطولتهم المدهشات ومن ثباتهم خوارق العادات

رحلة النحاس

قام السيد النحاس بك فى رحلة بلغ فيها مشروع الزاندى الذى هو أقصى جنوب بحر الغزال وعاد الى القاهرة فاستدعى الناس لسماع ماشاهده فى تلك الرحلة الطويلة فسرت أنا لا لاعلم جديداً من أخبار الجنوب كلا ولكن لاعلم ماذا يقول أديب مصرى عنها. فوجدته لم يذكر فى رحلته من حلفا الى الخرطوم الا معسكرا لموظفى الرى فى ناحية من نواحى البلاد والنيل وما يحيط به من قرى الأهالى وكيف كانت حياتهم ثم ذكر سقوطه من سيارة وخرج من الرحلة لغير مناسبة للتكلم فى السياسه ثم أخذ فى وصف زعيمين مدح أحدهما حتى قال أنه رأى رهطا من العراة يهتفون بحياته تحت تاج الفاروق مع أن أولئك الاعجام لم يعرفوا خالقهم فضلا عن تاج الفاروق . وقال عن الثانى أنه مخلوق الانكليز وقد فاته ان ذلك الزعيم الذى عرضه فى المشرحة للقدح جليح أبوه بغرائب الشجاعة فى محاربة الانكليز حتى قال عنه أحد فلاسفه الهنود « لو كان محمد أحمد دجالا لأوجبت علينا الضرورة اعتقاده مهديا وأن لانفرط فى شئ من مساعدته » ولما أراد ربك زوال دولته التى بنيت على شفار السيوف . أستشهد أربعة أشخاص من اخوة السيد عبد الرحمن المهدى بالرصاص وجرح هو جرحا بليغا فى كتفه الشمال وأخذت والدته السيدة مقبوله ضمن سبايا المهدية الى رشيد فبقيت ردحا من الزمن تحت حراسة الجيش المصرى بأمر الانكليز . . .

فالسيد عبد الرحمن المهدى ليس هو مخلوق الانكليز كما زعم النحاس . بل هو الذى خلق الانكليز بحكمته وحسن سياسته فاستطاع ان يكسب ودهم ولو اندفع بطيش المصريين فى سنة ١٩٢٤ لكان اعيد الى الاعتقال ولم يعيره المصريون نظره لأنه ليس أعظم من سعد زغلول باشا الذى بطش به الانكليز ولم نسمع بطلقه رصاص فى الدفاع عنه الى ان اعيد . فقات النحاس بك قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » فكان الاخلق به ان يزور المهدى باشا فى داره وان يحادثه بما يشاء فلا أكون مبالغا اذا قلت قديرى منه مثالا ناطقا للكمال الانسانى وربما قرب شقة الخلاف بينه وبين مصر ولكن ابى الله الا أن يدعوه المصريون الى حوصلة الاستعمار. أفهل لهذا المحاضر ومن نحا نحوه من حملة الاقلام المصريين من وقف موقف السيد عبد الرحمن المهدى باشا أمام فوهات المدافع الانكليزية حتى تمزق جلده لاعلاء كلمة لا آله إلا الله بعد

سيد أحمد عرابي باشا (عدا فليسقط وفليمش) فالسيد عبد الرحمن يعرف القرآن وأحكامه القائلة ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، وقوله ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ، فالكيس من سار وراء عقله فاحذروا أن تخسروا ٧٠ ٪ سعودي بمثل تلك الالفاظ البذيئة فليس السيد عبد الرحمن بالرجل الهين الذي يستعاض عنه بغيره .

أيؤخذ تاريخ المهدية من أعدائها ؟!

هذان شخصان ظلا فى غياهب سجون المهدية الى أن افرج عنهما اللورد كتشنر فى سبتمبر سنة ١٨٩٨ م وما كان سجنهما ظلما بل كان لضرورة سياسية ولو كانا فى حكومة متمدنة لضاعفت عليهما العذاب فالأول منهما اللواء ابراهيم فوزى باشا الذى نجا من القتل لخلع بدلة العسكرية وتنكر بين الاسرى ولما عرف أخيرا عفى عنه ولكنه أبى أن يبقى هادئا

ابراهيم فوزى باشا

بل عمل له قهوة يجتمع اليه الاسرى من ضباط وجنود ويسخرون بخليفة المهدى الذى كان الموت بين شفتيه فانهم لقبوه بالوزر فاذا ذهبوا للصلاة وعادوا الى القهوة يسأل بعضهم بعضا يقولون ما الوزر آل إيه ثم يقصون وعظ خليفة المهدى وترغيبه فى الجهاد لاعلان كلمة لا اله إلا الله فيضحكون ضحكا عاليا كما يفعل الحشاشون عادة فنقلت أحاديثهم الى خليفة المهدى وسخريتهم به فأبطل المقاهى وقبض على ابراهيم فوزى باشا وزجه بالسجن أما المستر بيرلد الجرمانى فتاجر جاء بحمل ٢٠٠ بندقية من اسوان مع كتاب عظيمة

المستر نيوبلد الجرمانى التاجر

من الذخيرة لبيعها لقبيلة الكبابيش فى سنة ١٣٠٤ هـ وكانت الكبابيش فى حالة حرب مع المهدية وبعثت بعض رجالها الى قومندان الحدود فى حلفا لينجدها بالسلاح والذخيرة وهو الذى عقد لها الاتفاق مع هذا التاجر ومن سوء حظهم قام الأمير عثمان أزرق فى نحو ٣٠٠ هجان مسلح من دنقلا ثم سار بصحراء سليمه غرب حلفا فوجد أثر القافلة التى تحمل السلاح سائرة سمت الجنوب فبعث ١٠٠ هجان بامرة محمد حمزه الانقريابى وكلفه بتأثرها فأدركها وحاولت محاربته اذ صعد رجالها مع التاجر الالمانى فى ذروة جبل وبدأوا بالمحاربة وأحاطهم الانصار فى سفح الجبل وبعد بضع ساعات اشتد عليهم العطش فاضطروا الى الاستسلام فجىء بهم الى ديم مهديه بالعرضى يحيطهم الحراس بعد أن نزع عنهم السلاح حضرت انا تلك الحادثه وكان الأمير اذ ذاك مساعد فيدوم الهنانى بالنيابة عن عبد الرحمن النجومى الذى طلب لأم درمان فوضع الاسرى بالسجن وكتب مساعد الى خليفه

المهدى بأم درمان فورد له الرد باعدام الكبابيش وارسال التاجر وزوجته الحبشية فارسل الالمانى وهناك اعتنق الاسلام وحفظ راتب المهدى وأخذ فى تلاوته صباحا ومساء بعد ان قيد بمكبه يبلغ وزنها نحو نصف قنطار حديد أما المحكوم عليهم بالاعدام فكانوا عرب وموالى فالموالى ٣٠ رجلا حفرت لهم حفرة بالكرو تجاه بلدة كابتوت وشمال دنقلا العرضى ثم ضرب النحاس وخرج مساعد قيدوم تحيط به كوكبة من الفرسان الساعة ٤ مساء وجاء محمد بشاره الشابق امير السجن بالأسرى يحيط بهم بلوك من السيجانه فأمر مساعد بتقديم الموالى فجثوا على ركبهم يتقدمهم ودجادين ذنكاوي طويل القامة نحيف الجسم يناهز عمره ٤٠ عاما ثم استدعى الجلاد عبد الرحمن أبوسيفين وأمره بقطع رؤس الموالى فأراد بعض السجانه كتف يدى ودجادين إلا أنه قال لهم باوجوه الحاجة أنى خروف تربطونى للموت فخلوا عنه وفى تلك الساعه شاهد رجلا وثب قائما فانتهره بقوله اقعد مكانك يا ابن الكلب انت دايرلك حياة بعد الشيخ التوم فجلس المولى مكانه وكان المنظر رهيبا والبلاء متجهم والناس كأنما على رؤسهم الطير وهم بين شامت ومتأثر لموت اولئك الشبان الذين ذهبت حياتهم ضحية بلادة صالح جلطه الذى تعرض لحرب عجز عنها المصريون وانصراؤهم الانكليز ولم يسمع قول شاعره الذى قال له :—

أبق حريصـــا بمشموم « الثعلب » وأجرى جريا رين حتى تشوف الدوم
الناس الرقـط ناسا مـا بعرفوا اللوم قبـالك قاتـــين الشيـخ التـوم

اما ودجادين فجثى على ركبه كجلوس الصلاه مستقبلا القبلة ثم نطق بالشهادة ومد رأسه فضربه السياف اطار رأسه عن بدنه وهكذا صار يضربهم واحدا بعد واحد حتى قضى عليهم فكنت أنا أقف على بعد بضع خطوات منهم ما رأيت فى عضون حياتى أشجع ولا أثبت جنانا من أولئك الموالى . ثم أعيد العرب للسجن ونصبت لهم ثلاث مشانق الى جانب الحفرة .

اعـــدام العـــرب

فى اليوم التالى ضرب النحاس وخرج الانصار مشاة فرسانا يتقدمهم مساعد قيدوم الهبانى وجىء بالعرب وهم ضعاف لانهم رفضوا الاكل فى الساعه ٤ مساء شنق ستة أى فى كل مشنقة رجلين واعيد الباقون الى السجن فكانوا يتدافعون الى الموت بشكل لم نسمع به وهكذا فى كل يوم يعدم ستة حتى انتهوا وكانوا نحو ٧٠ رجلا ومن اغرب ما شهدت

كان بينهم شيخ ضخم الجسم يبلغ ٥٠ عاما شنق وقطع الحبل وسقط من المشنقه ثم اعيد اليها ورفع فقطع الحبل فالتفت الى المتولين الاعدام وقال لهم انتم حتى حبال ماعندكم فأمر الامير بتركه فقالوا له عفى عنك فاذهب قال الى اين أذهب انتم قتلتم الشبان وتعفوا عن الشايب فرفض التحرك من تحت المشنقه إلا انهم جروه بعيداً وهناك اخذ يبكى ويصوح قائلا يارجالى يافيلى ياخراب دارى الخ

فقضى ابراهيم باشا ردحا من الزمن فى السجن وكذا المستر نيوبلد وعندما خلصا من العذاب اخذ عنهما المؤرخون وحرروا الصحف والحال انهما اعداء ولا يعقل ان ينصفا رجال المهديه وغيرهم كما تراه فى ردى على كتاب ابراهيم فوزى باشا اما نيوبلد فاخذ عنه الافرنج ولم تترجم مؤلفاتهم فلسنا ندرى ما بها

أما الامير عثمان ارزق فانه أغار على واحات مصر وقبض على مأمورها وبعض الاعيان وأرسلوا الى أم درمان فبقوا بها الى سنة ١٣١٦ هـ ١٨٩٩ م

اهمل السودان ملك مصر ؟!

أصدر الاهرام عدداً خاصا عنوانه ٧٥ سنة من تاريخ مصر على صفحات الاهرام ١٨٧٦ - ١٩٥٠ اغرانى هذا العنوان ودفعنى الى مراجعة هذا العدد لعلى اجد ما تصبو نفسى اليه من تاريخ الوادى ولكنى لم أجده يحتوى على شيء غير اخبار الشركات والسينمات ومقتطفات فى الدفاع عن أسماعيل باشا الخديوى بما لم يقل به وارث العرش محمد توفيق باشا قال . كانت الاهرام وفيه لأسماعيل قبل مغادرة العرش . وظلت وفيه له بعد مغادرة البلاد لان هذا الخديوى يمثل الاستقلال والتقدم والرقى

واذا عجزت عن الدفاع عنه سنه ١٨٧٩ بسبب الرقابة الشديدة التى فرضت على الصحف وقتئذ . فانها لم تتردد . بعد اذاعة نبأ وفاته فى ان تستعرض عصره وتبرز اعماله المجيدة النافعة للبلاد واختتمت مقالها بجملة قوية ضد الذين اوعزوا بابعاده عن الحكم . واتهموه بالاسراف فقالت

نعم أنفق أسماعيل الأموال الطائلة . ولكنه ترك لنا جيشا منظما . وترك اعمالا جسيمة للرى . ترك مدارس زاهرة غاصة بالطلبة صحيحة المبادىء مرتبة اللوائح ترك السودان ملكا لمصر والانكليز ساحوه عنها الخ هذا دفاع أوهى من خيال العنكبوت وهو بما تزجيه الصحف على سبيل الملق والثناء والاطراء لغير مبرر وعليه فأقول لملك الصحيفة رويدك ما السودان ملوكا لأحد ما وليس له مالك يورث عنه ويمدح عليه فهو شقيق لمصر فتح الباب على مصراعيه لاسماعيل باشا وحملته فى سنة ١٢٣٦ هـ : ١٨٢١ م كما ذكرناه فى مكانه من هذا السفر وكان ذلك رغبة لا رهبة أى رغبة فى الوحدة التى لازلنا ننادى بها لتكون كتلة أمام العالم الذى أصبح السعى الى القوة ديدنه . رغبة لان العناصر فى السودان تمت بقرابة الأصل لما فى مصر واليك المثال الآتى

١ بنو هلبة بادية بعد الغنم بنيالا جنوب دارفور . والأصل بالمنصوره شرقيه ويسجد موسى بالمنيا وقنا وقوص واسيوط وجزء منهم عرب بنى على بدمنهور ومركز الصف وبقرية النويره عائلة كاسب ببنى سويف .

٢ هواره بادية وحضر بالسودان والأصل بمديريات قنا وجرجا وسوهاج واسيوط والبحيره

٣ عبايده فى أم درمان وبربر وشندى بالسودان والأصل بدراو ومنيحه وبنبان ومديريات الشرقية والغربية والمنوفية .

ولولا ضيق المقام لذكرت لك ١١٤ قبيلة عربية بالسودان وأصولها بمصر وفى سنة ١٢٩٩ هـ عين محمد رؤف باشا الحكمدار ناظراً لاقاليم السودان ومركزه الخرطوم ووكيله على باشا الروبى بالقاهرة وهو الذى يحضر جلسات وزراء مصر ويرفع قراراتها لمحمد رؤف باشا بالخرطوم فلون المعاملة واحد لاسيد ولا مسود . فاعيدوا النظر فيما تقولون حتى لاتتهمكم بسوء النية والعبث بالوحدة أما سماخ السودان عن مصر فأمر جاء بغير ارادة السودانيين وانهم وان كانوا ضعافا فانهم عالجوا الوحدة والانضمام لمصر ولم يوفقوا ولو كانوا يعلمون انهم ملك مصر لرضوا الاستعمار الانكليزى لان المملوك والمستعمر بمعنى واحد هذا وليس أضر على الروابط من عبث الاقلام التى لاتتحرى الحقيقة فيما تقول فامثال هذه الجملة التى تزجيها الاهرام لنيل الحظوة لدى الجالس على العرش المصرى تدفع بعشرة مليون نسمة الى الوراء . فلتمثل الاهرام غير هذا الدور فى هذا الوقت الذى تضافرت فيه شعوب الوادى على الوحدة والتى أوصدت صماخ الآذان عن حديث مالك ومملوك. هذا الادعاء الكاذب من رواسب افكار بعض الاغبياء من حثالة المصريين الذين خدموا فى السودان وكانوا يتشدقون بلهجة السيدة فيوغرون صدور السودانيين وتقوم المشاجرات على الأثر مع انهم جهلاء إلا ان المرء لايعذر بجهله أما الصحف فقد كان الأخلق بها ان لاتعكر صفاء السلام . وليس ببعيد عبارة اسماعيل صدقى باشا التى قالها عند عودته من مفاوضات بيفن اذ قال « أنا جئت لكم بالسيادة على السودان » أثارت سخط السودانيين وضربت على العرق الحساس من شعورهم وما زالت جرائدهم تلهج بذلك ووجد الانفصاليون المجال ذا سعة فقالوا وصالوا وجالوا وبنوا القصور العلالى على تلك الجملة التى سيقت عفل الوزير هذا وليعلم القارىء ان سكان وادى النيل من منابعه الى مصبه أمة واحدة وشعب واحد لاتأثير لاختلاف الألوان ومظاهر الاكوان فانهم يقفون تحت لواء واحد ويدينون بالولاء لمليك مصر فاروق الأول أدام الله بقاءه.

ضحـــايا مصر في الســـودان

أهدانى سمو الامير عمر طوسون باشا فى اكتوبر سنة ١٩٣٤ خمسة عشر نسخة من كتاب وضعه حامد افندى القرصناوى عن ضحايا مصر فى السودان به احصائيات لاتتفق مع الواقع من ضمن ماقاله عن غارة المنه اسماعيل زعيم الجوامعه على بلدة الطياره سنة ١٢٩٩ هـ انه قتل ٣٠ الفا من المصريين والحال لم يكن بالطياره ثلاثة مصريين وانما يوجد بها اولاد افندى وعائلتهم الذين هم من سلالة تركيه لم تزل موجوده واشهر الذين ذهبت حياتهم بتلك الكارثة هم عبدالله المحسن من الزياء كردفان المعروفين بالكرم والحاج ابراهيم ودابو راكبه طبيب الطياره أما المظالم وبقر بطون النساء الحاملات فقد حدث للوطنيين ولما ابلغ ذلك للمهدى ارسل جيشا جرارا لالقاء القبض على المنه واولاده واخيه فى بلدة « يس » ونقلهم الى الطياره واعدامهم بها ليشاهد المظلومون كيف كان الانتقام واقامة الحدود بطريقه عادلة قال لى الحاج محمد يس كنت ضمن الذين انتدبوا لاجراء ذلك الحكم على المنه اسماعيل فدخلنا بلدة يس بعد صلاة الصبح وكان جيشنا على تمام الأهبة للحرب لان الجوامعه ما كانوا أقل من عشرين الفا وكلهم يحاربون المنه الذى وجدناه جالسا على سجادة رحيده مسبحه فطوقنا الدار ودخلنا عليه ثم كبلناه بالاغلال وهكذا فعلنا باخيه وولديه وكنت انا قابضا على جنزير مربوط برقبة المنه وسرنا بهم الى الطيارة كامر الامام المهدى واستدعينا السكان الذين تقرحت اجفانهم من البكاء من اثر الكارثة وقف الجيش دائرة فى ميدان فسيح يتقدمه من الأمراء الحاج محمد عثمان ابو قرجه والسيد محمد أحمد شيخ ادريس وغيرهما وكان الموقف رهيبا وهناك امر ابو قرجة بضرب اعناقهم فذهبت حياتهم نظير تلك المجزرة التى احدثوها بدون امر المهدى وعلى حسابه فهذا النوع من القصاص ثلج صدور الاحياء من سكان الطيارة الذين ما كان فيهم مصريا ولا فى قتلاهم ونفس على ذلك بقية ما جاء فى كتاب ضحايا مصر فى السودان فرحمة الله القائل وما آفة الاخبار الا راويها

كنت في السودان

هذا كتاب نشرته دار الثقافة العامة باسم محمد صبيح وهو دعاية للدعاة التبشير في جنوب السودان به مقدمة عن المواصلات وحكاية عن الرحلة الى السودان والتعرف بأهله مع أن أهله يجيئون الى القاهرة ولا يجدون سبيلا الى مقابلة العظماء فهذا كلام بدون عمل. وفي الصحيفة ١٨ قال أثارت زوجة الحاكم العام الليدى هدلستون حمله على عادة الحفاض وقررت حكومة السودان تشريعا قاسيا الخ نعم لقي هذا التشريع القاسي بعد مصارعة، قام بها سكان رفاعة جزاهم الله خير الجزاء هذا التشريع لا يصح أجراؤه لمجرد رأى أمرأة اجنبيه ولو لم يلغى لاتسع الخرق على الراقع وليست هذه الا لي من نوعها بل عيد اللطيف باشا حكمدار السودان صال وجال لالغاء الحفاض ولكنه اخفق في سعيه وبعد نقله من السودان استراح الناس من تلك الضجه. نعم هذه العادة غير مستحسنة ولكن يجب علاجها بيد الوطنيين أما تدخل الانكليز فيعتبر ماسا بكرامة السودانيين مع اني قبل هذا الحادث كتبت استفتاء للاستاذ أحمد أبو دقن رئيس معهد أم درمان وانه افتاني بتحريم الحفائض بالوجه المعمول به في السودان وبينما انا أفكر في أقرب الوسائل للمقاومة اذ قام هدلستون وألقى خطابا طويلا قائلا هذه وحشية وفاته اعلما لوحشية موت ٣٠٠ مليون بين قتيل وجريح ومفقود في الحرب العظمى وعما يدعو الى الأسف قال في الصحيفة ٥٦ لا وزداً على سؤال من الحاكم العام أعرب المجتمعون عن موافقتهم على اعتبار اللغه الانكليزية لغه الجنوب وأنها لغة أحسن وأكثر فائده من اللغة العربية، أنا أعجب كما يعجب غيري لتفضيل الانكليزية على لغه القرآن وهنا يجب أن نتساءل أفهل الذين اجمعوا بقولهم للحاكم العام هم انكليز أم دعاة التبشير الايطاليين أو من خريجي مدارس الارسالية وباي باب دخلت الانكليزيه فهي لغة أجنبية لا تتفق ومصالح سكان الجنوب الذين أصبحت لهم روابط حسية ومعنوية بالعرب ففي كل بيت غرق في شمال السودان تجد عائلة زنجية وكذلك بمصر يوجد منهم ما يربو عن المليون لهم أملاك من عهد محمد علي باشا الذي كان في جيشه ٣٠٠٠٠ جندي سوداني لهم نساء وأولاد. أما في شمال السودان فأكثر من ٣٠ ٪ من الجنوب وكلهم يجيدون التفاهم مع أقاربهم في الجنوب لان العربيه هي لغة التفاهم هذا أما انتم يا أيها السادة الانكليز حكمتم تلك المناطق الاستوائية نصف قرن أفهل تزوج انكليزي بزنجيه أظن الجواب لا

فاذا نظرنا الى الجوار نجد سكان الجنوب محاطين باوناس ليس فيهم انكليزا بل

قبائل زنجية تتكلم بلغات عجمى وكل منها به مستعمر يرغب فى نشر لغته كما يفعل الانكليز فى مناطق نفوذهم أى البلجيك والفرنسيين فى الجنوب وبالرغم من ذلك فالعربيه سائرة سيرا حثيثا وهى لغه التفاهم ولا يمكن الاستغنى عنها. فاذن لم تسعون للتفرقة بيننا فانا لى أصهارهم أو لاد اللمبو فى البصيليه ٢٠ ميلا غرب وأو وقى قوسنى شمالى خور شمام برجا وكنت وزجتى فى زيارتهم سنه ١٩٤٦ ومئات الألوف مثلى

وفى الصحيفة ١٤٥ قال ان السر السيد عبد الرحمن باشا يدفع للحكومة ٢٥ الف جنيه والصحيح سمعته قال انى أدفع ١٢٠ الف ضريبة ورخص كما ذكرته فى غير هذا المقال وقال بأن أهل الجنوب انما يصلحون المسيحية لا الاسلام . سبحان القائل « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا التى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » فالاسلام دين الفطرة دين الرحمة دين العدل دين العلم دين العقل . طالما فتح المسلمون الاقطار وسادوا الامم فاذا الزموا الناس بدينهم لما بقى اليوم غيرهم . ولكن وضع الله دينا كافلا لحريات المستضعفين من الداخلين فى حكم البلاد الاسلاميه ويعبرون عنهم بالمعاهدين والمستأمنين وأهل الذمة أى حفظت حقوقهم بذمة الاسلام وليس هم كغيرهم من الغالبين الذين تأمرهم تعاليم دينهم بالابادة فما حكموا بلادا اسلاميه إلا قضوا على حقوقها الطبيعية كما حدث لمسلمى أسبانيا وغيرهم ليس كما نرى كنائس المسيحية الى جانب المساجد بمصر وغيرها . أما سكان الجنوب فمسلمون إلا ٢٥٪ لازالوا على ماعليه كالدنكا والنوير والباريا وغيرهم وقديخالفهم القسم العربى كفروق وبنقا وتقلى والندرى والمنقابات الخ شهدت كثيراً من خريجى مدارس الارساليات يفرون الى كردفان لكى يتعلمون الدين الاسلامى مع أنهم درسوا وتعلموا الانكليزية وحذقوا فيها ولكنهم غير قانعين بهمرات القسس وطعنهم على الاسلام زرت كنائس وأو وراجا فى يناير سنة ١٩٤٦ فرأيت الطلبه حفات عرات وانهم يجيدون الصناعة وتعطى لهم أجور تافهة لاتكفى لسد الرمق أما القسس ففى نعيم لم يدر فى خيال النائم منهم فى روما كيف لا ولهم قصور بين حدائق ذات قطوف باسقة وثمار يانعه وحكومة السودان تصرف لهم اعانة ٢١٦ الف جنيه ذلك مما لم يصرف لمعهد أم درمان الذى يعلم أبناء دافعى الضرائب !! ولا شك قد سمع القارىء الضجيه التى أثارها بعض أعضاء الجمعية التشريعية وتخلوا عن عضويتها بسبب ذلك الرقم الهائل المنصرف لدعاية المسيحية فى الجنوب ومحروم منه أبناء دافعى الضرائب فى الشمال . والخلاصة ان سكان الجنوب يجب ان يتعلموا اللغة العربية لرابطة الجوار وتبادل التجارة وان يكون دينهم

الاسلام كما كانوا أولا وان تلغى المصارعات الدينية التى قام بها القس والتى أقيل وأبعد لسببها السلطان عيسى أحمد فرتاك ولنا ملء الثقة ان تكون حرية الاديان كما هى فى البلاد المتمدنة وان يتمتع كل فرد بما تهوى نفسه من الاعتقاد ليكون مسلما أو نصرانيا أو يهوديا فاتركوا الخلق للخالق .

اعـــلام الجيش والبحريه فى مصر

هذا اسم كتاب وضعه حضرة القائممقام عبدالرحمن بك زكى مدير المتحف الحربى بالقلعة زرته غير مرة ورأيت منه أنبل صفات الكرم وسمو الاخلاق

جاءت به بعض مزاعم ابراهيم فوزى باشا وخلطه فى تاريخ السودان الذى كلما هدمنا ركنا من تلك الاوضاع رأينا شبحا جديدا من مختلفاته قال لما وصل غردون الخرطوم لأول مرة كان معينا مديرا مستقلا للمقاطعات الاستوائية طلب من اسماعيل ايوب انتخاب بعض الضباط ليعاونوه فى مهمته فامتنع الكثيرون عن قبولهم الخدمة معه لبعد الشقة بيد ان الاسبران ابراهيم فوزى أظهر رغبته فى مصاحبته لخدمة البلاد فشكر له غردون هذه الرغبة وفوض له امر فرز الجنود وتدريبهم. وعقب ان تم اعداد البواخر لسير الحملة ولاه قيادتها فابحرت البواخر عابرة النيل الأبيض فبحر الزراف فبحر الجبل الى ان وصلت الى البحيرات الكبرى . وهو فى خلال هذه الرحلة الشاقة يقاوم الزنوج وتجار الرقيق الى ان بسط النفوذ المصرى على جل الجهات الاستوائية الخ . أما قوله مديرا مستقلا فلا اصل له فالكولونيل غردون كان مأموراً بخط الاستواء بدلا عن السير صمويل بيكر الذى كان مركزه كندكرو الواقعة فى بين النيل بين جوبا شمالا وجبل الرجاف جنوبا ولم يكل الى ابراهيم فوزى فرز الجنود ولا تدريبها لأن خط الاستواء بها حاميه ثلاثة بلوكات سودانية من النوبه وهم الذين اقترحوا على صمويل بيكر اطلاق اسم جبلهم على العاصمه لأنهم من سكان جبال كندكرو وكندكيره المشهورة فى كردفان

اما قوله فابحرت البواخر عابرة حتى قوله الى ان وصلت البحيرات الكبرى فقول يكذبه الواقع فقد نسى ان النيل غير صالح للملاحة حتى سنة ١٩٠١ م لان شلالا عظيما يقوم فى مجراه جنوب الرجاف يسمى شلال أفلا كما ترى صورته والدخان يتصاعد من شدة

—{ شـــلال أفـــلا }—

انحدار الماء : فالماء ينحدر من علو شاهق اذا انحدر به تمساح تندك عنقه فيموت لوقته ولا ضرورة تدع غردون الى تجاوز مركز سلفه فى « كدكرو » التى لم يستطع البقاء بها لشكاسة اخلاق البارية فتراجع شمالا ادخل عاصمته جبل « اللادو » فى شمال النيل . وغريب ومدهش قوله فى خلال الرحلة الشاقة يقاوم الزنوج وتجار الرقيق مع انه لم يحدثنا التاريخ بأن ابراهيم فوزى اطلق عيارا ناريا فى حرب قامت فى خط الاستواء لا مع الزنوج ولا مع تجار الرقيق . اما بسط النفوذ المصرى فكان بطريق المساومة كما ذكرناه عن حوادثه مع ادريس بك ابتر فقد سبق الكلام عنهما فلا نرى لزوما لتكرارها : ثم قال وصحب غردون الى الخرطوم وتولى قيادة حاميتها وانتصر على الدراويش فى وقائع كثيرة منها واقعة الحلفاية كلا ثم كلا فابراهيم فوزى لم يحفظ عنه انه برز فى حرب انتصر فيها عدا حادثة الحلفاية واليك تفصيلها كما سمعتها من الدكتور حسن افندى زكى الذى تولى علاجه بعد واقعة الحلفاية قال لى احاط الثائرون من سكان ضاحية الخرطوم بالعاصمة وشددوا النكير على السكان فلم يستطع أحد الاحتطاب ولا جلب القش لماشيته من الخارج وكنت برتبة الصاغ حكيمباشى استبدالية الخرطوم فتضرر الناس وشكوا تلك الأزمة للجنرال غردون فكان الثوار يعسكرون بحلفاية الملوك ولهم بها خنادق واستحكامات . فأمر الجنرال بانتداب قوة لمقاومتهم وطردهم بعيدا عن العاصمة فسار بلوك قطان

واوردى من الباشبزق الشايقية بأمره السنجق النمر بداخل باخرة فما كاد العدو يرى دخان الباخرة حتى تأهب لحربها . وعندما ألقت مراسيها على الشاطىء ووضعت السقالة تقدم الاميرالاى ابراهيم فوزى بك يحاول الخروج الى الشاطىء ولكنه أصيب فكسرت رجله بالسقالة . فأعيد وخرج النمر الشايقى واخرج جنوده وحلف بالطلاق على أنه يضع بيرقه فى خط نار العدو ثم وضع رجله على الركاب وقبل ان يستوى على السرج أصيب برصاصة فى رأسه فصرع تحت أرجل الحصان فحمل جثمانه الى داخل الباخرة وعادت اليها الجنود ورفعت المراسى . فكانت الغزوة كما قيل فى المثل « ذهب الحمار يطلب قرنا فجاء بلا اذنين » فجيء الى بابراهيم فوزى بك مجروحا فبدأته بالاسعافات اللازمة حتى منحه غردون رتبة اللواء . وكانت هذه سببا فى انتداب الاربع اورط وهزيمتها فى واقعة حلينقو التى قتل بسببها اللواآن حسن ابراهيم باشا والسعيد حسين الجميعابى باشا والتى أطلنا الكلام عنها بعنوان « ضوء جديد على مصير الجنرال غردون باشا » وختم كلامه بقوله وقد ترك ابراهيم فوزى تاريخا حافلا لحوادث السودان الخ وقد ترى نقدنا فى تاريخه فى فصل مخصوص فهو حافل بالمختلقات والأكاذيب التى كانت بسوء نية .

اللـــواء خشـــم المـــوس باشا

نعم هو ابن محمد بن الملك صبير لا الشيخ وقال ولد فى مدينة دنقلا والصحيح ولد فى حنك عاصمة الحنكاب الذين هم فرع من الشايقية . عين سنجقا مع احدى فرق الباشبزق وقام من بربر لالحاق الحملة المصرية بقيادة محمد راتب باشا لغزو الحبشة ولكن ما كاد يبلغ سواكن حتى قابلته الحمله منهزمة فامر بالعودة الى الخرطوم سنة ١٢٩٢ هـ وكانت دارفور فتحت ولم يحضرها خشم الموس فى سنة ١٢٩١ ولكن ثار الفور سنة ١٢٩٤ هـ ونادوا بالأمير هارون الرشيد سلطانا عليهم وحصروا حسن حلمى باشا بالفاشر ومعه سلاتيين باشا فانتدب الجنرال غردون حملتين أحدهما بقيادة الميرالاى النور عنقره بك لحرب هارون فى دار قمر والثانيه بقيادة التهامى بك جلال الدين الحلانقى لحرب سعد عرجون مقدوم شمال دارفور وكان خشم الموس ضمن هذه الحمله التى جاءت بعد فتح دارفور بأربع سنين وقد فازت هذه بقتل سعد عرجون فى سانية حى فى شمال دارفور . ويقال انه قاوم المهدى فى أبى حراس وصحته « أبو حراز » فقتل وزيره محمد طه ولم يكن للمهدى وزير فى ناحيه ما ولكنه الشريف أحمد ود طه الذى أرسل لحربه يوسف بن الملك ود محمود فقتله الشريف وهنا رأى الشايقية ضرورة الأخذ بثاره . وكان جكلر باشا نائب الحكمدار استلم من محمد رؤف باشا ولم يصل

عبد القادر حتى باشا مدير جكثر باشا بعد ان استدعى قوات حامية الجيرة وساعدهم عوض الكريم ابوسن وقبيلته اشكريه وافنى الفقيه عوض الله بوجوب حرب الشريف وبعد القضاء على حياته مثل به الشايقية وجردوه من ملابسه وحمل عاريا على جمل الى ابى حراز إلا أن الفقيه حمد النيل رجا الحكمدار فى دفنه فاذن له ولم يحضر خشم المرس تلك الحادثة ولم تكن له أى مكاتبات مع المهدى. فقال الاستاذ الحسين زهراء يهجو الشيخ عوض الكريم والفقيه عوض لمساعدتهما الحكومة على قتل الشريف أحمد ودطه قصيدة طويله سوف ننشرها فى تاريخنا عن المهديه .

اما من فقته لمحمد نصحى باشا وعودته مع الجنرال تشارلس الى الخرطوم وفرارهما فقد نجد الكلام عنها فى غير هذا المكان

اللواء الزبير رحمـــه باشا

جاءت فى الصحيفه ٩٢ ترجمة طويلة عن الزبير باشا كانت كثيرة الاغلاط لعل السبب فيها ان للزبير شيعة من بطانة تعمل الحبة قبة فاذا ماسأل سائل عن تاريخ حياته كالوا له الكلام جزافا دون ان يقيموا للحقيقة وزنا فاذا كان الكلام عن الفواد صيروه فى المكان الاول واذا ما كان الكلام عن المتصوفة قارنوه بالجنيد . ولذا كتبت تاريخه فى كتاب خاص اسمه الدر المنثور عن تاريخ العرب والعرب سينشر انشاء الله قريبا اما الرد على كلام غيرى فقد كتبت سلسلة مقالات فى جريدة المؤتمر بأم درمان وكذا كتبت سلسلة أخرى فى مجلة أم درمان لمحررها الاستاذ محمد أمين حسين المحامى بالقاهرة وليس لدى من الوقت الآن لاثارة هذا الموضوع للمرة الثالثه غير انى اقول لم يؤسس الزبير قرية تحمل اسمه غير ديم زبير ماؤسسها الزبير ودالفحل الجعلى النفيعابى الذى كانت له كبانية باعها الى الحكومة ورحل عن ديم زبير فعقبه عليها صاحب الترجمة فاوهم الناس بأنه المؤسس لها : والحاج محمد البلالى صحته آدم البلالى جاء مديرا من قبل أسماعيل باشا الخديوى الذى منحه رتبة البكوية وكان الحكمدار جعفر مظهر باشا ولم تكن بين لزبير ولزريقات معاهدة الخ

اللواء محمد نصحى باشا

جاء فى الصحيفة ١٧٩ عن بعثه محمد نصحى باشا بثلاثة بواخر لنقل الحمله الانكليزية والصحيح انه صار وخشم المرس باشا بخمس بواخر ففرقت باخرتان فى شلال السبلوكة [illegible] كانت [illegible] الحمله الى فارها بصحراء بيوضة كما ذكر ناهم ارا فى مناسبات

اسمـــاعيل باشـا والســـودان

قرأت مؤلفا لاستاذ مصرى لا أتذكر اسمه عن تاريخ اسماعيل باشا ذكر أطوار حياته منذ كان شابا دون سن الرشد واستطرد فى كلامه الى ان قال . قاد حملة عسكرية لاخضاع أحدى قبائل السودان . ذلك ما لم يحدثنا التاريخ به ولعله يقصد الحملة التى سارت من الخرطوم بقيادة اسماعيل أيوب باشا لمراقبة الزبير باشا حال زحفه على دارفور سنة ١٢٩١هـ : ١٨٧٦ م لان اسماعيل باشا الخديوى كان يشك فى اخلاص الزبير وهو يخشى ان اخضع دارفور ربما ينادى بنفسه سلطانا عليها . فتصبح حكومة مصر مضطرة لاخضاعه وكذا سارت حملة اسماعيل أيوب باشا بدون ان تشترك مع الزبير فى حرب ما اللهم إلا انها مدت التلغراف من الابيض الى بلدة فوجه قريبا من دارفور وعينت ابراهيم افندى نديم المصرى تلغرافجيا وصار اسماعيل أيوب باشا يراقب حركات الزبير باشا ويرسل عنها برقيات الى الخديوى . أهـــدانى سعو عمر طوسون باشا فى اكتوبر سنة ١٩٢٤ ثلاثة عشر تلغرافا تبودلت بين اسماعيل باشا الخديوى بالقاهرة واسماعيل أيوب باشا بدارفور الى دخلها بعد احتلال الزبير باشا لها بأسبوع واحد ومن الغريب خدم ابراهيم افندى نديم معى معاونا فى سنة ١٩١٦ بصنطيه أم درمان وحدثنى بهذه التلغرافات ولكنه لم يحفظ منها شيئا حتى وصلتنى من غيره هنا وليس أضر من نسبه العمل لغير العامل والقول لغير القائل كما نراه فى تاريخ السودان الذى أصبح ملكا شايعا لمن يدرى ومن لا يدرى اللهم رحماك من تلك الفوضى التى كادت ترخى على الحقائق حجاب الخفاء . ومن الغريب ان كثيرا من السودانيين المثقفين واشباه المثقفين يزعمون بأنهم عالمون بالحقير والجليل من تاريخ بلادهم وتمر عليهم تلك المؤلفات وبها مابها من الطعن والسخرية بالسودانيين فلم نسمع لكاتب حديثا يرجع الحق الى نصابه كأنهم جردوا من الصفات البشرية لا يشعرون ولا يتألمون لوخز تلك الاقلام الذى كان دونه وخز الرماح .

المؤلف يناظر عن رحلة التونسي

من الناس من يعشق القديم لقدمه بدون عرض القديم على ميزان العقل لتمييز الغث من السمين أما التونسي فالسيد محمد عمر التونسي كان طالبا بالأزهر وجاء والده حاجا ودعه جماعة أمانات لاحضارها ولسوء حظه غرقت به السفينة وفقدت تلك الأمانات أما هو فنجى بعد عناء شديد الى جزيرة قبرص وواصل سيره الى ان أدى مناسك الحج ولكن صده الخجل عن الإياب لتونس نظراً لفقد الأمانات سالفة الذكر فلقيه جماعة من سنار وقالوا له انك عالم ونحن فى حاجة الى العلماء أفهل لك أن تذهب معنا لسنار ونحن نضمن لك بأن تحدث من ملك سنار جزيل هباته فسار معهم لسنار وعاش بينهم عيشة راضية الى ان سمع بنبه بترك دراسته بالأزهر وسار اليه بسنار وأخذ يحاول احضاره معه فرفض بحجة ان امه تطلقت منه وتزوجت بغيره فصار الابن ساخطا لو لا ان أباه منحه ما يكفيه فعاد الى الأزهر أما أبوه فسار الى عبد الرحمن الرشيد سلطان دارفور فبالغ فى إكرامه واتخذه نديما ومشيراً ولما سمع ابنه سار اليه بطريق الاربعين مع أحد تجار دارفور وهناك أعاد الرجاء الى أبيه فى العودة الى ترنس وطلب الاذن من السلطان محمد الفضل الذى وافق على شرط ان يبقى الولد مكان ابيه فعاد الاب وبقى الولد سبع سنين ناعم البال وبعد صرح به السلطان فى العودة فجاء الى القاهرة وعين مدرسا اللغة العربية بمدرسة الطب البطرى بأبى زعبل وكان يجلس بين المدرسين ويقص عليهم مشاهداته بدارفور وغريب عاداتها وخرافاتها وكان معهم خوجه نمساوى مدرس الكيمياء فقال له أن هذه القصص طريفة والاخلق بك ان تدونها فى كتاب حتى لا تفقد بموتك فاستساق نصيحة النمساوى وألف رحلته هذه بعد ان تلاشى بعض الحوادث من ذهنه فخلط فيها خلطا أضاع الكثير من فائدتها وأخذها تونس ولما أحتل الفرنسيون تونس أخذها فرنسى وطبعها بمقدمه بالفرنسيه فكانت أول كتاب بالعربيه عن تاريخ دارفور لما كنت بكتم قال لى المستر ديبوى مدير دارفور عندى كتاب باللغه الفرنسيه نقل مؤلفه من رحلة التونسى الذى أقام بدارفور سبع سنين وكتب عنها بتحقيق فأرسله المستر سانديس المفتش ليترجم لك منه الى اللغة الانكليزية وعند افندى حاج الامين المأمور يترجم لك الى العربيه فشكرته فرسله إلا إنى لم استفد منه بشىء يذكر وبعد يسير من الزمن قام المستر ديبوى للاجازة ووجد نسخه مطبوعة بالعربى

دارفور وكسلا فقلت له رويدك حتى اراجع الرحلة وبعد مدة اعدتها اليه واعتذرت عن الأخذ منها لما وجدته بها من الاغلاط الفاحشه ولما أخبرته قال لى كيف تكذب التونسى وانه يقول أقام بدارفور سبع سنين فقلت له أنا وأنت فى عاصمة الفور الآن هات ناس ممن لهم خبرة بدارفور وأنا أقيم لك البرهان على كذب التونسى وفى اليوم التالى أرسل لى المستر ساندس نائب مدير العمال بالخرطوم الآن وكان لبقا يجيد اللغه العربيه كاهلها وزوده بثلاثه مؤلفات أحدها المستر مكميكل والثانى المستر براون الذى جاء جاسوسا الى دارفو فى عهد السلطان محمد تيرات وأقام فى كوبى بزعم انه تاجر مغربى وكان يرسم الخرط ويأخذ بمذكراته ما شاء ولكن ادرك السلطان ان غايته سياسيه أكثر منها تجاريه فصادر ماله وطرده إلا انهم لم يعرفوا ما بمذكراته من بحث لانهم لا يعرفون اللغة الانكليزيه فعاد الانكليزى وألف كتابه هذا والثالث رحلة التونسى. فجاء الى فى مكتب حسابات المديريه بالفاشر وقال لى اليوم جئتك اما غلبتك وأما اقنعتنى ثم وضعت لنا ترابيزة وبدأنا المناظرة بطريقة هادئة ولقد أرهف الموظفون السمع لمعرفة ما يدور حول الرحله وكان الجدل محصوراً فى النقاط الآتية

١ زعم التونسى ان الفور لا يغيرون على نسائهم والفتاة عند بلوغها سن الرشيد يبنى لها كوخ أمام دار أبيها ويحق لها أن تتخذ من الاخوان ما شاءت. والحال أن الفور اكثر الناس غيره وأشدهم تبورا فجزاء الزانى عندهم القتل فلهذه المناسبه استأذنت من المدير وعملت اخصائيه عن الذين قتلوا وحكم عليهم بالاعدام وبالسجن فى ٢٤ شهرا فوجدتهم ٥٤ رجلا منهم من نفذ حكم عليه الاعدام ومنهم من نقل الى سجون أخرى والموجود بالسجن ٢٣ رجلا أخذت صورتهم وواحد أعدم ثانى يوم أخذ صورته والجود بالنفس اقصى غاية الجود

٢ ثم قال ان الفور يجتمعون للذكر وتنشد لهم النساء حتى أخذت احداهن تترنم فتقول

أنا عزبه بيتى طرفان يا رجال ما فيكم زانى

مع ان الطريقة هناك التجانية وهذه ليس فيها انشاد ولا ضرب دفوف وقال اشهر مشايخ الطرق بدارفور الشيخ يعقوب ودبانقا والشيخ رفع الله العركى وكان الاول فى ضاحيه ود الحداد بجزيرة سنار والثانى بابى حراز شرق النيل تجاه مدنى

٣ ثم قال ان اللحمة غير موجوده فانهم يصطادون البغبغا يأكلونها والحال ان البغبغا من طيور الكنغو .

٤ يقول التونسى ان أم بوسه والدة السلطان محمد الفضل تنضرر بأن الناس يقولون عنها الخدم بالخاء المهله والصحيح ان سكان دارفور ينطقون الخاء كما ينطقها العرب حتى انهم يستبدلون الغين خاء فيقولون للغنايه خنايه وغلمنى حلبانى

٥ وقال دخل الاسلام فى دارفور منذ نحو ٢٠٠ عام وقال المستر مكيكل دخل الاسلام فى السودان حوالى سنة ١٦٦٠ م وقال المستر براون ان السلطان سلنق سليمان هو الذى نشر الاسلام بدارفور مع ان سلنق سليمان امه خيرى بنت شاو دور شيت ووالده أحمد المعقور العباسى فكيف جاز لوالده ان يتزوج اوثنيه وهذا مما لا يصح شرعا والصحيح كان جده شاو مسلما وله جامع لم يزل قائما على ذروة جبل عين فرح غرب كتم وهذا من ضمن دس الانكليز على الاسلام بأنه جديد تمهيداً لدعاة المسيحيه ليسيروا على نهج تلك الاضاليل مع ان الاسلام دخل مع عبد الله بن أبى سرح عند غزوة النوبه والبجاة وكتب شروطا مع كنوز ولكنه لم ينشر إلا فى القرن الثالث الهجرى اذ قال المقريزى فى خططه كانت تنقل المؤنه للعرب على ٦٠ الف جمل فاذا نظرنا تعود العرب على شظف العيش نقدرهم بستين الف عائلة والعائلة تتألف من رجل وزوجته وأولاده فانتشروا فى شمال السودان بين النيل شمالا وجزيرة سنار جنوبا وقد تغلبوا على النوبه الذين يدينون بالمسيحيه الى جنوبهم وفى أول ربيع سنة ٧١٧ و ٩ يونيو سنة ١٣١٥م شيد

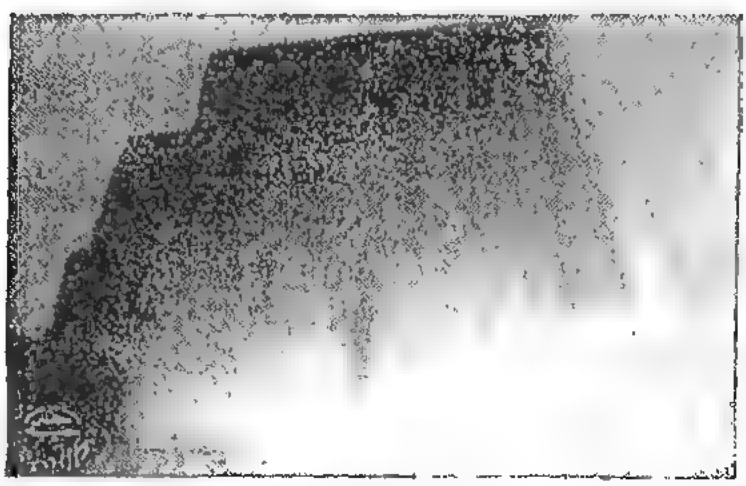

جامع بأعلى كنيسة

سيف الدين بن عبد الله الناصر جامعا بأعلى كنيسة دنقلا العجوز ونقش تاريخ فتح الجامع على قطعة من الرخام وأثبتها فى شمال الجامع من الداخل . قال أحد المؤرخين انه من سلالة نجم الدين جد الكنوز ولكننا لا نرى أثراً يدل على وجود الكنوز هناك

اما العنصر السائد فهم البديريه فرع الزياداب، ربما كان سيف الدين منهم والله أعلم. وبينما نحن فى ذلك الجدل الى ن خرج المدير اساعة واحدة والدقيقه ٣٠ ودخل الينا فقال للمستر ساندس غلبك أم غلبته فقال له ماقدرت أغلبه فقال اذن بنا فقام مستر ساندس وفى اليوم التالى دعانى المدير الى مكتبه وقال لى نحن اقتنعنا بصحة ماعزيته للتونسى فاكتب التاريخ للمدارس من معلوماتك فألفت كتاب الدر المنثور فى تاريخ العرب والغور. وهو ضمن مؤلفاتى الماثله للطبع

المتحف الحربى

هذا اسم مؤلف وضعه حضرة القائمقام عبد الرحمن بك زكى مدير المتحف الحربى زرته فاهدى الى نسخة منه فى الصحيفة ٣٤ قال اما الحملات التى جردها اسماعيل فى السودان لاتمام فتحه . فكانت خير حروب اشتركت فيها . فقد انحدرت القوات المصرية الى قلب افريقيه محتلة فشوده والصحيح ان فشوده فتحها «الخيرى» الذى هو محمد خير الأرقاوى نسبة الى جزيرة أرقو بدنقلا . فكان محمد خير تاجراً جاء ببلح فى أوائل العهد المصرى أو حوالى سنه ١٢٤٠هـ الى الخرطوم فوجد كساداً حمله الى السير جنوبا الى بلدة الكوه التى كان يسكنها اذ ذاك الشلكاويون الذين ما كانوا يعرفون البلح فاعطى محمد خير لكل منهم بلحات وعلمهم كيف يأكلونها . ثم قال لهم اصطادوا الفيل واحضروا لى العاج وانى اعطيكم هذا البلح . فخرجوا من عنده وبعد يسير من الزمن هجموا عليه وتخطفوا البلح فلم يبقوا منه شيئا فكظم التاجر غيظه وقفل راجعا الى الخرطوم وقدم شكوى لحاكمها التركى الذى قال له انك خرجت من حدود الحكومة وهى غير مسؤلة عما حدث لك . فقال له الخيرى واذا استقمت لنفسى أفهل لديكم مانع ؟ فقال له افعل ماشئت مادمت خارج الحدود فقام محمد خير بطواف استعرض فيه بطانته الدناقلة فاستطاع ان يجمع كتيبة تتألف من نحو ٥٠٠ مقاتل وساعده جماعة من أقاربه ببضع سفن شراعية . سار بها جنوبا الى بلدة القراصة . ثم خرج وسار برجاله فى يمين النيل وأمر بأن تسير المراكب قريبا من الشاطىء الغربى حتى اذا بلغت الكوه وسمعت منه نداء تحضر اليه واذ لم ترغير الشلكاويين فترجع الى الخرطوم لأن ذلك دليل على انهم قتلوا ثم واصلوا زحفهم وكلهم مشاة والسلاح السيوف والرماح والدرق الى أن دنوا من الكوه التى تقع بين خورين هما خور «ودهبو» جنوب القرية وخور «دوره» شمالها فقسم جيش الخيرى على ثلاثة أقسام . هجم قسم من خور ودهبو وقسم من خور دوره وقسم من الشرق وكان الوقت ليلا فهب الشلكاويون من نومهم وقابلوا الدناقلة بحرب جريئة وبعد ملحمة دامت الى مابعد شروق الشمس هزم الشلكاويون بعد خسائر فادحة ووقعت النساء والاطفال فى سبى الخيرى مع بعض الرجال الذين شحنوا بالمراكب الى الخرطوم فكان الخيرى أول من باع الشلكاويين واشترى بثمنهم اسلحة نارية وجبخانة وواصل هجومه جنوبا فأصبح الشلكاويون يفزعون من دوى البنادق وهو يحتل قراهم حتى سلم اليه الملك فى فشوده فقسم الاقليم الى مناطق وعين لكل منطقة حاكما وكان من حكامه نصر هارون الخناق الذى سميت عليه بلدة الناصر . وبعد زمن قام الدنكا ابرهم شرق النيل بغارات

قتلوا فيها الفقه الصبونابى وروعوا سكان الجزيرة فاضطرت الحكومة ان تطلب من الخيرى التنازل عن فشوده لتنشىء بها مديريه لتضع بها حاميه لحفظ الامن ويرحل لغيرها فوافقها فعينت لها مديرا . وسار الخيرى الى جبال النوبه فاخضع بعضها وتزوج بثمره بنته بادى ملك جبال قدير . وفرض عليهم الاتاوة فكانت تعطى اليه فى أبنائهم فيرسل بهم الى اسواق الرقيق . فغضب النوبه وتآمروا على قتله فتقدم لذلك تيغرى شيخ جبل فنقر وسار معه أربعه آخرون فكان تيغرى يحمل دلدمايه اى هى قطعة من الحجر بشكل كروى تتركب على عصا قصيرة ويحمل كل واحد من الاربعه

كابيته ، أى سلاح من حديد كثير الرؤس . سار أولئك الى الخيرى وكان يقيم على خيام أمام جبل فنقر ودخلوا عليه فقابلهم أحسن مقابلة وبينما كانوا على تلك الحالة اذ وثب تيغرى وضرب الخيرى بالدلدماية هشم راسه ورفعوا وهط الخيمة من الخلف وخرجوا هاربين مع ثاره وتسلقو جبل فنقر . ولما دخل رجال الخيرى عليه وجدوه جثه هامدة . وكان وكيله أدريس ابتر الدنقلاوى من بلده الحفير قام بحرب انتقامية بعد فيها كثيرا من النوبه وطاردهم بين تلك الجبال وبعدعقد رجال الخيرى مجلسا لانتخاب الرئيس فاختلفوا ولم يرضوا بادريس ولا غيره ثم سار كل منهم الى الخرطوم فاشترى سلاحا وذخيرة وعادوا واوغلوا فى الجنوب فى بضع سنين بلغت الكبانيات ثلاث عشر كبانيه ككبانيه أبى عورى وكبانيه أدريس ابتر وكبانيه فتاوى وكبانيه الزبير ود الفحل وكبانيه العقاد وكبانيه غطاس وكبانيه حسن بوسف الشلالى وكبانيه الزبير رحمه وهم جرا فأرلت تلك الكبانيات الى ماوراء خط الاستواء وأصبح لكل كبانيه منطقة نفوذ لاتسمح لغيرها بالدخول فيها ولها جيش يسمى البازنقر يتراوح عدده مابين ١٠٠ و٥٠٠ جندى مسلحه ببنادق تحشى من فوهاتها لها أسماء حسب اصطلاحهم بريسنات وشنكل وأبولغته وخشخان فالأخير بندقيه ضخمه لايستطيع اطلاقها إلا رجل قوى هؤلاءهم الذين فتحوا بلاد الجنوب من بلدة الكوة الى البحيرات الاستوائيه قبل ان يصل اليها استانلى والسر صموئيل بيكر ولم يطلق الجيش المصرى فيها قذيفة واحدة فنسبة فتحها للجيش المصرى تغيير للحقيقة فانا اجتمعت برجال تلك الكبانيات وأخذت عنهم مباشرة .

تفكير اسماعيل باشا

ان انتشارات الكبانيات وفوزها التى تحصل فى تلك المناطق الاستوائيه جعل الخديوى

يخشى بأسها فأخذ يفكر فى ضمها الى حكومة مصر وأرسل السر صمويل بيكر بثلاثة بلوكات من النوبه فساروا على مراكب شراعية واتخذت كندكرو مركز الرياسة بها ولقد حاول بيكر ضم تلك الكبانيات ولكن تعذر عليه ذلك لان قوته ثلاثة بلوكات وللكبانيات جيش يناهز ١٠٠٠٠ جندى فاستقال وخلفه الكولونيل غردون الذى اقترح على الخديوى مشترى الكبانيات فوافق اسماعيل باشا فدخلت المسألة فى طور مساومة فكان صاحب الكبانيه يعطى بسبعه آلاف جنية ويمنح رتبه البكوية ويصير حاكما على منطقة كبانيته كمادريس بك ابتر وقناوى بك أبوعمورى بيك ومحمد العقاد بك ويوسف حسن الشلالى بك وغيرهم ماعدا الزبير رحمه الذى رفض التنازل عن كبانيته ولما عين آدم البنلالى مديرا لتلك البلاد حاول اخضاع الزبير بالقوة فنشبت بينهما حرب قتل فيها المدير وبدد جيشه ولما أراد اسماعيل باشا ارسال حمله عسكريه لاخضاع الزبير خرج من بحر الغزال وسكن بدار المزيقات وكتب لاسماعيل أيوب باشا يطلب العفو عنه والتزم له بفتح دارفور باسم حكومة مصر شرطا ان تمده بجيش فعفى عنه وأرسلت له ٣٧٠٠ جندى بقيادة على اغا أبو باله التركى ومصطفى بك بن عبد الله وطه أبو سدر اغا الشايقى الخ وكان ماكان من فتح دارفور الذى اسهبنا الكلام عنه فى كتابنا « الدر المنثور فى تاريخ العرب والغور » وفى الصحيفه ٣٥ قال وفى سنة ١٨٩٦ م اشترك الجيشان الانكليزى والمصرى فى حرب استرجاع السودان فأضاف الجيش المصرى الى صفحاته معارك جديدة خرج منها فائزاً وكفى ان نذكر منها توشكى وجنيس وفركه والحفير والمطيره وسواكن والحيزه والخرطوم .

فنقول توشكى هى واقعه النجومى فى سنة ١٢٠٦ هـ وقنس قبلها وفركه فى سنة ١٢١٣ هـ والحفير فى السنة نفسها ففى توشكى وفركه والحفير لم يشترك فيها الانكليز وفقط اشترك الاى انكليزى فى واقتى اتبره وكررى أما الخرطوم فليست بها حرب هذا مارأيته لانى شهدت منها اربع وقائع التى هى عكاشه وفركه والحفير وكررى وجرحت غير مرة فان قلت انما أقول قول مشاهد لم أخذ عن راوى ولا نقلا من تلك المؤلفات المعتله فى استرجاع السودان كانت الوقائع الآتيه للجيش المصرى لم يشترك الانكليز فى واحدة منها

١ واقعة عكاشه
٢ فركه
٣ الحفير
٤ أبو حمد

٥ جديد

٦ القضارف فى هذه اشتركت ثلاث أورطه ايطاليه أما الانكليز فكانوا قوادا لبعض الاورطه السودانية والمصرية فلا يصح الاعتدال لهم بالنصر فى الست مواقع سالفة الذكر لأن ذلك هضم لحقوق الجيش المصرى .

ضبـــاط الادارة بالســـودان

منذ عهد قريب قرأت مقالا وأنا بأم درمان لسعادة اللواء فتوح باشا وصف فيه الضباط المصريين بأبلغ صفات الكمال واسمى نعوت الاجلال زاعما أنهم أحسنوا الادارة والسياسة فى السودان قبل طردهم منه. فلا تثريب عليه لأنه منهم ومدح الانسان نفسه أو عشيرته من ودائع الفطرة البشرية كما قال أبو الطيب

انا الذى نظر الأعمى الى ادبى واسمعـــت آياتى من به صمم

فنحن وان كنا لا ننـــكر أن فى المصريين من هم يستحقون الثناء والاطراء أمثال

سعادة الأميرالاى محمد فؤاد السبوى بك

عبد الرحمن السبكى بك بالمعارف ومحمد فؤاد السيوفى بك ومحمد اسماعيل بك آخر مأمور بأم درمان وغيرهم ولكن من يرد نظر الى أمثالهم يحتاج الى لنظارة معظمة بين تلك المجموعة التى ما كانت حجة لمصر بل حجة عليها ولولا حرصى على الوحدة ولا يمكن ان اعطى سلاحا للفئه الاتصاليه لنشرت بيانا أطول من ليلة المسلوع عن كثير كانوا ليس هم من الكرام البررة ولاهم من الرجال الفجره وانما هم سعات وخدمه وجواسيس للانكليز فقد أساءوا فى معاملة السودانيين ورسموا فى مخيلهم شبحا مخيفا فلا يذكر اسم المأمور أو الوكيل الا مصحوبا باللعنة الى هذه اللحظه فكانوا مجدين جاهدين لحشو جيوبهم سواء ان كان ذلك من حلال أو حرام غير آبهين بالسودانيين الذين كانوا كسقط المتاع فى نظرهم ونحن ندون تلك الأعمال وهم لا يعلمون فاذا ما آن الوقت لنشرها لوليت منها فرار ولملئت منها رعبا . ولهذه المناسبة اذكر قصة طريفه وهى فى أوائل اكتوبر سنة ١٩٢٤ أمرنى سمو الأمير عمر طوسون باشا بزيارة الجمعيات التى كان رئيسها الشرف كالشباب المسلمين والمواساه ومنع المسكرات والمحافظة على القرآن بالاسكندرية ورافقنى فى هذه الزيارات حضرة أحمد فهمى نعباسى بك فكانت أول زيارة لجمعية الشباب المسلمين فى الساعة الثامنه مساء وما كدت أدخل الدار حتى رأيت صفا من الاعضاء يتقدمهم سعادة أحمد فهمى النامنورى باشا الذى صافحنى وقد منى لاعضائه وأمرنى بان اسير أمامهم للطواف على أقسام الدار فاعتذرت اليه قائلا ان قوتى لا تساعدنى بالتقدم على تلك الوجوه المضيئة فقبض الباشا على كتفى ووجهنى الى الأمام فاضطرنى الى النزول لرغبته فكنت أجد فى كل غرفة شابا مسؤلا يشرح لى ما بها شرحا بليغا الى ان دخلنا قاعة المحاضرات وانتهى بنا المطاف الى أودة الجلوس وكانت مفروشه بأجمل الأبسطه ووضعت عليها الكراسى بشكل يدعو الى الغبطه والسرور ومما يسترعى النظر صورة خشبية تمثل جلالة الملك فؤاد كانه هو ثم جلسنا والكل صاغ وكان الذى يحادثنى الدكتور منصور القاضى سكرتير الجمعيه وكانت المحادثه فى التاريخ وفى الختام قال لى الدكتور أفهل تسمح لنا بأن نسألك . فقلت لا بأس قال . أفهل السودانيون يحبون المصريين أم يكرهونهم . فأجبته قائلا ما كل مصرى محبوب ولا كل مصرى مبغوض فالذين خدموا بالسودان كانوا بين فاضل ومفضول فالفاضل لا يذكر اسمه الا مقرونا بالدعاء والاطراء والمفضول لا يذكر اسمه الا مصحوبا باللعنه واليكم المثال الآتى

فى سنة ١٩٠٣ حدث ان أحمد أبو قرض الجعفرى توفى الى رحمة مولاه بكردفان وكان عليه دين أربعين جنيها الى الشيخ ابن عوف عبيد من بلدة الجابرية شمال الدبه

بدنقلا فقدم الدائن وصلا الى المحكمة الشرعية لاثبات دينه ولكن وجد ختمه الذى ضبط بالتركه لايوافق بصحه الختم التى بالوصل فأحال الشيخ محمد شاكر قاضى القضاه المسأله الى مأمور دنقلا العرضى [1] للتحقيق وما كاد السند يصل الى المأمور إلا أنه استدعى ابن عوف عبيد وقال له «بأ الحرامية بتاعتكم اللخربتم بها . المهديه حا تعلموها الآن » يا باشجاويش خذ الراجل داحطة بالسجن ذلك قبل أن يحقق معه . ثم أمر بتشغيله فى الأعمال الشاقه مع أن ذلك مخالف للقانون . فأحضر له جردلان لينقل بها الماء ويرش الضابطيه وقيل جاء اليه أحد السماسرة ليأخذ منه رشوه لكى يساعده المأمور وينجيه من هذه الورطه . فأبى أبو عوف قائلا . انى لاأثبت على جريمة بمحاولة أعطاء الرشوة عنها . واستمر فى نقل الماء . وكان الرجل ضخم الجسم مترف لم يتعود مثل تلك الأعمال الشاقه وبينما هو كذلك اذ خرج المأمور حوالى الساعة الرابعة مساء فرآه ينوء بجردلين مملوئتين بالماء صاعدبهما من قيف يبلغ أرتفاعه زهاء الستين قدما فأخذ يضحك على ابن عوف . ويقول له برضه كدا أى كنت تسعى لخلاصك من هذه الورطة . ولم يعرف اخلاق السودانى الذى يرضى كل اذى ماعدا المساس بالعرض والسخرية فالتفت ابن عوف عليه بعدان وضع الجردلين من يديه وقال له أنا كنت أظن هذه أحكام قانونيه . ولكنى عرفتها الآن ألا عيب حلب أى « قجر » ثم حلف له طلاقا انه لايحمل جردلا ولو أمره عباس حلمى باشا . فأمر المأمور بضربه فضربه رجال البوليس حتى نزف الدم من أسنانه وانفه وأذنيه ولم يكف البوليس عن ضربه حتى أصبح الرجل بين اليأس والرجاء فحمل على أيدى العساكر الذين كانوا يضربونه والدم ينزف من منافذه انفيه وأذنيه وفمه فسخط الناس على تلك المعاملة لافرق بين مصرى وسودانى وفى الغد جاء اليوزباشى محمد فؤاد السيوفى أفندى قومندان البلوك الأول من ١٢ جى سودانيه وتطوع للدفاع عن ابن عوف مجانا ثم اطلع على محضر التحقيق ولقد اعلن ميعاد الجلسه وقد كان الدخول عليها مباحا فاحتشد الناس افواجا وكنت ممن حضروا الجلسه وكان المأمور مدعيا ومحمد فؤاد السيوفى محاميا أو وكيلا عن المدعى عليه والمحكمة غاصة بالنـــاس حتى كان بعضهم ينظر بالشبابيك وآخرون يقفون بالشوارع أمام القاضى الانكليزى البكباشى ديكنسون الذى صار أخيراً ديكنسون باشا مدير النيل الازرق

---

(١) كان المأمور حسن بك لطفى قائمقام بالمعاش الآن وكان اذ ذاك برتبه صاغ لم أصرح باسمه أثناء المحادثه عندما سألنى الدكتور منصور فقلت له رويدك سوف يظهر لك فى مؤلفاتى القاصمـــة بمثـــل تلك [illegible]

الذى حكم بصحة الايصال واثبات حق ابن عوف فى التركة لأنه شوهد للمتوفى ختمان أحدهما نحاس وآخر فضه ولما سئل قال كان ختم النحاس هو الأول ولما فقد عملت ختم الفضه وبعد زمن يسير وجدت المفقود ولم اتلفه لانه كان بخيتا والجديد أجمل خطا فلم أرض اتلافه أيضا وما كاد يسمع القاضى بالحكم حتى خطفوا احمد فؤاد السيوفى من امام القاضى وساروا به فى الشارع محمولا على أكتافهم وهو ينادى قائلا أشكركم أفهل يعقل أننا نبغض المصريين عموما وبينهم أمثال فؤاد السيوفى أو نحبهم جميعا وفيهم أمثال حسن لطفى بك . فسر أعضاء الجمعية ونشرت هذه المحادثه فى جريدة المقطم فى العشرة أيام الاوائل من اكتوبر سنة ١٩٣٤ وفى اليوم الثانى دعانى سمو الأمير عمر طوسون! باشا حوالى الساعة العاشرة صباحا ولما دخلت عليه انتظرنى بداخل الباب وبعد ان تكرم وصافحنى أمرنى بالجلوس ومن ثم جلس فى مكتبه وقال لى أنا مسرور جداً لحديثك مع أعضاء جمعيه الشبان المسلمين البارحه أفهل تملى على باسماء الضباط الطيبين بالسودان » فقلت أنهم بعضهم وأجهل البعض . ثم قال هات اسماء من تتذكر اسماءهم فأمليت عليه وهو يكتب فى بلك نوت . ولما انتهيت أراد يسألنى عن ضابط ولم يعرف اسمه فضرب الجرس فجاءه على أفندى أبو النظر فقال له الصاغ الذى جاءنا يشكو تأخيره حتى بلغ اقرانه رتبه المير الاى وهو لم يزل صاغا ما اسمه . فقال اسمه على افندى موسى فقال له امش ولما خرج قال لى أتعرف على افندى موسى قلت نعم ولكنى لم أخدم معه فى مكان واحد بل ركب معى فى قمرة واحدة من محطه أم روابه الى الابيض . ولما بلغت الابيض وجدت له سمعه أطيب من ريح المسك لاختلاطه مع كثير من اخواننا هناك فدون اسمه ضمن الضباط الطيبين وبعد قليل رقى بكباشى وهكذا الى ان بلغ أمير الاى ولما رجعت الى القاهرة دعانى الى وليمه عظيمة وطلب الى اسكن معه ولكنى اعتذرت وشكرته

غرائب الجهل

من يختلط بعامة المصريين ويحادثهم يرى ظاهرة مؤسفة من الاسئلة التى تدل بوضوح تام على جهلهم بالسودان مع ان المئات أو الالوف اشتغلوا به كأمير وقضاة ومدرسين وكتاب وعساكر وصناع وغير ذلك من التجار . مثال ذلك . سألنى رجل عاقل بقوله هل عندكم سمك زينا ؟ وفى مساء ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٥١ سألنى سيدة قائلة أصحيح عندكم ناس عندهم ذيول اسمعهم التنم ولما اردت اقناعها باستحالة ذلك بدأت تغالطنى وتقول انها رأتهم بعينها فتركتها وهى تعتقد. وقال طالب مصرى فى ثانوى لطالب سودانى أفهل تمر فى سفرك للسودان على الكنغو البلجيكى ؟ وقال لى احد الطلبة الجاويين قال لى مصرى أفهل عندكم شمس وقمر زينا . وقيل لضابط سودانى أصحيح عندكم جبلاية اسمها كررى إذا ماحمت بالشمس تطرشق ويطلعوا منها ناس. فاجتمعت ذات يوم مع رجل اسمه على ما أظن محمد هلال افندى مثقف . قال لى انا جئت من بلدكم الهارحة فقلت الى أى ناحية وصلت فى بلادنا قال لى الشلال !!! فاذا كان فهم تاريخ وجغرافية السودان من الضروريات لوزارة المعارف يجب ان تلغى بعثات الطلبة للتجول بين العواصم أياما يقضونها فى ولائم وأنس واذا ماعادوا لمصر يلقون محاضرات فى وصف فى مظاهر الحياة الاجتماعية من تخطيط المدن وسير الترام بالكهرباء وغرس الحدائق الخ بل أرى من الاوفق قيام بعثة من العلماء لديهم الآلات اللازمة لرسم الخرط وأخذ مقاس الجبال طولا وعرضا وان يكون ضمن اعضائها علماء جلوجيين لمعرفة بعض المعادن والاماكن الصالحة لحفر الآبار لأن بالسودان واحات مجهولة كالبان جديد التى اكتشفت حديثا . وأن يرافقها جنود يجيدون الرماية لحمايتها من الوحوش وتستعين بأهل البلاد أى تأخذ من ذوى الخبرة من الفور لدارفور ومن كسلا لكسلا وهلم جرا وأن لاتكون الرحلة مروراً خاطفا . بل تكون لديها خيام بحيث لاتتحرك البعثة من معسكر الى آخر فى أقل من اسبوع وأن يخصص قسم لدراسة التاريخ وآخر للجغرافيه وثالث للسمات واللهجات ورابع للمناخ وان يكون لها طبيب واجزاخانه . وقد تجمع تلك الابحاث فى مؤلف واحد يأخذ منه المدرسون حسب مايتقرر فى البرنامج . أما اذا ترك الحال كما هو فالسودان لايفهم وان يفهم . أما مؤلفات الافرنج التى صارت مرجعا يأخذ منه من تلقوا دراستهم بأوربا فهى غير معترف بها لدى السودانيين لأنها تحمل كثيرا من الأغلاط الفاحشة وغيرت اسماء الاعلام لعجمة

لمؤلفين كقولهم . —

سوكوت . والصحيح سكوت

جبل داجر مع انه غير معلوم جبل بهذا الاسم بالسودان

الماريسه والصحيح المريسه مشتقة من بلد « بوزد »

الملك سايل وصحته الملك صبير الحنكلى احد ملوك الشايقيه

يسعد ملك المتمه أى المساعد ملك المتمه

بوجين والصحيح الباقير اسم بلدة

مكارف والصحيح الخريف بلدة بضاحية بربر

جزيرة مغرات والصحيح جزيرة مقرات سكانها رباطاب وعبابسه

الحامويه والصحيح الجوعيه قبيلة مشهورة جنوب أم درمان

كوبوش والصحيح كبشاب

أسكو لجوى غير معروف اسم بلدة كهذا الاسم

الضالعين والصحيح الجعليون

جلابات اللابات بلدة واقعة فى الحدود بين السودان والحبسة

ايلاتون غير معلوم

امبيجول والصحيح أم بكول قريه فى شمالى كوردفان

الغبانيه والصحيح الضبانيه قبيله عربيه محرف من بنى ذبيان

العلاطيون والصحيح العقليون قبيلة

وكثير من الاسماء التى كانت سببا فى الحيلولة بين القارىء والوصول الى فهم القصة فهما يعتد به ولو قال قائل عن مصاريف البعثة قلما فاتها مرة واحدة فى الحياة فهى اخف من البعثات التى يتلو بعضها بعضا بلا جدوى .

النكتة

كان الاستاذ دسوقى المغربى من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف بينما كان يلقى

درسا على طلبته اذ سأله أحدهم فقال له من أبو القاسم الذى هو اسم امام مرت سيرته فى الدرس. فقال الاستاذ أنه رجل بربرى من سنار فقال له الشيخ العباسى ليس فى سنار برابر فغضب دسوقى المغربى وأمر باخراجه من الدرس فاستاء العباسى وأغلظ فى رده على دسوقى المغربى الذى كتب مذكرة شكاه بها الى البوليس الذى دعاهما واجلسهما أمامه ثم سأل المدعى عما قال فشرح له القصة كما حدثت وبعد سئل العباسى الذى قال نعم عارضته لأنى سنارى وأعرف الناس بسكان بلدى فما كان من الأستاذ دسوقى المغربى إلا أنه قال مادام هو سنارى فبديهى أنه أعلم منى بأهلها وقام ليطلب منه السماح ولكن العباسى كان اسرع منه فى القيام وبس راس دسوقى وقال له انت استاذى وابى فلا تسبقنى فى طلب السماح فسر الناس لتلك المحاورة ورجوع الأستاذ الى الحق ولا غرابة.

مدعى لمهدية باسنا

كان فى اسنا رجل يدعى أحمد الادريسى الاسناوى ادعى المهدية فى صعيد مصر والتف حوله اربعون الفا من الأهالى وكان محمد بك الدفتردار حاكما للصعيد وقاعدة جيشه باسوان فاضطرب الأمن إلا ان تلك الدعوة لم تكتب لها البقاء طويلا بل وقع المدعى فى مخالب الاسر. قال لى الشيخ أحمد الدردير مدرس الخط بكلية غردون نفى داعية المهدية الى دنقلا فبقى بها طويلا الى ان توفى الى رحمة مولاه فى بلدة ابى قس شمال الدبه.

المؤلف يحاضر بالقاهرة

أسعدنى الحظ بزيارة معهد دراسات السودان بجامعة فؤاد بالقاهرة فقابلنى مديره الدكتور محمد بك عوض بغاية الحفاوة والاجلال وطلب منى الحضور الى المعهد فى يوم الخميس ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٥٠ لتناول الشاى مع مدرسيه والتعرف بهم والقاء محاضرة عن القسم الغربى من بحر الغزال فأجبته الى ما أراد وذهبت اليه فى الوقت المحدد وبعد تناول الشاى دعيت الى قاعة المحاضرات فدخلتها بين عاصفة من تزقيف الطلبه الذين كانوا خليطا من الفتيات والشبان من حملة (الليسانس) ثم وقف حضرة محمد بك عوض المدير وقدمنى اليهم بعبارة لاعيب فيها غير انها بليغه الى اقصى حدود البلاغة . ثم تنحى عن المنصة لاعقبه عليها فاستأذنت فى الجلوس ومن ثم تكلمت عن تكوين الاقليم الطبيعى وما به من الجبال والأودية والاشجار ثم استرسلت فى ذكر ست عشر قبيلة مع ذكر الدين والعقائد والعادات والخرافات وكانت الطالبات والطلبة رغبه شديدة لفهم بعض اللهجات فأخذوا يسألونى عن شرحها ببيان واسع ويدونون ذلك فى النخته وكانت الطالبات يكتبن ما أقول برشاقة وخفة تدعوا الى الغبطة والسرور . حبذا لو تكرم

المؤلف يحاضر بالقاهرة

المدرسون والمؤرخون السودانيون والمصريون بالسودان اذا حدثت بهم الظروف بزيارة القاهرة ليقول كل كلمته فيما وصل علمه اليه من جغرافيه وتاريخ السودان لطلبة ذلك المعهد العظيم حتى يرفع الحجاب الكثيف القائم بين القطرين مادامت الرغبة ملحة وللطالبات وطلبة على علم يزينه ذكاء ونشاط فى طلب المزيد هذا وكان مندوب الاهرام يقف بآلة التصوير فأخذ هذه الصورة واذاعها بجريدته . بتعليق كان كله ثناء على المحاضرة وانها أماطت اللثام عن الكثير مما كان مجهولا . وبعد دعاني رئيس واعضاء نادي أبناء دنقلا فالقيت بينهم محاضرة عن كليات كرالعزال وأثرها فى ضم دارفور . وفى موسم مولد النبي صلى الله عليه وسلم القيت حديثا طويلا عن نظم الاحتفالات به فى السودان منذ اوائل القرن الثالث عشر الهجرى فى محطة الاذاعة بالقاهرة إلا انى كنت مصابا بكحة جعلت الالقاء دون العناية التى تصبو نفسى اليها واشتعلت بعد بحمى واشتدت وطأة الكحة معى الى اربعة اشهر . وبعد ذلك اشتغلت بطبع كتابى « الصراع المسلح على الوحدة فى السودان » وبعد بطبع « كتاب النداء فى دفع الافتراء » وعمرى كان ذا ذاك ٧٤ عاما ولله الحمد على التوفيق.

ضم السودان لمصر

كانت لمحمد على باشا مضمرات سياسيه وماديه اضطرتاه الى ضم السودان لمصر لأسباب وهى افلتت من مجزرة القلعة طائفة من المماليك ذهبت الى السودان وشيدت به بعض القلاع والحصون ولديها بعض الاسلحه وصارت تتاهب للدفاع عند الضرورة

ثانيا كانت جنوده من اخلاط الالبان والارنؤد والاكراد وغيرهم وكانوا على جانب عظيم من شكاسة الاخلاق وما كانوا يحترمونه كأمير ولا غرابه كما قيل فى المثل من عرفك صغيرا لايحترمك كبيرا فأراد أن يبعث بهم الى السودان فاذا وفقوا فى بسط نفوذه الى ذلك القطر فقد أصاب بحجر عصفورين لانه كان ينوى أبقاءهم هناك والاستعاضة عنهم بغيرهم .

ثالثا كانت حكومة مصر فى مهد التكوين وتحتاج الى المادة وبلغته معاون الذهب فى بنى شنقول فظن بها ثروة تكفيه نفقات تلك المملكة الفتية

رابعا وحدة وادى النيل والاستعاضة عن الأرنؤد والالبان بجنود سودانيه اهدأ اخلاقا وأثبت فى مواطن الباس جنانا كما اسلفنا وبينما كان محمد على باشا يفكر فى تكوين الحمله اذ قدم اليه نصر الدين ملك الميرفاب سكان بربر حال عودته من الحج هون له دخول السودان وانه لا يجد معارضا لان الناس فى فوضى سئموها وانهم فى حاجة الى أمير مسلم يمنع الظالم عن المظلوم ويقيم الحدود بينهم.

اذن سلطان تركيا

كانت مصر خاضعة لسلطان تركيا ولا حق لها فى عمل من الأعمال ذوات البال الا بعد موافقته فكتب محمد على باشا الى السلطان محمود الثانى يستاذنه فى ضم السودان لمصر فوافقه واشترط عليه ان يكون الضم باسم خليفة المسلمين لا فتح كما قال القائمقام عبد الرحمن بك زكى فى المتحف الحربى الذى اهدانى منه نسخة فوجدت به ملاحظات منها قوله (فتح السودان) فالسودان مصر ومصر السودان مادام الاصل واحد والدين واحد واللغة واحدة لاسيما العادات والاخلاق واحدة والجوار ولصوق الدار بالدار والفتح انما يكون كفتح عمرو بن العاص لمصر وطارق بن زياد للاندلس اللذان دخلا على شعوب لا تدين بدينهما وكان دخلهما جائزا شرعا

بنص الكتاب والسنة أما الضم باسم خليفة المسلمين فضم ديني رضاه السودانيون لقوله صلى الله عليه وسلم من مات ولم تكن في عنقه بيعة فقدمات ميتة جاهليه

الحملة المصرية

كانت تتألف من ٤٠٠٠ منها ١٢٠٠ فارس تركي ٤٠٠ فارس من العرب والمغاربة و٦٠٠ من المشاه و٣٠٠ من الطوبجيه و٨٠٠ من المشاه العرب و٧٠٠ من العبابده هجانة واقد أمدها محمد علي باشا بنحو ١٤٠٠ جندي فبلغ عددها ٥٤٠٠ جندي مجهزة بنحو ٢٤ مدفعا وعقدلواء القيادة لابنه اسماعيل باشا ورافقه من الضباط حسن باشا ومحمد لاظ أغلى هذا وأعدت ٣٠٠٠ مركب شراعيه واتخذت مصر القديمة نقطة تجمع نقلت اليها المهمات المؤن والجبخانة والآلات وغيرها . وأحضرت ٣٠٠٠ جمل في أسنا

الدعاية

كانت الدعاية السبب الأول في دخول الحملة المصريه الى السودان في سنة ١٢٣٦هـ ١٨٢١م فاختار محمد علي باشا لمرافقتها ثلاثة علماء وهم محمد الاسيوطي الحنفي والسيد احمد البقلي الشافعي والشيخ أحمد السنوسي المالكي فأخذ هؤلاء في اذاعه نشرات تتلخص في الدعوة الى الاطمئنان وملازمة السكينه فان الحمله لاتقصد سوءاً بالبلاد وانما هي سائره بأمر محمد علي باشا الناشئ عن خليفة المسلمين الواجبة طاعته على كل مسلم وغرضه منع القرى من الضعيف وتسهيل طريق الحج لمن أراده فوقعت تلك النشرات وقعا عظيما من نفس السودانيين لان السودان كان يعاني كثيرا من الفوضى والقبائل يفتك بعضها ببعض كالرطاب ضد الميرفاب والشايقيه ضد الدناقله والسعداب الملك نمر ضد عمه الملك المساعد والفونج ضد السعداب والكبابيش ضد بني جرار الخ

اكتشاف

أول مابدأ به محمد علي باشا قام في رحلة الى ماوراء شلال اسوان ورافقة حسن باشا قائد جنود الارنؤد ومحمد لاظ أوغلي « كتخدا بك » في سبتمبر سنة ١٨١٩ م وبعد ان زال طرقه بين تلك الجبال عاد الى الجيزة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩ وبعد أخذ في أعداد

العدد وأدوات الحملة واختيار الاطباء والاجزاجيه والعمال الذين يرافقون الحمله كالبنائين والنجارين والحدادين وغيرهم من أهل الحرف

قيام الحملة

فى يوم ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ غادرت الحمله المصريه القاهرة بعد أن ودع الامير اسماعيل باشا توديعا حارا وكان المرجفون عملوا الحيله قبة عن كثرة المماليك فى السودان وانهم شيدوا القلاع والحصون ولما كان السودان مجهولا والحملة سائرة سيرا لايخلو من الشكوك والأوهام أعلن محمد على باشا ان الخدمه فى السودان ثلاث سنين وبعدها ينقل الجندى الى مصر فهونت هذه مهمة الحملة والسير فى شعاب الجبال التى جابهتهم من الدر وصاعد ومن أسنا خرجت الجنود للسير برا وفى طليعتهم ٧٠٠ هجانه عبابده أدلاء. وكان الطريق صعب المسالك لما به من الاوحال والرمال والحجارة الى ان بلغت حلفا فأقامت للاستراحة ستة أيام.

ومن ثم سارت فى السكوت وهى على أشد الحذر لان هناك يقابلها أول معاقل المماليك فى جزيرة سای وكان الاهالى ناقمون على تلك الفئه التى أقامت بينهم وفرضت طاعتها عليهم فرصا فتقدم الشيخ عبد السلام من قبة سليم لمقابلة سمو الامير اسماعيل باشا فرحب الامير به وارسله الى وردى أغا زعيم المماليك الذى كان حيارا فقابل رسول الامير بغاية الاشمئزاز ورفض الذهاب اليه

مقتل وردى أغا

ما كاد يسمع اسماعيل باشا بلاغ الشيخ عبد السلام أحمد النقاش حتى أرسل قوه عسكريه وأمر عبد السلام بدلالتها فسارت وبعد هنيهه سمع الناس دوى السلاح وما مضت ساعة حتى هلك المماليك وحرم بالسبي والغنائم فاسماعيل باشا عين عبد السلام قاضيا للسكوت والمحس وكانت بدنقلا العرضى فصيله منهم بقيادة ابرهيم بك له استحكام عظيم فى كابتوت شمال العرضى ما كاد يسمع بحادثة سای الاهرب وجنوده الى حيث لايعلم لهم مكان

زحف الحملة

ثم استانفت الحملة الزحف جنوبا فقابلها الاهالى بالدفوف والرغاريت وأصناف

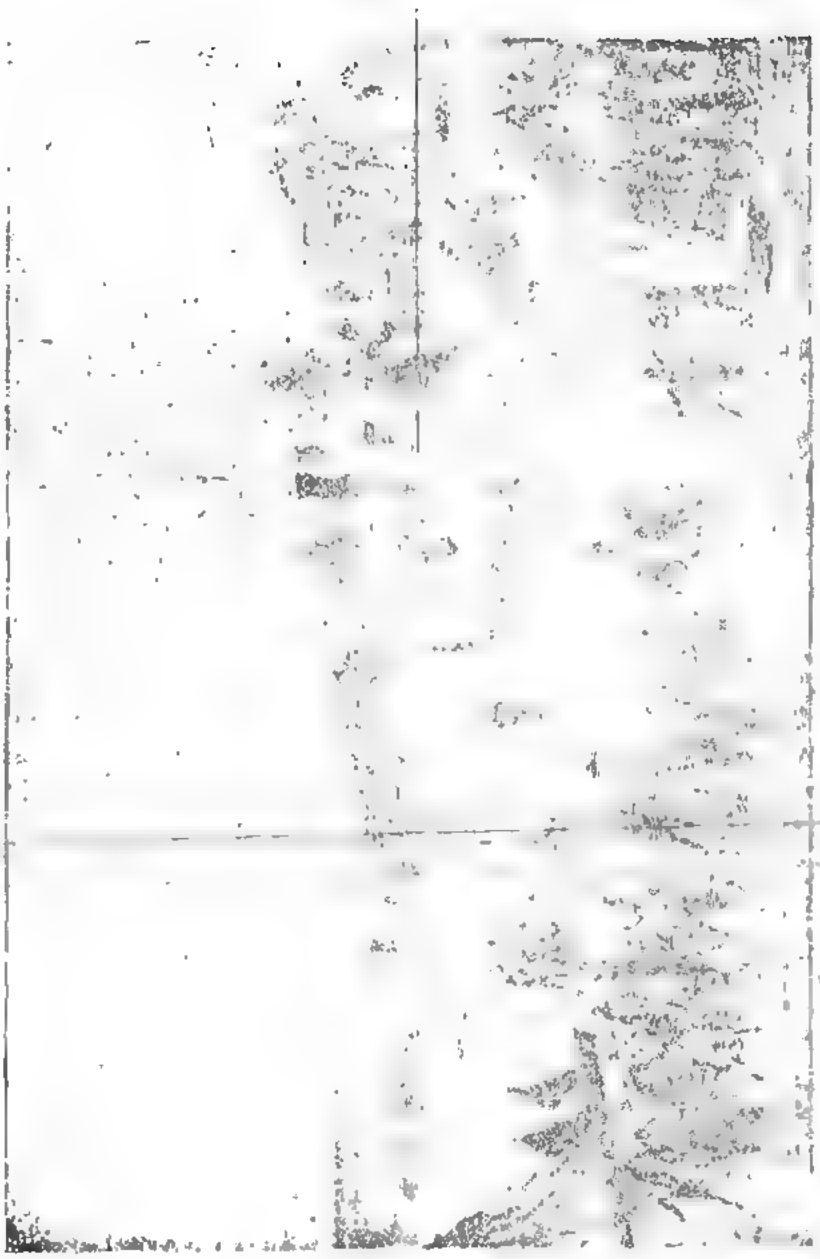

مصرى يعتقن سودانيا وهو برهان على صدق الولاء والاخلاص منذ القدم

الضيافات وكانوا يقولون عنهم عساكر الحران لانهم لايميزون التركى من المغربى من الالبانى ففرح الناس بهم فرحا شديدا وحطت رحالها بالخندق وطلب اسماعيل باشا الخيل المذكور لتغيير كاتب الفرمان التى أضربها السير فى أرض الحجر وكذا طلب احضار جمال الحملة فقدم الاهالى ذلك بلا تردد ثم سارت الحملة الى بلدة الحتانه فنزلت فى ضيافة ملك الدفار وقابلها هناك الملكان جاويش وصبير الشايقيان فقدما ولاءهما وقد طلب احضار الخيل المذكور منهما فعادا ولم يذعنا لهذا الأمر وهناك كتب اسماعيل نشرة اذاعت فى دار الشايقيه معناها ان من ضبط عنده حصان دكر ولم يقدمه للحملة فى ظرف من الزمن يقتل شنقا فكانت النشرة دواعى الجفاء ولو وعد الباشا بدفع ثمن الخيل وكف عن تهديد اصحابها

الذين سافروا وفى النفس مافيها من تلك السخرة التى عدوها احتقارا لرجولتهم والسودانى لايرضى الاحتقار وقد يهون عليه كل شىء فى سبيل الذود عن كرامته ولقد أرسلت الحملة كوكبة من الفرسان للبحث عن الخيل واذا ماوجدت حصانا تقبض عليه وصاحبه. سارت تلك الكوكبة الى جهات الأراك ونامت فى احدى القرى وبينما هى نائمة اذ باغتها افراد قليلون وأخذوا يضربونهم بالسيوف حتى قتلوا أكثرهم وهب الباقون من نومهم مذعورين فنجوا وأبلغوا الخبر لقائد الحملة الذى اعتبر ذلك عصيانا مع انه لو طلب الخيل بالثمن ولم يهدد الاهالى بالشنق لخمدت الفتنة فى مهدها ولحقنت تلك الدماء البريئة التى أريقت بلا جدوى هذا ولقد تفرر حرب الشايقيه الذين تجمعوا فى الضيقة فى شمال النيل ولسوء حظهم كان فى يمين النيل تجاههم جبل عبد الرحمن ابن عرف المطل على الضيقة.

فعمل الاتراك كبريا من المراكب صفوها من العرب فى الشرق وربطوها ببعضها ربطا محكما ثم جازت الحملة الى الشرق ولم يبق بالحتانة عدا الفرسان والهجانه ودواب الحملة وتقدمت الحملة فى جنح الظلام الى ان صعدت بجبل أبو نعوف واتخذت ذروته استحكاما رتبت به المدافع وكان الشايقيه ينتظرون هجوم الحمله من شمال النيل بينما هم كذلك اذ دوت عليهم المدافع من فوق الجبل وبنادق المشاه وطوفتهم الفرسان والهجانه من الخلف ولقد خسر الشايقيه خسارة فادحة واضطروا الى الهزيمة من ذلك الطريق وانهم صمموا على الهجرة وترك وطنهم وبالرغم عن ذلك ماراوا فى حماس شديد كما يؤخذ فى قول شاعرهم.

البـــاشـا علمنـــا الهـوان	وأحمـــانا لذات العنـان (١)
نتـلاقى بسيوفنـــا السنـــان	ويتفـرجن معـــز القنـان (٢)

ثم قال

البـاشـــا بالبشـــانوق يهـــد	احمـــدنا لذات العقـــد (٣)
نتـــلاقى بالسيـــوف نتقاســـد	عنـد البشم فيهـا العقـد (٤)

---

(١) أحمانا منها لذات العنان القبض على أعنة الخيل

(٢) معز القنان استعار معز القنان لسالمهن لجمالهن والقنان جمع قنه ذروة الجبل

(٣) البشانوق يهد أى يهددنا بالشنق أحمانا لذات العقد الذى هو سرع لجام الحصان

(٤) يقال تصارع عند البشم فيها العقد بالعقد الثانى مصنوع من الجلد والمسك تلمسه المرأة حتى اذا دخلت الثوب تعبق رائحته بما يغنى عن كل أنواع الطيب

ثم قال

تركب ننقسق جرسنـــا غرب ود العـــود حلسنـــا

مالنـــا نحن ان فرشنـــا هينا من جاويش حرسنا (٥)

فسار الشايقيه تماما ورجالا الى مروى فأخذ الملك جاويش عائلته كما أخذ الملك صبير عائلته من حنك وساروا جميعا فى طريق بيوضه قاصدين شندى .

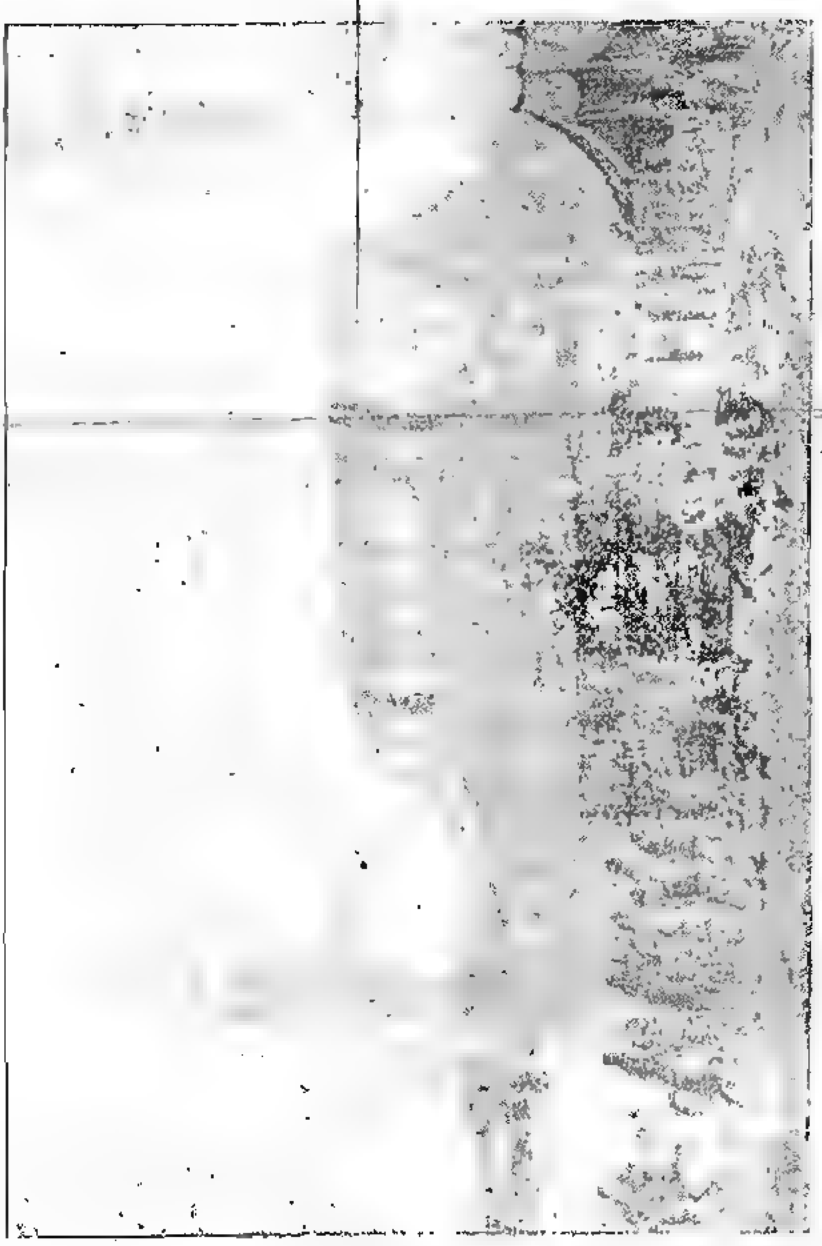

جبل الطير كل ويسفحه عاصمة الملك جاويش

(٥) فرشنا اى اضع السلاح من يدنا عند العجز ونجلس لنموت صبرا كما سبقنا به اسلافنا اى الملك جاويش الأول الذى قبله للدناقلة فى القولة كما نراه فى مكانه

أما الحملة المصرية فقد بلغت جبل البركل المطل على عاصمة العدلاباب إلا أن الأمير امر بالكف عن الحرب حتى لاتسفك دماء النساء والأطفال فى اثناء خروجها لاجتياز النيل لمروى ومنها الى الصحراء وأوعز الى بعض العلماء للصلح وهذه من أنبل أعمال الأمير فانه حقن بذلك دماء كانت عرضة لان تهدر ظلما وتخرب البلاد بغير جدوى ومالبثت جنود الحملة بل جازت النيل وسارت متأثرة للشايقيه .

واقعة بارا

واقعة بارا فى أغسطس سنة ١٨٢١ خرج المقدوم مسلم فى جيش جرار يعلوه أكليل من اقتدام لايرى منه الا وميض الاسنه كانما عناه بشار بقوله

كأن مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

تقدم الى حلة شريم شرق المدينة قريبا منها[1]. وفى اليوم التالى تقدمت نحوه الحملة المصرية وكان الجو صافيا والهواء عليلا فبدأ الطوبجية باطلاق المدافع وهجم فرسان الغور عليها حطموا احدى المدافع وزلزلوا اقدام مشاة الترك وتراجعوا الى موقفهم. وكان الدفتردار مصابا بالحمى وبالرغم من ذلك فانه امتطى فرسه وصار يعرض جيشه على الثبات قائلا هذا اليوم له ما بعده من الثناء ووقف جنده. ثم استأنفت الحملة اطلاق نيرانها على العدو فبرحت به تبريحا فظيعا قال ابراهيم ود دير أحد فرسان الغور انى هاجم على ذاك المدفع لأضربه بسيفى ان عشت كان من قسمى وان مت كان وسمى ثم ركض جواده وهجم كالنسر حتى أطل على المدفع وضربه بسيفه ضربة أثرت فى الماسوره[2] وجال بين فرسان الترك الذين احاطوه نارا حاميه من قريناتهم وهو يضرب بسيفه يمينا وشمالا الى ان صرع بينهم وقد جاد فرسان الغور بأرواحهم فتعرضت النيران الترك الى حصدهم حصدا فظيعا ولم يزد الكر والفر متبالا الى ان توفق أحد الرماة الذى هو شيخ الجهيلات لى إصابه المقدوم مسلم بطلقة من بندقيته فرداه بها قتيلا فذعر الغور وتطارق اليأس الى نفوسهم واخذوا فى الفرار بعد خسائر تقدر بنحو ٣٠٠٠ بين قتيل وجريح أما الحملة فلم تخسر سوى ٢٠٠ قتيل و ٥٠ جريح ودخل الدفتردار ظافرا منصورا الى مدينة بارا واشتغل الجنود بجمع الغنائم من ذهب وفضة وأثاث ورياش ورقيق وخيل وابل وبقر فتأخر الدفتردار عن وصول الابيض

نهب الابيض

كان يقيم بالابيض كثير من الدناقله والغديات والبديرية والهواوره لما سمعوا بمقتل المقدوم مسلم وتبديد جيشه نهبوا كل ما يملكه الغور. ولما دخل الدفتردار المدينة فى ١٩ سبتمبر

---

(١) شريم تسمى بارا شرق الاوم لقرب ماءها وجوده هوائها

(٢) احتفظ الترك بعدم ابراهيم ود دير وما زالت فى متحف مدفعية كردفان الى تسليم المديرية للمهدى فى سنة ١٨٨٤م وبعد نقلها الى بيت الأمانة ثم دمرت فنقلت الى سنة ١٨٩٩م ولما عرف الانكليز تلك القصة نقلوها الى بيت لاسلم كما كانت رمزا باطلاعها على شجاعة الغور الذى كانت كما قال المتنبى

وشجاعة اغناء عما ذكرها ونهى الجبان حديثها أن يعدى

سنة ١٨٢١ م حكم على سكان المدينة بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه نظير ما بددوه من ثروة الغور . ووجد كتاب عبد الهادى أبو فى محفوظات المقدوم مسلم فأمر بالقبض عليه وسجنه ولم يفرج عنه إلا بعد زمن طويل لانه وعد المقدوم بالاشتراك معه فى حرب الترك .

ولاء القبائل

حضر الى الابيض زعماء القبائل وقدموا ولاءهم لمحمد بك الدفتردار الذى أقر كل زعيم على ما كان عليه وعين ادريس شيخ محمد الدنقلاوى حاكما على كردفان[1] وفضل غطاس الدنقلاوى شيخا لسوق الابيض (سرتجار). وأقر القاضى عربى الهوارى على قضاء كردفان وكانت قبائل كنجارى والتنجر وبرتى بغير زعيم فعين لها تيما سلطانا بعد ما كان زعيما دينيا وهو جد بكر بك مصطفى تيما أحد كرام السودان كما صار ابنه عبدالله بك الآن فى القضارف.

نبأ سقوط كردفان

بينما كان السلطان محمد الفضل متألما لموت المقدوم مسلم وسقوط كردفان فى يد الترك اذ ورد اليه كتاب من الدفتردار يدعوه الى الطاعة ويهدده بالعزو ان أبى . فكتب له الرد الآتى :—

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى يحكم بالعدل قطعا ويجازى كل نفس بما تسعى اليه المآل والرجعى وهو حسبنا فى كل حال وكفى .

من حضرة من أمن الله به البلدان وجعل ملكه فوق كل أحد ، وجعله فى قلوب الاعداء جمرة تتوقد . فضرب الله به على يد من طغى وتمرد وعلى من بغى وتنمرد . مع أنه صغير السن ولو صار كهلا لخضعت له الإنس والجن .

من تزينت به المجالس كرما وجوداً . وافتخرت به العساكر فصار [illegible]
وانهلت بين عارضيه أنجم السعود وإن قامت الهيجاء بنفسه يجود
بقواطع الهنود وينتصر عليهم بعون الملك الناصر المعبود . [illegible]

---

(١) كان ادريس تاجر رقيق سار الى القاهرة بجمع من الجوار محمد بك الدفتردار بضع جوارى لخدمة سرايتها ولما أراد دفع الثمن [illegible] الأزهر فكان مدرسا ونديما من الأمراء والملوك فاعطى هدايا فاخرة وكان ذلك سببا

السلطان محمد الفضل الصنديد بن السلطان عبد الرحمن الرشيد عمر الله دولته الفاخرة وثور ضريح والديه فى الآخرة آمين .....

الى حضرة الكوكب العالى ذى المفاخر المتعالى اخينا ومحبنا صاحب العزة والافتخار الباشا محمد على والثانى الدفتردار . سلمكم الله من الآفات ووفقكم الى فعل الطاعات وجنبكم فعل المحذورات واستعملكم الله بالباقيات الصالحات .

السلام عليكم ورحمة الله والبركة لديكم . وبعد فقد وصل الينا خطابكم أوصلكم الله الى رضوانه وجعلنا واياكم فى ظل ستره وأمانه وفهمنا ماحواه وما اقتضاه . وكل كلمة من المرقوم تستحق جوابا من المفهوم ولكن يكفى عن هذا كلام الحى القيوم حيث قال « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه . وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » وقوله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » ونهاية مطلوبنا وغاية اعتقادنا اننا نحكم بكتاب الله العزيز وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم « ومن خالفنا وتعدى علينا نقصم ظهره انشاء الله تعالى . ونستعين عليه بالله لاننا نرضاه قربانا ولا نظلم انسانا ونحن الحمد لله متبعين لامبتدعين ومسلمين لامشركين نحكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ونقيم الفرائض ونزيل المحرمات ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر والذى [illegible] نأمره بالصلاة والذى لم يزك نأخذ منه الزكاة ونضع ذلك كله فى بيت [illegible] للفقراء والمساكين ونرفع يد الظالم من الرعية ونعطى كل ذى حق حقه فلما استعملنا ذلك نصرنا الله تعالى على من عادنا وظفرنا عليه حتى لانت لنا القبائل العظام واستقامت لنا اجناد لا يعلمها الارب الاباب ولا يحصاها الارب العباد وهم ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وفى طاعة الله الورد فى كتابه العزيز « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الحيوان لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله يقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة مسلم وتبديد جيد كل مسلم ديوانه دينه . وبعد فقد بلغنا انكم طالبون طاعتنا اياكم فهل أتاكم خبر من الله تجدون فيه تمليككم أم خطر بعقولكم

(١) [illegible] . فنعرى ان دارفور هذه محروسة محمية بالله وبسيوف [illegible] سنة ١٨٨٤ [illegible] عليها كهول وشبان سائرون الى الهيجاء بكرة وعشية [illegible] تلك القصة [illegible] ينقلبون فمن أتى دولتنا خاطئا ينهزم ويرجع [illegible] وشجاعة [illegible]

(٢) [illegible]

كرها وينقض عزمه ويضمحل ويتلاشى ويصير هباءاً منثوراً كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف وان اتانا طاع فقد تعرض لزوال نعمته وحصول نقمته . وان بغى علينا باغ لدك فى الساعة والحين لقوله صلى الله عليه وسلم لو بغى جبل على جبل لدك الباغى أفهل بلغكم اننا كفار وجب عليكم قتالنا أو أباح الله لكم ضرب الجزية علينا أو علمتم خبر بعين اليقين فينا . أما علمتم أن عندنا العباد والزهاد والصالحين والاقطاب ممن ظهرت لهم الكرامات فى كل وقت وحين وفى كل أوان وسنين يطفؤن ناركم ثم يرجع كل منكم الى أصله ويعود الى فصله . أفهل غركم قتالكم مع ملوك البحر كاهل الساحل سنار والشايقيه فنحن السلاطين وهم الرعيه ولا يغرنكم قتل عبدنا مسلم انما هو كحبة سقطت من رحل كبير . اما علمتم ان ملكنا هذا طلبه كثير من ملوك السودان الذين هم نحو الخمسمائه ألف أو يزيدون فصاروا كلهم منهزمين امراء قتلاء ورجوعاً هاربين بعون القادر الصمد ولكن لا يكفى هذ كله الا بعد النظر والعيان والتجربة والبيان فاعتبروا يا أولى الأبصار من قبل ان يخذل الله البغاة فيرادها على الأدبار . وما النصر الا من عند الله الواحد القهار . والسلام على من اتبع الهدى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[1] .

ثم أخذ السلطان محمد الفضل يحشد جيوشه على الحدود وتاهب للحرب إلا أنه لحسن حظه قامت فى سبيل الترك اضطرابات وانن يتلوا بعضها بعضا تمخضت بها سياسة الولاء الخرقاء بعد ان بلغ الجيش فازغلى بدون حرب وعتاد عاد الى اعداد الحملات لارجاع الفارين كما سنذكره بعد

---

(١) كان هذا الجواب من انشاء الشيخ حسين ود حمادى من خريجى الأزهر فكان مدرسا ونديما ومشيرا للسلطان محمد الفضل الملقب بقمر السلاطين .

الصلح مع الشايقية

ان من أغرب الأحلام التى تدور فى خيال النائمة ما رآه الملك نمر ذات ليلة قال انه رأى فى منامه خرج من شندى راكبا على بغلة تسير به فى أرض مملوءة بنمل أحمر. فكتب بذلك الى الفقيه حسب المسلاتى المقيم فى مدينة سواكن يسأله تعبير تلك الرؤية فرد اليه الفقيه قائلا ان النمل الاحمر يدل على ان تترك يملكون بلادك. أما خروجك منها على بغل فالبغل عقيم فلا يعقبك ملك على شندى. فالملك نمر أصبحت تساوره الأوهام والشكوك فظن اذا وصل الشايقية اليه مما كانوا سببا فى تملك الترك لشندى فعقد مجلسا تشاور فيه مع عمه الملك المساعد والاعيان فقرروا منع الشايقيه من دخول بلادهم لكى لا تمر بها الحملة المصرية. فعندما قرب الشايقيه ركب نمر وعمه المساعد مع جمع من رجالها لمنع ملوك الشايقيه دخول المتمه ولكنهما ما استطاعوا رد الشايقيه من دخول المتمه وكانت مفاوضة الصلح فى طورها الأخير وامتنع الشايقيه سيرهم الى جبل جارى وهناك تم الصلح على ان كل رجل يمتلك حصانا يؤخذ جنديا فى حملة اسماعيل باشا وتصرف له جامكيه كفرمان الترك ومنح الملك جاويش رتبة سر سوارى على جنود الشايقيه أما الملك صبير فكان هرما فاخذ أولاده سناجق وبذلك حسم النزاع ومن ذلك صارت العسكريه عادة مألوفة لديهم الى سنه ١٣٧٠ هـ. ١٩٥١ م أما الملكان نمر والمساعد فانهما قدما ولاءهما لاسماعيل باشا ورافقاه فى زحفه الى سنار. وهنا يجب ان نذكر مكافأة الباشا للملك نصر الدين فانه أقره فى مملكة الميرفاب وأخذ تعهدات من الرحاب والمعيلب بعدم المطالبة بالرياسة وأخذ رجلا يدعى على ودمساح ولما بلغ سنار أعدم بالخازوق بزعم انه ارتكب جريمة الخيانة والصحيح انه كان منافسا لنصر الدين ولولا أعدامه لما استقر نصر الدين فى مركزه

انجماد الحملة

وصلت من القاهرة بحده تتألف من ٨٠٠ جندى بقيادة محمد بك الذى كان من صفوة ضباط محمد على باشا فعين حاكما الى بربر فاستلم من عابدين بك الذى سار ومعه ٤٠٠ جندى حاكما لدنقلا الأردى ووصل بربر اسماعيل كاشف ومعه ٤٠٠ جندى وبعض المدفعيه والذخيرة والمؤن ضم الى حامية بربر

حـــرق كـــورتى

جاء فى الصفيفة ٧٠ تحت عنوان « حرق عاصمة الشايقية كورتى » فكورتى ليست عاصمة للشايقية ولاهى داخلة فى حدودهم التى هى فى يمين الغربية فالكوارته بدرية وانهم تابعون لملك الدفار ولذا لم يشهر الكوارتابون سلاحا أمام الحملة المصرية أما عواصم الشايقية فعاصمتان احداهما فى سفح جبل البركل وهى عاصمة ملك العدلاب ولم تزل أطلال المساكن قائمة بها الى الآن والثانية حنك عاصمة الحنكاب وكلاهما فى يمين النيل أما كورتى فى شماله كما مررت بالثلاث فى ديسمبر سنة ١٩٤١ ولى خبرة تامة بها منذ سنة ١٨٨٨ م .

استئناف الحملة زحفها

سارت الحملة المصرية الى أم درمان وكانت تتألف من ٥٥٠٠ جندى و ٣٠٠٠ جمل وحصان وفى ٢٨ مايو سنة ١٨٢١ بدأت فى اجتياز النيل الأبيض على طيفان العنيج ولقد تعبت تعبا شديدا فما استطاعت اجتياز النيل الا بعد ثلاثة أيام خسرت فى غضونها بضعة أشخاص غرقوا فى البحر اثناء اجتيازه. فاخذ الأهالى يفدون لتقديم ولاءهم للأمير اسماعيل باشا وبعد بضعة ايام استأنفت الحملة زحفها جنوبا. قال لى الشيخ عبد الله (عبدالله بكسر الدال) أبو سن عندما اجتمعت به بمدنى سنة ١٩٢٢ بينما كان الامير اسماعيل باشا يسير فى دهيبه فاذا به شاهد والدى أحمد أبا سن يرعى ابله شرق النيل تجاه الكاملين فقال احضروا ذلك الرجل فحضر له أبى فسأله عن العشاير التى تقيم على ضفاف النيل وهل سنار لم تزل بعيدة عنه أم قريبة منه وبعد انتهاء المحادثة ذهب والدى وحلب لبنا وجاء به الى اسماعيل باشا وقال له « هاك اتبيض » فترجمت له عبارته التى تتخلص فى « خذ اشرب من هذا اللبن تغاء لا ببياضه » فتناول الباشا اناء اللبن وشرب منه وسر جداً لتلك العبارة الدالة على سلامة نية أحمد أبو سن الذى كان ما كان من أمره كما سنذكره بعد.(١)

تفرق كلمة الفونج

ومن حسن حظ اسماعيل باشا ان دولة الفونج التى كان يخشى بأسها تطرق عليها سوس الهرم وأخذ رجالها ينهش بعضهم بعضا كالذيتاب فأصبح الوزراء ضد الملوك الذين تلاشى سلطانهم وتقوض اركان مجدهم فكان الملك بادى السادس بن طبل خلع ثم أعيد عوداً صوريا فانتقل النفوذ للهمج اذ ذاك لمحمود بن عدلان « الهمجاوى » وكان فى خلاف مع حسن ودرجب ابن عمه الذى حشد جنداً من بطانته الهمج ومن والاه من العرب والعنج واتخذ له معقلا يريد صد الحملة المصرية. وكان معه من الاعيان الفقيه

---

(١) أنظر وتعجب لهذا الراعى الامى كيف تدرجت به حكومة مصر إلى أن صيرته مديراً لمديريتى الخرطوم وسنار وهانحن الآن نطالب بالحكم الذاتى أو الحرية بأى لون كان ويقالو لنا لم تبلغوا درجة الكفاءة أو سن الرشد فى عرف الإستعمار الإنجليزى مع أن الكثير منا يحمل شهادات من أكبر الجامعات فى انكلترا أو غيرها ولم تزل تلك الجامعات خاصة بغيرهم من أبناء السودان أفهل تريد انكلترا أن تتعلم أحياء الموتى أو اسماع الصم الدعاء فما الذى كانت تصنعه فى ٥٢ عاما ؟! اذن فلنتصرف عنا لمصر فهى أقرب منا وأسلم نية فى علاج شؤنا لأنها أمة واحدة يرضى بعضنا ببعض قبل أن تراق الدماء مرة أخرى .

أحمد الريح والشيخ ادريس ورأوا ضرورة قتل الملك عدلان واذا قتلوه ثار اتباعه عليهم فلهذا الخلاف تتطرق عليهم الوهن ففر حسن ودرحب مع ٦٠٠٠ مقاتل وسار فى اعالى نهر الوهد الى حدود الحبشه وهنا جمع بادى السادس بعض الاعيان وسار للقاء الامير اسماعيل باشا بمدنى وقدموا ولاءهم اليه وحلفوا له يمين الطاعة على انهم خاضعون لخليفه المسلمين فسر اسماعيل باشا لتلك النتيجة العظيمه وفى يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٢١ أعلن ضم

سنار وما بقى المسجد ولم يظهر قصر الملك وما يليه من دور الأمراء

السودان الى مصر وعين بادى شيخا عاما لبلاد الفونج وعاد الى سنار ويوم ١٤ يونيو سنة ١٨٢١م دخل اسماعيل باشا سنار وأطلقت له ٢١ مدفعا وصدر فرمان بتعيينه حكمدارا للسودان .

هـــــديه بادى

قد رأى اتيح بادى السادس ان يرفق ولاءه بشيء من الهدية فأحضر ٧٧٦٤ عبداً و ٦٠٠٠ راس من الماشية أمام العبيد وكان العبيد النواة الاولى فى الجيش المصرى فى طوره الجديد وهى من أعظم النتائج وصارت الأهالى تأتى أفواجا لتقديم ولاءها وتعود هادئة مطمئنة.

فازقـــلى

هذه من الممالك الواقعة باطراف السودان فى أعالى النيل الازرق وهى خاضعة للفونج، سارت لاحتلالها ارادى الباشبزق السابق بعد مرورها بسنجه وغيرها من قرى العرب

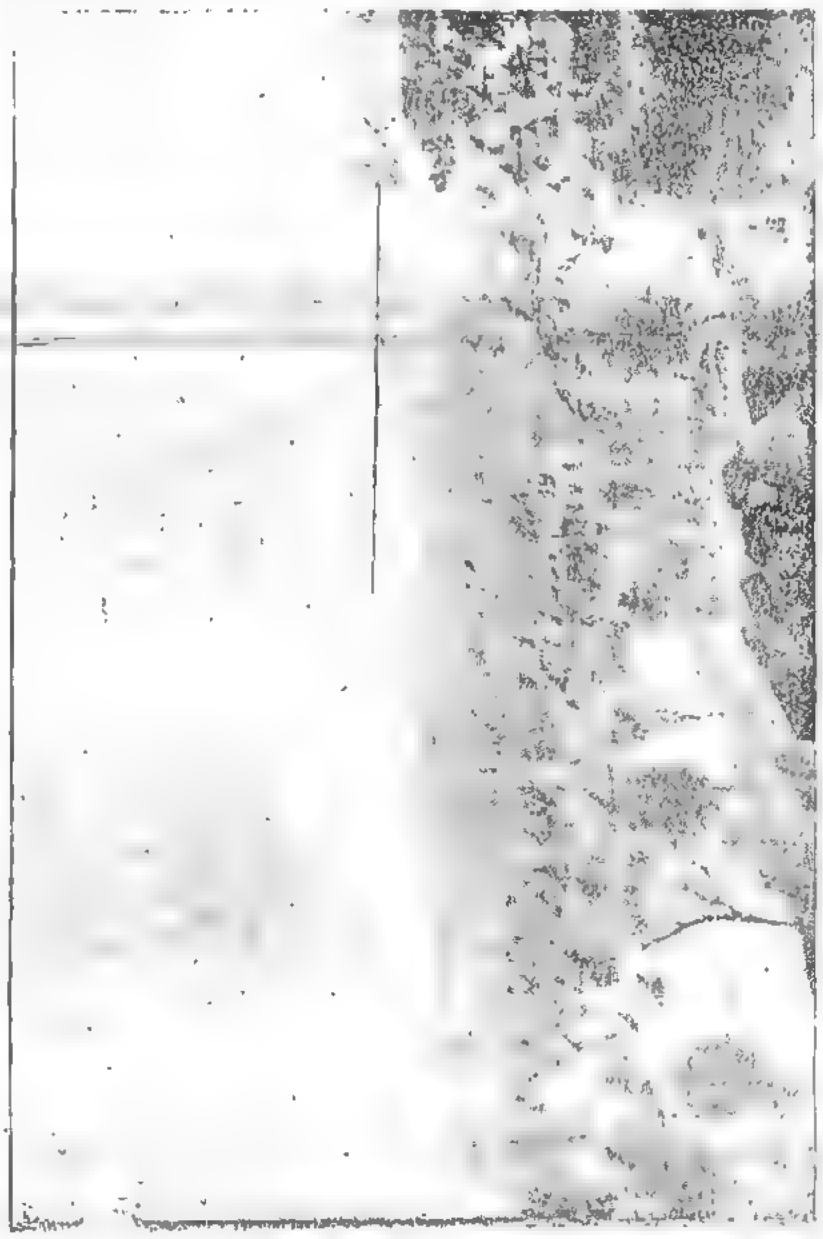

والهمج وكان قائدها الملك جاويش وهو الذى احتل فازغلى بدون أن يلاقى عدواً فى طريقه بل قابله الأهالى بالطاعة فرفع العلم المصرى عليها وعاد الى سنار مع أعيان تلك البلاد الواقعه فى حدود السودان مما يلى أصوصه فى الحبشه فسر اسماعيل باشا لما رواق النفوذ المصرى الى أقصى السودان وبذلك انتهى آخر أطوار الحمله المصرية التى سارت كسير السائح لا كسير الفاتح ومما يدعو الى الغبطة كان الرافع للعلم المصرى فى فازغلى جنود سودانيون دون أن يشاركهم الالبان والارنؤد الذين بطروا وكفروا بما افاضه الله به عليهم من خير عميم ونعيم مقيم كما تراه بعد فانتفزوا الأهالى للفرار .

احمد ابو سن

كان الشيخ أحمد ابو سن رجلا كريم الاخلاق ولكنه غير مثقف. وفى سنة ١٢٣٦هـ الموافق سنة ١٨٢١م فرت بادية الشكرية الى حدود الحبشة فكلفة سمو الامير اسماعيل باشا باعادتها الى وطنها وقد افلح فى مهمته ونال حظوة لدى الأمير الذى جعله زعيما وما كانت الزعامة فى بيته. وبعد قليل من الزمن اهداه ساعة بكتينة ذهبية. كانت تعلق فى عنق لرجل وتوضع الساعة فى جيب قميصه من الأمام.

وما كان الشيخ يرى شيئا من ذلك. وهناك قال لمن حوله المصيبة البتكشكش شنه فقالوا له لا نعرفها ثم قال. وشن بسببها قالوا تعلقها فى رقبتك. فأجاب مستنكرا بان أسيلى قلادة بعد الشيب، فقال الحاضرون اذا رفضت ربما قتلك هذا التركى. فقام فى رهط من بطانته فلما آمن لبس القلادة الذهبية التى لو أعطيت لأهل هذا الزمن وأمروا بالسجود لغير الله لما ترددوا والعياذ بالله. هذا وكانت ترافق الشيخ أحمد أبو سن جارية واحدة من سراريه فقال المغنى فى ذلك. —

رحل الشيخ العمسيب (١) ... شق الناله والحمريب
على بركه خرق له دريب ... خايف أدبا بعد الشيب

ثم قال: —

الليله الشيخ ماخد دى ... لى بلداً عيش ما فى
يامعنى (٢) الدوم كديه ... بلد أحمد لا تنسى (٣)

ثم قال: —

رحل الشيخ أبو عرقوب ... على بركه خرق له دروب
كثير خوفى على كرتوب (٤) ... من أبى سروالا مكروب (٥)

---

(١) العمسيب الرجل الشقى أما الناله والحمريب فنوعان من الاعناب (٢) معنى سرية الشيخ أحمد (٣) بلد أحمد يقصد بها رفاعه (٤) كرتوب لقب والده محمد أبو سن لأنه بقى فى رفاعه (٥) أبو سروالا مكروب يقصد به سمو الأمير اسماعيل باشا لإنه كان يلبس الملابس التركيه الأولى كملابس والده محمد على باشا وابراهيم باشا أخيه.

لقد عنت حكومة الاتراك بأحمد أبي سن ومنحته رتبة البكويه وعينته مديرا لمديريتي الخرطوم وسنار ومع ذلك كان يهوى رفاعة ويميل بفطرته الى الباديه وبينما كان ذات يوم فى ديوان المديرية بالخرطوم اذ رأى عارضا ممطراً فى جهة رفاعه فقال :—

الليله السحاب صب قبلي فوق عولى وفوق إبلى
قم يامرجان أحلب لي لبن النوق طايب لى

ثم قال :—

الليله السحاب صب كارس مثل الفقير الدارس
انا فى الخرطوم شن حارس

ثم ترك المديريه وسار الى رفاعه وكان نائب المدير معنى بك رجلا حازما وله مع لمدير نكات ومضحكات شتى فقال له أحمد بك تصرف فى اعمال المديريه كيف شئت ماعدا قضايا اهلى الشكريه لاتفصل فيها حتى أجيء انا من رفاعه ولكن معنى لم يلتفت الى تعليمات المدير بل صار يقضى فى كل أعمال المديرية بلا فرق ولا تمييز . ولما عاد أحمد بك أبو سن وعلم ذلك غضب غضبا شديداً وقال لنائبه « انشاء الله يامعنى انا وانت يجينا رفنا بين الليله وباكر . أنا بنكع عولى وانت تسوق قرودك »

(١) ينكع أى اتبع وعولى عشيرتى أى سوق القرود أى يقصد به أنك تجرى لاعشيرة لك لأن نائبه سورى من لبنان ولكنه اختار السودان وطناً دائماً لم يزل أولاده به .

العاصمة

بعد نهاية مأمورية الحملة المصرية انتدب محمد علي باشا لجنة من الاطباء الاجانب لاختيار مكان تكون به عاصمة السودان فجابت اللجنة البلاد واختارت مدني وشندى إلا أن محمد علي باشا فضل الأولى لتوسطها من العمران وقربها من حدود الحبشه فشيد لاسماعيل باشا قصر بمدني في مكان المدرسه الوسطى الآن وجعلت تكنات الجنود ودور الضباط والمستشفى بمكان حي المدنيين الحالي.

الوباء

في سنة ١٢٣٧ حدث وباء شديد بمدني مات به خلق كثير خصوصا جنود الآلاي المصري الذي يرابط بمدني ومن ضحاياذلك الوباءالمير الاي عثمان بك الكريتلي والاستاذ عبد الله أبو المعالي واعظ الآلاي ولقد دفن الاخيران بمقبرة تور النجه وتوفيت محظيه لاسماعيل باشاوكثير من الضباط ذوي الرتب الصغيرة وذلك من بواعث نقل العاصمه الى الخرطوم فقام اسماعيل باشا لتغيير الهواء في شندى ولم يكن معه عدا بلوك واحد من السواري مع الحشم والخدم.

مقتل الامير اسماعيل

تضاربت أقوال المؤرخين في أسباب القتل وكيف كان تنفيذه والصحيح لما بلغ اسماعيل باشا شندى قوبل فيها بحفاوة وتكريم ونزل في قصر الملك نمر الذي كان يتألف من طابقين نزل الأمير في الأعلى وحاشيته في الدور الارضي أما بلوك الفرسان فقسم الى قسمين أحدهما أقام حول القصر بشندى والقسم الثاني حاز النيل وأقام في ضيافة الملك المساعد في المخيم.

وما كان الاغتيال مضمرا من ذي قبل وانما كان وليد وقته. حدثني جماعة من المسنين بشندى كالفقيه يوسف أحمد محمد إمام جامع شندى القديم وغيره قالوا استدعى اسماعيل باشا الملك نمر ولما حضر له كانت الساعه الرابعة بعد الزوال فوجده في ظل القصر يجلس على كراسي يلعب الشطرنج مع شرف الدين من المسكيتات في شمال شندى كان واليها بالازهر جاء مرافقا لاسماعيل باشا لأنه كان لبقا يحسن الأدب

ومنادمة الملوك وكانت الارض مرشوشة بالماء وهي عبارة عن خضخاض فخلع الملك احذيته بيديه كما تقضيه آداب الملوك[1] وكان يظن ان الامير يأذن له بالجلوس على أحد الكراسي الخالية ولكن لم يأذن فوقف نمر نحو نصف ساعه والامير يحدثه في فترات متقطعة ويشتغل بالشطرنج. ولما سئم نمر الوقوف قال لاسماعيل باشا انا مريض أرجو ان تأذن لي في الجلوس فقال له أقعد أي في مكانك فقعد على خضخاض التصق في ثيابه وبعد الفراغ من حديثه اذن له في الانصراف فقام نمر وثيابه ملوثه بالطين ولما خرج من عند الأمير قال هذه حياة خير منها الموت ثم استدعى اقاربه وعقد مجلسا مريا بسط لهم ما حدث له فقر رأيهم على اغتيال الأمير وجنوده كيف ما تكن العاقبه ثم اتفقوا على ان يرفعوا مشاعلا من نار في منتصف الليل في شندى والتمه بسطوح المنازل واذا ما شهدوا تلك المشاعل يهجم كل منهما على ضيوفه وهي عادة عربية منذ الجاهلية وهناك جمع السعداب كمية من القش الناشف بزعم انه احضر لعلف خيل الجنود ولما آن الوقت هجم كلاهما على ضيوفه اما قصر الأمير فقذفوا عليه مشاعلا من النار بالمئات فكان ناشبا بالدور الاعلى وحاشيته بالاسفل لما شعر بتاجج النار ومحاولة حاشيته في أطفائها نزل فقبض عليه رجاله ايدجبوه بأيديهم فمات خنقا لم تمسه النار. ولم ينج إلا صابط وثلاثة عشر جنديا من المئة وفروا الى بربر لابلاغ ماحي بك وطاردهم فرسان السعداب اتباع ذلك المساعد ولكنهم لجؤا الى ابكر موسى الدنقلاوي التاجر في احدى القرى في طريقهم فأخفاهم الى رجوع فرسان المساعد وهناك خرجوا واصلوا سيرهم وأخبروا ماحي بك حاكم بربر

---

(١) سمع الانكليز ان خلع الاحذية من عادات ملوك السودان وللدهم رؤساء الدين فصار الانكليزي مهما بالغ في احترامه لابرس عليك حتى تخلع نعلك حدث ان صابطا انكليزيا برتبة الكباتن في اورطة خط الاستواء بعطبرة كان نزريا يعمل معلومات له فعملها النزري وذهب اليه بها فقال له لم لم تخلع نعلك فقال له النزري أنهل انا في مسجد فقال الانجليز اذا دخلت الى الشيخ فلان أنهل تفعل عليه بعدانك فقال لا ورب الانكليزي وأخذ يحدث النزري عربيا بالعكس واخبره بالحرمه الى ان كاد يقضي على حياته فترك النزري مطالبته بالاجرة وعاد فكانا يعد يتسيرمن الرمس امره القائمقام بروك نائب المدير بالعودة الى البكباشي الذي أعد له عصاة غليظة وما كاد يصل اليه حتى قام بعصاته وصار يضرب النزري بلا شفقه ولا رحمه الى كاد يقضي على حياته فعاد الرجل يتعثر لذكريه ثم ربط عمته وغادر المدينة قبل ان ينزل السبب ناله من يد جبار لا يمكن مطالبته بدمه.

الاحتفال بدفن اسماعيل

تقدم خمسة من أعيان الدنقله الى الملك نمر ورجوه بأن يسمح لهم بدفن الامير اسماعيل باشا وهم :ـ

١ ـ موسى ود تركاب

٢ ـ موسى ود تنير

٣ ـ موسى ود حمزه

٤ ـ الشيخ محمد الحاج فضل الله صهر الملك نمر

٥ ـ موسى ود هلال

فقالوا للملك نمر ان مافعلته ر قدر فى الازل ولسنا فى حاجة الى الكلام عنه وانما ترك الجثة أمام العالم أو دفنها ضمن جثث الجنود لايليق بكرامتها لاسيما وانها وصمة عار علينا فنرجوك ان تأذن لنا فى حملها وجهازها والصلاة عليها فأذن لهم فأخذوها الى دورهم وغسلوه وحملوا نعشه بضعة أكفان من الحرير وساروا به فى جمع عظيم حيث صلوا عليه ودفنوه عند قبة حاج فراج امام تكنات السوانى بشندى . ولما قدم محمد على باشا الى السودان استدعى الذين احتفلوا بدفن ابنه وكافأهم مكافأة عظيمة اذ عين ابكر موسى الذى خبأ الجنود حاكما لجباية الضرائب بدنقلا ومحمد الحاج فضل الله لمثل هذه الوظيفة بمديرية الخرطوم وموسى ود حمزه لجباية الضرائب فى النيل الابيض من كرري الى الدويم . وكان هذا جد عبد الله بك حمزه وعين الاثنين فى مناصب ليست اقل من هؤلاء الثلاثة.

شعور متبادل

أنه لما يدعو الى الاستغراب ان الشعور بين المصرى والسودانى جرى مجرى الوجدانيات كالجوع والظمأ فتجد المصرى أو السودانى عندما يرى أخاه فى محنة عطف عليه عطف الشقيق لشقيقه بلا رياء وسمة سبق لنا ان ذكرنا عطف خمسة رجال من تجار شندى على سمو الأمير اسماعيل باشا والاحتفال بدفنه فى شندى سنة ١٢٣٨ هـ هكذا فعل المصريون بجثمان الأمير محمود أحمد الذى توفى فى الاسر قال لى شقيقه الأمير اسماعيل أحمد ابن عم الخليفه عبد الله التعايشى لما كنا فى الأسر فى دمياط توفى أخى الامير محمود أحمد يوم ٢١ صفر سنة ١٣٢٢ هـ الموافق سنة ١٩٠٥ م

مانشعر حتى تقدم خمسة من أعيان دمياط وهم :—

١ — عبد المنعم بك
٢ — اللـــوزى بك
٣ — عبد الرازق بك
٤ — الشيخ عبد السلام العلايلى
٥ — مصطفى بك الدرسى

وطلبوا من الحكومة ان تأذن لهم فى الاحتفال بدفنه باعتباره أمير مسلم يمت اليهم فى الأصل والدين ولا يليق بأن يدفن كأحد المعتقلين ولما اذن لهم وكانت الاوامر الصادرة أن لانختلط بالمصريين فالرغم عن ذلك اخذ أولئك الابرار جثمان الامير وما كنا نملك شيئا فتولوا جهازه وتكفينه ومن ثم سار به موكب عظيم يتألف من العلماء والفضلاء الجنازة فى الأول وابنه أحمد محمود ثم الموسيقى تعزف بلحن مؤثر ومن وراءها الاسرى وبعدهم الأهالى وبعد الصلاة عليه ودفنه عادوا فنصبوا صيوانا فخما وفرشوا الابسطه وصفت الكراسى والتارق واحضروا بضعة قراء يتناوبون تلاوة القرآن الشريف فكل ذلك على نفقة البكوات الخمسة ومن الغريب ماكان هؤلاء يعلمون شيئا عما حدث الامير اسماعيل باشا . ارجو الله أن يزكى تلك الروح ويقوى الرابطه بين شعوب الوادى حتى تكون كالحلقة المفرغه لايدرى من اين طرفها .

تخفيق الخبر

لما اشيع خبر اغتيال اسماعيل باشا سارت كوكبة من الفرسان من مدنى للتأكيد من الخبر ولما بلغت الخرطوم تحققت حدوث الكارثة وما تلاها من واقعة الجاذيب وحوبك وهناك غادر الدفتردار كردفان لما وصله الخبر من كتخدا السيد حاكم مدنى بعد ان استنهض الأهالى لمساعدته فسارت معه قبائل الجوامعة والبديرية والشويحات وبادية الكبابيش وغيرها وما كاد يسمع بمرور قدوم تلك القوات الهائلة حتى قام وأقعد السعداب قاصدا الدخول فى حدود الحبشة إلا ان ادركه الملك جاويش بارادى الباشبزق الشايقية فى جبال النصوب فى البطانة ونشبت بينهما حرب استبسل السعداب فيها ولكنهم لم يستطيعوا رد أولئك العدو فانهزموا وتفرقت

النساء والأطفال بالغابات أما الملك فقد ترجل عن فرسه لكي يقتل صبراً فقال مغنيه اي شاعره

الليله الخيل لبسن العده ونحاسهن دق ... والطير في عجاجهن يسوى الوق[1]

والفرسان تخوض في الدم بقى لها عرق ... واشللي بشوف حمل المحارق رق

هذه صفة الكمي لدى العرب وجمعه كمات

قيل ان الملك جاويش عطف على نمر وبعث جنديا قال له الملك جاويش قال لك قم واجمع عائلتك وسر حيث شئت فانه حلف طلاقا لا يرفع سيفه على منهزم فاعطى نمر سيفه للعسكري وقال قل له هذه هدية مني اليك رأيت هذا السيف عند عكود انا في دنقلا سنة ١٣١٢ هـ وقيل أهداه للسيد أحمد الميرغني . هذا ما كان من أمر نمر الذي سار على مهله غير ان السعداب كانوا مكسوري الخاطر قال احدهم متاوها

ماصحينا في معلومنا ... في الفراع معلق تومنا[2]

شال الحسكنيت في هدومنا ... الخادم أم قصابه تلومنا

رب العالمين عابانا ... حق المسلمين رابانا[3]

شندي قفلت بيانها ... ياخليل جلستها وديوانها

(١) العدة اللبس الذي هو عبارة عن لحاف من القطن يتجدد على قطعة من التيل الملون يكسى به الحصان وكتفيه ولصاقه من النحاس السميك يكسو رأسه . والطير يقصد به النسور التي تسير عادة فوق قساطل الغزاة لاكل لحومهم بعد حدوث والوق .

(٢) اللوم حلي من الذهب او الفضة يحلى به السيف (٣) عابانا اي غضب علينا فسلط علينا

قال احد المؤرخين احضر نمر المريسه لضيوفه ولما رأهم سكارى هجم ورجاله عليهم وجاء فى كتاب فتح السودان فى عهد محمد على الكبير مانصه فى اوائل نوفمبر قام الامير اسماعيل برحلة تفتيشيه فى النيل . طاف فى خلالها بالمديريات ثم ترك حرسه وصحب معه عشرة من مماليكه الى شندى حيث استقبله ملك نمر الى ان قال ولكن لاح للجعليين ان الامير لم يعاملهم على قدم المسافاة كأهالى سنار وود مدنى حيث خفض لهم الضرائب الى ان قال أضف الى ذلك فقد فرضة الامير على الجعلين غرامات كبيرة من المال والماشية والخيول والجمال والحبوب وما اليه مما يقدر قيمته ٢٠٠٠٠ جنيه الى قوله ثم دعا نمر الامير الى وليمه تتخللها الدلوكه ، وبينما كان يسود السرور جميع الحاضرين شبت النار حول سرادق الوليمة وبدأ الهرج والمرج وبعد لحظات سمعت طلقات الرصاص واحاط رجال نمر بالسرادق وعملت النار فعلها تحصى كل ما تقابله ، احترق المدعوون ومن بينهم الامير الشاب الذى مات محتنيقا بالنار الخ ماهكذا حدث قال ثم ترك حرسه وصحب معه عشرة من مماليكه ثم قال احترق المدعوون ومن بينهم الامير . أفهل كان المدعوون العشرة مماليكه ام غيرهم هذا غيرما سمعناه ممن حضروا أو سمعوا ممن شهدا المحادثه .

مع ان الملك نمر كان ذاكراً ورعا لايشرب الخمر ولا يميل الى الهو والطرب وكان يتعبد بصلاة الجزوليه واذا مافرغ منها دعا ودمرتضى يتلوله القرآن الشريف وبعد الفراغ يدخل داره ولا يخرج إلا لضرورة أو لاداء الصلاة المفروضة بالجامع حتى كان شاعره يحرضه على الخروج والحرب كعادة زعماء القبائل اذ ذاك فى قوله

ماشفت أبوك يركب على المتويرى ... يتتر هنا وحسه فى قوز برى (١)

أما اركب كاس وقل للخيل إندرى ... واما أقعد فكى وودمرتضاك يقرى (٢)

أى اترك الزعامة لغيرك ممن يحتمل المشاق فى تقدم الفرسان للذود عن حياض العشير

---

(١) المتورى الحصان الطويل الذى يرى من بعد ويتتر يزأر وقوزارى بضم الباء كثيب من الرمل بعيد من شندى

(٢) كاس فى اصلاح السودانيين الحصان القيم وقل للخيل لفرسانها وأندرى أهجمى واذا لم تطق الخروج لقادين القتال فقعد فقية وسبخت ودمرتضى يقر أى يدر أو يلولك القرآن

واقعـــة اتـــبره

بعد حادثة شندى جاء ماحى بك مع جنوده على مراكب شراعية للانتقام من نمر بشندى وعمه المساعد بالمتمه وبينما هو سائر بالنيل جنوبا اذ رأى كتيبة من المجاذيب بقيادة الخليفه محمد أبى صره زعيم المجاذيب الدينى سكان الدامر تسير شمالا لحربه فى بربر لاتفاقهم مع نمر ولكنهم ابطؤا فى سيرهم فعرف ماحى بك من بيرقهم وحملهم للسلاح أنهم محاربون يقصدونه فامر بالوقوف بالشاطىء الشرقى فى شمال مصب نهر اتبره وخرج وجنوده بالشاطىء وماكاد المجاذيب يرونهم حتى اتجهوا نحوهم وشرعوا الرماح واصلتوا السيوف ولم يكن مع ماحى بك غير مدفع واحد فطلق قنبلة واحدة كذا اطلق الجنود بنادقهم وماكادوا يحشونها للمرة الثانيه حتى اختلط بهم فرسان العدو فهزموا الى المراكب وقطعوا المراسى تاركين لمدفع غنمها المجاذيب مع قليل من الاسلحة والذخيرة وعادوا بها الا انهم خسروا رجلا عظيما الذى هو الفقيه قمر الدين والد الشيخ محمد المجذوب لولى المشهود له بالكرامات وخوارق العادات فقدم اليهم الملك نمر ليرى المدفع ويعزى فى قمر الدين ويهنئهم بالنصر على الترك الذين ستعدوا وانضم اليهم بشيرود عقيد واهله المسلمات وكروا على المجاذيب الا انهم نجوا منهم بفرارهم وانتشارهم بنهر اتبره وبعد يسير توفى الفقيه محمد ابو صره فجاءوا به ليلا ودفنوه بالدامر وتنكروا قبره اما بشيرود عقيد فقدر له الترك تلك المساعدة وتركوه عاث فى البلاد ظلما حتى سئموا الجعليون وقال شاعرهم

بشيرود عقيد نسى القديم الجرسه دفارة ابوه وسوقة كلابه ومرسه (١)

راحوا ناس اشعب جروا للبوه البكر فى مرسه

موجعنى العوج ركبة منور وجرسه (٢)

---

(١) دفارة ابوه فالدفارة عصا طويلة ذات قرنين يحملها الرعاة يرموا بها العقل للغنم واحد الجرس حبل دقيق الصنع يساق به الكلب

(٢) اشعب لقب لاحد امراء السعداب اما منور فاح لبشير كان فقيرا فى غاية البئس ولما صار اخوه حاكما اصبح يركب حصانا عظيما ويجرى خلفه عبيده يضربون له المندكوله التى هى اجراس كبيره كالتى يستعملها ابواب الكنائس.

احتفال المجاذيب

لقد سر المجاذيب سروراً عظيما بقدوم الملك نمر وتهنئة لهم وكانت مظاهرة تجلى فيها تقديرهم لذلك النصر فقال النعيسان شاعر الملك.

الليلة النمر أصبح حديثه ملوح ... وقارحه من لقاء العدو ما شوح

سيطه الى مصر شاله المسافر روح ... به اطمئنانت المعزى الجلادهن نوح (١)

ثم قال.

سموك النمو فوق النمور مشيت ... سرقنك سمايمك لا من أضحيت (٢)

فى العجم والعرب نظيرك قط مارأيت ... دبك الخيل يغز من حسك ان قحيت (٣)

بينما الجعليون فى غبطة وسرور اذ بالخبر أبلغ لمحمد بك الدفتردار بالابيض فاستنهض قبائل العرب فتطوع معه الالوف من فرسانهم كالبديرية والشوقات والغديات وغيرهم وسار قاصداً المتمة بطريق الصحراء وما كاد يصل اليها حتى أمر باطلاق النار عليها وبعد يسير امر الجنود والمتطوعين بالكف عن الضرب ولسوء الحظ كان بالمتمة رجل يدعى « سعد الاقبش » جعلى نفيعابى جاء يتخلل وبيده سلطية « فقذف بها محمد بك الدفتردار وهى نوع من الرماح إلا إنه لما أريد قتله فر إلى مروى وهنا أمر الدفتردار باعادة ضرب المتمة وحرقها فقتل إذ ذاك الشيخ الريح السنهورى وأكثر من ١٠٠ طالب أمامه يدرسون عليه فقه المالكية أما الملكان نمر والمساعد فانهما هربا الاول مع بطانية وعبيدة وعائلته قاصدا الحبشة بطريق البطانة والثانى سار كذلك بين نهرى الدندر والرهد.

---

(١) سيطه أى خبر الشؤم بمقتل اسماعيل باشا وبلوكه من الترك الذين ما كانوا يتورعون من الاجرام

(٢) سمايم جمع سم أى أنه كالثعبان يقضى ليله إلى ضحى باكر وهو يتالم من السم.

(٣) دبك الخيل دوى ولغ سنابكها فى وقت هجوم له ومع ذلك فانها إذا ما سمعت صوت الملك يقع تهزى أى تهرب لشدة صوته.

التحـــــريض

لما نحا الملك نمر وبطانته السعداب ودخلوا حدود الحبشة أقاموا فى بلدة « ميقبة » فأتى إليه الرأس دجاج حاكم مقاطعة مشرقة بحيرة تسانها وأعطاه ٦٠٠٠٠ ريال قشلى أعانة وأمر ببناء المسجد وقال لا أبرح مكانى هـــذا حتى يتم بناء المسجد وأسمع الأذان به كى لا يقول الناس التجأ المسلمون به فمنعهم تأدية الشعائر الدينية وأمر بان يعطى قدراً مخصوصا من الضرائب التى تجبى من القرى المجاورة له فاوجس الترك خيفة من أن يقوى نمر ويكر لمحاربتهم فحرضوا قبيلة الضبانية على حربه وكذا حرضوا التكارنة والفور سكان القلابات قال شاعر السعداب يحرض نمر.

يا الأرباب بحكى لك حكاية الطاعوا ... يانت عليهم العوجه ولجناهم ضاعوا
الحى ما استتار والمات رقد بأوجاعه ... يأكلوا فيهم الترك متى ما جاعوا

وقال آخر :

صبى الميرقاب الماسك الدرب بتكلس ... هاتوه الترك تبع الرسن واسلس
مصاغ البنات بعينى شفته يتملص ... والبطىء فى الطلب ليحيتى ليك ما اتخلص

هذا وود لفراش من سكان بربر خدم عسكريا فى إحدى البلوكات التركية لكى ينجو من السخرة والاضطهاد فكان كالمسجير من الرمضاء بالنار فعذب بالسجن والجلد فقال :

البلك سواها تية ... دقا ما قليل بالخماية
شالوا قيد الحديد حشروه فيه ... أنيك أم البلك والعسكرية

كان الترك يعاقبون بالجلد ٥٠٠ كرباج لأقل جريمة وهى عقوبة قد تؤدى إلى الموت فى كثير من الاحيان ولا يخشون لومة لائم قال شاعر يحرض الملك نمر :

ود الباشا بندقه البذهب سليكه ... ود عدلان شرد صرب جبال عاديكه (١)
بعد كل حى بينهم لى فرخه يشد لى كيكو ... والله يا ارباب البطيع لتركمانى بنيكو (٢)

---

(١) سليكه أى زخرفها الذهب .
(٢) الكيك الجمل معظم أما التركمان فى لغة الدراويين .

فأخذ الضبانية والتكارنه يسطون على السعداب الذين يقابلونهم مقابلة العدو لعدوه وقد حدثت بينهما حروب شتى كواقعة قاسوله وغيرها.

واقعة قاسوله

سارت عصابة من الضبانية وأخرى من التكارنة لغزو الملك نمر بعد أن وعدتهما الحكومة بالمكافأة العظيمة أن انتصروا عليه فى ميقبة داخل حدود الحبشة هذا وكانت فصائل عظيمة من الجعليين منتشرة بضاحية القصارف فنالت منها عصابة سارت لنجدة الملك نمر فقال شاعرها :

رجال الصوفى جات حادية الزمل طالباك للبوم الغسل قالت بنحضرة معاك (١)
ياسيد الفراسة ألمن قديم حارساك مأمون إن ألفت أنت بتلادى براك (٢)

فانجدت عصابة الجعليين نمراً فقوى عزمه بها وخرج إلى هضبة قاسوله قريباً منه وكمن فى طريق العدو الذى هاجمه بمنقبه ونشبت بينهما حرب هائلة خسر فيها اعوان الترك وقتل حاج أحمد سرمبوك زعيم التكارنة وأسر بعض أتباعه وفر الباقون اما الضبانية فكانت خسارتهم أقل إذ ركبوا الهجن ونجوا عليها بسير السعداب سروراً عظيما وقال شاعرهم .

قلابات إمام قدبى وسريف وكلبو (٣)
بات وين كان يبكى ما يعزى الجنبه
حاج أحمد سرمبوك بنقتله وما بنخاف وين دنية
لانه مسك لسانه والحريم سمعن به

ولما عاد جعليون الصوفى هرع الناس إليهم يسألونهم تفصيل الواقعة فأجاب أحدهم قائلا :

---

(١) الصوفى قرية فى شاطىء نهر أتبره سكانها جعليين والعسل المكروه .
(٢) سيد الفراسة رب الشجاعة . مأمون أى مضمون أن بلغت الالف عصابة أنت بلادى أعنى بسكانها لوحدك . (٣) هذه اسماء القرى التى سار منها العدو

أشدون العرب قالوا القتل كيفنه قلنا لهم صحيح خبرا أكيد شايفنه (١)

راس قاسولة بعند الهويش مالنه غير الشونة غير الى الحديد حابسنه (٢)

بعد وفاة عمر وافقت الحكومة بعودة ابنه خالد ومن معه فعاد الى بلدة الصوفى ورد البشير دبق الى ظهور المهديه وكان من أمرائها.

واقعة أبو شوكه

بلغ محمد سعيد افندى خبر تجمع العصاة فى ابى شوكه كالار باب دفع الله وغيره حتى

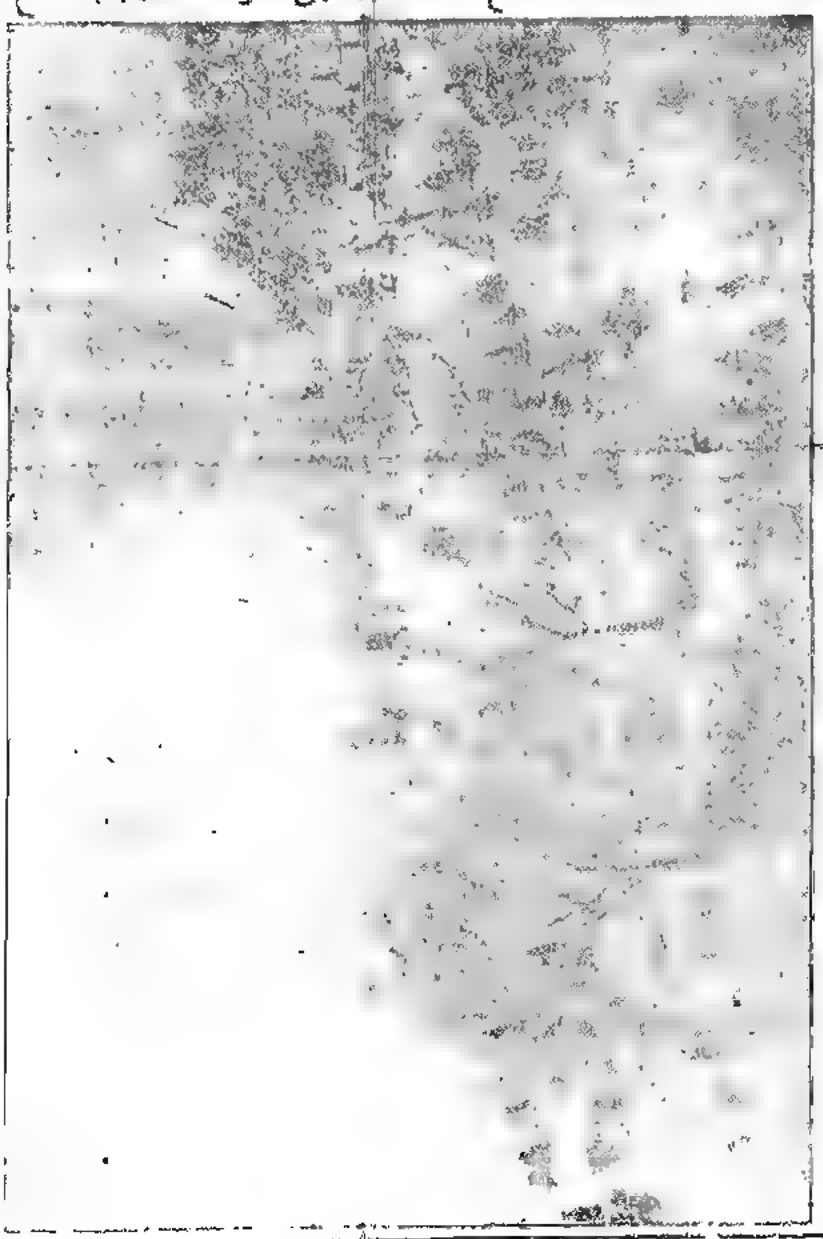

الجنود الله بون فى مقاومة العصاه

(١) شدون أى سألون كيفنه بمعنى كيف كان.

(٢) راس قاسولة انى هى الهضبة مكان الحرب والهويش ملآن بالقرى والشونة السمن، أما الهويش فالقش الناشف إذا تصدع على الارض.

بعث قوة تتألف من ٨٠٠ جندي بقيادة مصطفى كاشف اغا الذي اجتهد في سيره ولما بلغ ابي شوكه قابله العصاة بحرب جريئة ولكنه انتصر عليهم بعد ان فتكوا بكثير من رجاله وكذا خسروا هم خسارة فادحة كان منها قتل حسن ود رجب وعمه الشيخ حسين وابنه محمد وهزم الباقون فعاد مصطفى اغا لمدني يحمل كثيرا من الغنائم وأخذ الناس يهربون من سيف الانتقام لا لذنب فعلوه وانما صار الترك يقتلون الابرياء ويفضحون العروض في بلاد لم تر ولم تسمع بتلك الفظائع قبل حرق اسماعيل باشا ولكن هكذا اقتضت حكمة الاشرار ومناهج الفجار لذين أبعدهم محمد علي باشا للتخلص من شرهم فنالوا اقبح الجرائم في السودان.

الصادق ود القصير

ولد في بلدة الحصايه في ضاحية بربر حوالي سنة ١٢١٠ هـ : ١٧٩٦ م وكان والداه جعليان من فرع الشاعديناب، ولقد اشترك الصادق مع العقبه محمد أبي صره رئس المجاذيب الديني في حربه للترك الذين يقودهم ماحي بك في مصب نهر اتبره وفروا الى الصوفي ود للازرق بالقضارف وانتشر آخرون بنهر أتبره ولم يتبعهم الصادق حبا في وطنه فقبض عليه لاتراك وقطعوا يديه ورجليه وتركوه مقعدا كالمضو الأشل لا يستطيع الحركه ولا يتناول بيده طعاما ولا شرابا ولا غرو ان هذه العقوبه لم يروها التاريخ منذ عصوره الاولى. ولو كان لأولئك الطغاة بقية من الانسانية أو ذرة من العقل لأدركوا به ما ينشأ من أعمالهم البربرية في سنة ١٢٩٨ هـ . ١٨٨٢ م من ثورة أذهبت ملايين من البشر وقطعت العلاقات بين القطرين زدحا من الزمن ولكن طمس الله على قلوبهم فانهم ذهلوا عن أنفسهم فلا يعون ماذا يفعلون . سبحان القائل « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا » فالله أكرم من أن يترك عبداً فصص أطرافه أولئك الفجار الذين أيقظوا الفتنه ولما أتى وقت الانتقام وأطلت سيوف النقمة على أعناقهم وصفوهم بالدراويش ووصموهم بالأشقياء فالله يعلم من الشقي والسعيد .

أما الصادق فان زوجته صارت تحمله على أتان وتذهب الى الغيط ثم تنزله عن الاتان وتربط له « المالود » على معصم يده اليسرى فيظل يحش القش من الزرع وتعود به

فى المساء ومازال يعانى وزوجته الباره تلك المصاعب الى ان رزقه الله بضعة أولاد وقد تزوج كل من ابنائها ورزق بأولاد وبنات عطف جميعهم على والديهما فبدل الله عسرهما يسراً وشقاءهما سعادة.

الزبالعة

من المدهش جاء فى الصحيفة ١٠٩ من كتاب فتح السودان فى عهد محمد على تحت عنوان «واشهر قبائل العرب على النيلين الابيض والازرق والجزيرة» الحموية والحسنات ودغيم وكبابنه والرفاعيون والمسلميه والقواسمه ولعله يقصد القواسمه والعلاطيون والزبالعة والفونج الذين أسسوا مملكة سنار القديمة مع العبدلاب .... الخ

فالقبائل على ضفاف النيلين وبالجزيرة أكثر من ذلك غير ان الكلام عنها لا لزوم له فلنكتفى بقبيلتين فنقول لا توجد قبيلة اسمها «العلاطيون» بالسودان لا فى العرب ولا غيرهم. أما الزبالعة فليست بقبيلة وانما هى ضلالة ابتدعها «آدم أبو جريد» فيجب الاسهاب عنها حتى لا يتناولها المؤرخون هذا عن ذلك وهى اسم على غير مسمى فنقول

آدم أبو جريد

ولد فى بلدة طباخه غرب الحاج عبد الله وجنوب الخرطوم تبعد عن الاخيرة ٢٢٥ كيلو مترا. يرجع فى أصله الى كنانه كان أميا لا يعلم شيئا ولكنه ذو دهاء وذكاء تظاهر بميله الدينى وحبه للمتصوفة فأخذ الطريقة القادرية على الشيخ أبى يعقوب. ثم انفصل عن شيخه واشتغل بالعبادة والنسك.

ولما كان السودان مثوأ للمرهات ومستوعا لغريب الخزعبلات واسرع قبولا لدعاوى المضلين وأرضه أخصب أرضا لنبات الانبياء والمرسلين. فقد الف أناس من أرباب الجهالة على آدم أبى جريد وصدروه زعيما دينيا.

حاشا بساط القدس والكمال ... أن تطأه حوافر الجهالى

فصار هذا يعقد الذكر فى جنح الظلام بعد انارة المكان فى ليال معلومة من كل أسبوع ويحضره كل الاتباع سواء فى ذلك الرجال والنساء. وكانوا يلحنون الأناشيد الآتية ويتواجدون على تلك النغمات وبينما هم كذلك اذ يطفىء الرئيس المصباح وهناك يأخذ كل رجل التى تليه من النساء حيث يباح له وطؤها وبعد الفراغ يكون ذلك خاتمة الاحتفال. أما الأناشيد فتدل بوضوح تام على أن تلك الضلالة مقتبسة من مذاهب أهل الشيعة وهى

البوب للبنى والبوب جيته بالنم واوجدى وقت أطرى الرشيد آدم(١)

الجرجر نخيـــله وسيسبانه برم النجم الحقيقة وما اشتغل بقلم (٢)

البوب للبنى والبوب جيته بنيا واوجدى وقت أطرى على الله (٣)

الجرجر نخيله وسيسبانه برا النجم الحقيقة وما اشتغل يقرى (٤)

ولهم أناشيد فى مدح الامام على تدل على شيعتهم كما أسلفنا . فما أشبه هذه الضلالة المعروف اتباعها فى السودان باسم (الزبالعة) باختها (البابكيه) المنسوبة الى بابك الخرمى الذى كان من الباطنية . وكان بابك ابن سنفاذ ظهر فى بعض الجبال فى أذربيجان فى سنة ٢٠١ هـ : ٨١٧ م فتبعه خلق كثير أباح لهم المحرمات . وكان إذا بلغه وجود امرأة جميلة طلبها من ولى أمرها فإذا أحضرها له نال حظوة لديه وإذا تردد أهـــدر دمه. وتؤخذ المرأة من طريق الاكراه . فظل هذا الباغى ٢٠ عاما قتل فى غضونها ٨٠ ألفا وفى رواية ٥٥ ألفا. وفى رواية ٢٥٥٫٥٠٠ نسمة ولما استفحل أمره بعث له أمير المؤمنين المعتصم جيشا جراراً حاربه وجىء به أسيراً وكان معه أخوه فى سنة ٢٢٣ هـ = ٨٣٨ م. فقال له أخوه «يا بابك قد عملت ما لم يعمله أحد. فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد» فقال سترى

---

(١) البوب للبنى واوجدى. والنم هو اللحن. ووقت أطرى أى عندما اتذكر الرشيد آدم.

(٢) الجرجر نخيله أى أخصب غرسه. وسيسبانه برم. فالسيسبان شجر معلوم وبرم أى أثمر ومدت ثمراته . والنجم أى حفظ وتحقق من أمر دينه دون أن يضيع الوقت فى الاشتغال بالتعليم.

(٣) البوب للبنى لاندرى اى بى يقصد. وجيته أى اتيت به وبنيا يقصد بها بابى، أى يا هذا الراس انك ماجئت بهذا النهج عبثاً ولكنك انبىء اليك به !! أما قوله على الله فيؤخذ منه انهم يؤلهون علياً.

(٤) ينيك بنا ثم نصبح بجرة قد صورت كوت بيت شجر السيسبان و نحوه.

صبرى. فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه. فلما قطعت مسح بيديه وجهه. فقال له المعتصم انت فى الشجاعة كيت وكيت فما بالك وقد مسحت وجهك بالدم أجزعا من الموت أم ماذا . فأجابه قائلا. لا ولكنى لما قطعت أطرافى ونزف الدم فخفت أن يقال عنى إنه إصفر وجهه جزعا من الموت. قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى. ثم بعد ذلك القتيل قطعت رأسه وأحرقت جثته بالنار. وهكذا فعل بأخيه. فما فيهما من صلاح أو تأوه وقد اظهرا منتهى الشجاعة و ثبات لعنهم الله وقد بقى من البابكية جماعة. يقال أنهم لهم ليلة فى السنة يجتمعون فيها بجالا ونساء. ثم يطفئون السرج وينهض الرجال على النساء[1] . والذى يقبض على امرأة فى تلك الليلة يستحلها بالاصطياد. لأن الصيد مباح !!. هذا ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول.

لقد راجت تلك البدعة وكثر اتباعها وتفاقم خطبها وأوجس الناس خيفة من سوء العاقبة. فأخذوا يفكرون فى طرق المقاومة ورد تيارها. وبينما هم كذلك اذ توفى آدم أبو جريد قضاء وقدراً فدفن فى حلة (زمركه) فى شاطىء النيل الازرق الشرقى جنوب كركوج قريبا منها له مقام يزار هناك وكذا جعلوا له بيانا فى بلدة طباخه. فتولى ولده القيام بعمله وزاد الأخير بعض الاوضاع حيث سن لهم تحية مخصوصة وان يحمل الرجل سبحة ملونة أى حبة بيضاء وأخرى سوداء لتكون شعاراً يعرف بعضهم بعضا بها. واخذوا يعملون تلك الاعمال فى الخفاء ولا يمكنون شخصا من الاختلاط بهم فى حالة القيام بأدائها .

ويقال انهم كانوا كالماسونيه فى كتمان أمرهم. وانهم يتضمخون بالطيب الى درجة قد لا توجد فى النساء. وإذا تقابل رجلان من الزبالعه يصافح أحدهما أخاه ويستنشق ظهر كفه بدلا من تقبيله. أخذت هذه من عادة السادة العلويين فى جاوه أى ان العلويين يقبلون اليد ويستنشقونها وهى بدعه قاومها الاستاذ أحمد سوركتى[2] صاحب مدارس الارشاد فى بتانيا . وهنالك تألف مجلس من العلماء كالشيخ سالم ولد رابح الدويحى والفقيه المصرى ولد قنديل البديرى والفقيه عمر جاه الله وخلافهم . وقرروا نشر دعاية واسعة النطاق لمحاربة تلك الضلالة قبل اتساع الخرق على الراقع فسار كل من هؤلاء الى ناحية

---

(١) توجد هذه العادة فى قبائل من قبائل أسمره.

(٢) أحمد سوركتى دنقلاوى ولد فى جزيرة أرقو .

من البلاد يلقون الخطب المثيرة ويفتون بكفر الزبالعة ويقولون بوجوب جهادهم فضربوا بذلك على الوتر الحساس وهزوا مشاعر الأمة فأول من تقدم لجهاد الزبالعة الملك أحمد سليمان الملقب بقرن العلج ملك الجموعية وكان رحمه الله من الأبطال المبرزين فحشد ٣٠٠٠ فارس مدرع وتولى القيادة بنفسه. ثم سار الى أولئك الضالين الذين قابلوه فى جمع عظيم وحدثت بينهم حرب ثبت فيها الفريقان ثباتا مدهشا حتى قتل أحمد سليمان قرن العلج وبلى الجموعية بلاء حسنا فاضطروا الى حمل ملكهم وفروا وبعد دفنه نادوا بالملك الحينة ملكا على الجموعيه. وكانت تلك الحرب فى وادى البكوب قريبا من محطة البانير جنوب سوبا. وقد عسكر فرسان الزبالعة فى محطة الجديد وكانوا فرحين مستبشرين بفوزهم فى وادى البكرب إلا ان الجموعية قام فيهم داع جديد وهو الأخذ بالثأر. وكانت لهم أغان حماسية فى رثاء الملك[1] أحمد سليمان قرن العلج والحض على الأخذ بثأره. فصار الحينة يستنجد بالقبائل فسار لانجاده الجيعاب بقيادة الشيخ نائل ابى صفبيره. والسرورات والفتيحاب والعبدلاب بقيادة الشيخ عبد الله ولد عجيب راس تيره. وأمدهم ملك سنار بجيش عظيم بقيادة مولاه ابى ريده خميس والشيخ رحمه ودرحاله حتى بلغ عدد جيوش الملك الحينه زهاء ٢٠٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجل. واقد زحف ذلك الجيش العرمرم وباغت الزبالعة فى الجديد ودارت رحى الحرب بينهما واشتد الطعن والضرب يوما كاملا حصل الفريقان فيه خسائر فادحة الا ان الزبالعه وهنت قواهم وتلاشت آمالهم فى النصر ففروا متفرقين فى البلاد وتأثرهم الجواعيه ونصراؤهم يقتلون ويأسرون حتى بلغ المنهزمون نهرى ستيت وباسلام فى جنوب كيلا ولم يجرأ احد منهم الى العودة لوطنه الى سنة ١٢٢٦ هـ ١٨٢١م حيث تقمص ظل نفوذ بمملكة الفونج وهيمنت حكومة مصر على السودان وحدث حرق سواسماعيل باشا وشغل الناس بضغط محمد بك الدفتردار. ومن ثم وجد الزبالعه الفرصة سانحة لعودتهم فجاءوا يتمرغون فى أذيال الخيبة ولما عرفوا اشتغال الحكومة بالفتك والسلب أعادو تمثيل الرواية ولكنها من وراء ستار. وانهم لا يرضون تسميتهم بالزبالعه ولكنهم معروفون لدى الأهالى. وأشهر خلالهم الآن عمارة نقده غرب الحاج عبد الله وحلة الرواشده شرق النيل تجاه مدنى. هؤلاء خلاف المنتشرين فى عرب البادية وفى سنة

---

(١) الملك فى اصطلاح بعض السودان الملك واذا خوطب بها له الأسياد أو المانجل وهى كالقاب الجلالة والسعادة عند غيرهم.

١٢٦١ هـ - ١٨٤٥ م ظهرت عقيده الزبالعة عند قبيلة كنانه سكان جبل كرن من جبال تقلى إلا أن الفقيه بدوى أبو صفيه سار لحربهم فى جيش عظيم ولكنهم قابلوه تائبين مستغفرين فكف عن حربهم وتوعدهم إن هم عادوا لتلك الضلاله وقد تلاشى هناك الى الآن.

ومن الغريب المدهش إن الزبالعة أموراً خارقة للعادة لا زالوا يعملونها عيانا فلنذكر مثالا منها وهى

(١) عقيدة الزبالعة . إذا رأت إمرأة من بعلها نفورا لجأت الى أحد الزبالعة وبسطت له وقائع المسألة ونفحته بشىء من النقود . وهناك يعمل لها عملا يصير ذلك الرجل كآلة صماء فى يدها تحركه كيف شاءت فلا يعصى لها أمراً .

(٢) إذا خاف الزبالعة بطش التماسيح فى النيل صنعوا تمثالا من الطين كهيئة التمساح ثم رقموا رقية على خيط وربطوا به فكى التمثال ووضعوه بحافة النيل ونزلوا على النهر هم وماشيتهم حالة كون التماسيح تظهر وتختفى حولهم فلا تستطيع الدنو منهم ولا من ماشيتهم مالم يكسر التمثال الموضوع بحافة السيل كما أسلفنا.

(٣) إذا عدت الابقار من المراعى وهمت العجول الى لقائها يرسمون خطا على الارض بين الابقار والعجول فلا تستطيع بقرة بان تجوز من فوق ذلك الخط الى فصيلها حتى تحلب ويطمس ذلك الخط من الارض .

(٤) حدثنى المرحوم محمد أفندى على أرنؤط المحاسب بمديرية النيل الازرق . قال لما أرادت الحكومة فرض ضريبة القطعان فى سنه ١٣١٥ هـ : ١٨٩٨ م انتدب إبراهيم أفندى جراب الفول الموظف بمركز مدنى ومعه أحد رجال البوليس المدعو ابراهيم قادوس لاحصاء الحيوانات سكان حلة الرواشده . فسمعت إمرأة من نساء الزبالعه وقالت لها ، ان أرجلكم هذه التى تجرون بها خلف أبقارنا لاتمشون بها على الأرض ، فسقط الرجلان على الأرض وعجزا عن القيام . فجىء بهما محمولين الى مدنى وما كاد يرى والد ابراهيم قادوس ما حل بولده حتى حمل بندقيته وسار الى حلة الرواشده وحلف

طلاقا اذا لم يشف ولده مما ألم به ليطلق الرصاص على سكان حلة الرواشده بلا فرق ولاتمييز فطيروا خاطره وهدؤا روعه ودفعوا اليه خيطا دقيقا يربطه على فخذ إبنه الايمن قريبا من البيه ولما فعل ذلك ذهب مالم بولده وصار كما كان هذه قصه مشهورة بين سكان مدنى

٥ قال لى الشيخ عبد القادر عبد الباسط قاضى محكمة القضارف الشرعيه كنت مسافرا للقضارف ولما بلغت حلة الرواشدة فى أغسطس قلت لاحد سكان الحلة أنا أخشى هطول الأمطار علينا فتناول قصبة من الارض ودفعها لى وقال مادامت هذه القصبة معك لاترى مطراً فاحتفظت بها فى أثناء السفر لم أر مطرا ولما بلغت الصوفى الازرق ونظرت القضارف رميت القصبة لأنى على بضعة أميال من منزلى فهطل مطر أخرنا ثلاثة أيام.

حوادث

فى سنة ١٢٥٢ هـ : ١٨٣٧ م

فى صفر من هذه السنة هبت ريح شديدة لمدة ٤٨ ساعة قلعت الاشجار وهدمت كثيرا من منازل الاهالى كانت ليوم الأربعاء حمراء ذات ظلمة هائلة وانقلبت فى اليوم الثانى سوداء وعقب تلك العاصفة حدث قحط وغلاء ووباء يعرف بالمرض الاصفر فتبرع خورشيد باشا بمائة أردب ذرة وزعت لفقراء الخرطوم وأمر ببيع كميات أخرى من الذرة لمديريه وأمر الناس بصلاة الاستسقى[1] ولقد هلك أناس كثيرون بهذا الوباء واضطر خورشيد باشا الى السفر لشندى فبقى بها الى أن تلاشى الوباء وأمر بقتل رجب بن بشير بالخازوق لاشتراكه مع الحبشة فى قتل أبى عروض . وقد ضاق جامع الخرطوم بالمصلين فأمر بهدمه وبنائه برسم أوسع من الأول . وأمر أحمد كاشف غنيم مأمور القضارف بغزو حدود الحبشة فسار فى قوة من الجنود وحارب الأحباش وعاد بكثير من الأسرى

وفى تلك السنة ظهر نجم عظيم نهاراً بتطاير الشرر منه . وحدثت حمى تدعى « أم سبعة » لأن الذى يتجاوز السبعة أيام يعافى منها . وفى محرم سنة ١٢٥٣ هـ قدم من مصر الميرالاى مصطفى بك مديراً لعموم جزيرة سنار وفى ١٩ محرم سنة ١٢٥٣ أغار حاكم بحيرة تسانا على القلابات وكانت توجد بها حامية من الباشبزق الشايقيه بقيادة عبود اغا بحلة كلبو خلاف قوة نظاميه كانت هناك فاصطدمت مع الأحباش فى معركة هائلة قتل فيها السنجق عبود أغا والشيخ ميرى شيخ القلابات وكثير من رجالهم وهزم الباقون ووقع فى أسر الأحباش البكباشي على أغا الصوبى والملك سعيد إلا أنه أفرج عنهما فى اليوم التالى وكان لهذه الحرب شأن عظيم فى الدوائر السياسية انتهى برسم الحدود بواسطة موسى باشا حمدى

---

(١) حدث فى سنة ١٢٦٦ هـ ، ١٨٤٧ م ان تجمع الناس فى كستم بشمال دارفور لاداء صلاة الاستسقاء فامر المفتش الانكليزى بعدم الصلاة وصرف الناس منهامع أن هذه شعيرة دينية ورفضها برهان على عدم جواز ولاية الكافر على المسلمين ولسنا ندرى الى متى نحن نبقى هذا النير البغيض ؟!

علي بك ابو خمسمائة

كان موظفا تركيا فظاً اشتهر بقسوته وجبروته فانه يضرب أى أحد من الأهالى ٥٠٠ كرباج لأقل ذنب حتى مزق أجسامهم فكنوه بأبى خمسمائة وكان لا تأخذه فى ذلك لومة لائم ومادرى أنه قد يأتى يوم يحاسب فيه على تلك الوحشية حسابا عسيرا ولما ثار السودانيون وزحفت جيوشهم على حاميات الترك كان ذلك الطاغيه فى محيط الخرطوم يعانى مخض الايام للمجاعة وشدة الحصر يعلل النفس بوصول الحملة الانكليزية التى يقودها اللورد ولسلى وبينما هو كذلك اذ أطلته سيوف المهدية فى صبيحة ٢٥ يناير سنة ١٨٨٥ فمزق بين شفارها وكان الجزاء من جنس العمل ولم يترك غير ابن صبى حديث السن يدعى أحمد رزقه من سرية له قد كفله السيد اسماعيل الازهرى وزوجه بابنته

راشد اغا

وفى رواية شاكر أغا وهو من ضبـــاط الباشبزق كان أظلم حاكم عين لشمال كردفان حوالى سنة ١٢٤٢ هـ : ١٨٢٧ م سار من الابيض الى مقر عمله فى ٢٥ فارسا من الارنؤد وكان يرى ضرورة استعمال الشدة والارهاب حتى لا يجرأ أحد على الخروج عن طاعته من الفوج الأول من مشايخ البلاد . وكانت باكورة أعماله قتل جماعة كانوا يقيمون فى حلال بين الابيض والخيران وكذا قتل الطيب جابر والد جابر ود الطيب الدنقلاوى من أمراء المهدية فى اسحف وكذا قتل أحمد شيبو الدنقلاوى فى الطويل وقتل عمارة شيخ خور البشرى وكان من فرع الهبابين ولما بلغ الى قرية د الرضاء قابله الشيخ أم بده محمد زعيم دار حامد فأضافه بداره ووزع الاعسا كر على أهالى القرية ثم أوحى لكل مضيف بأن يكون على أتم استعداد فى منتصف الليل فاذا ما سمع ضربة واحدة على النحاس يجهز على ضيفه فأكل الارنؤد وشربوا وناموا وبينما هم كذلك اذ ضرب النحاس وطعن كل رجل ضيفه وكان راشد أغا فى طليعة المقتولين ثم قام أم بده برجاله وعائلاته وماله الى دارفور فقابلهم السلطان محمـــد الفضل بغاية الاكرام .

الجنود المصريه

الاستعـــــــــداد

ماكاد المدير الابيض يسمع بالحادث حتى بعث الجنود لتسخير الاهالى لقطع الاشجار وتمهيد الطريق لجر المدافع عليه لاإرادة عرب دار حامد إلا انهم أخلو القرى ولم تجد الحكومة منهم شخصاً واحداً فاطلق الاهالى على ذلك الطريق اسم درب المدفع، وبعد خمس سنين أرسلت الحكومة الأمان الى أم بده واستدعته الى العودة الى وطنه ولكنه رفض بل اقام هناك الى ان توفى الى رحمة مولاه ودفن فى سلسلة جبال بروش شرق أم كدادة وكانت هذه وما يليها من أهم دواعى قيام ثورة المهديه

مقتل أدريس شيخ محمد

كان أدريس جبارا حاد الطباع تصرف فى ولايته تصرفا سئمه الناس إلا انه لم يبق فى الرياسة طويلا بل قام لاخضاع بعض جبال النوبه وارغامها على الطاعة ولكن صنع له النوبة مكيدة الترجية فانهم حفروا الارض ووضعوا بها أعواداً محددة الرؤس وسترو هـا بشىء خفيف من القش تعلوه طبقه خفيفة من التراب فى طريق الغزاة الذين جاءوا بدون روية حتى اتوالت بهم السقوف المعمولة من القش فمات أكثرهم وهجم النوبة على الباقين فمات ادريس ولم ينج إلا النادر فموت ادريس كان سببا لقلب النظام اذ أفرج الترك عن عبد الهادى أبو ابن الفكى صغيرون وعين ناظرا للجبال فى شمال كردفان

١ يس الخليفة محمد الدولابى ناظرا الجزء الغربى

٢ محمد أغايس ناظراً

٣ أحمد أغايس ناظراً

٤ عبد الهادى صبر كان ظالما سيء المعاملة حتى كان الجوامعه يقولون عه السوادى ولا عبد الهادى

٥ صبر عبد الهادى « « « « « القبر ولا صبر

٦ محمود أبو أربعه ناظراً

٧ صغيرون أحمد ناظراً

هؤلاء جميعهم من الدناقله الذين سادوا على غيرهم من سكان كردفان الى ظهور المهدى فانهم ظاهروا الترك حتى قتل بعضهم كعبد الهادى صبر قتل فى واقعة الشلالى ومحمد أغايس فى ادار الزريقات وقتل بها

الملك آدم ام دبالو

ولد الملك آدم المكنى بأم دبالو فى جبل طاسين حوالى سنة ١٢٤٦ هـ : ١٨٢١م وكان أبوه الملك عمر ملك جبال تقلى وجعلى وباطاى، الذى عندما أدركته الوفاة ٢٤٦ هـ آل الملك الى أخيه الملك ناصر أبو بيض الذى كان جباراً ظالماً. نكل بالفضلاء وفتك بالأبرياء. ومن أحبث اعماله الوحشيه. كانت فى جبل طاسين الذى هو مقر الملوك ناحية ملساء تنزل بميل مناسب وبأسفلها حوض من

حجر منحوت نحتاً طبيعياً . فاذا غضب الملك ناصر ابو بيض على شخص امر باضرام النار على ذلك الحوض حتى يكون كالفرن . ويقذف بذلك الشخص المغضوب عليه من ذروة الجبل فيظل هاوياً الى أسفل الجبل فيتحطم وينزل على الحوض المحمى وهو عبارة عن قطعة من « الكفته » فيشوى وتتصاعد منه رائحة كرائحة « الكستليته » ثم يكون كتله من الفحم . ويقال ابلغه بعض الوشاة . ان أعرابياً من بادية أولاد حميد شتمة . فاستدعاه . ولما مثل بين يديه حمى له ذلك الحوض وأمر بقذفه فيه من أعلى الجبل . فقبض العربى برجل آخر من حاشية الملك وكذلك امسك الآخر بأخيه وهلم جراً حتى سقط ١٤ رجلا من ذروة الجبل على الحوض فاحترقوا جميعاً فى دقيقة واحدة . ولم يقصر اذى الملك ناصر على العامة . بل صار يفتك بأهله وذوى قرابته كالأرباب الطوقماوى والأرباب رميدون ابنى اخيه الملك عمر فغضب سكان الجبال وصاروا يدبرون له المكائد (١) وكان الملك آدم اخ لمقتولين يشاهد تلك الأفعال بعين ملؤها الأسى ويكظم غيظه حتى لا ينبع الرأس بالذنب . وكانت له عقيدة راسخة فى الشيخ عبد الدين ولد خيرات الهوارى الذى اشتهر بورعه وصلاحه . فبث له سوء معاملة ناصر وانه فى خطر دائم إذ ربما أمر بقتله فى يوم ما فيذهب كما ذهب أخواه . فقال له الشيخ عبد الدين

---

(١) كان ذلك فى عهد خالد باشا حكمدار السودان الذى هاله أمر ناصر أبو بيض فسار له بنفسه وحاول اخضاعه وادخاله فى الطاعة ولما رفض دفع الضرائب فاستدعى بعض ملوك الجبال وحرضهم عليه وذلك بعد ان بعث له قوة عظيمة من أرارى الباشبزق وأورطة نظامية بقيادة الميرالاى عثمان بك الازيرق الشايقى وكان جبارا . سار ذلك الجيش الى جبل طاسين وهدد ناصر ان لم يسلم وصار يستعرض جنده على مرأى من سكان الجبال فقالت نساء الجبال عندما سمعن نداء الضباط فى التعليم

يا كليب الأرادى ... لاتنبح فى الوادى
ناصر فى طاسين ... مابيدفع البواقى

وقد حدثت بينهما حرب انتصر فيها ناصر وطارد فلول الجيش بعد ان قتل القائد عثمان بك الازيرق وضباطه فقالت نساء الجبال

ناصر أخ البنوت ... سوى سمعه مابتفوت
أهلك الجردة ... وأخلى سروج الارنؤد

وكان الشيخ عبد الرحمن شريف جد مؤلف هذا السفر متزوجا بالسيدة عائشة بنت الملك انجر الموجودة فى جبل طاسين وله رابطة بمصاهرة الملك ناصر قبض الترك عليه وصادروا أملاكه وأسر أولاده وروع والدى « ح » بين السباقة والابهام أى أصبح ملكا للجهادية إلا ان والدته افتدته بثلاثين عبداً أمرداً ن لا يؤخذ جندياً فى الجيش

هذا رجل ظالم ومادمت أنت وارث المملكة فيحق لك أن تسعى لخلعه وتتولى مكانه ليهدأ روع البلاد ونحن نساعدك بصالح الدعاء .

الارتيه

الارتيه بالتأنيث لقب لامرأة تدعى صباح عربقة فى حسبها ونسبها . وهى من صفوة سلائل ملوك تقلى ومقامها لديهم أعظم من المملكات فى أوربا ومن إيا ياسى كبيرة المبارم فى عرف سلاطين دارفور . ومكانها روحية اكثر منها ملكية بدليل أن آرتى فى لغة النوبة اسم « الله » استعير لهذه المرأة لجلال قدرها وسمو منزلتها . ولقد تقضى تقاليد سكان تقلى . ان تعزل الارتيه من ملوك تقلى وتولى ماشاءت لان بيدها مفاتيح مستودع آلات الملوك من تاج وصولجان وسيوف أثرية مزركشة وغير ذلك من ضروريات الملك . ولكنها لاتفعل شيئا إلا بعد اجماع ملوك الجبال الذين كانت لهم تقاليد سخيفة وعادات ساذجة وهى من رواسب عقائدهم الوثنية التى ظلوا يحافظون عليها كأنها جزء متمم لشروط الولاية . ألا وهى أن لهم حية قديمة العهد يطلقون عليها اسم (حميده أم كا أبيض) ترجد داخل مغارة عميقة فى احد جبال تقلى كانوا يسمعون لها دويا عظيما فيهرعون الى تلك المغارة ويسألون (حميدة أم كا بيض) عن حوادث المستقبل وهناك يسمعون صوتا يخاطبهم بوضوح تام عن الحوادث الآتية . وعن افعال الملك ومايطرأ فى عهده من رخاء وغلاء وبلاء وحرب أو سلام وكيف ينتهى ملكه بموت عادى أو خلع وغير ذلك مما سيحدث بلا زيادة أو نقص . هذا وما كاد آدم أم دبالو يسمع حديث شيخة عبد الدين بن خيرات حتى ذهب الى جدته الارتيه صباح وأوحى اليها بغرضه . وهذه قالت له انتظر قليلا ربثما أعرض على الأرابيب [1] والملوك الذين ذهبوا الى سؤال حميده أم كا أبيض لاخذ رأيها فى الولاية مواصل . ومن ثم عادوا الى جبل تومل الذى يتوج به الملوك وهو ككيسة اكسوم لدى أمبر اطورة الحبشة . وكانت دار الارتيه بهذا الجبل بوحشك أجلس آدم أم دبالو على الكرسى الذهبى المقدس الذى هو مقعد خاص بكل ملك تقلى عند تتويجه . وشرع ملوك الجبال يحلقون شعر رأسه كل رجل منهم يحز الموس مرة

---

(١) الأرابيب جمع أرباب أى امير يطلق هذا اللقب على اخوة الملك وأولاده .

واحدة حتى اشتركوا جميعهم فى حلق رأس الملك الجديد . وذلك بمثابة الاعتراف بالملك وكالبيعة ، ووضع على رأسه تاج من الذهب . ومن ثم ضرب النحاس ونادى سكان الجبال بخلع الملك ناصر وولاية الملك آدم أم دبالو وتقدم نحو ٤٠٠٠ فارس يرتدون الدروع والجوخ لحماية الملك الجديد وطرد الملك لمخوع ومحاربته ان تردد فى الاذعان للاوامر الصادرة له

ومن المدهش لقد احكمت تلك المؤامرة فى طي الخفاء ولم يدر بها الملك ناصر حتى نودى بخلعه وأعصوصبت القبائل حول الملك آدم عمر المكنى بأم دبالو . ولما أصبح ناصر أمام الأمر الواقع وليس فى وسعه كبح جماح تلك الجائحة العظيمة . خرج من داره فى ٦٠ فارسا من أولاده وحفدته الذين كان أشهرهم

١ الارباب المؤمن
٢ » المقص
٣ » عشر
٤ » ادريس المحينه (١)
٥ » أبكر
٦ » جيلى
٧ » شطه
٨ » الخيرى (٢)
٩ » حبيب
١٠ » خريف

وكان هؤلاء يحيطون بوالدهم إحاطة الهالة بالقمر . مصاطين سيوفهم يردون هجمات فرسان نقلى الذين كانوا بالأمس يظهرون لهم الولاء والاخلاص . فرحم الله الصولى حيث قال

وكنت أخى باخاء الزمان ... فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت اذم اليك الزمان ... فأصبحت منك أذم الزمانا

(١) سمى باسم المحينه ملك الجوهيه تيامنا بشجاعته.
(٢) سمى هذا تفاءلا باسم الخيرى الدنقلاوى الذى كان تاجراً بسيطاً وبعد يسير من الزمن تطور تطوراً مدهشاً حيث أصبح قائداً عظيماً اخضع قبائل الفلك ونازل عن مديرية أعالى النيل لحكومة مصر ودوخ كثيراً من جبال النوبه كما تراه فى مكانه من هذا المؤلف

وكنت أعددك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

ولما اشتدت وطأة غارات فرسان تقلى وزعجت نساء الملك ناصر وبناته خشى الملك ناصر بانه ربما فررن بالغابات . وإذا حاول مطاردتهن وجمعهن . كان ذلك سبيلا الى وصمته بعار الفرار . فأمر بوضع النساء فى الاغلال فقرنت كل إمرأتين فى قيد واحد وسارهن سيراً بطيئا محفوفا بالمخاطر حتى وصل كاكا التجارية فى شمال النيل الأبيض جنوب الخرطوم تبعد عنها ٦٥٩ كيلو متراً . وهناك ارتد العدو عنه وواصل سيره الى الخرطوم ولما أبرق عنه لسمو اسماعيل باشا خديوى مصر دعاه الى القاهرة وبالغ فى الحفاوة به . ثم اذن له بالعودة الى الخرطوم وأمر حكمدار السودان بأن يقطعه أرضا ذات مساحة واسعة ليقيم ويزرع بها . فاعطى الارض الواقعة فى جنوب بلدة معتوق شيدبها قرية اسماها «القمير ضو» حيث اقام بها الى ان توفى الى رحمة مولاه وقبره ظاهر هناك ولم تزل ذريته موجودة بذلك المكان الذى أصبح وطنها الدائم

غـــزو المـــؤمن

كان المؤمن أكبر أولاد الملك ناصر جريئا لايبالى بالحياة . وانه رأى ضرورة غزو تقلى وثل عرش الملك آدم واعادة الملك الى أبيه وهيهات . فان مطالم والده كانت حجر عثرة فى سبيل تلك المحاولات الجبارة

قام المؤمن بجيش لايتجاوز ١٠٠٠ فارس من أخلاط العرب والسقارنجه صنائع الملك ناصر الذين لحقوا به بعد استقراره فى الجزيرة . وقد سارت تلك القوة وهى فى غاية الحماس الى جبال تقلى إلا أنها وجدت من تضافر ملوك الجبال على تأييد الملك آدم ماثنا عزمها وعادت بخفى حنين . وهناك تمهدت البلاد وأصبح الملك آدم هو الأمر الناهى دون منافس له فى الملك

اعمـال آدم ام دبالو

لقد نهج الملك آدم نهجا قويما مع حكومة مصر . فانه احترم الأهالى وعاملهم بالحسنى وقبل ضريبة الويركو وتولى جبايتها لمديرية كردفان . وساد السلام فى بلاده ولكنه غزا جبل الداير حوالى سنة ١٢٩٧ هـ : ١٨٨٠ م فنزل النوبه لحربه وكانوا يتألفون من

نحو ٢٥٠٠ مقاتل بقيادة الملك الضو الذى كان جبارا . ولقد حدثت بينهما حرب هائلة عند بلدة سدره فى سفح الجبل من جهة الجنوب الشرقى . هزم فيها الملك آدم وطاردته النوبة الى جبل الدادورى حيث تقيم قبيلة التمام . وغنم الملك الضو مقداراً وافراً من الاسلحة والذخيرة . وكانت هذه أول وآخر حروب آدم أم دبالو

هجـــرته للمهدى ووفاته

فى سنة ١٣٠١ هـ : ١٨٨٤م دعا المهدى الملك آدم أم دبالو فأجاب وسار اليه فى رهط من أبنائه وقاضيه الشرعى حتى قابله بمدينة الرهد فى أثناء زحفه على الخرطوم وبايعه على الجهاد . الا انه أصيب بمرض لم يمهله أكثر من بضعة أيام . وقد توفى على أثره

وكان رحمة الله كريما عادلا يحب العلماء ويكرمهم ويرفع الضرائب والمكوس من رجال الدين . وأصبح الملك فى سلالته الى الملك جبلى ولما توفى كان الملك آدم جبلى الذى عرف بشممه وعزة نفسه مع الانكليز فظل محفوظ الكرامة الى الآن ولقد سنحت لى الفرصة بالاجتماع معه عند إبائى من رشاد فرأيت فيه صفات الملوك بالمعنى الصحيح فسألته عن عادات سكان الجبال فقلت عرضا كيف يكون رقصهم فقال أما الرقص فخير ان تراه بعينك وتكتب ماشئت ثم أرسل شاما الى جبل الودالكه فى ساعة جاء جمع من النساء يحيط بهن جمع من الشبان يحملون البنادق يطلقونها فى الافق وأخذوا فى الرقص من الساعة ٧ مساء الى الساعة الثانية صباحا وهم يطلقون النار أما النساء فكن فى رشاقة وحركات مغرية

﴿ مهدى السودان ﴾

ألف الدكتور أحمد أمين بك كتابا اسماه المهدية والمهدوية. به بحث طريف عن الذين ادعوا المهدية فى العالم إلا أنه لا يهمنا الكلام هنا عن غير مهدى السودان. نعم انه شريف حسنى أما أمه فعباسية وليس ذلك من قبيل الدعوة فالناس مصدقون فى انسابهم فلم يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فلانا من أبنائى وانما كل منهم يقول أنا فلان ابن فلان. هذا وكان تعليمه تعليما دينيا وتطرق بالسمانيه واشتهر بزهده ونسكه. وقد دلت التجارب على أنه خطيب وكاتب قوى الحجة.

قال فى الصحيفة ٨٠ حتى اعتقد أنه المهدى المنتظر الذى سيملأ الأرض عدلا وصلاحا وقوى هذه العقيدة فى نفسه صديقه عبد الله وهو المعروف بالتعايشى الذى أصبح خليفة من بعده. وأصله من دنقلا. كلا فان الخليفه أصله من الجنوب الغربى لدارفور. ولم ير دنقلا فى حياته أما قوله اعتقد انه المهدى الى قوله وقوى هذه العقيدة فى نفسه صديقه عبد الله .. الخ فباطل والصحيح انه قال اخبرنى سيد الوجود أى النبى صلى الله عليه وسلم ورؤيته فى المنام واليقظه جائزة. ثم قال عن سبب دعوة المهدية فرض الضرائب الظالمة والمعاملة القاسية وما كان من اعلان الحكومة المصرية عزمها على الغاء الرقيق .. الخ فما كان الغاء الرقيق من عوامل الثوره ولم يأتى ذكر الرق فى منشورات المهدى لأن غرضه توحيد الصفوف والزهد فى هذه الحياة الفانيه. وعلل الدكتور أحمد أمين أن من أهم الأسباب أنه طالب الحكومة بترك الضرائب والاستغناء عنها بالزكاة والغاء القوانين الوضعية والعمل بالكتاب والسنة ولما أبى محمد رؤوف باشا أفتى المهدى بكفره محتجا بقوله تعالى «ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون» ثم قال فى انذاره ليوسف باشا الشلالى «قد قال القطب الدردير على ان امراء مصر يحاربون لاخذ أموال المسلمين منهم قهرا فيجوز قتلهم كما قال تعالى «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض... الخ» أما رؤوف باشا فارسل عليه ٨٠٠ جندى يقود كل ٤٠٠ ضابط برتبة الصاغ وكانت القيادة العامة لابراهيم افندى صهر رؤوف باشا فباغتت تلك الحملة على باخرة دون ان يعلمها شخص حتى القت مراسيها فى شجرة موجودة حتى الآن فنزل الجنود بالشلال. فشعر بهم المهدى وانصاره الذين كانوا نحو ٤٠٠ مقاتل فارسل المهدى فارسا يفهمهم بغرضه الذى يتلخص فى الاكتفاء بالزكاة عن

تلك الضرائب الجائرة والعمل بالكتاب والسنة. فما كان من الصاغ ابراهيم افندى إلا انه أمر جنديا من الرماة باطلاق النار على فارس المهدية فصرعه على مراء من المهدى الذى اصلت سيفه وكبر ثلاثا وقال اقتلوهم فهجم الانصار على الحملة المصرية ففى أقل من ساعة قتل الصاغان واكثر الجنود وجرح الوكيل افندى مأمور الكوة أما بقية الجنود فعادوا الى الخرطوم وهم فى ذعر شديد. أما المهدى فأمر باخلاء جزيرة أبا قبل أن تدركه حملة أخرى[1] وفعلا قام بعد خسارة ١٢ قتيلا تسعة منهم دفنو فى أبا[2] وثلاثة دفنوا بالشاطىء الغربى ماتوا متأثرين من الجروح وجرح المهدى فى كتفه. وفى اليوم التالى جاءت باخرة بها اورطة بقيادة القائمقام على بك لطفى الذى وجد الجزيرة خاوية على عروشها إلا أن شبح بلدة المرابيع قابله يطلب الأمان فقبض عليه وتركه مصلوبا على شجرة وعادت الباخرة. أما قوله فأمر رؤف باشا جنوده باطلاق النار على المهديين وكان ذلك نهاراً الى قوله فأمر المهدى أصحابه بالسكوت وان يكمنوا فى الادغال حتى يجىء الليل ... الخ وقوله فهجموا على الجنود المصريين وافنوهم واستولوا على ذخائرهم وقتلوهم بسلاحهم. كل ذلك غير الواقع. كان رؤف باشا بالخرطوم والمهدى بأبا فلم يأمر رؤف ولا كمن جيش المهدى بالادغال. بل وصلت الباخرة حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. ففرغ المهدى من محاربتها حتى صلى الصبح. وقوله حاربهم المهدى بسلاحهم باطل. فالمهدى هزم هذه الحملة وهزم حملة القائمقام راشد بك ايمن مدير فشوده وفتك بحملة يوسف حسن الشلالى باشا ولم يأخذ بندقية واحدة من خط النار حتى واقعة الجمعة بالأبيض فصعد العساكر بالسطوح وصاروا يطلقون الرصاص على الانصار الذين عجزوا عن مقاومة من بالسطوح فارسل المهدى جماعة لجمع الاسلحة والجبخانة بجبل قدير واحضارها له وأمر بتعليم انصاره استعمال الاسلحة النارية وعين حمدان أبا عنجه اميرا لحملة الاسلحة النارية التى حورب بها الجنرال هكس فى واقعة شيكان. وقال عن حملة يوسف باشا. وكان من العادات المتبعة فى السودان أن يحاط الجند ليلا بأسياج شائكة فلم يفعلوا ذلك هذه المره فأتاهم ليلا بجنوده وأبادهم. كلا ثم كلا فانهم تحصنوا بزريبة من الشوك وقد

(١) بينما كان أحد الانصار سابحا وراء انقاره اذ قبض عليه تمساح وله شقيقان فى مركب فيض كلاهما عوم رمحه وقفزا بالنيل لتخليص اخيهما من بين فكى التمساح وأخذ الرجلان فى طعن التمساح حتى استطاعا تخليص اخيهما من التمساح وقد اعجب المهدى ورجاله بتلك الشجاعة الدالة على انه سواء فى نظرهم الانسان والحيوان

(٢) شهد السر السيد عبد الرحمن المهدى باشا عليهم مسجدا فحما دعانى لالقى محاضرة الاحتفال عن تاريخ المهدية بذلك بنتيجة باجابة لأمره ذهبت وحاضرت فى جمع يقدر بـ ٣٠ الفا من انصار المهدية.

الامام السيد محمد احمد المهدى الذى بهر العالم بطفرته التى غيرت ألوان خريطة أفريقيا ، ولولا وفاته لجرى شوطا بعيداً ولغاب عن مسارح النظر رغما عن أعدائه الذين كأنما عناهم الشاعر بقوله

هل تطمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة عن ربكم ... جبريل بلغها النبى فقالها

هاجمهم المهدى بعد صلاة الصبح وانهم دافعوا دفاعا باسلا حتى ردوا هجوم المهديه وقتل أبو هدايه عم المهدى وكذا قتل السيد حامد شقيق المهدى وكان أحمد ود سليمان أمين بيت المال قابضا على سرع لجام حصان المهدى فقال له يامولاى الانصار هنكوا بالرصاص والعطش وكان من القتلى عمك أبو هدايه وأخوك السيد حامد فارجع بنا لكى نشرب الماء ونكر على الاعداء فى وقت آخر فصفعه الخليفه محمد شريف واطلق يده من سرع حصان المهدى وقال له لاتسمع لكلام هذا المرجف فاهجم بنا أما ننتصر أو نموت فنحظى بفضل الشهاده فقال له المهدى بارك الله فيك . ثم أصلت سيفه وكبر ثلاثا وأمر بالهجوم فخاض الانصار الشوك واختلطوا بالعساكر ففى أقل من ساعة قتل يوسف حسن الشلالى باشا والقائمقام محمد بك سليمان وطه أغا ابو سدر وعبد الله ود رفع الله ومصطفى تيما والسلطان جبر الدار وما كاد يذاع خبر انتصار المهدى حتى مدحه الشعراء وهاجر الناس اليه فبلغ جيشه ٢٠٠٠٠ مقاتل.

أما منع المهدى للحج فلكى لايختلط الحجاج بجواسيس مصر وانكلترا . قال فى سنة ١٨٩٦ قضى اللورد كتشنر وكان سردارا لمصر على امبراطورية المهدى فهذا التاريخ تحركت فيه جنود مصر من حلفا ولم يكن القضاء عليها الا فى نوفمبر سنة ١٨٩٩م أما قوله انقلب مترفا فالمهدى ازهد من ابن أدهم وذلك مما لاينكره الا من يرى لافرق بين الضدين والواحد أكثر من الاثنين فالكلام هنا مقتضب ويتعارض مع الواقع ويفتقر الى تمحيص وبيان ولما كان غير ميسور أن نأتى به ضمن حوادث شتى وأمور متعددة فلنكتفى بجملة واحدة قال عنها وارسلت الحكومة له أى للمهدى عشرة آلاف جندى بقيادة الجنرال هكس والصحيح كان القائد سليمان نيازى باشا وهكس رئيس أركان حرب له .

اللواء سليمان نيازى باشا

اختار سمو محمد توفيق باشا لقيادة الحملة العسكرية اللواء سليمان نيازى باشا الذى كان من صفوة ضباط الجيش المصرى وانتخب له عشرة ضباط أفرنج برياسة الجنرال هكس باشا الذى كان ضابطا حاذقا . إستدعاه سمو توفيق باشا خديوى مصر ليكون رئيسا لأركان حرب الحملة العسكرية التى أعدها لحرب المهدى بكردفان . وقد دعى جماعة من الضباط الاجانب للخدمة فى تلك الحملة واليك بيان اسمائهم : —

(١) الجنرال هكس Hicks انكليزى من الهند منح رتبة اللواء

(٢) الكولونيل دكتلوكن Ductlokine نمسوى من فينا منح رتبة الميرالاى

(٣) « جون كولبورن John Clborn انكليزى « « «

(٤) الميجر مرتن Martin انكليزى منح رتبة القائمقام

(٥) الميجر فارقوار Farquar انكليزى منح رتبة القائمقام
خدم هذا ثمان سنين فى جنوب أفريقيا قبل استدعائه لهذه الحملة

(٦) الكبتن مسى Massey انكليزى طوبجى جاء الى دنقلا ومنها للخرطوم بحرا منح رتبة البكباشى

(٧) الكبتن وارنر Warner انكليزى منح رتبه البكباشى

(٨) الكبتن ولكر Walker انكليزى « « «

(٩) الكبتن إيفنس Evans انكليزى مترجم لأنه كان مستشرقا

(١٠) الدكتور روسو بيرج[1] Roesberg جرمانى طبيب الحملة منح رتبة البكباشى

(١١) السرجنت بريدى Brady انكليزى خادم الجنرال هكس باشا

وكان قائد هذه الحملة اللواء سليمان نيازى باشا كما اسلفنا

وفى يوم ٦ فبراير سنة ١٨٨٢م الموافق سنة ١٣٠٠ه تشرف هؤلاء الضباط بمقابلة سمو محمد توفيق باشا خديوى مصر. وانه اظهر لهم مزيد ابتهاجه لقبولهم شرف الانتساب الى جيشه العظيم مع اطيب التمنيات وبعد هنيهة تبودلت فيها عبارات المجاملة أذن لهم فى الانصراف للتأهب الى السفر، فخرجوا شاكرين. وكان يومئذ أول يوم ارتدوا فيه الملابس العسكرية المصرية مع الطرابيش القصيرة ذات اللون الأحمر القانى وساروا اذ ذاك للانضمام الى القوة المصرية التى كانت تتألف من الفرق الآتية وجميعها

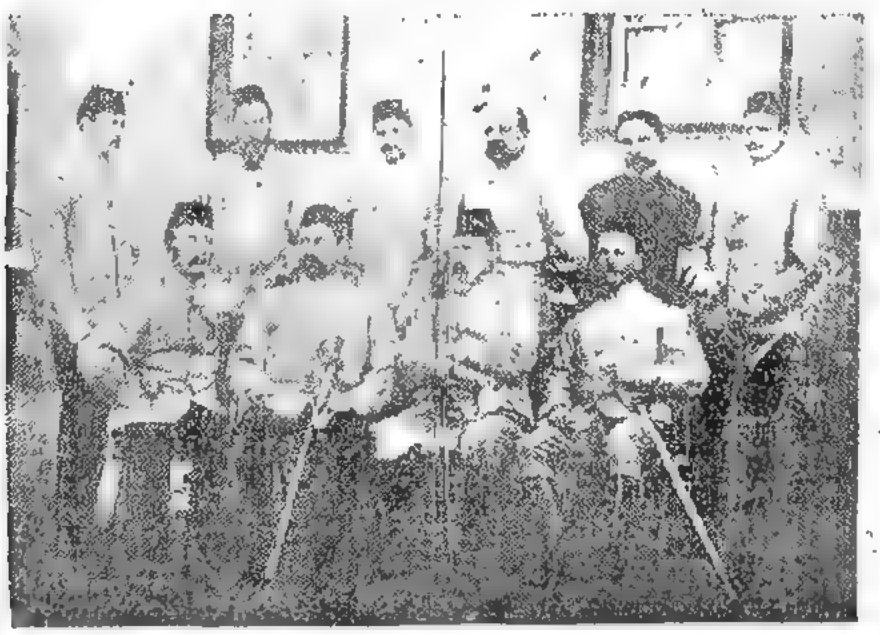

— (الجنرال هكس وضباط أركان حرب) —

(١) بيرج بمعنى جبل، وروسو بمعنى وردة أى (جبل الورده)

من جيش السيد أحمد عرابي باشا،

٢٤٠٠	جندى الآلاى الأول بقيادة الميرالاى سليم بك عونى	
٢٥٠٠	» » الثانى بقيادة الميرالاى السيد بك عبد القادر	
٢٦٠٠	» » الثالث بقيادة الواء ابراهيم باشا حيدر	
٣٠٠٠	» » الرابع بقيادة الميرالاى رجب بك صديق	
٢٤٠٠	» الفرسان والطوبجية بقيادة الميرالاى عباس بك وهبى	
١٢٩٠٠	اليكون	

تحركت هذه الحملة من القاهرة فى يوم ٧ ابريل سنة ١٨٨٣ ميمة السودان عن طريق السويس. وقد رافقها القائمقام حمدى بك الذى كان ياورا لسمو الخديوى. وكان الازدحام بالمحطة بالغا أقصى درجاته من كبار الوزراء والذوات المودعين لذلك الجيش العرمرم الذى دفعته يد السياسة المصرية بسخاء الى احضان الخطر. عملا يوحى الاجانب الذين كان نفوذهم غضا جديدا فى مصر. وكان ضمن المودعين اذ ذاك لفيفا من الاجانب الذين منهم الجنرال بيكر وشقيقة صمويل بيكر. ولما وصلت الحملة الى سواكن وجدت المحافظ أعد لها الحمال اللازمة لسفرها برا الى بربر. وما كان الانكليز يعرفون الجمال فأذاع الكولونيل كولبورن سلسلة رسائل فى الصحف الانكليزية كانت منها رسالة بعنوان « سفينة الصحراء » وصف بها الجمل وصفا بليغا. هذا ولما بلغت الحملة الى مدينة بربر استلم الجنرال هكس باشا كتابا من الكولونيل استيوارت وكيل حكمدارية السودان يستعجل قدوم الحملة وقال بسقوط مدينة الابيض بعد ان فتك المهدى بنحو ٧٠٠٠ جندى من حاميتها وغنم ١٠٠٠٠ بندقية رامنجتون. وختم كتابه بقوله «نحن مسرورون لان المهدى رفض المحاربة بالبنادق بحجة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يحارب بها. وعول على السيف» وقد وقعت تلك العبارة وقعا حسنا من نفوس الضباط والعساكر لأنه لا يعقل ان يقف حملة السيوف والمرماح أمام تلك الجنود المسلحة ببنادق الرامنجتون والمدافع الضخمة من مقاذل كروب وأخرى حديثة من طراز «نوردن فلت Nordenfeld» وقد فاتهم ان وراء الاكمة ماوراءها. ومن ثم سارت الحملة بحرا من بربر الى الخرطوم التى بلغها فى ٧ مارس سنة ١٨٨٣. فعسكرت جنودها بأم درمان. وكلف الميرالاى

رحب بك صديق يشاء طالبه ابقاء الجنود المصرية بها . وقد شيدها على فولوكن المعصوم
كان لها أثرها فى حماية العاصمة اخيراً

اليه كما ذكرنا

وأعيد

المنـــاورات

الجنرال هـكس بعد ان تولى القيادة العامة بأم درمان

دعا الجنرال هكس سكان الخرطوم الى شهود مناورات واسعة النطاق أجريت بأم درمان وقد أبدى الجيش المصرى فيها رشاقة وحنكة جديرتان بالاعجاب ماعدا

الطوبجية فانهم عجزوا عن استعمال المدافع الحديثه طرز نوردنفلت Nordenfeld ، لأنها أحضرت من استراليا وكلف البكباشى ولكر بتمرين الجنود المصريه عليها فى بضعه أيام بالقاهرة . وقبل الانتهاء من التمرين اصدر الأمر بسفر الطوبجيه الى الخرطوم ثم بعد وصولهم مباشرة شتركوا فى تلك المناورات التى فشلوا فيها . ورغما عن ذلك فالجنرال هكس امتعض وقال للبكباشى ولكر « لم أر فى حياتى نظاما ركيكا كما شهدته فى المدفعيه إداراتكم » ثم أصدر أمرا للبكباشى وطوبجيتـــه بالتمرين لمدة ثلاثة أيام متوالية بدون راحة إلا فى وقت الأكل والشراب فمن ذلك الاجهـــاد. قد أصيب البكباشى ولكر بضربة شمس لازم من أجلها فراش الاستشاليه بالخرطوم . حتى كان ذلك سببا من تأخيره عن الحملة ونجاته. ولكن كان ذلك لأجل محدود لأنه بعد ان تحامن هذه الحق بحامية سواكن وقتل بواقعة التيب التى حدثت بين جيوش الحكومتين المصرية والانكليزية من ناحية وعثمان دقنه من ناحية أخرى . وفى ابريل سنة ١٨٨٢ سار قسم من جنود هذه الحملة لمحاربة بعض دعاة الثورة فى المربيع وقد فاز بالنصر عليهم فى ٢٩ منه كما ذكرنا ذلك فى ترجمة سليمان نيازى باشا. وبعد عودته طلب هكس باشا ان يناط به القيادة العامة لو قبول استقالته . ولقد وافقت وزارة الجهاديه على طلبه وعين سليمان نيازى باشا حكمداراً لشرق السودان . وهناك ضمت بعض الأورط المصرية وأرادى الباشبزق الى هكس وقام علاء الدين باشا حكمدار السودان قوميدانا ثانيا لها وتضخم جيش الحملة وضمن الناس له الفوز حتى تطوع به كثير من الموظفين والأعيان . فأصبح نظامة كالآتى .

١ الجنرال هكس باشا قائداً عاما

٢ علاء الدين باشا نائبا للقائد

٣ سليم عونى بك قوميدانا الآلاى الأول

٤ لسيد عبد القادر بك « « الثانى

٥ حسين فهمى بك « « الثالث

٦ رحيم صديق بك « « الرابع

٧ عبد العزيز بك ويحيى بك كامل وخير الدين بك هؤلاء ضباط السوارى الباشبزق

هيئة الاركان الحرب بعد ان تأخر عنها أثنان هما الكولونيل دكنلوكن النمسوى أمير الاى لينوب عن علاء الدين باشا بالحكمدارية والبكباشى ولسكر بالاسبتاليه كما ذكرنا

١ الميرالاى الشريف جون كوابورن. إلا أن هذا أصيب بالحمى الملاريا وأعيد من جهات تندلتى لمعالجته باسبتاليه الخرطوم . وكان ذلك سببا فى نجاته فأعيد الى الهند ورقى هناك الى رتبة جنرال . وله مؤلف باللغه الانكليزية . أحضره لى حفيده المستر مكريل مفتش كستم فى ١٩٣٢ وترجم لى بعض فصوله التى كانت خاصة بأخبار هذه الحملة

٢ القائمقام مارتن بك

٣ فارقوار بك

٤ البكباشى ماسى

٥ « وارنر

٦ « ايفس مترجم

٧ « روسو بيرج طبيب المالى

٨ المرحوم بريدى

أما الموظفون والأعيان الذين تطوعوا فى تلك الحملة وذهبوا بذهابها فهم

١ حمدى بك الذى كان يلقب باسمو الخديوى محمد توفيق باشا

٢ قناوى بك أبو عمورى الذى كان صاحب كبانيه مشهورة فى بحر الغزال

٣ بساطى بك المحس مدير سنار سابقا ومأمور المالية حاليا

٤ محمود أحمدانى بك « مدير الخرطوم »

٥ حمد التلب بك رئيس مجلس الاستئناف

٦ عبد الرحمن بانقا بك من كبار التجار

٧ الدكتور جورجى بك الحكيم طبيب الاسبتاليه بالخرطوم

٨ مخائيل أفندى ناصيف مترجم الحملة

٩ الشيخ على كرم الله ناظر قسم الخرطوم
١٠ محمد أفندى عمر حمدتو معاون بالحكداريه
١١ اليوزباشى حسين أفندى رمضان
١٢ مكاتب حربى جريدة التمس
١٣ » » » الدنبلى نيوز
١٤ » » » افرافيك

اختيار الطرق

ان الطرق المؤدية الى الابيض طريقان كان أحدهما طريق بارا وطوله ١٧٦ ميلا إلا انه يمر فى صحراء قاحلة لا ماء ولا كلاء. والثانى طريق الخوى وطوله ٢٦١ ميلا ولكنه كثير الماء والكلاء. فقال هكس الاوفق ان تسير الحملة فى الأول وذهب علاء الدين باشا الى غير هذا الرأى وأجمع الضباط على رأى علاء الدين باشا. وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ غادرت الحملة مدينة الدويم بعد ان تركت بها ٢٠٠ جندى لحماية خط الرجعة. وكان من رأى هكس أن تترك مثل تلك القوة الصغيرة فى كل محطة إلا ان عارضة الضباط المصريون بحجة ان الثورة أصبحت متأصله فى نفوس الاهالى ووجود تلك الحاميات الصغيرة المبعثرة بينهم يجعلها غير قادرة على حماية نفسها فضلا عن حماية غيرها فرجع هكس باشا عن تنفيذ فكرته وسار الجيش كتله واحدة

هذا ما كان من أمر ضباط الحملة . أما المهدى فانه كان يتظامر اقبا لحركات الاعداء فى كل لحظة . وما كاد يعلم قيام الجنود المصريه من الدويم حتى انتدب ٣٠٠٠ فارس بامرة محمد عثمان أبى قرجه وشيخ فضلو أحمد وعبد الحليم مساعد وعمر الياس باشا أم برير وأمرهم بلقاء الحملة فى أثناء سيرها والتضييق عليها بالمناوشات وعدم الدخول معها فى حرب فاصلة حتى تصل اليه . وذلك بعد ان نشر أمامها ١٥٠٠ نسخة من المنشور الآتى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم . وبعد فان

عبد ربه محمد المهدى بن عبد الله . الى من يسمع من أهل الجردة ممن له عقل . فانه لايخفى على ذى عقل ان الأمر بيد الله . لايشاركه فى ذلك بنادق ولا مدافع ولا صواريخ . ولا عصمة لأحد إلا من عصمه الله تعالى . فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد . لاتفتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التى تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله ، فان لاقوة لشىء دون الله[1] وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة . فاعلموا ان الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قوة الله . فاذا فهمتم ذلك فلا تغرنكم أقوال علمائكم . فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عز وجل . وقالوا يالهنا ومولانا . ان المهدى قتلنا من غير انذار فأقول أنذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود صلى الله عليه وسلم . وقال لهم الامام المهدى انذركم فلم تسمعوا له . وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين . وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى إذ جاءكم بل كنتم مجرمين . فان كان لكم نور تؤمنون بالله ورسوله والدار الآخرة . وتصدقوا بمهدتنا وتخرجوا الينا مسلمين . ومن سلم يسلم . وان أبيتم إلا الجحود والاغترار بالمدافع والبارود . فأنتم مقتولون كما أخبر سيد الوجود . واسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام ؟ وما كاد هكس يعلم بهذا المنشور حتى صادره وأحرق نسخة لكى لايحدث بين اتباعه أمراً .

وقد وصل الثلاثة آلاف فارس بقيادة أبى قرجه وأخذوا يناوشون الحملة ليلا ونهارا حتى أصبح الجنود لاينامون طول مسافة الطريق . وقد بلغ الجهد منهم مبلغا عظيما وأنكى من ذلك ماحدث لدواب الحملة من الجوع والظمأ إذ أنها إذا تركت وشأنها فى الغابات لأجل المرعى يتخطفها فرسان المهدية فصارت الجمال تسقط بأحمالها على الارض فتضطر الحملة الى الوقوف حتى يرفع الجمل ويؤخذ حمله ثم يفرق على الجمال الأخرى وتدرج الجمال التى اضناها الجهد فتسير سيرا بطيئا ولايجرأ الجنود الى الاسراع وتركها وراءهم لكى لاتقع فى قبضة العدو الذى كان يتربص بهم ويقلقهم بغاراته المتواترة . وأصبح من المتعذر استبدال تلك الجمال بغيرها لأن البدو فى كردفان كانوا وقتئذ من أقوى دعائم الثورة .

---

(١) قال الجنرال هكس عند مناورته فى أم درمان لو نزلت السماء الى اربعها بالسنيج وان قامت الارض إنبتها بالجزم فغضب المهدى لهذه الدعوة التى لم يراع فيها القدره الالهية .

صورة تبطل جمل وسقط على الارض فجيء بجمل آخر ليحمل عليه رجل الاول والجنود تقف حوله حتى لا يأخذ العدو ما في الرحل

واقعة شيكان

لما علم المهدي بقرب الحملة المصرية في يوم الخميس أول نوفمبر سنة ١٨٨٣ خطب في جهده خطابا حماسيا ثم أمر بالتأهب لقائها بعيدا عن العائلات والاطفال، وذلك بعد

ان استخلف على الابيض السيد عبد الصمد حاج شرفى والسيد داود وخرج فى نحو ٥٠ الف مقاتلا . كان منهم الفرسان نحو ٢٥ /. أو ٣٠ /. من حملة البنادق طراز رامنجتون وما بقى مسلحين بالرماح والسيوف . وقد سارت تلك الجيوش الى منهل فرتقول وكان هذا قليل الماء الى درجة لايكاد يكفى لشرب قافلة تتألف من ٢٠ رجلا . فغاض الماء به فى ذلك اليوم حتى اروى ذلك الجيش العرمرم فاعتبرها الناس كرامة للمهدى ولا غرابة فلله در القائل :—

وانبتن للأوليا السكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

وقد بلغ المهدى هناك أن الجنرال هكس يسرع بحملته بقصد الوصول لمنهل البركة

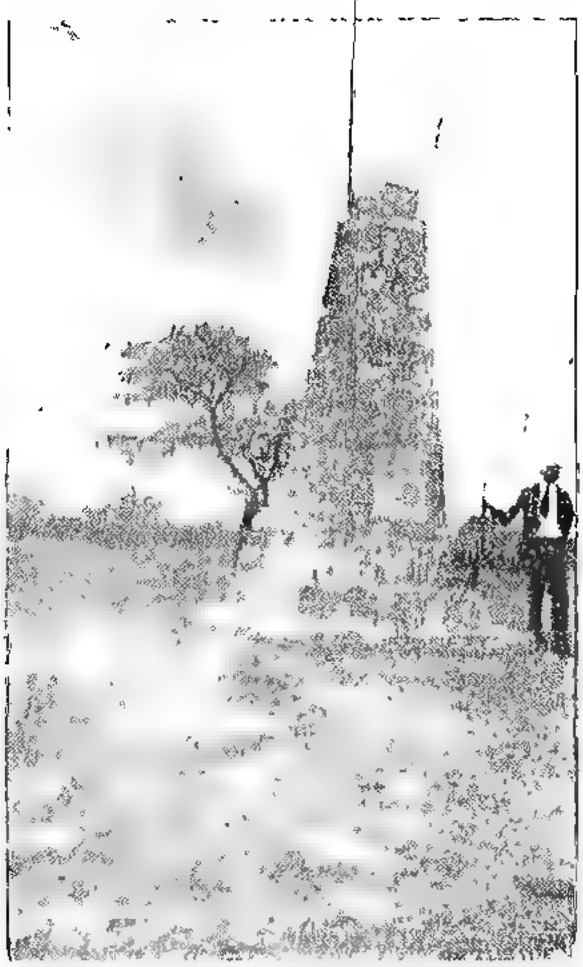

صورة المؤلف بملابس الرحلة عند عودته من دارفور ووصوله الى شيكان محل الواقعة وبها فطر يوما من رمضان فى جوار النصب التذكارى الذى أقامه الانجليز وترى به لوحة من حديد مكتوب عليها بالانجليزية (هنا قتل الجنرال غردون باشا)

قبل وصوله اليه. فانتدب السيد محمود عبد القادر وضياء الدين عبد الله رئس النواب[1] لان يسيرا مع بعض المقاتلة من اتباعهما لاحتلال منهل البركة. فاذعن هؤلاء وجدوا فى سيرهم الى أن بلغوا المنهل قبل وصول العدو اليه فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر. وقام المهدى فى يوم السبت ٣ نوفمبر مع كافة جيوشه من منهل فرتنقول الى البركه. ولما بلغ الجنرال هكس باشا احتلال المهدى لمنهل البركه بعث بعض الطلائع للاستكشاف فعادوا واخبروه بحقيقة الأمر. فدعا الضباط واقترح عليهم السير بطريق الملبس التى تمر بشيكان[2] وفى يوم السبت ٣ نوفمبر غادرت الحملة قرية علوبه وبعد أن قطعت ١٠ أميال حطت رحالها. ثم زربت زريبة من الشوك متينة حول المعسكر وبات الجنود تلك الليلة تتجاذبهم عوامل البأس والرجاء.

أما المهدى فانه فهم من الشيخ ابراهيم ود الحاج المشهور « بابراهيم الترجماوى »[3] ومعه جماعة قالوا له « ياسيدى يقول الناس . إن الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينه الابيض ليستأصلو من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر وذاع فى الجيش وأرجف المرجفون به فلنرجع الى الأبيض قبل وصولهم اليها » فالتفت المهدى وقال لمن حوله . أيها الناس أنصتوا . ثم بصق فى كفه اليسرى . وقال أى شىء هذا . قالو . بصاق ياسيدى . ثم طرحه على الأرض فشربته فى الحال . فقال . هل ترون لهذا البصاق أثراً . فقالوا له لا . فقال . نحن كالأرض والترك كالبصاق . ثم قال إذا طار طائر فأين ينزل فقالوا له على الأرض . فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالأرض . أيها الناس أثبتوا واطمأنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لاقدرة لهم مع قدرة الله . ثم أردف ذلك بقوله. غدا يوم الأحد نتوجه اليهم. وفى صبيحة الاثنين بعد أن نامركم بمحاربتهم إذا تأخر أحدكم لاصلاح نعله لم يدركهم احياء. ثم دعا المهدى جميع الفرسان وحملة الاسلحة النارية وامرهم بانجاد الفرسان المحاصرين للحملة فى أثناء سيرها. وكان

---

(١) النواب فريق من العلماء كانوا ينوبون عن المهدى فى المشكلات المتعلقة بحقوق بيت المال.

(٢) شيكان تقع فى الجنوب الشرقى من مدينة الابيض وتبعد عنها ٣٠ ميلا. ولقد أقام الانكليز نصبا تذكاريا بها. وهو عبارة عن مسلة مستطيلة سطرت عليها تاريخ تلك الكارثه باللغة الانكليزية صونالزمان ومكان الحادثة.

(٣) الترجماوى نسبة قبيلة ترجم من عرب دارفور. كان هذا عالما تقلب فى كثير من مناصب القضاء الشرعى فى عهد المهدية . وتوفى الى رحمة مولاه حوالى سنه ١٩٣١.

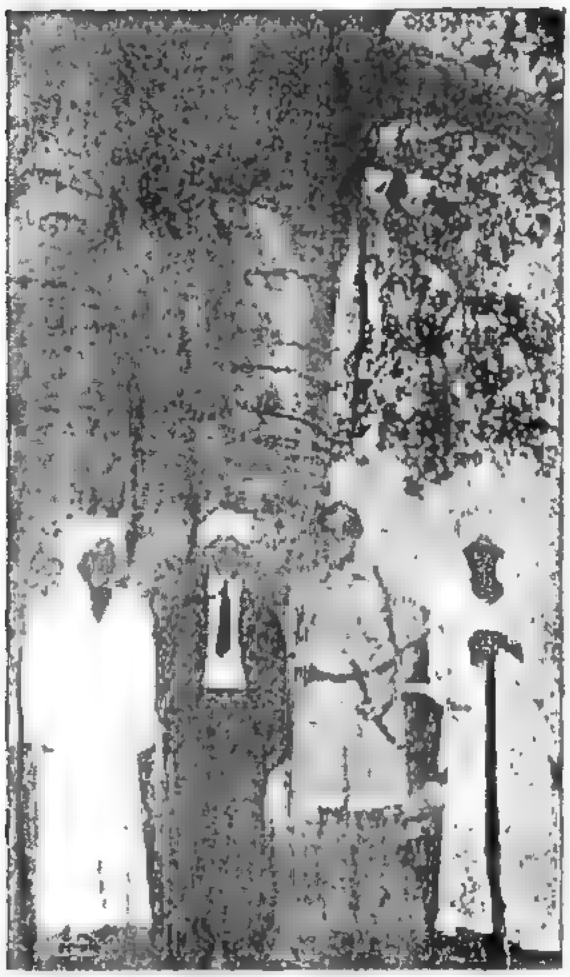

شجرة من الاشجار التى استراح المهدى بها بعد الحرب

من اليمين الى الشمال حضرات حسن أفندى دسوقى بالاشمال ومحمد افندى زكى مفتش شركة سنجر الذى تطوع لأخذ صور الرحلة بمدينة الابيض وضاحيتها والمؤلف وأحمد أفندى مكى الموظف بشركة جلاتلى هنكى وهو الذى تبرع بمصاريف الرحلة من جيبه الخاص خدمة لتاريخ الأمة جزاهم الله عنى وعن الأمة خير الجزاء .

ذلك فى مساء السبت . فوصل أولئك الفرسان (والبنداقه) فى صبيحة الأحد ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالحملة إحاطة السوار بالمعصم فانضموا اليهم وساعدوهم فى مهمتهم الشاقة ولسان حالهم يقول «الموت لايكون إلا مرة . والموت خير من حياة مرة»

أما المهدى فانه قوض خيامه وزحف بكل جيوشه من منزل البركة فى ٤ نوفمبر ونزل فى منزل أم مصارين التى هى كنية لشيكان . فقال أحد الأنصار للمهدى « ياسيدى هذا المحل يدعى بمنزل أم مصارين » فأجابه المهدى بقوله « ان مصارين الترك تصب فيه »

هذا ما كان فى أمر المهدى وانصاره أما الجنرال هكس فانه خرج من زريبته التى

كان مستحكما بها وسار قاصداً شيكان وما كان يعلم شيئا من احتلال جيوش المهدى لها وكانت آلايات الحملة المصرية تسير بهيئة مربع كانت فى وسطه دواب الحمله والخدم وتسير المدافع فى الزوايا . وما كادت تتقدم ساعة واحدة حتى تحداها الأمير حمدان أبو عنجه والجهاديه من الامام فاضطرت الحملة الى الوقوف وهناك باغتها فرسان المهدية بهجوم عنيف أحدثوا به فرجة فى المؤخرة ولجو المربع منها ثم أخذوا بعض الجمال بأحمالها وكذا اطلق أبو عنجه نيران البنادق من الامام . أما الجنود المصريون فانهم دافعوا دفاع الابطال حتى ردوا ذلك الهجوم والحقوا بفرسان المهدية خسائر فادحة كان ضمن الشهداء من الأمراء حداد حاج خالد وهاشم ود أبو ريالات وفوزى احد كتاب المهدى (١) ومن الجرحى عبد الحليم مساعد وعبدالله ود النور . أما خسائر الحملة فكانت عظيمة ومن القتلى الميرألاى رجب بك صديق قائد الآلاى الرابع . ومن غرائب الشجاعة ان ادريس الخندقاوى كان ضمن الفرسان الهاجمين أخذ مدفعا من بين الطوبجية وجره الى صفوف المهدية فكنى به فصار لا يعرف إلا اذا قيل عنه أبو مدفع وقد استشهد فى واقعة عكاشه يوم الجمعة أول مايو سنة ١٨٩٦ .

وقد شيدت الحملة زريبة من الشوك نامت بها تلك الليلة .

الواقعة الفاصلة

فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٢

وفى الساعة ٧ من صباح يوم الاثنين ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٢ خرج الجنرال هكس باشا من الزريبة بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوى الاضلاع فى كل زاوية مربع مدفع وكانت المسافة بين المربعات ٣٠٠ ياردة . وفى وسط كل مربع جمال الحملة التى تحمل المهمات والجبخانه والمؤن لجنود ذلك المربع . ثم سار الجنرال هكس واركان حربه وعلاء الدين باشا ومكاتبوا الصحف الافرنكيه ومن ورائهم أربعة مدافع بطوبجيتها فى مقدمة الحملة . وتلا ذلك المربع الأول وسار من ورائه المربعات الثانى والثالث فكان أحدهما جناح أيمن والآخر جناح أيسر . وكان الفرسان يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات . وقد سار الجيش على هذا النظام نحو نصف ساعة حتى دخل

(١) كان فوزى موظفا اسماه الجنرال غردون ولما خرج من داره أقسم اذا رأى الجنرال هكس لا يسبقه عليه أحد مالم يقتل دونه وقد وفى رحمه الله .

وادياً مفتوحاً وعلى جانبيه غابات كثيفة فصمد انصار المهدية على يمين وشمال الوادى ووسطه وكان أبو قرجه لازال يتبع الحملة بفرسانه من الخلف وبذلك أصبح الجيش مكتنف بالاعداء من الجهات الاربع

الجنرال هكس وانصار المهدية يشنون القتال الى أن صرع تحت أقدام الحصان

أما المهدى فانه ما كاد يرى جنود الحملة المصريه حتى ترجل وصلى ركعتين . ومن ثم أصلت سيفه وهزه فوق رأسه . وقال الله أكبر ثلاثا . ونادى بأعلى صوته قائلا «احملوا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان أرواحهم مزملة ونيرانهم لافعل لها وانكم لظافرون عليهم باذن الله » فصاح الانصار صيحة عظيمة وهجم الفرسان مفوقين رماحهم ودوت الاسلحة النارية من الجانبين ولكنها مادامت أكثر من ٤٠ دقيقة حتى كانت العساكر المصرية كداسا من الجثث الهامدة . ولم ينج من تلك القوة إلا ضابطان برتبة الملازم ثانى هما محمد أفندى صلى من المنصورة وقد فر بعد ذلك من الخرطوم الى مصر وأحمد افندى عزمى الذى توفى قضاء وقدرا فى كردفان ووقع نحو ٣٠٠ جندى فى مخالب الأسر : وهؤلاء كانوا مخبوئين بين القتلى وبين دواب الحملة والغابات . وهناك قطعت رأس الجنرال هكس وقدمت الى المهدى وهذا أمر بها لترسل الى الابيض . وكان من شهداء أنصار المهدية يومئذ نحو ٢٠٠ فقط عدا الجرحى وكان من الامراء

١ الاستاذ ضياء الدين عبد الله رئيس النواب أى « القضاة »

٢ « الفقيه دفع الله بن عبد الحميد الزعيم الدينى لقبيلة الشويحات

٣ أبواميه من بطانة المهدى

٤ الطاهر « « «

٥ محمد النصرى البديرى

٦ عبد الرحمن النصرى «

٧ عثمان الحناق

٧ عبد الرحيم شاعر المهدى

ولقد عاد المهدى الى الابيض يتعثر فى اذيال الهيبة والوقار . وأكبر الناس فيه تلك الهمة والعبقرية النادرة اذ صارع تلك الحملة التى كان يقودها أمهر الضباط الأفرنج والمصريون وصرعها ولم تستطع البقاء أمامه ساعة . ولقد أذاع الى أمرائه بالجهات النشرة الآتية التى بعث بها الى عثمان دقنه فى ١٠ ربيع سنة ١٣٠١ الموافق ٩ يناير سنة ١٨٨٤ بعد البسملة والدباجة .

« ومن خصوص الخردة المصرية التى بلغكم أنها حضرت الينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأمر الله تعالى وقتلناها عن آخرها شر قتلة بما فيها من الرؤس الكبار

أحدهم علاء الدين الحكمدار [1] والثانى عكس النصرانى والثالث حسن . وغيرهم من الضباط . والآن جميع مدافعهم وأسلحتهم بيدنا . وهى شىء كثير جداً . وكان هلاك المذكورين فى يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ بجهة علوبه « شيكان » وعددهم كما قيل ستة وثلاثون ألفاً فانقرضوا فى أقل من ساعة واشتعلت النار فى أجسامهم بأمر الله السماوى . هذا وافيدونا بأحوالكم والسلام .

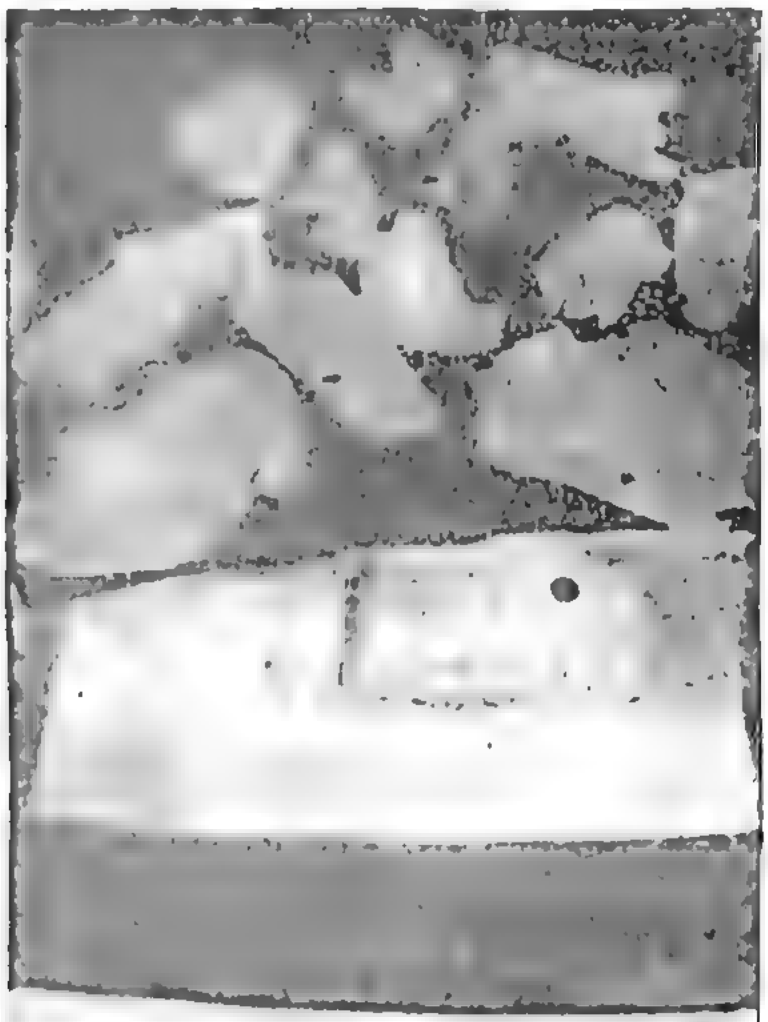

شظايا بالمدفعية المصرية المنتشرة على وجه الارض الى الآن ٧٠ عاما

(١) كان علاء الدين ضابطاً برتبة البكباشى فى الحملة المصرية التى سارت لحرب الحبشة فى سنة ١٢٩٢ هـ وقد ساورته الأوهام وظن انه لاينجو من القتل . ولما بلغت الحملة الى سواكن علم وجود رجل من الاولياء بها : فذهب له وبث اليه حاله وطلب منه الدعاء فقال الولى له . لاتخف فانك لم تقتل فى هذه الحرب بل يقتلك المهدى بعد ظهوره وقد كان

أما ما ذهب اليه بعض المؤرخين والكتاب من أن هذا الجيش العرمرم مات ظمأ أو انه لم يحارب السودانيين ليخضعهم لسلطه الانكليز فباطل ولا يقول به عاقل . وحاصل القول ان الجيش أدى رسالته بقدر الاستطاعة . ولكن أراد الله له ذلك الفشل العظيم فزلت به قدم الحكمة وهوى الى حضيض العدم هذا ولما وصلت مكان الواقعة وجدت على سطح الأرض طبقة من رفات القتلى ودواب الحملة تعلوها شظايا المدفعية المصريه فملأت منها جيوب جكيتتي وهي برهان على بطلان مزاعم المؤرخين القائلين ماتت الحملة ظمأ بدون جدوى.

رابح أو نابليون السودان

ولد رابح فى حى سلامه الباشا بالخرطوم حوالى سنة ١٢٥٠ هـ : ١٨٣٥ م وكان أبوه من الهمج ثم درس القرآن الشريف على الفقيه الهاشمى فى حلمايه الملوك . وتعلم القراءة والكتابه والحساب على غير واحد من موظفى حكومة مصر بالخرطوم . ثم سار الى بحر الغزال وانتظم فى سلك الكبانيات حتى صار « وكيل كبانة » ولما ضمت الكبانيات الى حكومة مصر وأعطى أربابها تعويضاً مالياً . جنح رابح فضل الله للخصومة فى كبانية الزبير باشا بشروط معلومة ، وهذه هى رابطته بالزبير باشا لا أكثر ولا أقل . القال عنه نعوم بك فى تاريخه . مولى الزبير خطأ ولما لم يتعرض أحد الى نقده صار قوله مرجعاً استدل به كثيراً من المؤرخين العرب والافرنج حتى لا تكاد تقرأ فى مؤلفاتهم اسم رابح الا وتجده منسوبا الى الزبير مع انها نسبة كنسبه الواو الى عمرو . فطالما رديت على الجرائد التى تمسكت بتلك النسبه فى جريدة المؤتمر بأم درمان وجريدة أم درمان بالقاهرة ان رابح ادن رجل حر لاشائبة للرق فيه. وقبله الهمج الذين هم وزراء مملكة الفونج فى سنار. كاد نفوذهم يقضى على سلطة ملوك الفونج كما هو مشهور ومتفق عليه بالاجماع . هذا ولما كان عليه من الحزم والعزم وأصالة الرأى ومضاء العزم أصبح قائداً من قواد الزبير باشا الذين تدفقوا معه بنار حروب دار فور . ولما اعتقل الزبير باشا بالقاهرة وترك جيشه تحت امرة ابنه سليمان بك الذى فعل افعالا دلت على الحمق وعدم الرويه كغارته على مديرية بحر الغزال وقتله عثمان ابو نائب المدير وأسره شاهين ابن ادريس بك ابن مدير بحر الغزال وفتكه بالنحر ونهب أموالهم الأمر الذى اضطر الحكومة الى ارسال حملة لجنى باشا

ى هزمته من ديم زبير وتأثرته الى بلدة غره فى دار قمر وبها سئم سليمان بك وجنح للسلام صح اليه رابح بان لا يسلم يده للعدو فلم يلتفت لنصحه . وهناك لوى رابح عنان فرسه وفارق ليمان الذى سلم لجسى باشا وكانت القاضية كما ذكرناه فى ترجمة جسى .

أما رابح فضل الله فانه سار بألف مقاتل الى بحر مأمون فأغار على قبيلة قلا التى كانت شر على ضفافه فأخضعها وأقام بينها ٣٠ يوماً ثم استأنف سيره الى بلدة كفاً وكان يقيم بها م من رنقا لهم سلطان يدعى هاشم أبو حقيقه الذى خرج فى جمع عظيم من رجاله لصد رابح الدخول الى بلاده وقد حدثت بينهما حرب هزم السلطان هاشم أبو حقيقة وجيشه بعد خسائر فادحة فغنم رابح شيئاً كثيراً من المؤن والماشية

تسليم السلطان السنوسى ابكر

كان السلطان السنوسى أبكر يقيم فى بلدة كنى وتخضع له قبائل شتى فلما بلغه قدوم رابح له بلا حرب وقدم له كثيراً من الهدايا والطرف وتزوج رابح باحدى كريماته وكذا ج فضل الله رابح باختها واقام فى كنى نحو ٢٤ شهراً اقتنى فى عضونها شيئاً كثيراً من الاسلحة نارية وجند جنداً جديداً مرنة على استعمال السلاح النارى وغادر كنى

وفى يوم ١٠ محرم سنة ١٣٣٢ هـ جاءت اليه شركة فرنسيه تزعم انها تتاجر بالاسلحة الذ خائر وكانت هذه من انفق السلع هناك لان البلاد كثيرة الصيد والغارات بعض القبائل على بعض نت هناك جاليه من عرب السودان تجار شاهدوا الكابتن الفرنسى مدير الشركة اهدى الى لطان السنوسى أبكر نحو ٢٠٠ بندقيه و ١٠٠ مسدس ومدفع فادرك البخيت الشاعر الجعلى ان نسيين انما يستدرجون السلطان لاستعمار بلاده فحذره بقوله

لا تأمن ناساً خاتنين قباح ... أولادك لابسين فشيك شايلين سلاح

آدم أبو أم كلثوم ولدت نجاح ... مضمون يفدى الطير عند الصباح (١)

(١) آدم أبو أم كلثوم أكبر أبناء السلطان وقائد جيشه

— با من خلب

ثم قال

لا تأمن ناساً خائنين كفر ... من ربنا الوهاب جاك النصر

آدم أبو أم كلثوم ولدت قمر ... مضمون يفدي الطير عنده الفجر

الا ان السلطان قال لايعقل ان من يضمر لى سوءاً يهدينى سلاحا وفى ذات يوم قدم اليه الكابتن الفرنسى ومعه ٦٠ جنديا يحملون صناديقاً من الذخيره ثم وقف الكابتن على باب السلطان السنوسى وأخذ فى مخاطبته بما جاء به وهناك اخرج الساعه من جيبه وقال الوقت أزف فالاولى أودعكما وأعاد الساعة لجيبه وأخرج منه مسدسا أطلقه على جبهة السلطان وكذا على ابنه وكان الستون جنديا يحملون بنادقهم فرموا الصناديق وصعدوا على هضبة وسط القريه ونادوا السكان بان كل من يخرج من منزله يضرب بالرصاص

حربه للسلطان كرونلس Kronlos

هذا من سلاطين قبائل البنده يقيم فى بلدة أنقبو بالكنغو الفرنسيه سار اليه رابح وأغار على بلاده فهزم البنداويين وسبى وغنم . وأقام بها مدة فصل الخريف وغادرها

حربه للسلطان دنبقو Dunbugwa

هذا سلطان قبيلة منجا بالكنغو الفرنسيه تقيم فى جبل كفشو فأغار رابح على هذا واخضعها ثم فرض عليها الاتاوة وأقام بها حتى ختن أولاده وظل سنتى ١٣٠١ و ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ م وجند كثيراً من الشبان المردان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٠ سنة

قتله السلطان جلبو Gulbabo

هذا سلطان قبيلة سارا التى تقيم فى بلدة أنقاما بالكنغو الفرنسيه. فسار عليه رابح فى جيش جرار فقابله السلطان برجاله المسلحين بالرماح والنشاب وقد حدثت بينهما حرب هائله قتل

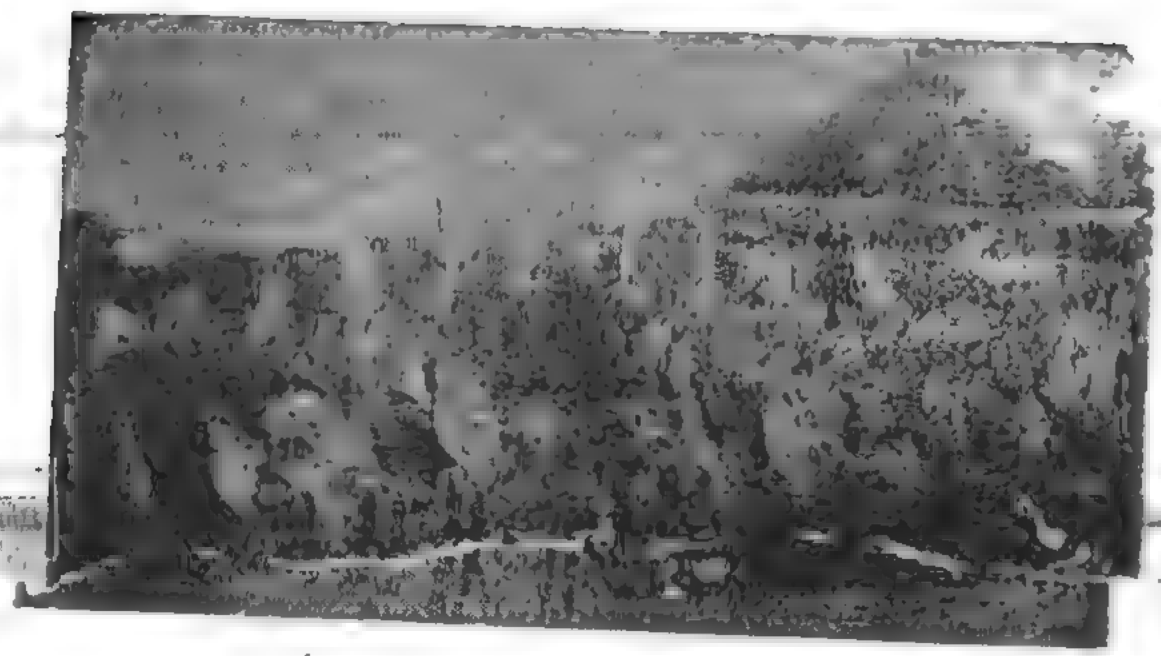

رابح فضل الله يقود طائفة من البارتقى فى بحر الغزال

ن الاان

رده وهناك

ابا من خلب

بها السلطان وهزم جيشه فأقام رابح في بلاد أنقاما كل سنة ١٣٠٣ هـ : ١٨٨٦ م

احتـــلاله بلدة دنذى Denzi

كان فى دنذى سلطان يدعى اندمانى سار اليه رابح فتقدم السلطان لقائه ورده عن دخوله فى بلاده وبعد مناوشة بسيطة شعر اندمانى بضعفه عن المقاومة فسلم لرابح فدخل رابح بجيشه فى دنذى وأقام بها قليلا فصادف ذلك وفاة السلطان اندمانى قضاء وقدراً فعين رابح ابنه السلطان نجيه بدلا عن والده وضم السلطان الجديد الى جيشه وكان بتبعه نحو ١٠٠٠ مقاتل من أهله

حربه للسلطـــان كادى Kadi

كان السلطان كادى رجلا جباراً فى حدود سلطنته باقرما فاغار رابح على كادى الذى حاربه قليلا ثم هزم واعتصم بالجبال فظل رابح يحصره ستة أشهر بدون جدوى وقد بلغ جيش رابح نحو ١٠٠٠٠ مقاتل فى ذلك الوقت

احتـلاله ضفـــاف بحر اردە Arda

كانت تقيم فى بحر أردە قبيلة سارا وكان سلطانها يدعى جقو الذى فر من بلاده فاحتلها رابح بدون حرب وعناء . ولكنه تعذر عليه ان يعبر بجيشه ذلك البحر فاخذ رجاله يقطعون الاخشاب ويصنعون مركباً حتى اتموها وجازوا بها على الضفة الثانيه

قتله السلطان ام بندای ووصوله رسل المهدية Banday

كان هذا سلطان على قسم من سارا فعزاه رابح وبعد حرب بسيطة هزم الساريون الاان رابحاً طاردهم ستة أيام وبعد ذلك لحق بهم ثم قتل السلطان وعاد فأقام فى بحر أردە وهناك أدركه رسولان من خليفة المهدى وهما أحمد الجابرى وادريس محمد يحملان كتاباً من خلفه

المهدى وراتب ورايه. وكان الكتاب يدعوه فيه الى الانضمام اليه بأم درمان ومبايعته على جهاد الكفار وأخبره بدوال دولة مصر التركية واستقلال السودان من النير التركى ....الخ. ولما كان خروج رابح هو فراراً من عداء الحكومة جمع اطاعة المهدية وعاد بجيشه مع الرسولين الى بلدة ربو بالكنغو الفرنسيه وبها قابله رجلان أيضا وهما الفكى فوح المحمى والشريف أم دقور السيرناوى فسألهما عن الحالة فى أم درمان . فقالا له عن الفوضى الضاربة أطنابها واستئثار التعايشة بالسلطه دون غيرهم . وقالا له انك إذا وصلت أم درمان بجيشك هذا فأول شىء تقابل به تجريدك من مالك وابعادك عن رئاسة هذا الجيش وان عارضت فى ذلك اعتبرت معارضتك خروجاً من الدين ومخالفة لجماعة المسلمين. وهناك الويل الثبور من عاقبة الأمور !! فقال إذن وجب على أن لا أسلم يدى لرجل واحكمه على حياتى بعد هذه الحرية المطلقة فخجل رسل المهدية ورفض الرد على كتاب الخليفة وقفل راجعاً.

رابح والسلطان بنداس

السلطان بنداس هو والد السلطان سعيد بنداس [1] سلطان قبيلة كريش . وكان بنداس يقيم اذ ذاك فى بلدة كابا بالكنغو الفرنسيه وله جيش عظيم مسلح بعضه بالاسلحة النارية . فسار اليه رابح وحاربه حرباً دامت من الساعة السادسة صباحاً الى مابعد الزوال . وأخيراً اضطر السلطان بنداس الى الاذعان وضم بجيشه المسلح بالاسلحة النارية الى جيش رابح . ثم عاد رابح بجموعه الى كتى وأقام مع صهره السلطان السنوسى أبكر بدار رنقا الى نهاية خريف سنة ١٨٨٧م.

حربه للسلطان وقى Wugai

فى سنة ١٣٠٨ هـ : ١٨٩١ م

وقى سلطان قبيلة بوُ التى هى قبيلة عظيمة خاضعة لسلطته باقرما فقد سار لغزوها رابح فى

---

(١) السلطان سعيد بنداس جمعتنى به محاسن المصادفة فى رابها سنة ١٣٤٣ هـ : ١٩٢٥م فرأيت منه رجلا طويل القامة كبير الهامة مشلخ الحدين فصيح اللسان وقوراً يدين بالاسلام صحيح الاعتقاديه ليل كان ملوكا لأحد الدناقلة فى عهد كيانات بحر الغزال . وكان سعيد هذا متوقد الذهن أخذت عنه تاريخ قبيلة كريش وقد ث عليه حال سفرى لسكنا كنجى فى أغسطس سنة ١٩٢٥ فقابلنى فى ضيافته بنهر بورو وقد احضر لى الموسيق به التى كان يستخدم بها نحو ٤٠ شاباً جلب لهم المدين على نفقته لكانت تعزف فى فترات بلحن بديع ت ضيافته تغمده الله برحمته

آواخر سنة ١٣٠٨ هـ . ولقد خرج لمقابله السلطان وقى فى نحو ١٠٠٠٠ مقاتل كان منهم ١٠٠٠ فارس من الكماة المرتدين الدروع والخوذ وقد حدثت بينهما حرب هائلة خسر فيها الفريقان خسائر فادحة ولكن لم يقو السلطان وقى على الثبات أمام عدوه بل هزم بجيشه وانضم الى سلطان باقرما الذى غضب لدخول رابح فى حدود بلاده وحشد جيشا جرارا وتأهب لحربه

أول حروب رابح للباقرما

لما بلغ السلطان عبد الرحمن قورنه سلطان باقرما قدوم العدو انتدب سرية عظيمة تقدر بنحو ١٠٠٠٠ مقاتل كان ٦٠ ٪ من حملة الاسلحة النارية وما بقى من الفرسان المدججين . سارت هذه السرية حتى قابلت رابح فى أثناء زحفه على باقرما وكانت القيادة العامة للسلطان وقى فتقابلا بين غابات كثيفة عوقت هجوم الفرسان وكان الحرب يومئذ لحملة الاسلحة النارية الذين ثبتوا ثباتا مدهشا نحو خمس ساعات تدهورت بعدها همم الباقرماويين وهزموا هزيمة شنيعة ووقع قائدهم السلطان وقى فى الاسر ولكنه افتدى من رابح بان قدم له ١٠٠٠ حصان ذكر و١٠٠٠ ثور من البقر لمؤن جيشه فأطلقه رابح بعد ان أخذ عليه عهداً بان لا يعود لحربه ولا يساعد عليه عدواً . ومن ثم سار رابح الى بلدة أندام من أملاك باقرما وأقام بها كل سنة ١٣١٠ هـ . بعد ان مد رواق نفوذه على عشرة سلاطين وفرض عليهم الجزية فكانوا يؤدونها عن طيب خاطر

مـــرض رابـــح

ان الجهات التى كان يوغل رابح فيها كانت كثيرة المستنقعات رديئة المناخ وقد يصادف هطول الامطار عليه فى أثناء سيره فأصيب بالحمى الملاريا لازم الفراش بها ٩٠ يوما . ولما بلغ درجة اليأس استدعى أمراء جيشه وأخبر وكيله المدعو حسن الدنقلاوى على مسمع منهم على انه يجب ان ينوب عنه فى رئاسة جيشه نجل الله نجله الاكبر ويبقى نظام الجيش كما كان اولا فأجابوه بالسمع والطاعة ودعوا له بالشفاء والعافيه . وقد من الله عليه بالشفاء . واستأنف أعماله الحربيه

غزوه السلطان سمراى Sumary

كان هذا من أهم سلاطين سارا . زحف رابح بجيشه عليه فقابله سمراى فى حدود بلاده ولما كانت البلاد ذات حصون طبيعيه تمكن أهلها من الدفاع ثلاثين يوما وبعدها هزموا ودخل رابح بلادهم ظافراً منصوراً

حربه للسلطان عبد الرحمن قورنه Gawrana

توجة رابح بجيشه نحو السلطان قورنة سلطان باقرما الذى رأى من الاوفق لقاءه بعيداً عن عاصمته لكى لايزعج العائلات والأطفال بدوى السلاح فخرج فى جيش كثيف وسار فى الطريق الآتى منها العدو حتى قابله بعد مسيره ثلاثة أيام من العاصمة وقد حدثت بينهم حرب فى بلدة بقلما يوما كاملا من شروق الشمس الى مغيبها وبعدان أرخى الليل سدوله فر السلطان عبد الرحمن قورنه بعد خسائر جسيمة وما كانت خسائر رابح بأقل منها فأقام رابح الدفن القتلى وتعديد كلوم الجرحى

حصر مدينة مسجا Musja

هذه مدينة عظيمة تقع فى يمين بحر شارى تحاط بسور سميك له سبعة أبواب مسماة باسماء أيام الاسبوع أى باب الأحد وباب الاثنين وباب الثلاثاء وهلم جرا ولكل باب من تلك الابواب حجاب وخفراء والعادة انها تقفل الأبواب المذكورة فى مساء كل يوم وتفتح فى الصباح سواء فى ذلك أيام السلم والحرب . وكانت العاصمة قديما منجفا ثم نقلت الى مسجا ثم نقلت أخيراً الى جمكنا وتقع الأخيرة فى شاطىء البحر الرقيق الذى هو فرع من بحر شارى .

وسكان هذه العاصمة يرجعون فى أصلهم الى كنانه ولكنهم سادوا على كثير من قبائل الزنج فأكثروا من السرارى ونسلوا منهن أولاداً تلاشت فيهم الملامح العربيه وكونوا من اللغات المجمى لغة خاصة يتكلمون بها ويعرفون العربية بطريقة لاتخلو من شائبة اللحن . بدين الباقرماويون بالاسلام وانهم يابسون فى الاعتقاد به وكثير منهم حفاظ القرآن الشريف .

ولهم سلطنة قديمة كان أول من تولاها السلطان عبد الله ولما توفى خلفه ابنه رابحا وبعده صار السلطان لاونى. وفى عهده حاربه البرناويون وأخضعوه وفرضوا عليه الجزية ثم السلطان بوغاندة . Bugamanda ثم السلطان الحاج محمد الامين وكان هذا عادلا حسن السياسة ثم خلفه ابنه عبد الرحمن وفى عهده أغار عليه السلطان عبد الكريم صابون سلطان وداى وانتزع بلاده من سلطنة برنو وفرض عليها الضرائب وذلك بعد ان قتل السلطان عبد الرحمن ويقال كان السبب فى غارة سلطان وداى سوء سيره عبد الرحمن الذى تزوج باخته وانغمس فى الموبقات بالرغم من نصح العلماء له وهناك كتب الشيخ محمد السكانى الى السلطان عبد الكريم حرضه عليه . ثم ولى ابن السلطان المقتول ولكن بعد سفر سلطان وداى قبض عليه أخوه الأكبر المدعو عثمان فسمل عينيه ونادى بنفسه سلطانا على باقرما . ولما سمع سلطان وداى عاد مرة أخرى وحارب عثمان وقبض على أخيه الاعمى وأغرقه فى بحر شارى وجلس مكانه وكان عثمان شديد الوطئة جاف الطبع فخلعه البرقاويون وولوا أخاه الحاج فرجع عثمان الى سلطان وداى الذى عفا عنه وأعاده لملكه بعد ان زاد عليه الضرائب . ولما رأى سلطان برنو صم باقرما الى وداى غضب واستعان بيوسف باشا والى طرابلس الذى انجده بجيش يقوده مصطفى الاحمر من عرب الفيزان فاختلط هذا الجيش مع جيش برنو وهاجما الباقرماويين فى سنة ١٢٩٠ هـ : ١٨٤٥ م فخلفه ابنه عبد القادر الملكنى بابى سكين ثم السلطان عبد الرحمن قورنه الذى حارب رابحا . ويعده ابنه محمد شروما . هذا ولنرجع الى مانحن بصدده فنقول .

لما وصلت قوات رابح الى هذه العاصمة وجدت السلطان عبد الرحمن قورنه تحصن فى سور المدينة وأوصد الأبواب واخذ يدافع بحذر وحرص منذ جمادى الأولى سنة ١٣١١ هـ

إستنجاد باقرما بالسلطان يوسف

لما اشتد حصر رابح لعاصمة باقرما طلب السلطان عبد الرحمن قورنه معونة السلطان يوسف سلطان وداى الذى انجده بجيش بقيادة كاول السحر ومعه بعض أعيان البرقو فسارت تلك النجدة إلا أن رابحا ردها بعد حرب خسر فيها البرقاويون خسارة فادحة وهزم كاول السحر ومن معه فغضب السلطان يوسف وارسل جندا آخرا بقيادة جرما

عثمان الذى وجد رابحا اجتاح المدينة وطرد سلطانها وسار الى بلاد برنو فاضطر جرما عثمان ان يسير بجنده الى جبل أبى تلفان الذى كان عاصيا فأخضعه وعاد لا بشى أما طريقة دخول رابح العاصمة فكانت كما يأتى

احتلال رابح لمدينة مسجا وطرده سلطانها

فى ٣٠ شعبان سنة ١٣١١ هـ

ارسل رابح بضعة أشخاص من رجاله المصلحين فى الثلث الأخير من الليل وكان أحدهم يفهم لغة باقرما . فساروا يتخللون فى جنح الظلام حتى وقفوا قريبا من أحد أبواب المدينة وهناك تقدم الرجل الذى يفهم لغة باقرما وخاطب خفير الباب بلغته من الخارج يرجوه بأن يفتح له الباب . فسأله الخفير بقوله من أنت فأجاب بقوله انى فلان خرجت لابحث لاولادى شيئا من المؤونة حتى وجدت قليلا من الذرة وها أنا جئت متأخرا فاغتر الخفير وفتح له الباب فما كاد يفعل حتى انقض عليه الرجل بعنف قضى عليه ودخل رفقاؤه فأجهزوا على الخفراء وصاحوا صيحة مزعجة ومن ثم هجم فرسان رابح حتى دخل نحو ٣٠٠٠ فارس مفوقين رماحهم وتلاهم حملة الاسلحة النارية وهب سكان المدينة من سبات عميق واشتبك الفريقان فى حرب بين الأزقة والشوارع . ولما شعر الباقرما بتحرج الحالة هربوا مع نسائهم وأولادهم الى الغابات بعدان تركوا أكداسا من القتلى والجرحى . وقد خسر رابح خسارة عظيمة اذ كان ضمن القتلى من جيشه حسن محمد الدنقلاوى القائد العام لجيشه . كان حسن محمد مربوع القامة نحيف الجسم خفيف اللحية طويل الشاربين وسيم الطلعة يقال كان ماضى العزيمة لايبالى بالمكاره . وأحد الجمل التعيشى أحد قواده وأقبى الكريشاوى من رؤس المئات . وقتلت يومئذ أم كلثوم بنت البيجا التعيشية الحكامة التى كانت تحرض الجيش على الهجوم وتهجو الجبان بأغان مؤثرة وقتل ٣٩٠ جنديا من عامة الجيش ويقدر الجرحى بنحو ٥٠٠ رجلا . فأسف رابح وجيشه لوفاة حسن الوكيل واحتفلوا بدفنه احتفالا عسكريا منظما حيث نكست الاسلحة وأطلق على قبره ١٠٠ خشخاش . أما جيش الباقرما فقدرت بنحو ٦٠٠٠ بين قتيل وجريح . فاشتغل جيش رابح بدفن القتلى وفى اليوم التالى جاز بحر شارى قاصداً بلاد برنو . هذا وعين أبو بكر أحد العبد لابى وكيلا لجيش رابح بدلا عن حسن محمد الدنقلاوى

تسليم السلطان صالح

بعد اجتياح باقرما سار رابح قاصداً مملكة برنو ولكنه رأى ان يخضع السلطان صالح فى مدينة لوقن Lugin وكان لهذه المدينة سور عال له باب واحد لا يمكن الهجوم عليها فارسل رابح بعض رجاله الذين يأتون اليها جماعات وفرادى بصفة تجار حتى تكامل فى لوقن نحو ٥٠٠ رجل يدخلون أسلحتهم بداخل جربان . وكان لأولئك الاشخاص سلع مختلفة فأخذوا يرفعون حالة البلاد لرابح ولما أراد الهجوم على الوقن أمر السلطان صالح بقفل باب السور فأسرع جماعة من أهل المدينة لاجراء ذلك إلا أن الخمسماية شخص وقفوا دون الباب بأسلحتهم وحالوا بينه وبين الذين أرادوا قفله وعندما دخلت مقدمة جيش رابح اضطر السلطان صالح الى الاذعان وأخرج الاغذيه للجيش وبالغ فى أكرامة ودفع لرابح ٣٠٠ بندقيه معها الجبخانه اللازمة و ٣٥٠ حصانا فأمن رابح ذلك السلطان وقبيلته المسماة « كتكو Kattako »

رابح وهاشم سلطان برنو

فى سنة ١٣١١ هـ — ١٨٩٤ م

برنو قبيله عظيمة ترجع فى أصلها الى حمير ولكنها هاجرت الى نجيريا فى أوائل التاريخ الهجرى . ثم اختلطت بقبائل الزنج واقتبست من لغاتها لغة خاصة . وانها تدين بالاسلام وتعمل بتعاليمه ويكثر فيها العلماء والصلحاء . ولمكولها تاريخ مملوء بعمل الباقيات الصالحات .

كان سلطانها هاشم يهيمن على قبيلة كتكو فغضب لاحتلال رابح لها فارسل جيشا جراراً بقيادة نائبه الفقيه محمد طاهر الذى زوده بتعليمات تقضى عليه بالزحف على كتكو واسترجاعها من العدو بعد القضاء عليه أو على الأقل طرده عن حدود مملكة برنو !!

ولما بلغ رابح قدوم الفقيه محمد طاهر نائب سلطان برنو مسع غازى وكان [illegible] سار بنصفه للقاء البرنو فى أثناء طريقهم الى كتكو . وترك النصيق وماشية وذهب ود شكو لاجل المحافظة على لوقن . وكانت قوة رابح تتألف من الجيوش بطريقه عادله من جنود البازنقر المسلحين بالبنادق . فسار رابح حتى تقابل ؟

« بلقى Balgai » حيث يسكن عرب بنى حسين . وذلك بعد ان أرسل رابح بشارة خراج التعيشى ومعه ٤٠٠ جندى ليجمع ذرة فى بلدة سنقاى إلا أن بشاره هذا شاهد زحف البرنو على بلدة بنقى فعاد مسرعا وأبلغ رابحا بقدوم العدو . ولضيق الوقت لم يستطع رابح عمل أى استحكام للوقايه من المفاجآت بل أمر جيشه بالاستحكام فى الخور الذى هو واد اعترض طريقه وما كاد يكمن به حتى شاهد منظرا هائلا يعقد الغبار أكاليلا على رأسه ترى به الرايات والاعلام وكان للأسنة وميض كوميض الكواكب . وكان زعماء البرنو يومئذ أبكر زبيدا وعبد المسلامى وعثمان بنومى ومحمد كلى وخلافهم . فما كاد يدنو البرنو من مكمن العدو حتى هجموا هجوما عنيفا تحت وابل من نيران العدو التى برحت بهم تبريحا فظيعا حتى تغيرلون الماء من دمائهم وصارت الجثث أكداسا على حافة ذلك الخور وهناك اضطر البرنو الى الهزيمه وقامت فصيلة من فرسان رابح بقيادة اساغه رشدان الحيادى الذى أخذ يطارد البرنو حتى أدرك الفقيه محمد طاهر الذى هجم عليه احمد شطه الموراوى فركب فى ظهر حصانه وقبض عليه من خلفه وسقطا معا على الأرض وهكذا رجل بعض فرسان رابح وساعدوا احمد شطه فى تجريد نائب السلطان عن سلاحه وجيء به الى رابح وكان معه شقيقه ابراهيم . وقد قدرت خسائر البرنو بنحو ٥٠٠٠ قتيل و ٧٠٠٠ جريح وغنم رابح ٣٥٠٠ حصان و ٢٠٩٠ بندقيه أما الفقيه محمد طاهر فسيق الى حلة أم حبيو وهناك أمر رابح باعدامه فعدم

السلطان هاشم والتعبئة العامة

نشر السلطان هاشم الدعاية العامة الى الجهاد واخراج العدو من البلاد وما كادت تمضى ١٥ يوما حتى حشد حوله نحو ١٠٠ الف مقاتل منها ٥٠٠٠ يحملون الاسلحة النارية و ٢٠ الف من الفرسان المدججين و ٣ مدافع . سار السلطان هاشم بجيوشه الجرارة الى بلدة أم بولو وأقام هناك حتى زحف عليه رابح فى ٨٠٠٠ جندى بازنقر ونحو ٣٠٠٠ فارس تخفق امامه ٣٦ رايه . وفى يوم ٣٠ رجب سنة ١٣١٢ هجم رابح وابتدر البرنو باطلاق النار عليهم فرجيشه لوهال وقابله البرناويون بدفاع باسل ودام ضرام الحرب وأظلم نسلست الاسلحة وأطاق الساعة ١٢ مساء وهناك خارت عزيمة البرنو فهزموا مستترين ٦٠٠٠ بين قتيل وجريح . وثلثة مدافع و ٦٨٠ بندقيه وجدت ميسرة بين جثث المقتولين شارى قاصداً بلاد برنو سيرا من الأمتعة والخيل وغيرها أما خسائر المتحاربين فكانت

عظيمة جداً . هذا وقد عاد هاشم لعاصمته المسماه « ككر Kukwa » فاقام بها ٤٦ ساعة فقط وغادرها فاراً الى بحر الكحل غربا على مسيرة ٨ أيام من عاصمته . وجمع هناك فلول جنده وتأهب للمقاومة عند سنوح الفرصة . وذلك بعد ان أدركه رابح فى أثناء الطريق فسبا ٨٠ امرأة من السرارى والجوارى و ١١ من بنات السلطان و ١٠ من أولاد السلطان هاشم كان منهم أباكاكى أكبرهم وولى عهد السلطنه و ١٨٠ جملا كانت محملة بامتعة السلطان وأمواله

(رابح واولاد السلطان هاشم)

لقد عامل رابح أبناء وبنات السلطان هاشم معاملة لم نسمع بمثلها عند أعظم الأمم المتمدنة لانه عفا عنهم وجعل أباكاكى أميرا على قبائل البرنو وضم اليه كل بطانته وارقاءه أبيه وأطلق يده فى ادارة شؤون البرنو وأهداه حصانا واذن لأهله فى تعظيمه كما تقضى بذلك تقاليد اسلافه ثم اذن له بان يقيم فى قصر ابيه وعاصمته وأسس رابح له عاصمة أخرى أسماها « دكو Dikwa » أقام بها جامعا فخما بديعا .

الاحتفال بالنصر

لقد أقام رابح مهرجانا عظيما زانه بأقواس النصر وأطلعت المدافع والخشاخين وسائر الاسلحة حتى هرب بعض البرنو الى الغابات ظانين ان الأمير رابح يريد استئصال شافتهم . ولكنهم عادوا لما سمعوا عزف الموسيقى والآلات . وختم ذلك بتلاوة القرآن الشريف والدعاء بنصر الأمير

الغنائم

أصدر رابح أمراً يقضى بأن كل من غنم شيئا فهو له ماعدا ١٠ / تعطى الى بيت المال الذى عين له أمينا يدعى الحاج عمر القطرونى من عرب بنى غازى وكان رجلا عفيفا طاهر الذمة . وكان هذا هو المسئول عن بيع الغنائم من رقيق وماشية وذهب وفضة وخلافه واستلام الضرائب من عمال السلطنه والصرف على الجيوش بطريقه عادله واليك تقسيم البلاد الى مناطق وتوزيع العمال عليها

اسماء العمال	اسماء البلاد	اسماء البلاد بالانكليزى
بابكر حماد	بقرا	Bagara
جباره الدنقلاوى	انقلقاتى	Angalgati
حمدين التعيشى	قيدوم	Oeidum
قرقر التعيشى	كروارو	Karawaro
فضل المولى رابح	بريرى	Bereri
الشيخ ذهب سلامى	ماقرى	Magemri
قادم أبو حلوم الهبانى	كويام	Kuyam
كبسون مولى رابح	برقمان	Burguman
فضل الله رابح	مايدكورى	Maydiguri
تكارما محمد الهوارى	كندقا	Kunduga
أحمد عديل الهوارى(١)	يالى برى	Yali Bari
طه محمد على الهوارى	بامنا	Bama
محمد رابح	يالى قرو	Yali Ouro
حاج قيسو البرناوى	برارى	Barari
كشالله عبد الله البرناوى	قجبا	Oujuba
مرحوم مولى رابح	باديه العيسيه	Aisia
اساغه رشدان	والوجى	Walugi
سرور مولى رابح	لقمنى	Lugmani
رزق مولى رابح	الحمادية	
أحمد الجابرى	عموم فلاتا	
ادريس الهوارى	باديه القوالمه	Elgwalma
على قوروك	ولكى	Wilkal
أحمد ود الحاجه	انقلا	Angala
الفقيه أحمد كبير	مرتى	Marti
الفقيه أحمد صغير	كلدى	Kuldla

(١) هذا صور رابح واحد ضباطه اجتمعت به فى كفا كنجى سنة ١٩٢٥ وهو راوى القصة

اسماء العمال	أسماء البلاد	أسماء البلاد بالانكليزى
حياتو	كره	Kuwa
بنداس سلجك	مافيو	Mafo
ريحان قدح مولى رابح	قسوا	Guwa
دفن سامى	ميلمر	Mılmar
شريف عجله	وشم	Wishum
أحمد ابراهيم أبو سمهم	يو	You
مالك حميس	كسرى	Kus-i
أبو منه	قلفى	Gilfay
عبد القادر أبو سكين	شسوى	Shawa
رحمه	أفدى	Afdi
بشاره حسراج	كبو	Kabo
آدم ولقيا	ولكا	Walka
أحمد العره	مقندنى	Magandam
مرجان	أندقيا	Andgia
جسرما	جبل	Gebel
محمد صالح	زقاق	Zugagi
محمد أحمد سليمان	جقلا	Gigla
حمدان سيرى التعيشى	قوز الفول	
على ابراهيم	جلبى	Gulbi
عشر	أندفو	Andafo
لقمان	سنعيا	Sanaia
توبو مولى رابح	قرى	Gorzy
عبد الله أندمره	لقمنى	Lugmam
عيسى	سقما	Sugama

وكان عمال رابح يحصلون على الضرائب برفق وسهولة ويقدمونها الى أمين بيت المال بدون كشوف . وليس على أحد رقيب فى عمالته . بل كانت الثقة متبادلة بطريقة لا تكاد توجد فى العالم . فبالرغم من كون الحكومة جديدة ولا تعرف شيئا من النظام . فقد سارت فى أعمالها سيرا مرضيا من الأهالى . وكانت الايرادات تكفل نفقات الحكومة ولم يختل التوازن بين الايرادات والمصروفات . ولم يتضرر الأهالى من جور وارهاق كما هى الحالة فى جميع حكومات العالم إلا من هدى الله وقليل ماهم .

« القضـــاء الشـــرعى »

لقد اختار رابح فضل الله مجموعة من العلماء كانوا من اخلاط الأهالى وجعل عليهم رئيسا يدعى الفقيه أحمد كبير وناط بهم النظر فى الخصومات التى تقوم بين الأهالى وكان القانون المعمول به مذهب الامام مالك بن انس . ونائب رابح هو المسئول عن تنفيذ الأحكام الشرعيه

سلطان برنو

ما كان لرابح لقب طول زمن تلك الحروب التى اجتاح بها كثيراً من الغرب ولكنه عندما انتهى به المطاف الى مملكة برنو التى أخضعها لحكمه نودى به سلطانا على برنو وملحقاتها . وهنا عقد مجلس من زعماء جيشه للنظر فى الانظمة وشعار السلطنة فقال فريق بان يلبس رابح تاجا من الذهب ويقال عنه « سلطان سلاطين العرب » وذهب آخرون على انه لا يصح ان يلبس ملك مسلم تاجا من الذهب ولا أن يلقب بسلطان السلاطين أو شاه شاه وانما اللائق المستحسن ان يلقب رابح بسلطان برنو وملحقاتها وان يرتدى الجبة المرقعة وعمامة مقصبة تلف بطريقة عمامات الهنود وان تكون فوقها ريشات ظاهرة ويصبح ذلك شعاراً خاصا بسلطان برنو اما الضباط فشعار العظيم منهم ان يكون بقربوس سرجه جوز طبجات وواحدة لغير العظيم ويرتدى عامة الجيش الجبب المرقعة حتى يظن الناظر اليهم انهم من أنصار المهديه .

ثورة البرنو وخلعهم السلطان هاشم وولاية « محمـــد جارى Jary »

ان البرناويين عزوا أسباب الفشل الى سوء تدبير السلطان هاشم وأرادو خلعه وتعيين ابن أخيه المدعو « محمد جارى **Mohamed Jary** » فرفض هاشم وتحزب له بعض البرنو وكان ذلك من أهم البواعث الى حدوث ثورة داخليه وفتنة أخذت بخلابيب الأمة ولقد اشتبك الفريقان فى حرب هائلة ذهبت بها حياة السلطان هاشم والذين ظاهروه كولاه « ملا آدم **Mulla Adam** » وغيره وقد عاز الحزب المعارض لهاشم ونادى بمحمد جارى سلطانا على برنو . وكان محمد جارى طويل القامة واسع المناكب ممتلىء الجسم مكسور أرنبة الأنف الحديث عاهه به فى حداثة عمره أخضر اللون جهورى الصوت وكان عالما واسع الاطلاع يعتبر فى الدرجة الأولى بالنسبة لعلماء برنو . وكان يلقب (بالقونى) وهذا لقب لا يطلق فى بلاد نجيريا إلا على المحققين من علماء التجويد . وهنا أجمع البرنو على الكر لاسترجاع بلادهم ودخول عاصمتهم قسراً بحد السيف . أما رابح فانه لما بلغه ذلك دعا جيشه المتفرق لجباية الضريبة وتأهب للقاء البرنو

رابح ومحمد جارى

لقد سار البرناويون فى جمع يقدر بنحو ٥٠٠٠٠ مقاتل بين فارس وراجل وكذا خرج رابح للقائهم فى نحو ٢٠٠٠٠ مقاتل وتقابلا فى بلاد القرعان . وقد حدثت بينهما حرب من الساعة الرابعة بعد الزوال الى الساعة السادسة ونصف مساء وهناك تراجع الفريقان لدفن القتلى وأعاده الحرب صباحا . وكانت اذذاك حرب هائلة إذ وقف جيش رابح فى هيئة مربع متساوى الأضلاع وكان لكل ضلع من اضلاع المربع قائد مسئول عنه فهجم البرنو على الضلع الذى كان تحت إشراف فضل الله رابح فاخترقوه بعد ان أصيب قائده بطعنة رمح فى ترقوته اليمنى حتى خرج لسان الرمح فى أبطه إلا أن رابحا كان يقف بقوة احتياطية فى وسط المربع فضرب فرسان البرنو حتى أخرجهم من بين المربع وسد الثلمة التى ولجوا المربع منها . وبعد نهاية الحرب أخذ يحقق فى سبب كسر الضلع ولما وجده كان تحت أشراف ابنه أمر بجلده ١٥٠ سوطا فعارض بعض الضباط بحجة

انه جرح جرحا خطراً ولا يصح جلده وهو فى مثل تلك الحالة . فأبى رابح إلا التنفيذ عليه ولو كان فى ذلك ذهاب حياته . فجاد فضل الله قبل دفن الأموات ووضع السلاح من أيد المحاربين . وقد خسر البرنو فى هذه المعركة خسارة فادحة وكان من قتلاهم أبا بدوى الذى هو من أمرائهم وخال السلطان محمد جارى ومالا ركنديمى مولى محمد جارى وكبير فواده وغيرهما من الأعيان

﴿ أسر السلطان محمد جارى وقتله ﴾

بات البرناويون قريبا من جيش رابح وعرضوا فى صبيحة الغد حتى ظنهم رابح انهم هاجمون عليه ولكن سرعان مانزلوا واشتغلوا بالأكل والشرب . فانتهز رابح هذه الفرصة وأمر جيشه بالهجوم عليهم فاضطر البرناويون الى الدفع ودارت رحى الحرب بينهما واشتد الطعن والضرب وتهور محمد جارى بهورا مدهشا حيث هجم ثلاث مرات يخترق صفوف الاعداء بحصانه مصلتا سيفه تحت وابل من نيران العدو حتى وثب اباشاب التميشى عليه وركب خلفه وقبض عليه بكلتا يديه وصرعه على الأرض فجلس السلطان مكانه ولم يبد دفاعا ولما رأى أخوه أبكر بونمى . ماحل بالسلطان نزل هو أيضا وجلس الى جانب السلطان محمد جارى أما جيش البرنو فانه هزم هزيمة شنيعة وتأثره رابح الى ان وصل بلدة كشقر حيث توجد عائلات البرنو فسباوغنم وعاد . وفى اليوم التالى قدم محمد جارى وأخوه أبكر بونمى الى السلطان رابح الذى أمر باعدامهما فاعدما حدا بالسيف وهنا نقول ان طريقة زعماء السودان فى الحروب عقيمة جدا تدل على الجهل باصولها . كيف يهجم الزعيم أو القائد العام فى طليعة جيشه تاركا تدبير شؤون القيادة معرضا نفسه لخطر الموت مع ان موته قد يكون من أهم أسباب الذعر فى جيشه . وليس أدل على ذلك من موت السيد محمد أخ المهدى فى وقعة الجمعة بالابيض وموت أحمد على فى واقعه غردت وموت الأمير يعقوب محمد فى واقعة كرى فكل واحد من هؤلاء كان موته سببا فى هزيمة من معه . مع ان القائد العام فى عرف الأوربا ويين يجب ان يكون مركزه بعيدا عن منطقة الخطر ولو ان ذلك لايمنع وقوع القدر المحتوم . ولكن اشتغاله بتدبير الجيش خير من هجوم لعمل عملا فرديا قد لايفيد الهيئة الاجتماعية باكثر مما يأتى به أحد العامة فكان اللورد كتشنر فى واقعة النخيله بأتبره يسير بعيدا عن الجيش ويعطى تعليماته الى ضابط اركان حربه وهذا يهجم بحصانه بقدر ٢٠٠٠ ياردة الى الامام حتى يتصل بجندى

بروحى صار أخيرا اليوزباشى « أحمد افندى خليل » ويفهم البروحى بأمر القائد ويقوم هذا بدورة فيهجم بحصانه حتى يقطع نحو ٢٠٠٠ يارده فيشرف هناك على كتائب الجيش منتشرة أمامه فيضرب البورى بالنوبة التى أمر القائد بها سواء ان كانت بالوقوف أو الهجوم وهلم جرا

توليه السلطان سندا ابكر وقتلة Abbakar Sanda

ما كاد يعدم السلطان محمد جارى حتى نادى البرناويون بأخيه سندا أبكر سلطاناً عليهم . وصاروا يتأهبون لغزو دكوى **Dikwa** عاصمة رابح الجديدة وكان بها وكيله بابكر حماد الذى استأذن رابحاً فى الزحف عليهم قبل وصولهم اليه فلم يوافقه رابح بل انتدب جيشاً يتألف من ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة قادم الحبشانى الذى سار ليلا ونهارا نحو ٧ أيام حتى وصل البرنو فى بلدة ودرو

وبعد باغتهم بحرب لم يقاوموا لها بل هزموا تاركين ٣٠ قتيلا ونحو ١٠٠ جريح ولم يخسر جيش رابح عدا أربعة قتلى وجرح نحو سبعة أشخاص كان ضمن الجرحى الضابط أحمد عدبل الحوارى صهر رابح وهو الذى أخذت أخبار هذه الحروب عنه . فكشف لى هذا الجرح فى يده الآن فكان منظره يدعو الى الدهشة والاستغراب لانه كان من طعنة رمح خرقت عظم عضده وسرج الحصان ودخل الرمح فى ظهر الحصان حتى صرع براكبه على الأرض . هذا وبعد ثلاثة أيام ارسل قادم ٥٠٠ مقاتل بقيادة عبد الرحمن مبروك الحوارى الذى تأثر السلطان سندا حتى أدركه فى بلدة مارق **Margai** وحاربه حرباً هزم جيش البرنو وأسر السلطان سندا أبكر وجاء به إلا ان البرنو أدركوه فى مساء ذلك اليوم وحاربوه حرباً دامت الى شروق الشمس ومن ثم تراجع البرنو بدون جدوى وواصل عبد الرحمن مبروك سيره بعد ان خسر ٤٠ قتيلا خلاف الجرحى وكانت خسائر البرنو أضعاف هذا العدد . ولما وصل الى قادم أمره بان يستأنف سيره الى ان يلحق رابحا فى بلدة دقيدم **Gaidam** . ولما بلغ اليها وقدم سندا أبكر لرابح الذى أمر به فقضت رأسه فى الحال ثم استدعى رابح قادم الحبشانى فوصل اليه فى بحر الو **Alaw** . ومن ثم عاد رابح الى دكوى

توليـــة السلطان محمـــد بقرادما

كان هذا من سلالة سلاطين البرنو وكان شجاعا أبى النفس وهو فى بلده دقردولى **Gardooli** .

فارسل رابح لحربه سريه تتألف من ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة جباره الدنقلاوى الذى سار اليه وحاربه مرارا حتى نفدت الجبخانه ثم احتفظ بما بقى منها وحفر خندقا أحاطه بزريبة من الشوك تحصن بها وكتب لرابح يطلب أنجاده بالذخيرة فارسل رابح له الذخيرة وكذا أنجده بجيش يقدر بنحو ٥٠٠٠ مقاتل بقيادة فضل الله رابح الذى عندما وصل اتحد الجيشان وهجما على البرنو هجوما عنيفا حتى هزم السلطان محمد بقراما الى بلاد كانم التى كان ماؤها أشبه شىء بماء البحر الاحمر لا يستطيع أحد الشرب منه عدا سكانه الأصليين

« عصيان سلطان مندرا Mandara »

المندرا قبيلة مهمة تتكلم بلغه خاصـــة وتدين بالاسلام . تسكن فى جبال شاهقة صعبة المسالك كثيرة المستنقعات رديئة المناخ . تقع تلك الجبال فى الجنوب الغربى من بلاد برنو على بعد ثلاثة أيام من ديكو Dikwa عاصمة السلطان رابح . وكان لهذه القبيلة سلطان يدعى أبكر يعنى « أبو بكر » وكان هذا كثيرا هوس سىء الظن . لما طرد رابح السلطان هاشما كتب للسلطان أبكر سلطان مندرا يدعوه الى التسليم فاذعن أبكر بدون حرب ولكنه رفض القدوم الى رابح ولكن لم يقبل رابح منه هذا الاذعان المحفوف بسوء الظن . فكتب اليه انذارا هدده فيه بالحرب ان هو لم يحضر اليه . فجرد عليه جيشا جرارا كان يتألف من ٦٠٠٠ مقاتل من حملة الاسلحة النارية و ٧٠٠٠ فارس من الكماة المدججين بالسيوف والرماح وعقد لواء القيادة العامة الى وكيله بابكر حماد العبدلابى الذى سار الى جبال المندرا وقد خرج السلطان أبكر لحربه وهناك نشبت بينهما حرب هائلة هزم فيها المندراويون بعد خسائر فادحة وقد أسر السلطان أبكر وكان رجلا ضخما هائل المنظر وذلك بعد ان قتل أربعة من أولاده وهم لول Lawal والياس وماينا بيا Mayna Biba وماينا سانقرى Sangori وقرابته الأكبر المدعو عمر الذى نودى به سلطانا على مندرا واعتصم فى جبل مرا Murra الذى هو اشبه بجبل مره فى دارفور لصعوبة مسالكه فأخذ أبو بكر حماد يحصره به ١٢ شهرا لم يستطع الوصول الى العدو ولم يرض العدو النزول اليه كما فعل أولا . وهناك سئم جيش رابح البقاء بين تلك الجبال فعاد به أبو بكر حماد الى ديكوى ولما قابل السلطان أبكر رابحا عفا عنه وسلمه نساءه وأولاده الصغار وأمره بالاقامة معه فى ديكوى ولما خرج رابح لحرب الفرنساويين قتل فضل الله رابح السلطان أبكر لاسباب سياسية

خروج حياتو محمد بيلو وقتله Billo
فرار جبريل مدعى خلافه المهدى

كان حياتو محمد بيلو من سلالة عثمان بن فوديو الذى كان من كبار العلماء العاملين ولعثمان هذا من جلائل الاعمال ماصيره فى طليعة أهل جيله علماً وفضلا إلا أنه دلت التجارب العديدة على ان أبناء الاولياء وسلائل الاتقياء يغترون بانكباب الناس على تقبيل أيديهم وظن البركة فيهم فيشعرون بالعظمة ويطمحون الى المالك فيعملون مايجعل القريب بعيداً والصديق عدواً لدوداً . مع انه لم تصل اليهم تلك العظمة إلا من طريق الانكسار وانكار الذات والتواضع لله جل شـــأنه .

هذا ولما سمع حياتو محمد بيلو بظهور المهدى وتدهور حكومة مصر أمامه فى سنة ١٣٠١ هـ ١٨٨٤ م كان أول من كتب اليه من نيجريا وآمن بدعوته . ولما علم قدوم السلطان رابح الى مملكة برنو سار اليه وانضوى تحت لوائه فرحب هذا به وأهدى اليه من المال والجوارى والغلمان ماجعله أحسن الناس حالا وانعمهم بالا وزوجه ابنته السيدة حواء .

ولما اشتغل رابح بحرب الفرنساويين وترك ابنه الأمير فضل الله رابح بالعاصمـــة جاء رجل يدعى جبريل الفلاتى مدعى خلافه المهدى المنتظر وهنا يجب ان نأتى بفذلكة وجيزة عن تاريخ حياه هذا المدعى فنقول ولد جبريل الفلاتى فى مدينة أرداوه من أعمال كتاقم الواقعة فى شاطىء نهر كتاقم المنسوب اليها

كان جبريل من رعاة الغنم جاء ذات يوم فى مأتم فصرع أمام الناس وقد حمل الى داره وهو لايعى شيئاً . ثم حدث به جذب وصار يتكلم كلاماً لاينفق مع المعقول وبعد زمن يسير صار يدعى الولاية والصلاح وأعقب ذلك بقوله انى خليفة المهدى المنتظر، فالتف حوله ٣٧ رجلا من الفلانا وهناك قال انى أمرت بجهاد قبائل الزنج الوثنية شرطا بعـــد ان يبلغ اتباعى ٤٠ شخصا فأخذ له أولئك السذج الملتهبين حوله ثلاث نساء متطوعات للجهاد فتم بذلك العدد المقرر عليه كما زعم ! ! وهناك هاجم قبيلة زنجية تسمى دكركرى **Karikari** ، فقتل بيلنيو منها وكان ممن المقتولين السلطان دكندة **Dukanda** ، والسلطان جارمى مالم

وسبا نساء وأولاد الزنج وغنم ماشيتهم . واذاع نشرات فى بلاد فلاتا وهوسا وبرنو حضهم فيها الى جهاد الزنج الغير مسلمين وقال ان المهدى سيظهر بعد ان يمهد له باعماله هذه فانضم اليه كثير من مريدى الهرج وأبيح نصف الغنائم لاتباعه . وقد وقف فى سبيل هذه الدعوة جماعة من سلاطين فلاتا وهم

١ السلطان صالح الفلاتى سلطان مسو

٢ « حاجى سلطان كتاقم Katagum

٣ « عثمان سلطان بوشى Bushi

٤ « عمر سلطان قمبى

فالبرغم من رفض الاربعة سلاطين المذكورة أسماؤهم هرب من اتباعهم نحو ..... اشخص الى ذلك الداعية . وهناك صار يهاجم قبائل الزنج ويفتك بهم وينهب من أموالهم ماشاء ولما رأى حاجى سلطان كاقم تضخم جيش المدعى واستفحال أمره انضوى اليه وصار يحارب معه وأخيرا تغلبت قبائل الزنج على المدعى وفتكت برجاله فاضطرته الى الهزيمة الى قومى دار السلطان عبده أما حاجى فانه رجع الى كتاقم Katagum

فاقطع عبده بلدة بورمى الى جبريل الذى أقام بها نحو سنة واحدة وبعد صار يتحدى جباة السلطان عبده ويمنعهم تحصيل الزكاة وقد حدثت بينهما حرب قتل فيها السلطان عبده وهزم جيشه وقد عين حسن سلطانا بدلا من عبده المقتول وقد استنجد هذا بسلطان سكتو الذى أمر السلطان محمد منقه ابن صالح والسلطان عمر بمحاربة جبريل فسار هذان فى جيش جرار وحصرا المدعى ٤٠ يوماً حتى اضطراه الى الخروج لحربهما وهزيمتهما بعد ان أهلك كثيراً من اتباعهما . وهناك هابه الناس وأخذ يصول فى طول البلاد وعرضها . وفى أثناء سكرته بلغه اشتعال رايح بحرب الفرنساويين فجاء مسرعاً لكى يصطاد فى الماء العكر وقد فاته قول القائل « ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء »

قد حرض جبريل حياتو محمد بيلو على عقوق رايح والقضاء على مملكته وان ينادى به سلطاناً بدلا عنه . وكانت لحياتو جموع عززتها جموع جبريل وبينما هما يدبران المكائد اذ باغتهما فضل الله رايح الذى قبض على حياتو وقطع رأسه وأطلق النار على اتباعه واتباع جبريل ففتك

بكثير منهم وفر جبريل الى دارفلاتا وما زال يعبث بها حتى قتلة الفرنساويون عند احتلالهم للسودان الفرنسى وأراحوا العالم من شره

واقعـــة جبل كنو Kano

لقد نهج الغربيون نهجاً غريباً فى تلمس وسائل الاستعمار وجازفوا بمجازفات دلت على شجاعتهم الحسية والمعنوية لانهم كانوا يسيرون فى بلاد لايلائمهم هواؤها ولايصلح لهم غذاؤها لاسيما وانهم ماكانوا يعرفون شيئاً من لغة الســكان بل أجل ذلك التباين اشتبه عمال رابح فى رجل فرنسى فى بلدة كسرى التابعة لمرت لامى وجاءوا به الى ديكوى فسأله رابح عن سبب حضوره فقال انه تاجر جاء ليرى ابضايع المرغوب فيها من الأهالى ثم يعود لاحضارها فأمر باعتقاله وقام بنفسه ليبحث عن القضية الفرنسية اتى جاء معها هذا الفرنسى اذ لايعقل ان يجىء رجل بمفرده الى تلك البلاد ذات الأمم المختلفه واللهجات المتباينه فسار السلطان رابح فى جيش عظيم من جنوده بعد ان ترك ابنه الأمير فضل الله وكيلا عنه فى ديكوى وذلك بعد ان أرسل الطلائع والجواسيس فى كل ناحية من مناحى سلطنته فعادت اليه تلك الطلائع وأخبرته بوجود قوة فرنسيه مسلحة بمدافع حديثه متحصنه فى ذروة جبل كنو الواقع فى شمال بحرشارى وكان معها السلطان عبد الرحمن قورنة سلطان باقرما الذى اسلمنا عنه وكان الفرنساويون سلحوا رجاله ببنادق من ذات الطلقات المتعددة وهو يرابط فى المنطقة الواقعة بين البحر والجبل متحصناً فى خندق يمتد من طرفى الجبل الى ان يتصل بالبحر فقسم السلطان رابح جيشه على ثلاثة أقسام فتولى القيادة بنفسه على قسم من هذه وناط بقيادة القسم الثانى الى أبو بكر حماد والثالث الى عثمان شكو ثم سارت الثلاثة أقسام ليلا بدون ان يعرف الفرنساويون شيئا من أخبارها فباتت ذات يوم قريباً من جبل كنو وفى الساعة السابعة صباحاً هجم قسمان من الجيش على السلطان عبد الرحمن قورنه نصير الفرنساويين بين الجبل والبحر وتأخر القسم الذى كان يقوده السلطان رابح فى وراء الغابات وهناك احتدم الحرب ووجهت الطابيه الفرنسية التى بذروة الجبل قوهات المدافع على المسلمين الهاجمين على الباقرما ولما اشتغل الفرنساويون بالذب عن الباقرما جاء السلطان رابح وقسمه وتسلقوا الجبل من الخلف كالنمور حتى كاروا والفرنساويون فى مسوى واحد . وباغتوهم بهجوم مكنهم من احتلال الطابيـة

والقضاء على حاميتها التى لم يبق منها عدا خمسة فرنسيين وقعوا فى الأسر ثم أطلق هذا القسم على الباقرماويين وأصلاهم ناراً حاميه حتى هرموا هزيمة شنيعة ومن ثم استبقى رابح الخمسة أسرى وعرض عليهم الاسلام ولما رفضوا أمر بهم فاعدموا فى الحال ولقد غنم رابح المدافع والبنادق الفرنسيه . وما كانت خسارته تذكر بالنسبة الى رزى المرنسا ويين اذ لا تتجاوز ١٥٠٠ بين قتيل وجريح وكان ابنه محمد أصيب برصاصة فى رجله اليمنى وقد أذاعت جريدة الاهرام بعددها ٦٥٨١ الصادر يوم الجمعة ١٠ نوفمبر سنة ١٨٩٩ الموافق ٦ رجب سنة ١٣١٧ تحت عنوان

السلطان رابح

جاءتنا الانباء الرقية منذ أيام بسطو رابح سلطان برنو وباقرما على بعثة فرنسوية وتنكيله بها . وقد قرأنا فى جريدة الطان الواردة أمس فصلا جديراً بالمطالعة لما يستشف من خلاله من راى الوزارة الفرنسائية فى أمر هذا الرجل . وملخصه ان رابحاً قد استلفت اليه العالم المتمدن لأمره المسبوق بمواجل وقتله برتو باى وبرون ومرتين من رجال البعثة المذكورة

وقد استفحل أمر هذا السلطان لأن ملكيته خصيبة بحيث يمكنه ان يمول جيشاً كبيراً يعوز به الأرقاء فيما جاوره من الارجاء إلا بلاد وداى فى صقع تشاد . فانها لكثرة سكانها يحجز من بطشه فرغب عنها الى الجنوب .

ولسنا نأول اتجاهه الى هذه الجهة بغير ماتقدم [1] لأننا لانصدق ان الانكليز أوفدوا اليه فى سنة ١٨٩٤ سفراء ليبعدوه من أملاكهم كما شاع . ثم قالت الجريدة المذكورة ان من الناس فى فرنسا من لا يثور . وبالجملة على رابح ومعاقبته حالاً ولكنها ترى ان هذا التردد لا ينجم عنه إلا استمرار العبث والفساد فى تلك الاملاك التى اعترفت بها المانيا لفرنسا فى سنة ١٨٩٤ وانكلترا فى هذه السنة .

فاذا ترك رابح وشأنه شرد السكان وبور الاراضى كما فعل التعايشى فى السودان المصرى وكما فعل ساموری فى غينه فكانت نتيجة ذلك بعد حين زيادة النفقة على الحرب والحصول

(١) هذا تعليل يدل على جهل الكاتب بحقائق الأمور لان البلاد التى اخضعها رابح أغنى بالرجال والمال من سلطنه وداى وما عدل رابح عن وداى إلا انه يريد القضاء على ممالك باقرما وبرنو ولانها وهى واسطى بعيدة تشاد وبحر سرا ويمكنه بلاد وداى ودارفور ولكن ارتفعت سفينه فى صعود الاستعمار الفرنسى .

على الاملاك مقفرة من السكان غير صالحة للاستعمال الا بعد العناء الشديد وبذل الأموال الطائلة .

واقعة كنو كنج دقل Kono Kung Dagal

تقع كنو كنج دقل فى شاطىء بحر شارى شيد بها الباقرماويون حصنا فتحوا به المزاغل وأقاموا به ثم أحلوه بسبب هزيمتهم فى جبل كنو . فسار اليه رابح وتحصن به بعد انتصاره على الفرنساويين فى ذلك الجبل وانتظر هناك يترقب بالفرنسيين الذين أخذوا يتأهبون لأخذ الثار وبعد ٦٠ يوما جاءوا فى قوة تتألف من نحو ٤٠٠ جندى فرنساوى و ١١٠٠٠ جندى من الباقرما المسلحين بالبنادق وكانت تعزز القوتين باخرة مدرعة ومسلحة بالمدافع . وما كاد يبدو حاجب الشمس حتى بدأ الفرنساويون والباقرماويون بهجوم عنيف وصارت الباخرة تطلق نيران المدافع على الحصن الذى صار يتصدع على المدافعين به فيموتون تحت الانقاض . ومع ذلك فان السلطان رابح وجنوده أظهروا يومئذ من ضروب البطولة مايدعو الى الاعجاب . ومازالوا يدافعون الى مابعد غروب الشمس حتى أبادوا القوة الفرنسية البرية وهزموا السلطان عبد الرحمن قورنه وجيشه بعد ان تركوا أكداسا من القتلى وتراجعت الباخرة فأراد صباط رابح مطاردة العدو ولكن أصدر رابح أمراً يقضى بان لايبرح أحد ذلك الاستحكام الى بزوغ الشمس اذ ربما كان فرار العدو مكيدة يراد استدراجهم ليخرجوهم من الاستحكام ليلا ثم يكروا عليهم .

ولما خرجوا فى الصبح لم يجدوا حول الاستحكام إلا أكداسا من القتلى . وكانت خسارة رابح ٣٠٠ قتيل كان ضمنهم عثمان ودشكو من أمهر قواده أصابته قنبلة مزقته شر ممزق وجرح نحو ٥٠٠ جندى كان ضمنهم القائد العظيم أبو بكر ود حماد العبدلابى وكيل السلطان رابح أصابته رصاصة تحت الكاره ثم مرت فكسرت طرف المخروقة فبقى ٢٥ يوما ثم توفى الى رحمة مولاه وكان لهذين القائدين أعظم أثر فى نهضة رابح العسكرية وكانت لموتهما رنة أسف كان وقعها على النفوس ثقيلا جداً .

هذا ولقد وجد رابح كتابا وضعه الفرنساويون على قصبة ثم غرسوها على قبر أحد

قتلاهم يقولون فيه ماخلاصته « ارجع الى عاصمتك فانا قادمون لحربك بها »

عودة الفرنساويين لحرب رابح

يؤخذ من وقائع المسألة ان الفرنسيين قصدوا بحروبهم الاولية سبر غور العدو لمعرفة قواه المعنوية ثم غابوا سبعة أشهر وعادوا الى ميادين القتال مسلحين بالبطاريات ذات المدافع الحديثة ومدافع المكسم وجندوا كثيراً من السنغاليين الذين اشتهروا بولائهم لفرنسا . فجاءوا سائرين فى شاطىء بحر شارى تحميهم الباخرة المدرعة الى بلدة كسرى فسار لهم فضل الله رابح فى جيش عظيم وهاجمهم ثلاث مرات ولم يستطع الثبات أمام تلك البطاريات الفتاكة ولما تأكد من شدة وطاة العدو حفر خندقا قريبا من كسرى وكتب لوالده أخبره بقوة العدو فجهز ٣٠٠٠ مقاتل بقيادة كسون مولى رابح وحاج قمبو البرناوى . وهناك قام فضل الله رابح بهجوم رابح على الفرنساويين وأصلاهم ناراً حاميـــة حتى هزمهم إلا أن جنود فضل الله اشتغلوا بالغنائم حتى كر الفرنساويون واطلقوا عليهم النار فى حال اشتغالهم فبرحت بهم تبريحا فظيعا وهزموا بعد ان قتل القائدان كسون رابح وحاج قمبو **Gumbo**

واقعـــة كسرى Kusri

لقد انجد رابح ابنه فضل الله ب ٤٠٠٠ مقاتل بقيادة بشارة حراح النعيشى واحمد القرودرحمه كلاهما من عرب السلامات وكان للعدو سور عال يحيط بهم فأمر فضل الله جيشه بعمل سلالم بحيث يكون لكل رجلين سلم فقام نحو ١٠٠٠ مقاتل فى جنح الظلام وساروا بدون ان يشعر العدو بقدومهم ثم وضعوا تلك السلالم على السور وتسلقوها ونزلوا بداخل الاستحكام الفرنسى وباغتوا العدو باطلاق النار وهب الفرنسيون من سباتهم وظلت الحرب متأججة بين الفريقين الى طلوع الشمس فقتل كل جيش فضل الله ولم ينج منه عدا رجلين جاءا بالخبر فكتب فضل الله لأبيه أخبره بذلك . ولما سمع رابح توالى الهزائم هاله الأمر ورأى ضرورة قعوده ليدان القتال ومباشرته بنفسه تلك المباغتة التى عسكرت مزاجه

مقتل السلطان رابح فضل الله

سار السلطان رابح فى نحو ٣٠٠٠٠ جندى بين فارس وراجل وثلاثة مدافع . ولما بلغ كبرى أمر ابنه الأمير فضل الله بالعودة الى ديكوى لحفظ الأمن بين ربوع البلاد وحفر رابح خندقا تحصن به فظل ٤٠ يوما لم تحدث بينه وبين الفرنساويين حرب . وبينما هو كذلك إذ بجيش جرار بقيادة الجنرال لامى باغته بهجوم عنيف فى الساعة السابعة صباحا بعد ان أحاط الفرنساويون باستحكام رابح من كل جهاته ونشبت الحرب بينهما من الساعة السابعة صباحا كما ذكرنا الى الساعة العاشرة صباحا . هلك فى غضون هذه المدة مايقدر بنحو ٥٠٠٠ جندى خلاف الجرحى وكان ضمن المقتولين السلطان رابح ومن كبار ضباطه قادم الهبانى والامير يوسف وعبد الله ملى الفلانى وبلال تركاش وحمدين التعيشى وغيرهم وهزم بقيه الجيش . وقد حاول جنود رابح أخذ جثمانه من ميدان القتال . ولكن نيران الفرنساويين حالت بينهم وبين مايشتهون . وما كانت خسائر الفرنساويين بأقل خطراً من عدوهم إذ كان من قتلاهم الجنرال لامى القائد العام للحملة الفرنسيه وغيره من الضباط وكثير من سائر أفراد الجيش الفرنسى .

هذا وكان السلطان رابح طويل القامة كبير الهامة ضخم الكراديس واسع الجبهة معتدل الأنف خفيف اللحيه قصير الشاربين أخضر اللون جمع الله له مابين وقار الكهول ورشاقة الشبان . أصيب فى حربه لقبائل البندا بنشاب فى أصبعه الوسطى من يده اليمنى جعل الأصبع ناشفا لايتحرك . وكان رابح يكرم العلماء ويحب الفضلاء ويعطى المال عطاء من لايخاف الفقر . ومن انبل أعماله النادرة انه دخل بلاد برنو بعد ان خضب عرصاتها بالدم وتخطى على هام أبنائها وما لبث عاما أو بعض عام حتى استطاع ان يجمع قلوب الشعب على محبته والاخلاص فى خدمته . فان قبائل تلك الاقطار كانت ولم تزل تتغنى بمدح رابح توقعه توقيعا بديعا على آلة تسمى هناك « بالكيته Kaita » لها صوت أشبه شىء بصوت « الكمنجه » فإذا وقعت تلك الاغانى على آلة الكيته ترى القوم يتواجدون ويذرفون الدمع دما على مليك طالما غمرهم باحسانه فما أخلقه بقول الشاعر

ندالك إذا ضن الغمام غمام ... وعزمك ان فل الحسام حسام
فهذا ينيل الرزق وهو ممتع ... وذاك يرد الجيش وهو لهام

ذكرى رابح والجنرال لامى

ما بخس الفرنساويون حق السلطان رابح ولم يسيؤا الى جثمانه بعد موته بل كانوا ينظرون اليه بعين الغبطه والاعجاب . فاحستوا جهازه ودفنه . ثم أقاموا عليه بناء مربعا وضعوا فى كل زواية منه مدفعا رمزاً على انه كان رجلا حربيا أو ضابطا عظيما . هذا وأقاموا تمثالا للجنرال لامى وكلاهما بميدان واحد فى مدينة فورت لامى العاصمة الجديدة التى اختارها الفرنساويون لوداى وقد تقع فى يمين بحر شارى وانها مدينة ذات شوارع عظيمة غرست بها الاشجار والحدائق وشيدت بها مبانى على قواعد هندسية حديثة فهى بمثابة الخرطوم لدى حكومة السودان الفرنسى ولها ميناء ذات شهرة تجارية

تولية فضل الله رابح سلطانا على برنو

ما كان فضل الله بأقل من أبيه حزما وعزما . فانه قابل تلك الكارثة العظيمة برباط جأش ووطد النفس على القيام بمسؤلية الدفاع والذود عن المملكة ولو انه كان يعلم يقينا عدم تكافؤ الجيشين . فاجتمعت فلول المنهزمين من واقعة كسرى على الجيش المرابط في ديكوى ونادوا بالأمير فضل الله سلطانا على برنو واحتفلوا بولايته احتفالا عظيما ثم بايع الجيش السلطان وحلفوا له يمين الطاعة.

واقعة سقبجا Sagabaga

تقع هذه القرية غرب ديكوى على مسافة أربع ساعات منها بالسير البطيء . سار اليها السلطان فضل الله بقصد الالتجاء بالانكليز في يولا من بلاد فلانا وقد هجم عليه الفرنساويون فاضطروه الى حربهم حربا دامت خمس ساعات خسر فيها فضل الله خسارة فادحة وكان ضمن القتلى الفقيه احمد اكبر رئيس القضاء الشرعي وولده ابو بكر ومحمد الحاج والشريف أبو النور والصديق النور وغيرهم من الضباط وأعيان الجيش واستولى الفرنساويون على الذخائر والأموال وكانت ضمن السبايا نساء رابح وقد كان لتلك الحرب أثر سيء في نفوس الجيش ولكنه لم يزل يثابر على الثبات ويحرص على الأخذ بالثأر مهما تكن العاقبة.

واقعة إشقى Ishgi

كان الفرنساويون جاهدون لاجل القضاء على فلول جيش الداخلة فضل الله قبل أن يتمكن من إعادة النظام الى ذلك الجيش المصغر المنهوك القوى وبث الروح المعنوية فيه والكرية لاستدراك مافات وللاحتراس مما هو آت . فبعد أربعة أيام من واقعة سقجبا أدركوه في إشقى وحدثت بينهما حرب هزم فيها جيش فضل الله وغنم

الفرنساويون ماوصلت ايديهم اليه وعادوا الى ديكوى أما فضل الله فانه دخل بلاد فلاتا وكتب انذاراً الى السلطان الزبير يعلنه الحرب وكان الزبير رجلا عاقلا رد عليه رداً لطيفا بما معناه انى كنت صديقا لوالدك المرحوم السلطان رابح ولا أرى ضرورة تدعونى الى حربك فان كنت تريد مكانا حصينا يعصمك من غارات العدو فدونك والهجوم على جنال « بابر Babur » الذين هم طائفة زنجيه وثنيه كانت خاضعة للسلطان زبير تؤدى له الجزية ثم شقت عصا الطاعة فرحم عليها السلطان فضل الله وساعده سلطان فلاتا بجيش تحت إمرة مولاه « تلاديما Giladima » فدوخ سكان تلك الجبال وفرض عليهم الجزية وأقام بينهم سنه كاملة مكنته من التأهب لحرب الفرنساويين الذين اضربوا عن مطاردته ظانين انه قد بلغ به الضعف مبلغا لا يقدر معه الى التعرض لخطر الحروب !!

غارة فضل الله على البرنو

كان فشل جيوش السلطان فضل فى حربه الفرنساويين فى أول الأمر سببا فى دخول قبائل البرنو فى طاعتهم وأغضب ذلك فضل الله رابح الذى رأى من الضرورى اجتياح البرنو قبل الوصول الى الفرنساويين وكان ملقربى « Girbay » سلطان برنو مول يسمى « ملا موسى Mulla Nusa » يقيم حاكما على منطقة تقع فى الطريق التى يريد السلطان فضل الله المرور منها . فسار عليه فى جيش عظيم وأغار عليه إلا أن ملا موسى لم يقو على الدفاع فسلم الى السلطان فضل الله وقدم له ٨٠٠ حصان فأمنه فضل الله واستأنف سيره الى مولاه السلطان قربى وحاربه حربا هزم فيها السلطان قربى الى بلاد كانم فغنم فضل الله وسبا وعاد الى مدينة ديكوى ظافراً منصوراً

واقعة بلا ربا Billa Raba

ما كاد يبلغ الفرنساويين قدوم فضل الله حتى ساروا لحربه فى جيش عظيم فاضطر فضل الله الى اخلاء ديكوى وسار بجيشه غربا الى ان بلغ بلدة بلارابا بعد ثمانية أيام وقد لحق به الفرنساويون بعد ان أقاموا بها وأمر جيشه بتخفيف الاسلحة والتأهب لدفع

فائلة العدو المزمع وصوله وبينما هو كذلك اذ هاجمه الفرنساويون باطلاق النار على جيشه فقابلهم بدفاع مجيد وبعد بضع دقائق أمر فضل الله فرسانه بالهجوم من الجناحين فهجم أولئك الفرسان مفوقين رماحهم حتى ولجوا صفوف الاعداء وهزموهم هزيمة شنيعة فكانت خسائر الفرنساويين ٤٠٠ قتيل عدا الجرحى أما السلطان فضل الله فانه خسر ٧٠ قتيلا كان منهم قادم الاحمر من عرب السلامات . وكان الجرحى فوق هذا الرقم منهم دودو الهيانى وعبد القادر أبى سكين

توجيه السلطان الى بحر أشكا

بحر أشكا هو الحد الفاصل بين بلاد برنو الذين يقيمون شرقه وتقيم قبائل فلاتا غربه . فسار اليه السلطان فضل الله وحفر هناك خندقا وأخذ يرسل السرايا لغزو قبائل الزنج فدوخ كثيراً منها وفرض عليها الجزية . ثم أقام أربعة أشهر لم يحضر اليه الفرنساويون . ومن أجل ذلك تم البقاء هناك بل سار بجيشه شرقا ثم أرسل نحو ٢٠٠٠ جندى بقيادة حامد انديمى الذى سار الى الامام وحارب وفلا أم برارو Um Bararo، وغنم أموالهم ولما وصل الى بلدة « برقما Birgima » حفر خندقا تحصن به ولحقه السلطان وجيشه فأقاموا هناك يتجينون الفرص لمهاجمة الفرنساويين فى الوقت المناسب

توسط الانكليز في الصلح

ان غارة الفرنساويين على بلاد السلطان رابح والايطاليين على الحبشه والبلجيك على الزجاف وهل جراً كانت باتفاق دولى . وبالرغم من ذلك فان حكومة نيجريا انتدبت أربعة موظفين انكليز سافروا الى السلطان فضل الله فى بلدة « برقما »

ورجوه الكف عن الاعمال الحربية ريثما يتوسطوا بينه وبين الفرنساويين لايجاد صلح شريف تحفظ به كرامة الفريقين فأجابهم فضل الله بالايجاب والقبول وفتح باب المفاوضات ولكن لسوء الحظ ونحس الطالع ارسل السلطان فضل الله أحد ضباطه المدعو عيد النعيشى بألف جندى الى ديكوى لاخراج خزينه كانت مخبوءة بالأرض لاحضارها اليه . وكان عيد هذا رجلا قليل الوفاء ساقط المروءة فاكاد يرى تلك الخزينه

حتى بهره منظر الذهب وسولت له نفسه الخبيثة الاستئثار به وشق عصا الطاعة على السلطان وليته ان وقف عند ذلك الحد بل صار يمر بالقبائل المصافية للفرنساويين يفتك وينهب أموالها . فاعتبر الفرنساويون ذلك عملا مخلا بشروط الهدنة فجردوا جيشا باغت الضابط عيد بحرب قتل بها وبدد جيشه وصارت خزينة السلطان غنيمة للفرنساويين . وكان كما قيل « ذهب احمار يطلب قرنا فجاء بلا أذلين »

مقتل السلطان فضل الله رابح

لما بلغ السلطان فضل الله خيانة عيد ووقوعه بين براثن العدو تأكد قدوم الفرنساويين لحربه لانهم لا يعلمون شيئا عن عصيان عيد وعبثه بدون أمره فغادر برقما وسار الى بلده « قجبا Gujoba » التي تبعد يوما واحداً من برقما . وكانت قجبا من أمهات عواصم فلاتا يحيطها سور عال فاعتصم فضل الله بسورها وتأهب للقاء الفرنساويين الذين جاءوا اليه في قلة لا يتجاوز عددهم ٥٠٠ جندي مع ان جيش فضل الله يومئذ ٣٠٠٠ مقاتل ولكن سئم رحالة الحرب ومجوا ما هم به من الاضطرابات العسكرية . وبينما هم كذلك اذ أحاط الفرنساويون بالقرية وأطلقوا النار عليها وقابلهم فضل الله وجيشه بدفاع مجيد حتى أصيب برصاصة في جبهته فصرع قتيلا .

فما كاد يرى بعض ضباطه ما حل به حتى وضعوا السلاح وسلموا للعدو فكان من هؤلاء ألبان وتخبا . ورفض آخرون في عزة وإباء فظلوا يثابرون على الحرب حتى غابت الشمس . وهناك حملوا جثمان السلطان فضل الله وساروا الى بلدة « مدى Miday » على مسيرة يوم واحد غرب قجبا ودفنوه هناك باحتفال عظيم بعد الصلاة

تولية محمد نبى Nibby

كان هذا أصغر ابناء السلطان رابح وقد كان يناهز ٢٥ سنة من عمره آل اليه الملك بعد أن تطرق الهرم على حكومة أبيه ونخر عظامها سوس التفريق. فصارت والدته تلح عليه فى عدم التعرض لاخطار الحروب حتى لايذهب كما ذهب أبوه وأخوه. فتأثر السلطان محمد نبى **Nibby** من حديث والدته وهناك كتب خطابا لقائد القوات الفرنسية يطلب منه الأمان لنفسه. وسار الى أقرب نقطة فرنسية سلم اليها وذلك بعد أن عارضه جماعة من ضباطه وحذروه سوء العاقبة ولما لم يلفت. تركوه وشأنه. فأول شيء استلم الفرنساويون منه ٣٠٠٠ بندقية. وقبضوا على الضباط الذين عارضوا فى مسألة التسليم وهم جباره الدنقلاوى وذهب ولد حسنة من عرب السلامات والوان من دلقا واعدموهم رميا بالرصاص. ثم اعتقل السلطان محمد واخته حواء فى فورت لامى وجعل لكل منهما راتب يتقاضاه شهريا واذن لهما فى ضم بعض الارقاء أما باقى الجيش فوزعوه فى البلاد الآتيه :-

١	فورت لامى
٢	قلفى
٣	كاليسم
٤	لقن
٥	ديكوى
٦	مسافط
٧	منجفا
٨	بسو
٩	فرسمبو
١٠	يارو
١١	دار كانم

1	Fort Lami
2	Gilfay
3	Kileisum
4	Lugun
5	Dikwa
6	Masagit
7	Mangafa
8	Bosow
9	Farsambo
10	Yaro
11	Dar Kanim

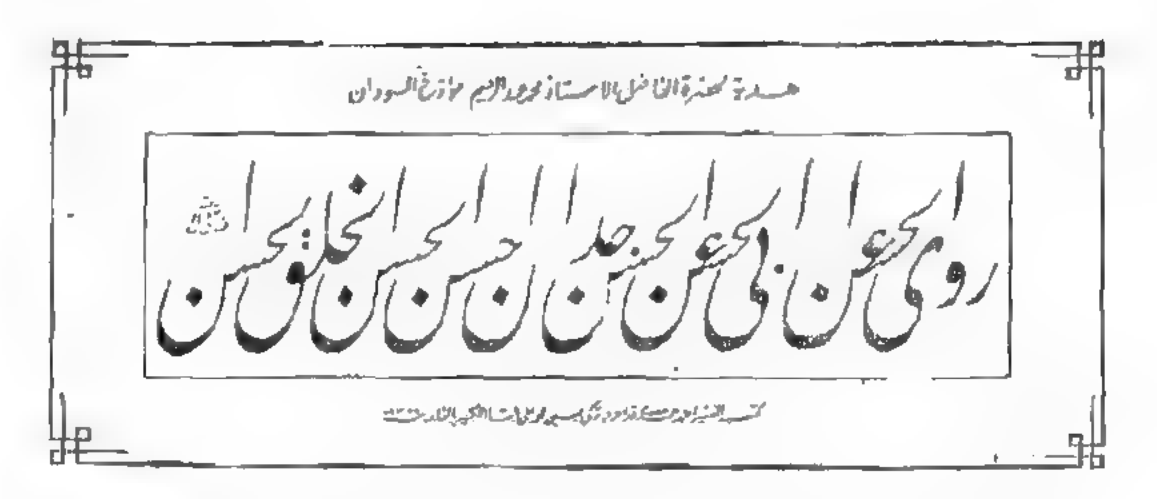
هدية لحضرة الفاضل الاستاذ محمد عبد الرحيم مؤرخ السودان
روى الحسن عن ابى الحسن عن جده ان الحسن الحسن الخلق الحسن

يسرنى أن أرفع لقراء مؤلفاتى عن تاريخ وأدب السودان
الهدية العظيمة التى قدمها لى الاستاذ أحمد حمدى فدا
الخوجه التركى بمسجد محمد على باشا الكبير بالقلعة
فى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير سنة ١٩٥٢ م
٢٣ جماد أول سنة ١٣٧١ هـ

نكتة

نذكر لهذه المناسبة نكتة على سبيل الفكاهة . لقد اشتهر الاتراك بجوده الخط فى عهد حكومة مصر التركية بالسودان. وكان الميرالاى على شريف بك التركى مديرا لبربر وكان فنانا يجيد الخط بأنواعه . ولكنه لايخلو من القسوة والجبروت فاخذ سكان مدينة بربر يبعثون عنه بلاغات بدون إمضاء للحكمدار بالخرطوم وهذا لايعرف علاجا لتهم لادليل على اثباتها وحسما للنزاع نقل المدير لكردفان فسار لمنصبه الجديد ساخطا على أهل بربر الذين وصفوه بما ليس فيه. وهناك طلب اليه أحمد افندى القفارى باشكاتب مديريه كردفان نقلة أى مشقا لابنه عثمان القفارى ليتعلم خطا كخط المدير فكتب له العبارة الآتية :—

قط القلم قط   وتعلم جمال الخط
طفت البحار وجزت الامصار   مارأيت ألعن من أهل بربر قط

اللواء عبد الرزاق حقى باشا

كان عبد الرزاق طويل القامة ضخم الكراديس ممتلىء الجسم كث اللحية عين مديرا الى كسلا ثم وكيلا للحكمدارية بالخرطوم . ولما ثار السلطان هارون الرشيد وحضر المقدوم سعد عرجون مدينة الفاشر وشدد النكير على حسن حلمى باشا سار عبد الرزاق على رأس أورطة مصرية لانجاده ولكنه ما كاد يصل حلة أرقد شرق الفاشر حتى خرج لحربه حماد ودجمل والمقدوم سعد عرجون وحاربوه حربا اضطراه الى الرجوع الى بلده فوجه بدار حمر وبقى هناك الى ان دعا هارون سعد عرجون الى بلدة الطينه وهناك عاد عبد الرزاق باشا واستأنف سيره لانجاد الفاشر حوالى سنة ١٢٩٤ هـ ولم تزل جنوده موجودة بالفاشر وكان معهم طبيب مصرى يدعى محمد مهدى بعثت صورته لسمو عمر طوسون باشا سنة ١٩٣٣ م والى هنا نسكت عن سيرته لاننا لا نعرف متى دعى لمصر وكيف كانت أطواره الأخيرة

مصطفى باشا الطوسيه لى

كان هذا ضابطا برتبة المير ألاى جيء به ناظرا لترسانة الخرطوم ومنصبه يعادل منصب مدير الوابورات وكانت الترسانة ذات حركة واسعة النطاق تتبعها ١٢ باخرة نيليه ومجموعة عظيمة من الصنادل والمراكب الشراعيه والفلانك الصغيرة . وكان يشتغل بتلك الترسانه زهاء ٣٠٠٠ عامل من الصناع المصريين الماهرين وقد خففت تلك البواخر عبأ المواصلات منذ عهد سمو اسماعيل باشا خديوى مصر . وقد منح مصطفى بك رتبة اللواء كما اذاعته جريدة الوقائع المصرية بعددها ٧٣٤ بتاريخ يوم الأحد ٢٨ شوال سنة ١٢٩٤ هـ و ٤ نوفمبر سنة ١٨٧٧ م : —

« أحسن بتلك الرتبه « أى لواء » الى حضرة سعادتلو مصطفى بشا الطوسية لى ناظر ترسانة الخرطوم » كان مصطفى باشا كبير الهمة ودمث الاخلاق دينا محبوبا . وقد يرجع الفضل اليه فى تحسين الملاحة بين الرحاف وأبى حمد

البكباشى محمد افندى مرزوق

ولد فى سنار حوالى سنة ١٢٤٣ هـ ١٨٤٨ م كان مربوع القامة متوسط الجسم حليق اللحيه قصير الشاربين متعلم تعليما بسيطا . يقال انه من سلالة الهمج وزراء الفنج

قديماً . وقد اشتغل قبطاناً لاحدى البواخر التى تسير بين الخرطوم وجبل لادو عاصمة خط الاستواء قديماً فاظهر مقدرة فى الملاحة وحنكة جعلتا له المكان الأول بين اقرانه . ولما حصرت الخرطوم وقبل سقوطها سار بفريق من المصريين والسوريين والافرنج الى مصر فاجتاز الشلالات ووصل بهم الى شلال أسوان سالمين فكافأته حكومة مصر اذ منحته رتبة البكباشى وأحالته الى المعاش فأقام فى أسوان . ولما جىء بأسرى واقعة توشكى سنة ١٣٠٦ هـ تولى الانفاق على كثير منهم عن سخاء وطيب خاطر الى ان زوج النساء لاناس من العبابده وغيرهم . ووجد الرجال منهم اشتغالا بتلك البلاد كفلت معيشتهم فالبكباشى محمد مرزوق برهن على بره وكرم اخلاقه . هذا ولم نقف على تاريخ وفاته تغمده الله برحمته . ويقال له ولد موجود الآن فى جزيرة الفيل بمدنى .

الشيخ مصطفى السلاوى

ولد بمدينة الخرطوم حوالى سنة ١٢٤٥ هـ ١٨٣٠ م كان أبوه الاستاذ السلاوى المغربى المالكى ثالث الثلاثة علماء الذين انتدبوا من الازهر لمرافقة حملة اسماعيل باشا التى سارت الى السودان فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٠ م وهم الشيخ محمد الاسيوطى الحنفى فالسيد أحمد البقلى الشافعى والشيخ أحمد السلاوى المالكى . وان مصطفى السلاوى أخذ العلم عن والده وخلفه فى منصب قاضى قضاة السودان وهو أول من شرع تناول الرشوة وتلاعب بمناصب القضاء الشرعى فصار يطرح تلك المناصب الدينية فى المزايدة فيأخذها ابدى القوم كفا ولو كان جاهلا مع وجود العلماء يقال انه عين قاضيا لدارفور وكتب له بطاقة يطلب منه قدرا من المال نظير ذلك فكتب اليه القاضى الجديد بقوله « ماعندى ما أعطيكه فى الوقت الحاضر » فوقع الشيخ مصطفى السلاوى بأسفل رده قائلا

عزلتـــــاك لمـــا قلت ما ... وولينـــــا من بذل
فهـــــلا علمت أن ما ... نافيـــــة للعمـــــل

ولما رأى العلامة الشيخ عثمان عربى الهوارى قاضى كردفان لم يتقرب اليه بشىء من الصلاة عزله بحجة انه كان يقوم الليل بتلاوة القرآن ولما يجلس للقضاء تغلب عليه الفترة الطبيعية

فيسوره النعاس بدرجة لايكاد يميز بين أرباب الحصومات بالمحكمة وذلك بعد ان نحص عن فتوى من الشيخ ابراهيم عبد الدافع مفتى السودان بعدم صلاحية الشيخ عثمان عربى للقضاء وولى أخاه الشيخ بلال عربى بعد ان تناول منه الجائزة إلا أن عثمانا لم يرض تلك الوصمة التى هى عدم التمييز بين أرباب الحصومات فاسرها فى نفسه حتى قدوم سمو محمد سعيد باشا والى مصر الى السودان فسار الشيخ عثمان عربى الى الخرطوم بقصد مقابلة الوالى وبث شكواه اليه ولما علم السلاوى بوصوله أو عز الى مأمور ضبطية الخرطوم بعمل اللازم نحو الحيلولة بين القاضى عثمان وسمو محمد سعيد باشا إلا أن القاضى عثمان استأنف سيره الى مدينة أبى حمد التى تبعد ٥٧١ كيلو مترا شمال الخرطوم وانتظر هناك الى أن تشرف بالمثول أمام سمو محمد سعيد باشا عند وصوله وامتدحه بقصيدة ضمنها الغرض الذى جاء من أجله فرحب الوالى به وعطف عليه واستعرب السبب الذى عزل من أجله ثم سار بعينه الى الخرطوم فدخلها يوم ١٦ يناير سنة ١٨٥٨ الموافق سنة ١٢٧٤ هـ

وفى اليوم التالى لوصوله استدعى الشيخين مصطفى السلاوى وابراهيم عبد الدافع المفتى وسألها عن سبب عزل الشيخ عثمان عربى عن قضاء كردفان فقال الأول انه كان يكثر من قيام الليل وتلاوة القرآن الى درجة يحيله الى المحكمة منهوك القوى يساوره النعاس حتى لايكاد يميز بين أقوال المتخاصمين وانى استفتيت هذا المفتى وهو الذى افتى بعدم لياقته للقضاء فعزلته ووليت أخاه بلالا بن عربى مكانه وكان الشيخ بلال هو الذى طلب عزله ورشح نفسه لمنصبه بعد ان اتحف قاضى القضاة بقدر من المال. وكان سمو محمد سعيد باشا جالسا وقتئذ بحافة النيل الازرق أمام سراى الحكمدارية وحوله جمهرة من الولاة والضباط فاستشاط غضبا واحمرت وجناه وأخذ يرنو بطرفه الى السلاوى والمفتى تارة والى البحر طورا حتى توهم الناس انه سيأمر بقذفهما بالنهر وكان يردد لهما قوله « أما وجدتما له ذنبا يبرر عزله عن القضاء إلا تهجده بالقرآن » وبعد بضع دقائق أمر بهما مكبلا بالأغلال واقصيا الى سجون طره بالقاهرة ونقل الشيخ بلال الى منصبه فبقى بها الى وفاته أما الشيخ عثمان عربى فانه أعيد الى منصبه فى قضاء كردفان فبقى به الى سنة ١٣٠١ هـ ، ١٨٨٤م ولقد مدحه الشيخ محمد الجرولى أحد المحسى بقصيده هنأه بفوزه جاء ضمنها قوله .

أعاديك ياذا الفضل غابت شموسهم وذا ابن السلاوى بالحديد مكبل

وقد ولى قضاء القضاة لود حتيك من علماء السودان وكان ذلك المنصب وقفا على المصريين الذين اتخذوه سبيلا الى الثروة فطالما تلاعبوا بالحقوق وعبثوا بالعدالة فكانما عناهم الشاعر بقوله

قضاة زماننا اضحوا لصوصا عموما فى البرية لاخصوصا
فحسبك أنهم لوصا فحونا لسلوا من خوانمنا الفصوصا

ولقد بقى مصطفى السلاوى وابراهيم عبد الدافع فى سجن طره بالقاهرة حتى قال الشيخ ابراهيم عبد الدافع الاستغاثة الآتيه : —

نحمدك اللهم ياقيوم حمداً به تفرج الهموم
ثم الصلاة والسلام سرمدا على شفيع المذنبين أحمداً
وآله والصحب مافاح أرج ومادنا وقت السرور والفرج
وبعدان كنت أخا لأواء بادر إلى مولاك بالدعاء
مستشفعا إليه بالأخبار لاسيما إن كان فى الأسحار
وناد ياجيش خيار الأمه لكى يهم عنك تزول الغمه
ياسادة هم الغياث فى الورى ألا ترون مابنا الآن جرى ؟
يانقباء يارجال الغرب ألا ترون مابنا من كرب
يانجباء يارجال مصر ألا ترون مابنا من أسر
أيا رجال الشام ياأبدال حل بنا الكرب وضاق الحال
يامن غدو بين الورى أخبارا ألا ترون مابنا قد صارا
يامن هم العمد والأوتاد ألا ترون كربنا يزداد
ياغوث هذا الوقت ياملاذ ألا يكون منك لى إنقاذ
أيا أهيل الطرق والسلوك يامن هم فى الخلق كالملوك

جميعكم من غير ما تفصيل ... قوموا بنا فى الحادث الجليل
يامن لهم مناقب شهيره ... وفضلهم كالشمس فى الظهيره
أيا أبا الشام ياهمام ... أما لكم فى أمرنا اهتمام
لكم أعنت كم أغثت أسرى ... وما ونيت بل خطفت قسرى
أيا كبير الشأن ياجيلانى ... ماذا التراخى منك و توانى
ياسيدى الدسوق يارفاعى ... يامن له أذعنت الأفاعى
لاترون مابنا قد حلا ... متى ترى الافراج كالملا
أيا أبا يزيد يابسطامى ... هلا رعيتم سادتى ذمامى
أيا جليل القدر يا ابن العربى ... هلا نهضتم فى بلوغ الأرب
أيا ابن مشيش ويا دهاغ ... أيحسن الاهمال أو يساغ
يا شاذلى يا إمام الشامل ... ماذا التراخى منك والتناسى
ياحجة الإسلام ياغزالى ... ويا أبا مدين قم بحالى
أيا أبا يعزى ويازروق ... أين الغياث منك واللحوق
أيا ابا العباس ياسبتى ... أين النصير منك والحمى
ياسهروردى يا أبا النجيب ... قوموا بنا فى الحادث العجيب
يا ابن إدريس ويا سلطان ... يامرغنى الختم ياعثمان
أيا رجال الله أيا كانوا ... يامن بهم قد عمر الديوان
يامن مضوا فى سالف الأزمان ... من سائر الأقطار والبلدان
يامن لهم كل فخار أتلد ... أعنى الذين فى بقيع المرقد
يامن هم حازوا مقاما أعلى ... ومن حواهم ترب ذاك المعلا
يامن هم أيضا بأرض الطائف ... ألا أمان سادتى للخائف
يامن هم أيضا بارض القدس ... نرجو بكم سفن النجاة ترسى
ياس هم فى يمن والسند ... و لروم والعراق ثم الهند

يامن بهم فى عجم والصين ... متى الغياث منكم يأتينى
يامن هم فى كوفة والبصرة ... متى الغياث منكم والنصرة
يامن لدا بغداد قد أقاموا ... وحب مولاهم به قد هاموا
يامن دعى معروف فى السماء ... لفوزه برتبة الولاء
أيا سرى عجلن سريعا ... وكشف عنا حادثا فجيعا
أيا أبا القاسم ياجنيد ... فى شدة دعاكم العبيد
ياسهل يا منصور يامكمل ... يابشر لحاق يا ابن حنبل
ياشبل يا بقال يانجارى ... ويا عقيل هيا بانتصارى
يامن هم فى الحب أيضا هجوا ... والبن هوار منهم والتاح
كذلك الحلاج والدباس ... بجاههم يزال عنا الباس
يامن هم لكل فخر حازوا ... أيا أبا يعقوب ياغزاز
أيا ابن ماهر أيا سيدى ... حياه ياجابر ياكردى
أيا سويد يا عسلى يامطر ... نرجو بكم نجح المراد والوطر
يامن هم فى قبلة والجوف ... متى يكون مأمنى من خوف
يامن هم فى الشرق والجنوب ... وفى الشمال أنجزوا مرغوبى
يامن هم فى الغرب أعنى الأقصى ... وحصرهم بالعد ليس يحصى
يامن هم فى البدو والأرياف ... والبر والبحر وفى القيافى
يامن حوت جمعهم سنار ... قد أخفر العهد وذل الجار
وما رأينا من يغدر فيكم ... ولا أغثتم سادتى بنيكم
يامرغنى يا حسن السريره ... فما رعيت سيدى للجيره
يامن لدا أسوان قدما حلوا ... نرجو بكم كروبنا تنحل
ياضوى ياشيخ أبا الحجاج ... متى يجىء الأمر بالافراج
ياعبد غفار ثوى فى قوص ... هيا بنصر عاجل منصوص

يامن لدى العيد أيضا ثاوى كالفرفل والفرغل والقناوى
يا أيها الشيخ أبا عمران هلا هممت سيدى بشأنى
يا ساكنى مصر أبا سادات أما لكم فى أمرنا التفات
ياآل يس جميعا طرا طال علينا الكرب واستمرا
ياصحب خير الخلق يا أئمة قوموا بنا ياسادتى بالهمة
يا عقبة بن عامر يا ساريه أما علمتم بالقضايا الجاريه
أيا إمام القوم يابن شافع أليس منكم منجد وشافع
ويا إمام الليث قم بنصرى ياسيدى لكى يفك أسرى
يا أهل الوفا ويابنى الصديق ألا ترون مابنا من ضيق
يامن سموت فرائض الاعلام من كبر وسادة أعلام
يا ابن أبى جمرة ياشهير أما لنا فى حيكم ظهير
باروزبارى وياذا النون ويا بحار العلم والفنون
يا ابن مرزوق ويا أنصارى هلا أخذتم ساداتى بثارى
يامن لذا بستان روض العلا نتزهوا من الهدات العطا
أيا أبا العباس يابصير ما لنا فى حيكم نصير
ياشرف الدين وياعفيف ياحضر السكردى يامنوفى
يا أيها القطب أيا خواص ما لكم فى أمرنا خلاص
يا شاذلى يا أبا المواهب أما لكم فى أمرنا مذاهب
يا سيدى يحيى وياكوراني يا ابن عطاء الله ياشعرانى
يا جعبرى يا ابن أبى العشائر أما لكم فى أمرنا بصائر
ويا حسين الأدمى يازاهد أيا أبا خوذة قم وجاهد
أيا صفير ويا عراقى ويا بهاء الدين هل من راقى
يا فرج المجذوب يابهلول بجاهكم نرجوا العنا يزول

يا عبدوى ويا حسين الجاكى ... أليس منكم من يغيث الشاكى
أيا أيا السعود يا ملثم ... يامن حواهم جبل المقطم
يامن دعى فى مصر بالسلطان ... لقطب شمس الدين والعنانى
ياقطب يادردير ياحفنى ... يا ابن كمال الدين يابكرى
أيا أبا إسحاق يا متبولى ... أرجو بكم يقضى إلى سولى
يامن حويت بولاق من ولى ... خصوصا القطب أبو على
أما رأيتم حين جئنا مصرا ... ومن حماكم قد أخذنا جهرا
إلى مكان بذل والنكال ... والأسر والقهر وسوء الحال(١)
فكيف منكم يحصل لسكات ... وأنتم الولات والرعات
يامن هم فى الجهة البحرية ... عن كل من فى الشرق والغربيه
وسابقا قلت لكم قصيدة ... مرتجيا إغاثة أكيدة
والآن زاد الكرب والعناء ... والصبر والأسقام الضناء
يامن هم فى حماة هذا الثغر ... هيا بكم هيا بكم للنصر
أيا أبا العباس يامرسى ... ياسيدى ياقوت ياعرشى
ياشرف الدين ويا بوصيرى ... أما رأيت سيدى تكويرى
ياسيدى المغاورى ذى الجاه ... فلا تكن عن نصرنا بالساهى
أيا أبا الفتح الجليل المشتهر ... هلا نهضتم فى فكاك من أسر
يامن هو المشهور بالمجاهد ... بادر وعجل وانتصر وساعد
يامن حوت رسالة القشيرى ... أسماءهم قوموا بدفع الضير
ويا عباد الله جمعا أحضروا ... يقدمكم إلياس ثم الخضر
قوموا بنصر عاجل بالساعة ... مثل الذى كان إلى خزاعة

---

(١) يقصد بكاك الذل سجون طره فعاد الشيخ ابراهيم عبد الدائم لوطنه وزاد شهرة وظهرت له الكرامات وله قبة تزار فى جنوب حلقانة الملوك.

لكى تفوز بالمنا والمطلب جميعنا ونيل كل مارب
وشملنا أهلنا لمجتمع والحاسدون جمعهم ينصدع
بجاه كل الرسل والأملاك والانبيا والعرش والافلاك
وجاه ختم المرسلين أحمدا صلى عليه الله مادام المدا
وآله وصحبه الأخيار ماغرد القمرى فى الأسحار
وما دعى داع بصدق النية لدا الصباح ثم فى العشية
والحمد لله وفى المراد ورالت الهموم والانكار

ماتوسل بهذه المنظومة مكروب إلا افرج الله عنه كربته وأزال محنته ولذا أصبح التوسل بها ملازما لاوراد السودانيين فى أوقات الشدة والرخاء .

قيل طلب الشيخ مصطفى لسلاوى ناقة رشيقة ليمتطيها فى أسفاره من الشيخ جار النبي من سكان ضاحية الخرطوم فرفض صاحب الناقة حوفا عليها من الاجهاد وبعد زمن جاء صاحب الناقة شاكيا فقال له القاضى ما اسمك فأجابه الرجل قائلا اسمى جار النبي فقال له القاضى « تعالى صلى الله عليه وسلم عن جوارك وأعرض عنه » فرجع الشاكى مكبوت الضغائن لاينت ببنت شفه اذ لاسبيل الى انصافه ممن ظلمه. هكذا كانت مظاهر العدل بين ولاة ذلك الطور البائد إلا أن محمد سعيد باشا كبح جماح بعض الطغاة الذين قام الدليل على طغيانهم ولكن لم يمكنه ضيق الوقت من استئصال شأفة الظلم بل تدهور الولاة ريثما عاد محمد سعيد باشا الى أرض السكنانه وعادوا هم الى ما كانوا عليه ومازالوا كذلك حتى التوى رأس الحية بوخز دعاة المهدية فى أبا ولا غرابة.

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وهذا النوع منيت به مصر منذ سنة ٩٢٤ هـ : ١٥١٨ م قال العلامة الرافعى بك فى الجزء الأول ص ٣٦ من كتابه (تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر) مانصه :-

« وكانت مراسيم التعيين تصدر من الاستانة لقاضى القضاة ولعدد من القضاة يشبه

أن يكونوا رؤساء محاكم يبلغون خمسة وثلاثين قاضيا. ومراسيم التعيين لاتصدر إلا فى مقابل أتاوة من المال يدفعها طلاب مناصب القضاء لحكومة الاستانة وبعض هؤلاء القضاة كانوا زمنا ما أتراكا وكانوا يستعينون بالترجمة ولذلك عهد الفوضى إدارة القضاء [1] على أن مناصب القضاء خلا منصب قاضى القضاة قد آلت مع الزمن الى القضاة المصريين ذلك أن قضاة الاتراك الذين تصدر لهم مراسيم التعيين كانوا يتنازلون عن هذه المناصب لمن يطلبها من المصريين نظير جعل من المال. ثم صارت مراسيم التعيين تصدر رأسا للقضاة المصريين.

كانت مناصب القضاء تباع وتشترى وتعرض فى سوق المساومة فترسو على من يدفع الثمن الأعلى. ولا يمكن أن يعلل النظام القضائى فى بلد من البلدان الى مثل هذا الدرك من التدهور [2] فلا جرم كانت وظيفة القضاء فى ذلك العصر موضع ازدراء فى نظر الجمهور والعلماء. وكان قاضى القضاة فى العالب تركيا لايعرف العربية فكان يتخذ ترجمانا يترجم له الأوراق وينقل أقوال الخصوم والترجمان على ذلك هو صاحب الحول والطول وهو الذى يقضى سنة واحدة أو سنتين حتى جاء أجلها بتعيين حكومة الاستانة قاضيا آخر أو تمد مدة القاضى القديم ويجور أن تمتد مدة قاضى القضاء بنزول القاضى الجديد له عن مدته بثمن يدفعه أياها بالثمن الذى يرتاض به. وهذه المساومة تجوز أن تمتد مدة قاضى القضاء الى اربع أو خمس سنوات متتالية وما أن يعزل من دونه من الاتراك ولن تصدر له أمر التعيين أن ينزل عن المنبر وغنى عن البيان أن هذا النظام كان مصدرا للجور وأكل أموال الناس بالباطل — ذلك أن القضاة الذين يشترون مناصبهم انما يتطرقون اليها كوسيلة لابتزاز الأموال. فالفرق كبير جدا بين مكانة القضاة فى ذلك العصر

---

(١) ما أشبه اليوم بالأمس فان قضاء الانكليز بالسودان أسوأ من قضاء الترك فى العهود الماضية. فالقاضى الانكليزى الآن يقف أمامه خصمان أحدهما انكليزى والآخر مصرى لايفقه ما يقول محاميه ولا يفهم القاضى أسئلته الى المرة عبارات ربما لاتسعفه على جوهر القضية لأنه ليس له من وسيلة الى فهم القضية المكتوبة ثم يقضى على المرء حاكم جائر وإذا ما استأنف حكمه رفض قاضى الاستئناف اعادة نظر القضية رغم أن المحكوم عليه قد يكون بريئا إلا أن يرفع عريضة الى السماء ويتوسط بها الى ولى القضاء مستطرا الشكاية على القاضى وذلك القضاء.

(٢) هكذا كانت المناصب فى السودان سواء فى ذلك مناصب القضاء والادارة والجباية فى عهد الاتراك والمصريين الى سنة ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٥ م.

ومكانهم قبل الفتح العثمانى فان قضاة القضاة الأربعة كانوا موضع اجلال السلاطين كما انهم كانوا على جانب عظيم من العلم والتقوى . أما فى عهد الحكم التركى فقد وصل النظام القضائى الى درجة لا نظير لها من الانحطاط لذلك كان كبار العلماء يتورعون عن تقلد مناصب القضاء اعتبر ذلك فى تراجم العلماء المعدودين الذين ذكرهم الجبرتى فى وفياته فانك لا ترى من بينهم عالما معدوداً تولى منصب القضاء فى مصر . وهذا وحده دليل كاف على انحطاط منزلة القضاء فى عهد الحكم التركى (١).

ويحكم قاضى القضاة فى الخصومات التى تعرض عليه فى القاهرة وبولاق ومصر القديمة وله ان يعين نوابا فى خطط القاهرة فكان بها تسعة نواب وببولاق نائب وبمصر القديمة نائب وهؤلاء النواب يحكمون بين الناس بالنيابة عن قاضى القضاة ويشترون منه مناصبهم بالمال واذا تغير قاضى القضاة أمكنهم أن ينالوا اذنا باقرارهم على مناصبهم تلقاء جعل يدفعونه للقاضى الجديد . لم يكن للقاضى رسوم معلومة ولا مرتب محدود . بل كان كل قاض يتقاضى فى كل دعوى ما يقدره من الأجر بحسبها وكما يقدر يدخل فى ذلك اجور الكتبة أو التراجمة . واذا كان قاضى القضاة متورعا فانه لا يطلب أجراً معلوما بل يكتفى بما يعرضه أرباب القضايا وبذلك ينال احترام الناس ومحبتهم . وكان القضاة لقلة بضاعتهم من العلم يرجعون الى فتاوى العلماء للفصل فى القضايا فكانت هذه الفتاوى تقدم كمستندات فى الدعوى والفتاوى العلماء قيمة فى بعض الاحكام بعد صدورها ومن ذلك جاءت كثرة الفتاوى فى ذلك العصر . الى ان قال الجبرتى طرفا من شكوى الناس من فساد النظام القضائى وكلامه وان كان منصرفاً الى أوائل عصر محمد على إلا أنه يتضمن وصف هذا النظام فى عهد المماليك وكيف كانت وظائف القضاء تباع وتشترى وكيف زادت الحالة سوءاً لما عادت السلطة للاراك بعد انقراض حكم المماليك وانتهاء عصر الحملة الفرنسية واليك ماذكره الجبرتى ننقله لما فيه من تفضيل لبعض ما أجملناه وتوضيح للنظام القضائى فى عصر الحكم التركى كما وصفه شاهد عيان . قال

فى يوم الخميس ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٢٣١ والموافق ٢٠ مارس سنه ١٨١٦ حصلت جمعية ببيت البكرى وحضر المشايخ وخلافهم وذلك بأمر باطنى من صاحب الدولة

(١) هكذا كان العلماء فى السودان فكان البدرى الفرافى فى الخندق يدقلا رشحه الامير اسماعيل للقضاء فاشترط ان لا يأخذ عليه أجراً ولا يقيد بالقوانين واللوائح بل يقضى كالكتاب والسنه وكفى .

« محمد على باشا » وتذاكروا مايفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل وذلك ان القضاة الذين يأتون من باب السلطنة كانت لهم عوائد وقوانين قديمة لايتعدونها فى أيام الامراء المصريين « المماليـــك » فلما استولى هؤلاء الأروام « الاتراك » على المماليك وأصبح القاضى منهم فحسن أمرهم وزاد طمعهم وابتدعوا بدعا وابتكروا حيلا لسلب أموال الناس والايتام والارامل. وكلما ورد قاضى ورأى ماابتكره الذى كان قبله أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه حتى فحش الأمر وتعدى ذلك لقضايا أكابر الدولة وكتخدا بك بل « والباشا محمد على » وصارت ذريعة وأمرا محتما لايحتشمون منه ولا يراعون جليلا ولا كبيرا ولا جليلا الخ .. هذا والذى يتأثر نهج السلاوى فى قضائه وجوره يتبين له انه اقتبس نظامه فى قضائه ومعاملاته من ذلك النظام السائد وكما يؤخذ من توقيعه الذى يقول فيه

عزلناك لما قلت ما ووليـــنا من بذل

انه لا يخشى لومة لائم فى تلك التصرفات المشينة والنظام الذى يتعارض مع الشرايع السماوية والقوانين الوضعية

هذا ولنرجع الى مانحن بصدده فنقول ظل الشيخ مصطفى السلاوى ردحا من الزمن معتقلا بالقاهرة ولم يعد الى السودان الا بعد كل جهد جهيد ولكنه بقى بعيدا عن مقاعد الولاية واستراح الناس من قضائه ولم يجرأ أحد الى بلوغ الغاية اللهم الا ما كان يحدث من وراء حجاب . وفى ٢٦ يناير ١٨٨٥ أسر المترجم له على يد انصار المهدية حال فتح الخرطوم وبعثرت تلك المنهوبات التى قضى حياته فى جمعها حتى سيق سوق المجرمين الى السجون ومن المدهش لم يكن له ولد يرث تلك الثروة الطائلة ان هى بخت من براثن الفاتحين ولسنا ندرى ما هو الباعث لى تناول الرشوه والعبث فى الاحكام مع العلم بالزواجر فلله درا القائل

إذ أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على ألا تكون مثيـــله وترصد للامر الذى كان أرصدا (١)

كان السلاوى طويل القامة اسمر اللون متوسط الجسم متناسب الاعضاء كث اللحيه وقورا وانه واسع الاطلاع موفور الأدب سريع الخاطر حلو الفكاهة وقد بلغ من العمر ٧٠ عاما

(١) يقال أرصدت له أى أعددت

المستر شوبر Shawber

سنة ١٢٦٥ هـ : ١٨٤٩ م

كانت ولم تزل قبيلة سليم البادية تتنقل فى ضفاف النيل الابيض وهى من القبائل المشهورة بوفرة المال والرجال فقد جاء اليها سائح انكليزى يتلمس وسائل الاستعمار وكان اسمه مستر شوبر أقام بينها ردحا من الزمن وكان سلوكه مشينا نبت عنه نفس العرب ولم يقف عند ذلك الحد بل أخذ يسخر بعاداتهم الأمر الذى اضطرهم الى ضربه وطرده من بينهم فرفع الأمر الى الحكومة التى أمرت المير الاى موسى بك المحرر مدير كردفان اذ ذاك بحرب قبيلة سليم وما كان من أمر هذا إلا أنه سار بألايه من الأبيض فى جمادى الثانى سنة ١٢٦٥ هـ واطلق النار على أولئك المستصفين فبرحت بهم نيران الآلاى تبريحا فظيما رجالا ونساء وأطفالا وعاد فى ٢٤ منه بالسبايا والاسرى والألوف من الاقدار ومقادير هائلة من المصوغات ولقد جاء فى مذكرات العلامة القاضى عربى ودكين الحوارى قاضى شرعى كردفان مانصه « موسى بك المحرر تعين فى ١٣ القعده سنة ١٢٦٤ وفى ٢٢ صفر سنة ١٢٦٥ سار الى بارا وابى حراز وكازقيل وعاد الى الابيض فى ١١ ربيع أول سنة ١٢٦٥ وفى ذلك الوقت بلغه عصيان قبيلة سليم فسار لاخضاعها فتم ذلك وعاد فى ٢٤ جماد الثانى سنة ١٢٦٥ . وجاء فى جريدة الأهرام بعددها ٥٤٣٥ فى ٤ فبراير سنة ١٨٩٦ و ٢١ شعبان سنة ١٣١٣ مقال ضافى الذيول لكاتب مصرى كان نقما على تصرفات الانكليز بالسودان مانصه « وكان غردون كلما تبين زيادة نفور السودانيين من الحكومة يتضاعف سروره ويزداد هو وماجوروه ظلما واعتسافا حتى أنهم أخذوا يدخلون فى الأمور التى تمس الدين وشاركهم فى ذلك الجميع لانكليز من تجار وسياح ثم أنهم لم يكتفوا بابعاد المصريين عن الوظائف بل أخذوا يبعدونهم الى مصر حتى لايكونوا سياطرة على أعمالهم ومقاصدهم الخبيثة . وكانوا أيدا يستعينون لانفاذ اغراضهم بأولاد الشيخ المرغنى واتباعهم المحالفين لهم منذ زمان طويل . ويؤدون اليهم أموالا طائلة أغراهم بانفاذها وذلك لاعتقاد السودانيين الصلاح فى أولئك المشايخ الى ان قال وكان أولاد الشيخ لمرغنى يأخذون ثلاث ضرائب من أهالى السودان الشرقى فى كل سنة على يد جباة لهم كانت تعادل ضرائب الحكومة وهى ضريبة الحوالية وضريبة المولد وضريبة الزيارة الى ان قال مما كان يحدثه الانكليز فى السودان على يد سياحهم ان أحد

هؤلاء السياح لمدعو المستر شوبر الذى سكن السودان وجال فى انحائها نحو خمس عشر سنة ليصطرم فيها نيران الشقاق كان ذلك سنة مسافراً فى شواطىء البحر الأبيض فى جنوب مركز الكوه فنزل عند قبيلة رحالة اسمها « قبيلة سليم » وأقام بمنزل شيخها ضيفا كريما فكان رحالها يصحبونه الى الغابات ليستطلع مايريد ويرسم مايريد . وكان من عادات القبائل الرحل انهم كلما نزلوا فى الصحراء يقيمون مسجدا . وذلك بان يجمعوا قليلا من التراب على شكل دائرة مربعة فأراد ذلك الضيف الكريم أن ينقل رسم هذا المسجد فى دفتر سياحته فرافقه الى المسجد كل من فى الحى ليشاهدوا رسم الفوطوغرافيا وكان ذلك وقت أذن العصر فعندما سمع المستر شوبر المؤذن أخذ يحذف (يتقايأ) ويتفوه بكلمات يمنعنا احلال مقام الدين من كتابتها فقام عليه الأهالى وبعضهم أراد قتله وقد نالته جراح ولكن شيخ القبيلة تدارك الأمر بكل صعوبة وحمى ضيفه بعد ان قتل أحد خدامه ورفقائه الانكليز وتمكن من تهريبه ليلا . ولدى وصوله الى مركز الكوه أرسل الى الحكمدار غردون [1] برسالة برقية يخبره فيها بما جرى له فقامت قيامة الانكليز على قبيلة سليم وخرت البواخر عباب النيل حاملة أربعة آلاف جندى لقطع دابر تلك القبيلة الصغيرة التى أهانت الشرف البريطانى على قولهم فتجند ذلك الجيش قبيلة سليم بالمدافع والخيول تحت قيادة المستر شوبر [2] وذلك قبيل الفجر وأمطر عليها ناراً حامية فأهلكها عن بكرة ابيها ولم ينج منها إلا رجلان وامرأة اختبأوا تحت القتلى الذين بلغ عددهم عشرة آلاف ذهبت أرواحهم ضحية إهانة الفرد الانكليزى المشؤوم وعلى أثر هذه الحادثة أصبح السطاء والعامة من السودانيين يعتقدون بما يقوله لهم الانكليز من أن الحكومة المصرية والاتراك لايدينون بالدين الاسلامى لأن أهالك قبيلة سليم بارسال أربعة آلاف جندى عنها كان بأمر الخديوى مصر الخ .. فهذه سفسطة يأباها العقل وتمجها الاسماع لأنه ليس فى السودان من يحمل سلامة عقيدة لمصريين والاتراك

---

(١) هذه الحادثة كانت فى سنة ١٢٥٦ هـ = ١٨٤٩ م وكان القابض على زمام الحكمداريه اذ ذاك رجلان من كبار المصريين وهما خالد باشا الذى ولى حكمداراً من ١٣ ديسمبر سنة ١٨٤٥ الى ٥ نوفمبر سنه ١٨٤٩ وعقبه جركس عبد اللطيف باشا من اول يوليو سنه ١٨٤٩ الى ١٣ يناير سنه ١٨٥٢ ولم يكن الحكمدار غردون باشا الذى عين حكمدارا فى ١٧ فبراير سنه ١٨٧٧ للمرة الأولى

(٢) لايعقل أن يتولى القيادة سائح انكليزى مع وجود الميرالاى موسى بك الحرير ويحتمل ان يكون ضابطا سياسيا لقائد الحملة فقط

والسودانى يرى بالعين المجردة شعاع الحنفية المنبعث من الازهر الشريف ويدين باطاعة خليفة المسلمين التركى اذ ذاك ولكنه ينكر تصرفات خديوى مصر لدى يأمر بابادة قبيلة عربية مسالمة لمجرد بلاغ مفرض بدون تحقيق ولا روية ومما يدعو الى الدهشة والاستغراب كان فى السودان عشرات الألوف من المصريين والاتراك والارنؤد وغيرهم لايتناهون عن منكر فعلوه ولا يميطون اللثام عن موضع الضعف من سياسة الخديوى الذى قد لايعلم حقيقة الحالة فى السودان فاذا قيل له بعصيان كذا وخروجه عن الطاعة أمر باخضاعه بدون نظر الى النتائج الأمر الذى صير القريب بعيداً والصديق عدوا لدوداً كيف لا وقبيلة سليم ظلت نصف قرن تتأوه من ألم تلك الجائحة ولما ظهر المهدى بأبا فى سنة ١٢٩٨ هـ : ١٨٨١ م كانت أول من قبض بحلاقيم الولاة وحاسبهم حسابا عسيراً على ماضيهم المظلم وجورهم المشين فواحدة بواحدة والبادىء أظلم كما يقال فى المثل العربى .

— « الفقيه عبد الله احمد الصابونابى » —

كان الصابونابى من عرب بنى حسين وكانت له حلة فى شمال النيل الازرق جنوب سنار على بعد بضعة أميال منها . لقد اشتهر الصابونابى بالتقوى والكرم وله خلاوى عديدة للضيافة ونفقات تدل على جوده وعطفه على عابرى السبيل ولقد كان فى محاربة محمد بك الدفتردار باعثا الى الفوضى والاضطرابات التى كانت منها غارة عصابة من الدنكا إبراهيم ، على حلة الصابونابى والتبنيه وجبل القربين شرق تلى واشتبكوا مع العرب فى حرب انتصر فيها الدنكاويون بعد أن قتلوا الفقيه عبد الله أحمد الصابونابى ونهبوا الابقار والضأن والماعز وعاثوا فى البلاد فساداً . وكان ضمن المقتولين يومئذ الملكى الكاهلى وهو من الأبطال المشهورين فقالت أخته أم كبن؟ شاعرة السكوا اهله

الجرى مابيحل وقت الصقر يقدل ياعيال أوعوا من الضل [1]

---

(١) الجرى أى الفرار من الموت لايطيل أمد الحياة إذا حان الأجل عند مايقدل الصقر فالصقر هنا يستعير لبطل من الدنكا إذا تبختر فى الميدان أما الضل فهو الانقباض والحزن حال الهزيمة

بوصيكم مودعاكم وديعا مايخون فيكم | شيخ الدنكا جازم مايخليكم (١)

نيوت الترك فى الحلة راجيكم (٢)

ثم قالت

قتل الصابونابى والخبر جانا

قتل المكى أخى فى الغربة عزانا (٣)

شوفوا الولده دى الماها خجلانه

بيضا خلة أمه الماها نسدمانه

البجرى نسيبته ـ ومرته طبقانه | نداين لسان ـ أم كنه بقفانه (٤)

(١) بوصيكم بالثبات والله يكلاكم بحفظه . وجازم أى أقسم ان لا يتركم فاصدوا له ويددوا جيشه أحداً يشاركم ملكه

(٢) نيوت الترك فى الحلة راجيكم . أى ان الذى يرض الموت فى حومة الوغى سوف يموت بنيوت الترك فى شأن جبانه ضربه الوبركو ولا عرو الأولى اشراك له وأبى لسمته

(٣) عزانا مأخوذ من العزة والمنعة

(٤) نداين أى نعاهد على الثبات فى الحرب حتى ننصر لنقطع بذلك لسان أم كنه التى تقطع أخبارنا من ورائنا وترهف سماح أذنها لكى تسمع من أنبائنا ما يطلق لسانها بالثناء والاطراء على شجاعتنا وذلك أشرف مايتباهى به الودانى

تمرد دورتنجى الاى بالتاكا

فى سنـــة ١٢٨٢ هـ ١٨٦٦ م

كان هذا الآلاى يتألف من أخلاط الزنج كالنوبة والتقلاويين والفور والشلكاويين والهمج أما ضباطه فكانوا من الاتراك والسودانيين وكان يعسكر فى التاكا وبعد وفاة موسى حمدى باشا حاكم دار السودان بالخرطوم ورد تلغراف لوكيل الحكمدارية يوم الاربعاء ١١ صفر سنة ١٢٨٢ هـ الموافق سنة ١٨٦٦ ميلاديه منبئا بتمرد دورتنجى ألاى أى الآلاى الرابع فى التاكا وتحرج الحالة هناك الى أقصى حدود الخطر وتعزى تلك الثورة التى ذهب فيها كثير من الأرواح البريئة الى غطرسة ضابط من رتبة البكباشى يدعى خطاب افندى والسبب انه لم تصرف ماهيات لعساكر بضعة أشهر وقد بلغ الاستياء منهم مبلغا عظيما وقد دعوا الى القيام بمأمورية فى حدود الحبشة فرفضوا الاذعان لهذا الأمر مالم تصرف لهم استحقاقاتهم وما كاد يسمع خطاب افندى منهم ذلك حتى امتعض وقال وهل أصبح للعبيد شأن حتى يرفضوا اطاعة الأوامر تالله لاخرجنهم الى المأمورية بالسوط مكرهين فضاعف بذلك غضبهم وايقظ نار الفتنة لأن نساء الجنود قابلن بعولتهن بغاية السخرية والازدراء قائلات اين صفات الرجولة منكم اذا كنتم تساقون بالسياط كالانعام وهناك ظهرت اعراض الثورة وعزم الثوار على الفتك بالضباط ونهب الخزينة والاستحواذ على الجبخانة . اما عمر بك نخرى وكيل الحكمدارية بالخرطوم فقد ابرق الى اللواء حسن باشا قومندان الحدود فى التاكا يسأله عن تفصيل الحادثة والاحتياط مما عساه يحدث من أولئك المتمردين فبعث هذا اناسا من الهجانة لاستكشاف حركات الثوار لا بلاغ وكيل الحكمدارية ولما عادوا اليه بالخبر اليقين وافهموه انهم يريدون الهجوم على التاكا التى كانت بها حامية تتألف من جنود الباشبزق الشايقية بقياده السناجق محمد العطا اغا وعكود اغا ومحمد خير المكى اغا ويوسف السلكى اغا وأحمد زياد اغا والملك حامد اغا ومعهم أردى من الاتراك بقيادة السر سوارى سعيد اغا رتبهم حسن باشا على باب وسور البندر وبنا برجا عاليا على باب وسور البندر وبنا برج عاليا على باب القاش وضع به مدفعا وناط بالسر سوارى سعيد اغا المحافظة على الجبخانة وتاهب الكل للقاء الثوار الآتين من جهة المتيكتاب وفى الساعة السابعة صباحا وصل الثوار بعد ان اجتاحوا حلال العربان التى كانت فى سبيلهم

وكان الجنود مستعدين لاطلاق النار الا ان اللواء امرهم بالكف عن اطلاق الرصاص وان يتنحوا عن سبيل الثوار وان يعيدوا المدافع من الابراج حتى يدخل الثوار الى الكارة أى ثكناتهم، ولعله كان يتوقع تهدأة خواطرهم ليخلدوا الى السكينة ولكن كان الامر بالعكس فانهم دخلوا وهم يطلقون النيران من باب القاش حتى ولجوا الحصن وفتكوا بعشرين موظفا فى مكتب الالاى كان منهم البكباشى خطاب وعرجوا على حى الحلليين (العجيباب) ونهبوا أموالهم وفى يوم الخميس ١٢ صفر نادى حلفاء السيد الحسن المير غنى بالامان فكف الثوار عن اطلاق النار ولكنهم ظلوا ينهبون كل ما وصلت يدهم اليه واستولى الثائرون على كثير من الاماكن وكان فى السابق بمنزل الكونت ديسون وتسعة عشر نفرا فرنسيا والقبطان مدر فالتجأ اليهم جانب من اهالى المدينة المغاربة وغيرهم وكان فى هواء منزل الفرنسيين برج وهو أقوى ابراج المدينة متانة وارتفاعا اتخذوه حصنا لوقايتهم ووضعوا عليه مدفعا ولما كادت تنفد الذخيرة من الثائرين بعثوا أناسا ليشتروا لهم ذخيرة من الفرنسيين إلا ان الفرنسيين رفضوا بيع الجبخانة فى مثل تلك الظروف فغضب الثائرون وهاجموا برج الفرنسيين مرارا وشددوا التكبير عليهم حتى اضطر الكونت ديسون الى تسليم ذخيرته الى السر سوارى سعيد أغا لحفظها مع جبخانة الحكومة ثم سار الفرنسيون الى اللواء حسن باشا وأفهموه بما حاق بهم من جراء هجوم جنود الالاى العصاة فانتدب لهم بلوكا من الجنود النظامية وبعض المتطوعين من أهل المدينة لحمايتهم وبينما هم كذلك وجنوده اذ اتفق الثائرون مع بعض الجنود غير المنظمين وهؤلاء خدعوا حسن باشا ليسلمهم الجبخانه لانهم أحرص عليها من السر سوارى سعيد أغا الذى لما أمر بتسليمها لهم رفض رفضا باتا قائلا لا أسلم الجبخانه وفى رمق من الحياة ولو لاحزمه لامكن الثوار القضاء على الهيئة الحاكمة وسقط السودان الشرقى فى يدهم ولقد ضاعف ذلك يقظة سعيد أغا الذى كان وجنوده جاثين على ركبهم عند المزاغل لا يتحرك أحدهم إلا لضرورة وكان الماء يجلب لهم من الخارج رغم أنف أغلب سكان المدينة فى فريق المغربة السكان بين الجبخانه والمديرية والبرج الذى تحصن به الفرنسيون وانشب المجاعة براثنها فى أحشائهم فطلبوا من حسن باشا ان يصرف لهم غلال من الشونة فرفض فاستحوا فى اسوء حال أدة أحد عشر يوما وبينما هم يعانون تلك الحال اذ حضر من القصارف السر سوارى على كاشف بك التركى ومعه ٢٠٠ جندى من فرسان المغاربة فاطمأن الاهالى لمجيئه وأراد على كاشف الخروج للعدو والقضاء

عليه أو طرده بعيدا عن محيط المدينة فانى حسن باشا عليه ذلك لتضخم قوة العدو الذى تضم اليه بعض الثكارنه والسقطه أى (مرفوتى الجيش) والعبيد المعتوقين والنهابين الخ حتى بلغ عددهم زهاء الاربعة الآف . فاستنجد اللواء حسن باشا بقبائل البدو كما هدندوه والحلانقه والحمران فلبوا طلبه وساروا فى جموع عظيمة أقاموا بالغابات حوالى التاكا فأصبح الثائرون محصورين بين جنود الحكومة والاهالى من الداخل وبين عصابات البدو من الخارج ولقد دام الخطب متفاقما نحو أربعة وخمسين يوما فاشتد فزع الفرنساويين حتى ضاعف حسن باشا الجنود المحافظه عليهم الى ١٥٠ جنديا وواحد طوبجى وضابط برتبة الصاغول أغاسى . وفى يوم ٦ ربيع ثان سنة ١٢٨٢ هـ هجم الثوار هجوما عنيفا فقابلهم جنود الحكومة بثبات واشتد القتال بعنف فارتد الثائرون بعد خسائر عظيمة وفى اليوم التالى اجتمعوا بالكارقو وضربوا أبوقات الحرب وكروا فقاتلتهم جنود الحكومة واحتدم القتال وتراجع الثوار بعد ان أبلى الفريقان بلاء حسنا وهناك اطلقت مقذوفات المدافع على مساكن الثوار فهدم بعضها ومات كثير منهم . وفى ذلك الوقت قدم الميرآلاى آدم بك العربى بألايه وعسكر غرب القاش واجتمع آدم بك العربى مع اللواء حسن باشا واتفقا على استدعاء زعماء الثورة والاحتيال عليهم لعلهم يقبلون تسليم الاسلحة الا ان الزعماء ادركوا مغزى المكيدة وأرادوا الهجوم على جبخانه الاى آدم بك ولكنها نقلت فى الحال الى مخازن الجبخانه بالمديرية ثم ان الثوار أخذوا نساءهم وأولادهم وامتعتهم وعسكروا قريبا من الاى آدم بك الذى رجا السيد الحسن فى الخروج اليهم ودعايتهم الى الطاعة وما كاد ينادى فيهم السيد الحسن حتى اذعنوا وجنحوا الى السلم ووضعوا الاسلحة أكداسا على الأرض وتقدم فرسان الارنؤد لاستلامها ومن ثم أمر العصاة بان يخرجوا الى ميدان فسيح خارج المدينه لتملى عليهم الأوامر القاضية بالغاء الألاى وتسريح جنوده فاخذوا يخرجون مع نسائهم وأولادهم وبينهم كذلك اذ رأى البلوك باشى من جنود الارنؤود فتاة رشيقة القد تسير الى جانب أبيها فامسك بيدها وجذبها اليه فرجاه والدها فى تركها فلم يقبل منه ثم أدخل يده فى جيبه ودفع له قدرا من النقود رشوة فرفض البلوك باشى وهنالك اعاد الوالد النقود الى جيبه واستل خنجرا وطعن به البلوك باشى فارداه قتيلا يتصرخ فى دمه ولذلك أطلق جنود الارنؤد على أولئك العساكر العزل ونسائهم وأولادهم بيران البنادق فبرحت بهم تبريحا فظيعا ففر الباقون الى الحدود وغيرها بحالة شنيعه ولقد أبرق الميرالاى آدم بك العربى الى سمو

خديوى مصر محتجا على سياسة أولئك الضباط الخرقاء وشناعة أعمالهم الوحشية فاستدعاه الخديوى للقاهرة وأمر جعفر مظهر باشا حكمدار السودان ليذهب الى التاكا ويعقد مجلسا عسكريا للتحقيق عن ذلك وحاكمة المتسببين ولكن ما كاد يبلغ أولئك الضباط حتى تسلط عليهم الوهم فرض ابراهيم بك مدير التاكا ومات بعد خمسة أيام من مرضه وتوفى على أثره عثمان بك قائمقام الآلاى واصيب حسن باشا باسهال فمات بعد وصول جعفر باشا الذى حقق فى المسألة وحكم على بعض الضباط بالاعدام شنقا وهم خليل اغا وبشير اغا أبو اللقيق ومحمد أغا أبو تزلك وعيد أغا وخلافهم . وانكى من هذا وذاك تصاعد الروائح الكريهة من جثث الأموات فلقد كانت سببا فى تفشى الحمى السيفوسية التى فتكت بالسكان فتكا ذريعا . فانظر بربك ماجره خطاب افندى الذى سول له وهمه وطيشه انه قادر ان تسوق الالوف من الرجال المحجين بسوطه الى حيث يريد اللواء حسن باشا وابراهيم بك المدير الذين لو كانت لهما قدرة من العقل لامكنهما خنق الفتنة فى مهدها باسترضاء الثوار قبل ان يبلغ بهم الهوس الى ذلك الحد . واعجب من ذلك كله طيش الهالك باشى الذى مديده لفتاه ليرضى ملاذه البهيمة وما درى انه فتح بذلك سبيلا لى حده وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون . هذا ما كان من أمر الآلاى المتمرد . أما المير الاى آدم باشا العريفى فقد قدر له السمو الخديوى ما بذله فى تهدئة خواطر الثوار وكافأه بترقيته الى رتبة اللواء الرفيعة وكان أول ضابط عربى سودانى تولى رئاسة أركان حرب الجيش المصرى فى السودان الى ان توفى الى رحمة مولاه ودفن شرق القباب أمام جامع الخرطوم تغمده الله برحمته وربما عدنا الى ترجمته فى مقال نفرده له عندما تسمح لنا الفرص . وعندما انتهت حادثة الآلاى رفع محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا الحكمدار قصيدة ضافية بهنأ بها سمو اسماعيل باشا خديوى مصر لم نجد منها عدا قوله :

باس الخديوى أباد الزنج بانتاكا	ولم تزل مصر للاعداء فتاكه
سيما وما لكها اسماعيل سيدها	بهمة امرى القيفان فتاكه

(جعفر مظهـــر باشـــا)

لقد اسلفنا عن انتداب جعفر مظهر باشا للتحقيق فى ثورة دورتنجى ألاى فانه حكم بالاعدام على بعض الضباط وبرأ من لم يقم الدليل على اشتراكهم فى الجريمة منح رتبه اللواء على الجنود المصرية وان يكون وكيلا للحكمدارية وكانت معه أورتطان من الجنود بقيادة زكريا بك ولما بلغ التاكا أحدث نظاما جديدا فى الجيوش اذ وزع جنود الألاى الثانى على جهات التاكا وسواكن ومصوغ وقداق الألايان التاسع والعاشر

١ البكباشى خورشيد أفندى علام

٢ » خورشيد أفندى بسمى

٣ » شحانه أفندى حسين الذى توفى بشندى وخلفه ايكباشى محمد أفندى أمين الذى كان بالحجانه

٤ الصاغ ابراهيم أفندى كامل

٥ » على أفندى الكردى

٦ » محمد أفندى حمدى الذى توفى بحبال فارغلى قد جاءت تلك الجيوش مع جعفر صادق باشا حكمدار السودان الذى رافقه أحمد رامى بك والدكتور مصطفى النجدى بك الى كرسكو ومنها الى عتمور أبى حمد ومنه سارت بالمراكب الى الخرطوم فقام الناس من الجهات الى الخرطوم وعلقت الزينة وأطلقت المدافع واستعرض الجنود وكان الاحتفال عظيما جداً فقابل الحكمدار العلماء وزعماء القبائل والموظفين وتناصل الدول ولكنه لم يعمل عملا يذكر لمرضه فبقى الى قدوم جعفر صادق باشا الى القاهرة صحبه الطبيب مصطفى بك النجدى . ثم ان جعفر مظهر باشا قلب الاوضاع القديمة وقرر مع شاهين باشا توزيع العمال كما يأتى

١ على فضلى باشا يكون نائب الحكمدارية

٢ عمر فخرى بك يكون مديرا لدنقلا

٣ محمد أفندى كرارد يكون باشكاتبا للحكمدارية

٤ اسماعيل بك أيوب يكون رئيسا لمجلس السودان

٥ محمد بك سعيد نجل جعفر مظهر يكون عضواً بالمجلس

٦ محمد أفندى أحمد رئيس تحريرات الحكمداريه

٧ حسن أفندى صبرى كاتب سر الحكمدارية

٩ ابراهيم بك مرزوق رئيس القلم الافرنكى بالحكمدارية (١)

١٠ أحمد بك رامى معاون أول الحكمدارية

١١ حسن حلمى بك مديرا لكردفان (٢)

---

(١) ابراهيم بك مرزوق ولد بمصر سنة ١٢٢٣ هـ وتوفى بالخرطوم سنة ١٢٨٣ هـ كان من الادباء البارزين حفظ ٢٠ الف بيت من شعر العرب عدا المتون وله شعر رقيق يتجافى عن مواضع العشق منه قوله

ان الفضيلة فى الأنام عديدة على	شرف النفوس الشم أقوى حجة
فاذا ادعيت بان أصلك يافتى	من سادة الابطال أهل الهمة
فابن لنا نور الشهامة مثلهم	وعلى رفيع المجد أحسن غيره
وإذا أردت الفخر فاسمر دائما	لطلاله واهجر لذيذ الهجعة
فتكون ذا شرف وتلك دلائل	داتما على شرف وكل فضيلة

وقال معاتبا صديقا له

يا معرضاً منجنباً	حاشاك من نقص الذمام
مولاى مالك قد بخلت	على حتى بالكلام
سلم على اذا مررت	فلا أقل من السلام

لقد كتب عنه الاستاذ حسن نائب المرصفى ترجمة طريفة ذيلت اللغه فابرهيم بك مرزوق كان لطيفا حلو الفكاهة وكانت وفاته رزءا ثقيلا على أدباء عصره. وكان ممن خدموا سياسة مصر بالسودان

(٢) حسن حلمى بك « باشا » كان هذا الضابط سيء الاخلاق جاف الطباع وانه أظلم من الليل اذا عسعس فبلغ من ظلمه فى كردفان حتى لقبوه « بالحويسر » دخل مدرسة الابيض ذات يوم فوجد طالباً يخيط ملابسه فاستدعى الشيخ محمد الجيرولى المدرس بالمدرسة وقال له كيف تكون موجود وتصبح المدرسة ورشة للخياطه ثم أمر بجلده ٥٠ كرباجا ولكنه كان شجاعاً واذا جلس فى طريق ترك الناس المرور منه خوفا من شره وله حوادث جمه والخلاصة كان هو وأمثاله من بواعث ثورة المهدية ولكنه كان من اشد أعدائه الكثيرين

١٢ عبد الرزاق بك مدير التاكا (١)

١٣ ممتاز بك مدير سواكن (٢)

١٤ السيد البقلى بك حكيمباشى الحكمدارية

١٥ على افندى غراب حكيمباشى مستشفى الخرطوم

١٦ على أفندى محمود أجزاجى باشا مخازن الأدويه

١٧ أحمد أفندى فهمى الجزاجى مستشفى الخرطوم

١٨ سيد احمد أفندى محمد طبيب بندر الخرطوم

١٩ الاستاذ الأمين الضرير رئيس وممين علماء السودان

مشـــاورة حربيـــة

رأى جعفر مظهر باشا ان يظهر بمظهر القوة والجبروت لكى يحدث رعبا ورروعا فى نفوس الأهالى عملا بالمثل السودانى القائل « دق القراف خل الجمل يخاف » لانه تأكد من استياء السودانيين وأخذوا يفكرون فى التخلص من ربقة الترك ونصرامهم من الجراكسة مع انه لما تنمر السودانيون وحسروا عن ساعد الجد تضاءلت تلك القوة وتبخرت آمال القابضين على ناصية الحكم هذا ولنرجع الى مانحن بصدده فنقول فدعا جعفر باشا بعض الأورط المصرية الى الخرطوم حتى ضاقت بها رحاب المدينة وناط بتدبير المناورة الى نجم الدين بك الذى كان ذا براعـــة وحذق بالفنون العسكرية ثم استدعى رؤساء الادارات

---

(١) عبد الرزاق باشا ما أكرمه من ضابط حسن الاخلاق يابساً فى دينه وهو الذى شيد جامعاً فخما فى التاكا ولم يسجل على نفسه سقطه يذكرها التاريخ ولم تذكر سيرته الا مقرونه بالدعاء والاطراء

« ٢ » ممتاز باشا أخيراً حكمداراً ما كان ممتاز أقل فضولا من حسن حلمى باشا وهو الذى عذب الموظفين بالجلد والسجن نزعم انهم كانوا يتناولون الرشوة وأخيراً كان أحبهم اليها وأسرعهم قبولا لمن مديده بالعطاء قيل دفع له أحد رعماء القبائل جراباً صغيراً من جلد الهدربه نحو عشرة أرطال من الذهب لزوجته فأقر تلك الهديه ذات اللون الاصفر الوهاج فقال العرب لبعضهم الجمل قبل العليقه فانهالت الهدايا عليه حتى أثرى من تلك الرشاوى باسم هدايا

لاتنهى عن خلق وتأتى مثله عار عليك ان فعلت ذميم

وفاصل الدون والعلماء والذوات ومشايخ القبائل وعامة الشعب فكان الحشد عظيما وهناك خرج الجيش بملابسه التركيه واجرى حركات مغربية وابدى الضباط نشاطا مقطوع النظير واطلقت النيران بدرجة صيرت الضياء ظلاما فاظهر غاية الغبطة والسرور لرشاقة نجم الدين بك الذى أبدى الغرائب والعجائب فى حركاته السريعة وصيحاته بالنداآت التركية بصوت جهورى يسمع على بعد ثلاثة كيلو مترات وبعد بضع ساعات عادت الجيوش الى أوكارها وارفض الجمع بين قانع بالقوة وشدة البأس التى ظهرت بهما حكومة جعفر باشا وساخر يرى ان تلك الجيوش ماهى الا كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء اذا نشبت الحروب وتجهمت أسارير الخطوب وقد صدق الخبر عندما وهب السودانيون نفوسهم للموت فى سبيل الدفاع عن الحرية

أما جعفر باشا رأى من ذلك الدرس الذى القاه على الشعب مايبرر له ان يضاعف الضرائب الى ست أضعافها ، يستعمل الكرباج وكل أنواع التعذيب والذى يتحصل بعد ذلك الارهاق يجعله فى مقرراته السنوية ويترك ماينعذر تحصيله وبعد فرض تلك المغارم وأمر بجبايتها نقل قبل ان يخفض ما أراد تخفيضه وتضخمت أرقام المتأخرات وأصبح محمد رياض باشا رئيس الوزارة المصرية يلح فى تحصيل المتأخرات ومحمد رؤف باشا يرد عليه لكى يصدق بشطبها ولكنه لازال متمسكا بها كما تراه فى تقرير محمد رؤف باشا الذى نثبته بعد وبينما هما فى جدل بشأن الضرائب اذ جهر المهدى بدعوته وقال السودانيون ، الف فى بربه ولا قرش طلبه ، وبعد ان ثار السودان وعم طوفان المحنة جاء الجنرال غردون فعفى الضرائب ثلاث سنين ماضيه وثلاث سنين مقبلة واباح تجارة الرقيق فقال السودانيون ، مهما جئتنا به من آية لتسحرنا بها فانا بك غير مؤمنين ، وكان من أمره ماذكرناه مفصلا فى كتابنا ، بدائع الأثر فى أخبار المهدى المنتظر ،

ومن أعمال جعفر مظهر باشا انه استدعى الجنود السودانيه من كردفان ومدنى والتاكا والجيره وغيرها وارسلها لمصر وكلف وسار معها طبيب واخراجى . وقد حدثت مجاعة فى عهده فاستدعى جماعة من التجار وصرف نقودا من خزينة الحكومة

الجعليون

جاء فى جريدة الأهرام بعددها ٥٨٨٧ الصادر فى يوم الخميس ٥ أغسطس سنه ١٨٩٧ م — ٦ ربيع أول سنة ١٣١٥ هـ تحت عنوان .

حادثة الجعليين

تعودت السرداية فى كل عام أن تملأ الآذان بالاشاعات وتذيع فى الأرجاء أخبار انتصار حلفائها فى السودان على جنود الدراويش ويذكر القراء انها كانت عام أول . تقص علينا انتصارات حليفها عمر طيطه أحد زعماء قبائل السودان الشرق المصادقة لها الى حد أنها قالت أن هذا الرجل التقى بعثمان دغنه وناوشه القتال فى وقعت أسفرت عن انهزام عثمان وفوز عمر بعد أن فقد الأول سبعمائة فارس . ولم تمض أيام قلائل حتى ظهر فساد هذه الرواية وبعدها عن مراطن الصدق والوثوق . وقال حضرة مكاتب الأهرام فى سواكن ما معناه . أن الحربية غالت وبالغت فى تلك الأخبار حتى حملت البعض على الاعتقاد بأن شيخ العرب عمر طيطه من القواد المغاوير والأبطال الذين لا يشق لهم غبار ولا يصطلى لهم بنار واقبه (بالجنرال) تهكما وسخرية . وعليه فان للسرداية جنرالا فى كل عام : وجنرالها فى هذه السنة هو عبد الله سعد أمير الجعليين الذى تروى لنا من أنبائه ما يتركنا فى حيرة وذهول ويجعلنا نظن أن ملائكة السموات هبطوا لتكثير عدد الجعليين أصدقاء الانكليز . وان الله بارك فيهم كنسل ابرهيم الخليل . فصاروا كرمل البحر بعد أن كانوا دون القليل .

وما اقتصر التهويل على الدوائر العسكرية فقط بل تناول كثيراً من الجرائد على اختلاف مشاربها ومنازعها . فأخذت فى صفحاتها عن قوة الجعليين وشدة بأسهم ما يشيب خرافات العرب الأمر الذى حدا الى أن أنشر هذه المقالة فى الأهرام موضحا فيها أحوال الجعليين الذين فارقتهم منذ ثلاث سنوات وأقول .

ان الجعليين قوم نازلون بضفتى النيل شمال الخرطوم فى مديرية بربر بلغ مجموع عددهم نحو ٤٠ الف نسمه وهم ينقسمون الى قسمين أحدهما يسكن الجهة من جنوب نهر اتبره والآخر يقطن الجهة الشمالية من هذا النهر . وسكان الشمال يعرفون باسم البرابره

وبين الفريقين . عداوات وإحن قديمة مستحصلة . وسكان الشمال ينقسمون الى قبائل صغيرة شهرها الزيداب ورجاله بوجه الاجمال قوية فى المراكب الشراعية . وكذا قبيلة المكاريات . وأما قبيلة النفيعاب التى منها عبد الله سعد فصناعة رجالها الحياكة وكان عبد الله سعد حائكا كما سنبينه فيما بعد .

وفى أيام تسلط الحكومة المصرية على السودان لم تكن للجعليين وحدة قومية بل كان لكل قرية رئيس أو عمدة كالقرى الريفية فى مصر(١). ولم تكن لهم أيضا جامعة فى الاتحاد فى الرأى . وقصارى القول انهم ما اجتمعت كلمتهم الا فى أيام المهدية لأن المهدى كان يحثهم على الائتلاف كبقية قبائل السودان . وزراعتهم على شاطىء النيل وطرق الرى لا أثر لها عندهم يذكر . ومحصولاتهم لا تكاد تكفيهم شهراً واحداً وأكثرها من الذرة الرفيعة . والدواب كالخيل والبغال لا وجود لها عندهم . والحمر الاهلية قليلة جدا حتى أن كل سبعة نفوس منهم يملكون حماراً واحداً الخ .

انى لأعجب غاية العجب لجرأة هذا الكاتب الذى علم أنه ليس بين قراء الاهرام اذ ذاك من يعرف تاريخ السودان فيكون حجر عثرة فى سبيل نشراته السقيمة . فأطلق العنان لقلمه وصار يكيل الكلام جزافا بدون أن يقيم للحقيقة وزنا فقدر التعايشة بنصف مليون مع أنهم دون العشرين الفا وقدر الجعليين بأربعين الفا حالة كونه يربو عددهم عن نصف مليون وحصرهم فى منطقة ضيقة فى مديرية بربر ولا يكاد يخلو منهم مكان فى أقاليم السودان .

أما قوله أن النفيعاب يحترفون الحياكة فباطل يكذبه الواقع ويبطله البرهان . ولو صح ذلك على فرض فلا غبار عليهم فى شىء منه لأنها وسيلة من وسائل الحياة فرحم الله القائل .

وليس على عبد تقى نقيصة إذا صح التقوى وإن حاك أو حجم

وقال لم تكن للجعليين وحدة قومية فباطل أيضا فقد برهنوا على وحدتهم فى حربهم

(١) نعم كذلك وعند الضرورة تتجمع تلك الفصائل لصد تيار العدو مهما كان عاتيا هكذا قام الجموعية والجيلاب وغيرهم وساروا الى الملك ادريس بالمتمة لحرب محمود ود كوينه وقام سكان الصوفى والمتمة الى الاباء عمر لصد غارة الصبالبه والتكارنه .

[illegible] وتمزيقهم جند الفونج فى المتمة فى عهد الملك ادريس . وحربهم التكارنة فى بلاد الحبش أما قوله سبعة منهم يشتركون حمارا فهذا قول يتعارض مع الواقع وسخيف لا يقول به عاقل وما هى قيمة الحمار حتى يشترك فيه سبعة أشخاص أهو سفينة شراعية ؟ وما هى رابطه الحمار بالكلام عن حرب عبد الله سعد بجيوش المهدية وهل يظن الكاتب وفرة الحمر يكون لها أثر فى فوز الجعليين إنما يراد به الحط من كرامة عشيرة تشتمل على الفاضل والمفضول والمالك والمملوك والقنى والصعلوك كما هى الحال فى كل زمان ومكان . هذا ولنرجع الى مانحن بصدده فنقول . أن للقبائل المذكوره أغان شتى فى وصف تلك الجائحة منها قال حمد الكافر :—

طال الشوق على أهل النظاف والزينه ... حلوا البوراهم صوبت به سفينه

حلاق العباد شاحدنه كان يورين ... فى البقاره فعلا تنطفى به غبينه

نعم وإن تكن حادثة حرق اسماعيل باشا فى سنة ١٢٣٨ قصصت القوادم من اجنحة الجعليين ولكن أراد ربك ان تنتعش تلك العشيره إلا انها لم تعد لمكانها الأولى بل بقى منها فى ضفاف نهر أتبره وجزرة فى سنار وكردفان ودارفور وغيرها أما عبد الله [illegible] فكان من الأبطال الذين لا يشق لهم غبار وكفى بنا برهان مطاردته لفلول الحملة الانكليزية بقيادة الجنرال تشارلس ولسن من المتمة الى [illegible]

ولقد أظهر الجعليون فى واقعة أبى طليح من ضروب البطولة ما يوجب الفخر كما قال حاج على ود سعد الذى شهد تلك المصارعه وجرح فيها مؤنبا على فتنة الاشراف ومنافستهم للخليفة عبد الله بشأن الزعامه .

دنقرنا فى العريان خبط ... وقلبنا من الخوف ثبت (١)

أهل الرياسة لكوها وأبت ... بعد ما شابت عقبان حبت (٢)

---

(١) الدنقر بكسر الدال طبل عظيم يضرب للحرب أما العريان فاسم جبل تجمع فرسان الجعليين به وخبط ضرب

(٢) لكوها أى عالجوها شابت الدولة أى شاخت وعقب ذلك عادت لسن الطفولة .

محاولة النقد

فى سنة ١٣٥٥هـ — ١٩٣٦م

كنت مشغول الفكر بما أراه من خلط المؤرخين فيما أعلمه وأتحقق صحته من تاريخ السودان ومازلت أقدم لمعالجة تلك الاغلاط رجلا وأؤخر للنكوص أخرى عسى أن يقوم أحد السودانيين عنى بفرض الكفاية ولما لم أر أحدا حتى ظهور تاريخ الاستاذ عبد الله حسين المحامى والمحرر بجريدة الأهرام فاضطرنى الى مراجعة كل ماينشر به والرد عليه وكانت الصحف فى السودان على ما بها من قلة تكاد تكون محتكرة لأقلام أشخاص معلومين اذ ذاك من رواد الشهرة وغيرهم من المستجدين عطف الانكليز بما ينمقونه من وصف الحكومة بالعدل والاصلاح فأسست مجلة أسميتها « أم درمان » لخدمة التاريخ صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٦ الموافق ٢٩ جماد الثانى سنة ١٣٥٥هـ فى العدد الخامس بدأت الرد على كتاب السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية لمؤلفه الأستاذ عبد الله حسين بعد أن اخترته ورد قائلا ارسل لى ملاحظاتك لاحفظها للطبعة الثانية ولكنى لم التفت الى قوله لأنى لم أضمن الحياة الى ظهور الطبعة الثانية

(١)

— « السودان من التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصرية » —

لقد بزغت شمس سفر حديث بالعنوان المتقدم وضعه الاستاذ الفاضل عبد الله حسين المحامى والمحرر بجريدة الاهرام والعضو فى البعثة المصرية التى ارتادت بعض أقاليم السودان فى صدر عام ١٩٣٥ لدرس الحالة الاقتصادية به كالزراعة والتجارة وغيرهما من مرافق الحياة وعادت تحمل بين جنبيها من آيات الغبطة ودواعى السرور ماأطلق لسانها بالثناء والاطراء الذين تلاشى بهما بعض الاعتقاد السائد هناك ببربرية السودانيين وجفاء طبعهم كما زعم بعض المغرضين عما الله منهم .

وما كادت البعثة المصرية تعود الى كنانتها حتى أذاع الأستاذ عبد الله حسين خبرا يقول فيه أنه سيضيع مؤلفا طريفا من تاريخ السودان، فقام الناس وقعدوا وهللوا

وكبروا سرورًا وابتهاجا لذلك النبأ. قائلين . لقد سمعناه ينقد مؤلف الدكتور هيكل « عشرة أيام فى السودان » لخروجه عن جادة الاعتدال وذهابه من ذات اليمين الى ذات الشمال . ولا غرو فان رجلا كهذا جدير به أن يتحرى الحقائق ولا يكيل الكلام جزافا بدون أن يقيم له وزنا. وربما قام هنا بفرض الكفاية فى مؤلفه الذى قد يكون بمثابة رد على تلك المؤلفات الملفقة التى نمقها ذو الغايات فاشبعوا السودانيين فيها وخزا دونه وخز الرماح. ولم يتعرض أحد منهم إلى نقدها. لوجوم الناس تحت تأثير الانقلاب السياسى وتبدل الأحوال بعد حروب صبغت أديم البلاد بدماء الكمات من ابنائها . ودخول الأمة فى طور الاحتلال الذى لا يجعل للاسير حرية فى القول أو العمل مهما كان شأنه . وهناك تمهد الطريق وصفا الجو لتلك المؤلفات الزائفة . فراجت وراجا غريبا .وجرت شوطا بعيدا فى الوضع والتلفيق والاختلاق . وأصبحت مرجعا لكثير من الكتاب فى العالم ونحن نقرأ ذلك ولا نجرأ على القول بغيره . خوفا من ضخامة القاب المؤلفين. كالسر والباشا والبك وهلم جرا . وهذه أضعف درجات الايمان بالوطنية .كما ذهب اليه جماعة الفقهاء . فى الاكتفاء بانكار القلب . لمن لم يدفع المنكر بيده أو بلسانه .

ويا عجبا كيف تتبدل أحكام الجبلة وكيف يمحى أثر الفطرة وكيف تسفل النفس منا حتى لا تصبو الى الرفعة. وكيف ترضى بالهوان حتى تكون ككرة القدم. تتقاذفها أرجل الكاتبين . وتعبث فى عرضها ايدى المؤرخين . فتصبغها فى كل آن بلون آخر . فنسمى العربى زنجيا والهاشمى نوبيا والزنجى حبشيا فى وقت حرية الاقلام. ونحن نقضى الحياة من خوف الذل فى الذل. ومن خوف الهوان فى الهوان ؟!

ولعمرى والحالة هذه يجب اما أن ننسلخ عن الانسانية ونتخلى عن الايمان بالوطنية ونتبرأ عن الاتصاف بالعربية. وأما أن نرد الحجر من حيث أتى بأن نجرد أقلامنا اللاصقة فى اغمادها ونسير متلاصقى المناكب لهدم ما اكتته تلك الاقلام الجائرة من الترهات وغرائب الخزعبلات وحتى نزهق الباطل ونقيم على انقاضه منار الحق .

هذا وبينما كنا نقتل الوقت معللين النفس بظهور ذلك المؤلف الجديد . ظانين بل

متحققين بان نرى فيه قضاء مبرما على المختلقات التى أسلفنا عنها اذ حمل البريد الينا عنه سفراً يشتمل على ثلاثة أجزاء. فتصفحناه بشغف وراجعناه بدقة. فألفيناه خلطا قولا سديدا وآخر بعيدا. لأنه أخذ عن مؤلفات لازالت شجى فى حلق الأمة. وكان كثير منا يذهب لنقدها وتزييف مجاهها. إذن فلزلف الحديد لم تكن به سوى انه نبه الافكار والفت الأنظار وايقظ الهمم الى دحض تلك الأباطيل التى كان يراد بها محض التشكاية بالسودانيين لان سبق أولئك المؤلفين كانوا فى اشرهم. وهنا نرجو من الاستاذ عبد الله حسين ان يسمح لنا بان نميط اللثام عن الاغلاط التاريخية التى جاءت فى مؤلفه خدمة للحقيقة والتاريخ. لكى لاينظر العالم الينا بنظارة معكوسة فنلدغ من حجر مرتين. لان الذى يرى تصاغر أقوال المؤرخين على شيء لابد له من الادعان والتصديق. مالم يقم الدليل القطعى على الغاية وفساد الرواية. ولا يعقل ان يكون ذلك بغير أقلام الوطنيين السودانيين الخبيرين بكنه بلادهم وان زعم الاستاذ على انه أخذ عن بعض السودانيين حال مروره هنالك. قلنا له ما كل مائع ماء ولا كل سقف سماء. فليس كل من تظله سماء السودان عليما بتاريخها. ربما انه أحد ممن لا يعرف غير محيط داره أو قريته التى هو فيها. وفائد الشيء لايعطيه فدرس التاريخ ليس من الأمور الهينة. ولو كان كذلك لاصبح كل الناس مؤرخين [1] ذلك اذا لم نقل ان الايام التى قضاها الاستاذ فى رحلة المقاتلات ومشاهده المهرجانات ليست كافية لان يصور فى مخيلة القارىء شبحا حقيقيا يمثل ماضى السودان وحاضره الا ان يكون ذلك بمعجزة الهية وهيهات وكل ما اعترضناه فى حوادثه بلاد الانكر فضله فى بنه أودع كتابه كثيرا من الوثائق التى ما كانت تعرف من ذى قبل. ذلك علاوة على جمعه وتنسيقه فى وقت يكاد لايقبله العقل لولا ان المؤلف ماثل بين أيدينا وهذه همة تذكر فتشكر.

---

(١) أقول ذلك لان السودان سقط راسى وعمى عشرتى وعمرى الآن ٧٥ عاما ولله الحمد. طفت البلاد وتعرفت بها كنهها ولم أزل أقوم برحلات عدت من الأخيرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ بعد سبعة أشهر درست فيها تاريخ وجغرافية كردفان وجنوبه دارفور وكنت فى رحلة كتبته فى بحر الغزال من ديسمبر سنة ١٩٤٦ الى ابريل سنة ١٩٤٧ وفى ١٩٣٨ بكملا وسنه ١٩٤١ من مركز الدر اى ه ك ا ا ا ا ا ا

فى جولاته ارضيه مها فكيف نسمح لغير فى وضع مؤلف يشتمل على ثلاثة أجزاء فى رحلة جيئة

الجزء الاول

قال « الشلك » فى الصحيفة ١٩ والزنوج قبائل كثيرة منها الشلك غرب النيل عند بحيرة نو مع ان هذا يتعارض مع الحقيقة . فالشلك

يقيمون على ضفاف النيل الأبيض شرقا مع الدنكا وغربا وحدهم فى المنطقة بين الرنك شمالا وتوجه جنوبا . وهذه المنطقة فى أقليم ملكال وبحيرة نو داخلة فى أقليم بحر الغزال وسكانها دنكا ونوير

الدنكا

وقال الدنكا شرق النيل الابيض والحقيقة ان الدنكا وبين ينتشرون شرقا وغربا فى أربعة أقاليم (١) منها الدنكا ابراهيم ينتشرون فى شاطىء النيل الشرقى بين الرنك شمالا ونهر سبت جنوبا (٢) الدنكا رق فى مشروع الرق (٣) الدنكا أقار فى التونج (٤) الدنكا بور فى بورو الدكفيول (٥) الدنكا عالياب فى طومبى (٦) الدنكا مشيش فى شامبى (٧) الدنكا أتويت فى لاو (٨) الدنكا ملول فى اويل وبحر نيغام ليس (٩) الدنكا رق دنكا ماريق فى غربه التابعه للنهود . فالدنكا فى أربعة أقاليم متنائية عن بعضها . ومما جاء فى تلك الصفحة صورة رجل شلكاوى . وقال عنه دنكاوى فى زى محارب فى ابهى زينته . ولو كان له المام بشعار قبائل الزنج لأدرك خطأه قبل نفده لأن الشلكاوى يعقص شعر رأسه حتى يصير كالقبعه لتظله من وهج الشمس . أما الدنكاوى فانه يرسل شعر رأسه حتى يكون له إكليلا تشبها بالأسد ويصبغه حتى يصير أصفر كلون شعر الافرنج . وفى الصحيفه ٢٠ قال ومن قبائل البجه العبابده ويتصلون باسوان والبشاريين أو البشاريه من القصير حتى سواكن والأمرأر الى ان قال قبائل بنى عامر والحبات . ومن الغريب انه استشهد بصورة زنجيات عاريات الأبدان من نساء النوير حتى يظن انهن من القبائل التى يتكلم عنها وذلك ضرب من ضروب الاساءة مع ان زى هذه القبائل انسب مايكون للزى الشرعى فالمرأة العبابدية مثلا لايرى منها غير عينيها وأقدميها . وهذا خطأ فالعبابده من خلاصة العرب لانهم سلالة عباد بن الزبير بن العوام رضى الله عنه أما البشاريه فيقال من البكواهله ، زبيريه أيضا ، وفى رواية انهم خلاسيون من عرب وبجه . والأمرآر منهم فرع يقال له عتمن أبناء عثمان ولد عجيب من العبد لاب

وبنو عامر عرب ساكنوا البجه فاثرت فيهم البيئه فصاروا يتكلمون برطانة البجة وليس هذا بغريب فالاشراف من سلالة الحسين رضى الله عنه فى سواكن يتكلمون بلغة البجة وهكذا من كانوا بالصومال وفى بلاد العجم والصين والهند فتعليم اللغات لايؤثر فى صفاتهم وجواهر ذاتهم

(٢)

أنا لنعجب كل العجب عندما نرى تعلق المصرى بالسودان منذ أمد بعيد والحاجه فى المطالبه بتوحيد القطرين بحجة انهما أخوان وهو لا يعرف مساكن أحدهما من زوايا الكرة الارضية ولا درجة القرابه بينهما ان كانت من طريق الرحم أو العصبية . ذلك بالرغم عن الجوار ولصق الدار بالدار . هذا اذا لم نقل ان الآفا من المصريين جاسوا خلال السودان وساكنوا بل صاهروا عشائره [1] عشرات السنين جريا وراء المادة وتفانيا فى عرض هذه الحياة ولما عادوا لقطرهم المحبوب لم ينقلوا سوى ذواتهم . فاصبح الكاتب المصرى لايجد من المادة التى تعينه عند الحاجة عدا الرجوع الى تلك المؤلفات المعتلة التى برزت عن دائرة الضبط وخرجت عن قواعد الربط . فكانت كداء الطلب ماتغذى منها مؤلف الا أحدث تسمما فى الاعضاء وتشويشا فى الافكار . هذا وقد وضعت تلك المؤلفات فى ظروف خطرة وتحت سماء متلبدة بالغيوم السياسية وكتابها ممن أوقعهم سوء الحظ ونحس الطالع بين فكى الأسر فى إبان الثورة السودانيه وتعرتها الدينيه . فذاقوا من حروب الدهر وآيات العبر . ما صيرهم ينظرون الى السودانى نظرة المنتقم الجبار الذى برأته الايام مقاعد الرياسة وسلته سيف النقمة كالبارون سلاطين باشا وابراهيم فوزى باشا والقس أهر ولدر وغيرهم من الذين قلبوا لنا ظهر المحن وكالوا الكلام بسوء نية . فهولاء أعداء رسم الاضطهاد فى مخيلتهم شبحا

---

(١) وقد كان من أبناء السودانيات مايفتخر به كاليوزباشى أمين أفندى محمد عبد الله منير الذى قبض على رجلين من اليهود قتلا اللورد موين ولولاه لعادت انجلترا الى تمثيل رواية السر لى ستاك فى سنة ١٩٢٥ م فهذا الضابط أنجبته السيدة فاطمة بنت فضل النور من ولو ووالده الكباشى محمد افندى عبد الله منير من قرية [ميت عمر] انتحروا العبقرية فى أرحام السودانيات حتى تكون الوحده وحدة بالمعنى الصحيح لااسم على غير مسمى

مخيفا ما زال يلازمهم ملازمة الظل للشاخص. حتى قالوا ما قالوا عما تعافه العدالة ولا تسوغه نواحيس الامانة لأن مؤلفاتهم هى عبارة عن تاريخ حياتهم وما لاقوه من خير وشر. اذن فماذا يعتذر الذى شاهد الاحوال عيانا وخالط زعماء البلاد وحادثهم فى شتى نواحى التاريخ ثم عاد فكتب ما كتب تحت سماء صافية الأديم . وليس بها من المؤثرات النفسية التى تضطره الى البروز عن ظل النزاهة كالأستاذ عبد الله حسين وبأى لفظ يجيب عن قوله فى صحيفة ٢١ جزء أول . ومن النوبة الدناقلة وهم سكان ما بين الشلال الثالث والرابع . ومن قبائلهم الأشراف التى ينتسب اليها السيد محمد أحمد المهدى. والحص إلى قوله أهل سكوت وأهل حلفا ، فويح للحقيقة التى تلاشت بين عبث الكاتبين وخلط المؤرخين الذين لم يعرضوا تلك الأباطيل على ميزان العقل ليتبينوا غثها من سمينها فذلك قول أوحت به الهواجس والأوهام وأول من أدلى به جمهرة من علماء الآثار الإفرنج عندما كانوا يتقبون على آثار أثيوبيا بمروى وجبل البركل بدنقلا مع ان اثيوبيا انفردت تلك المنطقة فى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد فرارا من ضغط الآشوريين الذين دالت دولتهم وقامت على انقاضها دولة الرومان . وما دخل العرب الى السودان الا فى سنة ٢٥٥ هـ كما رواه المقريزى فى الجزء الأول من خططه . أهل يعقل ان يؤخذ من تلك الآثار شىء من الدلائل والقرائن مايدل على عربية سكان دنقلا . ماهكذا فدنقلا عبارة عن بوغاز مر به مهاجروا الغرب . وسكانها الآن أخلاط من بنى هاشم وبنى أمية والبديرية « عباسيه » والأوس والخزرج وفزاره الخ . أما النوبه فتوجد منهم عائلات متفرقة فى كل السودان لا دنقلا وحدها وأكثر ما يكونون فى الدر بمديرية أسوان وكردفان ودارفور . وبالرغم من قلتهم . فانهم يتعصبون لقوميتهم ويتباهون بأنهم سادة البلاد قديما

أما قوله ومن قبائلهم الأشراف التى ينتسب اليها السيد محمد أحمد المهدى فقول يتعارض مع الحقيقة . لأن السيد محمد أحمد المهدى بن عبد الله بن فحل بن عبد الولى بن عبد الله بن محمد بن الحاج شريف بن على بن أحمد بن على بن حسب النبى بن صبرنسى بن نصر وهذا هو الذى هاجر من الخناق فى شمال اسوان الى دنقلا فى عهد العباسيين بن عبد الكريم بن الحسين بن نجم الدين بن عون الله بن عثمان بن موسى بن أحمد أبى العباس بن يونس بن عثمان بن يعقوب بن عبد القادر بن الحسن العسكرى بن علوان بن عبد الباقى بن يعقوب بن السيد الحسن بن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وكذا توجد

بدنقلا عناصر شتى من سلائل تركية وكرديه ومصرية قد لا يعرف بعضهم الا بنسبته الى وطنه بمصر كفلان الطحطاوى وفلان القناوى والجعفرى وهلم جرا . ومن الغريب قوله فى الصحيفة ٢١ ومن قبائل العرب الزبالعة فالزبالعة ليست بقبيلة وانما هى صلاله كالاسماعيلية والقرامطة ولقد أطلنا الكلام عليها انظر الصحيفة ١١٦ هذا ولقد ذكر الأستاذ فى مؤلفه قبائل لا تكاد تتجاوز عدد الاصابع فى حين أن بالسودان ١١٤ قبيلة عربية وأكثر من ذلك قبائل الزنج[1] ولا نثريب عليه فى شىء من ذلك لأنه غير ميسور الاحاطة بكل تلك القبائل فى مثل الأيام الوجيزة التى قضاها فى بلادنا . وعلى كل حال نرجو من حضرات القراء أن يتصفحوا ذلك المؤلف بغاية الحذر حتى يروا آخر ما فى الكنانة من نقده فى هذا المؤلف . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولو آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين

عن الجـ[illegible]

(١) توجد جاليات كثيرة غير عربيه أرغمت فى قبائل العرب بالسودان وهى كنين بدارفور والمماليك بقريه أزقرفه شمال شرق مدينه الفاشر والقبط فى كردفان وأم درمان والحضور الذين هم قبط هاجروا بضغط الفاطميين وأسرعوا بالهجرة وصاهروا العرب بالمتمه وغيرها فنسلوا سلاله حسنه السمات بديعه الجمال والمولدون الذين هم من سلائل شتى كالترك والكرد واليونان والمجر سكان جزيرة المجراب بحلفا والصربين الخ

(٣)

ليس الغرض من تفنيدنا . تأثرنا خطوات مؤلف الأستاذ عبدالله حسين هو مجرد النقد والتشويش على قرائه كلا ثم كلا . بل نحن قوم نرى من جهل المصرى بنا اساءة طالما حظت من أقدارنا بين المصريين الذين يدرسون ابناءهم حتى الآ أن السودانيين يأكلون الذباب بالعسل . ويرسمون صورا عارية ويكتبون بأسفلها (سكان النيل) فأنى لطالب يلقن من نعومة أظفاره مثل تلك النقائض المزرية ويرى أمثال تلك الصور العارية ذات الذيول وهو فى مهد التكوين وأول خطوات التمدين يعترف بأخاه السودانى . أو يرضى بنسبته اليه . أجل أن أولئك العراة سودانيون حاميون ونحن حتى الآن نتألم لما منوا به من البعد عن مناهل العلم ودواعى الحضارة . وننحى باللائمة على الحكومات التى لم تمد يدها الى رفع مستواهم منذ أن بسطت مصر نفوذها عليهم فى عهد الخديوى اسماعيل باشا فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى كما ان الانكليز لم يمهدوا السبيل الى غير مصارعات دينية يقوم بها دعاة الكاثوليك . أما المؤرخ المصرى لا أخاله يجهل أن بالسودان قبائل شتى من العرب كبنى هاشم وبنى أميه والأوس والخزرج وكنانه وجهينه وربيعه ومصر وترك ومصريين ونوارج أى «كنين» وعماليك وغيرهم فلما لا نرى صورة لهؤلاء والحال أنهم أقرب الى مصر وكثير منهم يساكنون المصريين بالقاهرة وغيرها اذن تناول صور الزنوج العارية وترك غيرهم من أهل الحضر كان بسوء نية الغرض منها التشهير بالسودانى العربى الذى طالما نادى بالوحدة ووقع فى أحضان مصر وليس ببعيد المصارعة على الوحدة بالخرطوم سنة ١٩٢٤م اذ استمرت الحرب فى الشوارع والأزقة ٢٢ ساعة وتلاها الحكم بالاعدام رميا بالرصاص والنفى الى أقاصى الجنوب هذا وقد وضعت مؤلفا أسميته (الصراع المسلح على الوحدة فى السودان) وجاء فى الصحيفه ٤٨ جزء أول صورة لأربعة أمراء تعليشه وهم يونس الدكيم وعبد الباقى عبد الوكيل والختيم موسى ومحمد المهدى أحمد وكتب بأسفلها «من مشايخ أبى حمد والشلال وهم كاهل الصعيد» فهؤلاء طالما جالستهم واخذ عنهم بعض حوادث التاريخ التى جرت على يدهم كما يعرفهم المصرى أيضا لأنهم أقاموا فى رشيد زمنا طويلا فى حال اعتقالهم . فدهشت جداً لهذا الخلط الغريب مع أن هؤلاء الامراء اخذت لهم مئات الصور وكتبت عنهم الجرائد الانكليزية وكتب عنها . بما ترجمته (سجناء الحرب من أمراء الدرويش) ليت شعرى كيف يخطىء المصرى

---

(١) وذلك لايشغلنا عن الاعتراف بفضل جلاله فاروق الأول ملك مصر والسودان الذى فتح باب التعليم على مصراعيه للسودان الذين نهضوا بعد غفلتهم سيكون لها أثرا خالداً فى حياة الوادى ووحدته انشاءالله

العربى ويصيب الانكليز الأعجمى الذى لايكاد يعرف من بلاد السودان عدا اسمها . هذا وليس التاريخ بالشىء الهين الذى يوخذ كالقتوغرافية . وإنما يحتاج ال ذى همه يعانى صعابها ويقطع شعابها برحلات شاقة وبذل الجهود فى الأخذ والتمحيص بين الروايات المتباينة وطرح الأقوال المفرضة لا ان تملأ المذكرات من غث وسمين . وقال فى الصحيفه ٧٣ قد انقسم البجة إلى قبائل العبايدة والبشاريين والهدندوه والأمرا والحلانقا والحباب وبنى عامر الخ . فذلك خطأ من ألفه الى يائه فان البجه هم الهدندوه فقط أما عداها فعرب فمن ذلك العبايدة هم أبناء عباد بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه راجع ذلك فى الصحيفة رقم ٥٠ من كتاب مسامرات الأخبار للاستاذ محى الدين العربى . والبشاريون قيل خلاسيون تناسلوا من أب عربى وأم بجاوية . أما الحلانقة فعرب يرجعون إلى هوازن هاجروا إلى الحبشة من بغاز باب المندب وأقاموا هناك زمنا طويلا وكانوا يحملون السياط فاطلق الأحباش عليهم اسم حلانقا . وهو ما معناه بالعربية حملة السياط ولما اضطهدهم الأحباش لدينهم ساروا الى السودان متتبعين سيف نهر القاش والأمرار وبنو عامر أبناء رجلين أخوين هما عامر وعمار كلاهما من العرب فنسل عامر بنى عامر ونسل عمار الأمرآر . وكلمة آر . بلغة الهدندوه أبناء عرب ولكنهم ساكنوا البجة وصاهروهم حتى أثرت فيهم البيئة والوسط . وفى رواية ن الهدندوه عرب أيضا وفى الصحيفة ٧٤ عن مملكة الفونج قوله يرجع الى تاريخهم العربى الى نفر من بنى أمية فروا من الشام الى المغرب الأقصى والسودان فأسسو مملكة سنار . والصحيح أن العبدى الشاعر دخل على السفاح وكان فى مجلسه ٨٢ رجلا من بنى أميه كان ضمنهم الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن عمران فانشده قائلا .

أما الدعاة الى الجنان فهاشم ... وبنو أميه من دعاة النار

وبنو أميه روحة ملعونة ... ولهاشم فى الناس عود نضار

فرفع الغمر رأسه وقال له يا ابن الزانية . مادعاك الى هذا فامتعض السفاح وأمر بهم فقتلو جميعا أى الأمويين ماعدا ابناء الغمر فروا الى الحبشة اى بنا الغمر ودعوا هناك بالغمريين ولما ساء الأحباش فى معاملتهم هاجروا منها الى جبال الفونج وسموا باسمها . وبعد زمن طويل ساروا الى جبال سقدى وموية . ومن هذه وثبوا الى مملكة النوبة فأخضعوها وأسسو على أنقاضها مملكة الفونج بسنار فى سنة ٩١٠ هـ ثم جاءت فى الصحيفة ٣٦ صورة امرأة

دنكارية عارية وكتب باسفلها قائلا امرأة من المدندوة مع انى لم اسمع بان امرأة هدندوا تحلق شعر رأسها وتتسور بالحديد والنحاس وترتدى الفراء فامر أة الهدندوية تدين بالسلام من أول عصوره . وهى أشد ماتكون على الحجاب الشرعى وأمثال هذه الصورة مما تسبب استياء الناس هناك ويروا من ذلك محض الاساءة والتشهير بهم . وجاء فى نفس الصحيفة قوله . آثار سقوط والمحس والصحيح سكوت والمحس

وكذا جاء فى الصحيفة ٧٨ عن الحملة المصرية ما نصه وتم احتلال مديرية دنقلا [1] ثم واصل سيره جنوبى دنقلا فى بلاد الشايقية وعلى المصرية من كورتى على الشاطىء الغربى للنيل هجم الشايقية على فرسان الجيش المصرى الذين تقدموه لكن الفرسان المصريين هزموا الهاجمين الذين سلموا وانضموا جنودا فى الجيش المصرى ليس هذا بحقيقة ولا يشبه الحقيقة بأى حال من الأحوال فقد أسلفنا بما لا يقبل الزيادة راجع الصحيفة ٩٦ ترى كيف كان الصلح مع الشايقية أما الحملة المصرية فانها سارت فى غاية الاطمئنان لم يعكر مزاجها الا فى قرى محصنة بها طائفة من المماليك بالدر وأبريم التابعتين لأسوان بقيادة حسن قوش كاشف أغا وبعد اطلاق المدافع عليها واخضاعها سارت الحملة جنوبا الى جزيرة سای بالسكوت وقابلها هناك الشيخ عبد السلام أحمد المسى [2] يبدلها وكافاه اسماعيل باشا بتعيينه قاضيا شرعيا كما أسلفنا . ولا ضرورة تدعونا الى الاعادة فالغرض من ذلك هو محض التفاهم ودلالة المصرى الى تاريخ السودان حتى لا يغتر بضخامة العناوين وزخرفة الروايه وهى كالسراب الذى يحسب الظمآن ماء

(٤)

ولقد أسهب الأستاذ عبد الله حسين فى مؤلفه عن الحملة المصرية فقال فى الصحيفة ٨٧ من الجزء الأول حتى وصل على النهر تجاه بربر التى فتحها الجيش المصرى فى ١٠ مارس سنة ١٨٢١ واخضع ملكها نصر الدين والحال ذكرنا أن نصر الدين له أعداء نافسوه الرياسة وهم

---

(١) ليس هذا احتلالا وانما كان صلحا تم على أشياء ثم خرج وزاله فضة عنه .

(٢) كانت أم عبد السلام السيدة فاطمة بنت سليمان ود كاره المشوك وهذه صلة تقام ابنها بدلالة أبيه على ابادة المماليك فى جزيرة سای كما ذكرناه

بنو عمه الرحاب والنعيمات ولما قام الى الحج اغتالوا ابنه فعرج الى القاهرة ودعا محمد على باشا الى دخول السودان ورافق الحمله المصرية الى دخولها بربر وهى أيدته على قومه وأخذت تعهداً على الرحاب والنعيماب بالخضوع لأمره كما هو ظاهر من الأغانى الابنه

ما زاع مع الزايعين ... وما جلب النحاس والطين
ختوا أختامهم طايعين ... تور الأرقو نصر الدين(١)

ثم قال

ما زاع مع الزاعوا ... وما جلب النحاس باعو
ختوا أختامهم طاعوا ... ميرف راقدة يا وجاعو

يؤخذ من ذلك أن الحكومة هى التى أرغمت الميرياب على طاعة نصر الدين وأخذت عليهم تعهدا بذلك . وجاء فى الصحيفه ٦٠ قوله كتب الى الملك عدلان بن ادريس أى اسماعيل باشا . يدعوه الى التسليم ويحذره سوء العاقبة . فكتب اليه الملك كتابا يقول فيه «ان مدينة سنار محروسة بالخيول الروميه وفيها شبان يحبون القتال بكرة وعشية فلا تغتر بانتصارك على الشايقية . بل تيقن اننا نحن الملوك وهم الرعية ، هذا خلطة تمجه الأسماع ويأباه الذوق السليم كتب هذا الكتب السلطان محمد الفضل سلطان دارفور الى محمد على باشا راجع الصحيفه ٩٣ من هذا السفر تجده بتطويل فتطفت منه هذه العبارة المتنافره . وانه من انشاء حسين ودعمارى الأزهرى وجاء فى الصحيفة ٦١ قوله . وبعد استلاء المصريين على سنار . أنقذ الأمير اسماعيل صهره محمد الدفتردار بجيش لفتح كردفان فهذا يتعارض الحقيقة التى هى قيام حملة محمد بك الدفتردار من بلدة أبى قسى بدنقلا ثم سارت بصحراء الماتول الى جبال الحرازه ومنها الى بارا ولقد التقت هناك بالمقدوم مسلم كما اسلفنا عنها . وجاء فى الصحيفه ٢٥٦ عند الكلام عن مدينة أم درمان . وبنى المهدى جامع الصفيح . وبنى الخليفة بجانبه جامعا متسعا وهو حوش عظيم مربع يحيطه سور له ثمانية أبواب بغير سقف ووضع الحجر الأول فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٧ وبنى بعد ٧٣ يوما وكان الأهالى يؤدون الصلوات الخمس فيه جماعة الخ يؤخذ من سياق هذا

---

(١) تور الأرقو هذا اسم للثور العظيم الذى يدير الساقيه وحده أما تشبيه الرجال بالجمال والثيران فعادة عربيه كما قال المتنبى :

فلا زلنا نداعب منك قرما ... تراجعت القروم له خفافا

الحديث أن جامع المهدى غير جامع الخليفة وكان لكل منهما نظام فى بنائه وتكوينه لا يشبه الآخر . وكانت تقام الصلوات فى الشمس بحالة تنافى الخشوع والصحيح أن جامع المهدى هو جامع الخليفة الذى خططه المهدى عندما أسس أم درمان فى سنة ١٣٠٢ هـ : ١٨٨٥ م أما جامع الصفيح فهو محراب اتخذ من الزنك ولا تتجاوز مساحته ١٠ أمتار طولا فى ٧ أمتار عرضاً وخلفه راكوبه متراميه الأطراف للصلاة فى ظلها تسع عشرات الالوف وفى الصحيفه ٢٥٧ قال ذبح أنصار المهديه الافامن التجار والمستخدمين المصريين فى مدينة الطيارة وبقرت بطون الحبالى وقذف الأطفال بالجو وكان الثوار يلقونهم على أسنة الرماح فى عهد الفقيه المنه زعيم قبائلى الجمع والجوامعة هذه القصة

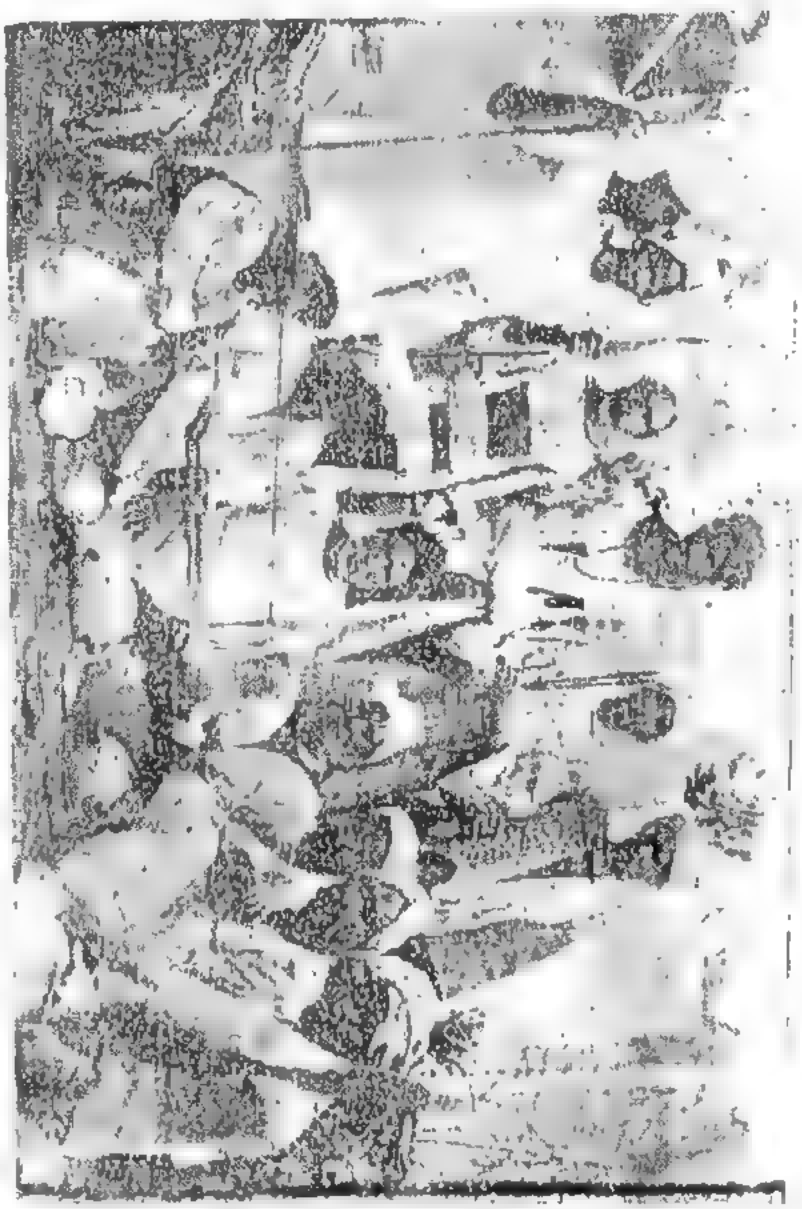

الاسرى من الضباط المصريين الذين بايعو الامام المهدى على جهاد الكفر وقد رى بينهم القائمقام سيد بك جمعه مدير الغاشر يضع صيفه على كتفه ومسبحته على عنقه . وفى حصر الخرطوم كان اميراً للطوبجية المهدية طالما سدد مقذوفاته بالعاصمة فامر غردون بنقل الجبخانه بعيدا عن المخازن خوفا من الانفجار

سبق لى تكذيبها الى قوله ونكل محمد خالد زقل بكن الخ فهذا زعم باطل ساقه حامد افندى القرضاوى والصحيح ليس فى الطيارة مصرى واحد . فارجع البصر الى الصحيفة ٥٩ تجد الكلام وافيا عن هذه القصه . فانا نأسف جدا لرواج هذه المختلقات التى صارت مرجعا يتناقلها المؤرخون هـــذا عن ذاك ففى الطيارة حدثت تلك الفظائع ولكن القاتل والمقتول من السودان وقضى المهدى كقوله تعالى « النفس بالنفس » أما محمد خالد زقل بك فانه كان مديراً لدار إحدى مديريات دارفور الخمس ســـلم للمهدى وصار من أمرائه . فانه قسى فى معاملة ضابط مصرى الذى هو الصاغ حماده أفندى بشأن الغنيمة وقد شتم الأمير فاضطره الى ضربه بالسياط ثلاثة أيام متوالية بعد فترات حتى مات دون ماله الذى لم يرثه عن أبيه وإنما هى منهوبات ذهبت الى حيث لم تعرف وهناك كثير من الضباط مصريين وسودانيين كالقائمقام السيد بك جمعه الذى صار أميرا للطوبجيه مع يوسف أفندى منصور وغيره لم يمسسوا بسوء . وقال وقتل من سكان الخرطوم عيده حوالى ثمانية آلاف والصحيح أن هذا العدد مبالغ فيه . وقتل سبت ٣٥٠٠٠ فتاة يوم سقوطها ٢٤٠٠٠ الفا عدا الجيش الذى كان وسيدة الخ مع أن المقتولين ٢٠٠٠٠ الفا بين رجال ونساء وأرقاء أما الأسرى والسبايا فدون هذا العدد كما شهدتهم بعينى غير أنى لم أعرف كم كان احصاءهم بالضبط وكان ٢٥ ٪ سودانية . هذا وان مسألة القتل فى الحروب أمر طبيعى لا ينكره عاقل . فكم أهلك الله قوما بقوم ويأتى فى كل آن بآخرين

اللوا مصطفى مراد باشا

هذا من خيرة الضباط المصريين . جىء به مديرا لبربر فعدل بين الأهالى برفق فى جباية الأموال . وكان حسن السيرة عفيفا . وفى سنة ١٢٩٤ هـ منح رتبة اللواء وعين مديرا لعموم السودان أى « حاكما عاما » كما أذاعته جريدة الوقائع المصرية بعددها ٧١٤ الصادر فى يوم الاحد ٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٤ هـ الموافق ١٧ يونيو سنة ١٨٧٧ م واليك نص الأمر

« صار سعادتلو مصطفى مراد باشا الذى كان مدير بربر . مدير عموم السودان القبلى والبحرى المنحصر ذلك فى سبع مديريات . وهى الخرطوم وسنار وفازغلى وفشوده وبربر ودنقلا وكردفان . مع احالة توكيل أشغال الادارة العمومية بالحكمدارية عليه

وأحسن اليه برتبة اللواء ، فاستلم مصطفى باشا مهام هذا المنصب الخطير وكان فيه المثل الأعلى لمكارم الأخلاق . ولكنه ماليث ان استدعى لمصر ولسنا ندرى أطوار حياته الأخيرة . ونحن نأسف لاعادة أمثال هذا الرجل الفاضل لمصر ولو ترك فى السودان لخفف كثيرا من ويلات ظلم الارنؤد والالبان ولكن يريد المرء ان يعطى أمنـــاه ويابى الله الاما اراد .

السـودان
بين غردون وكتشنر

هذا عنوان لمؤلف وضعه اللواء ابراهيم فوزى باشا ونحن نعجب لهذا الاختيار فى التسميه التى تدل بوضوح تام على شغفنا عظماءنا بالانكليز حتى خلدوا لهم ذكرا فى تاريخ بلاد لاتعترف بسيادتهم عليها بالرغم عن تعلق غيرهم باذيالهم كما قال الشاعر

عبـد رق مارق يوما لعتق لو تخليت عنـــه ماخـلاك

فما الرابطة بين غردون وكتشنر وقطر السودان فاذا كان اسم الوالى شرط صحة فى التاريخ فكان الأخلق بالباشا ان يسمى كتابة « السودان بين محمد توفيق وعباس حلمى باشا » لانهما ولاته الشرعيين . سقط من الاول واسترجع عمل يد الثانى . فتكون التسميه مقبولة ولها قيمتها . أما غردون وكتشنر فرظفان لا أكثر ولا أقل . ولكن الناس فيما يعشقون مذاهب وكفى

هذا عنوان لامضى المؤلفات نكاية بالسودانيين وهو من الكتب التى تمعها ذوو الاغراض عن تاريخ هذه البلاد المنكودة الحظ . والتى لم تسنح الفرص لكتابها المعاصرين بكتمها . ان يوفقوا للدفاع عن كرامتهم وان يصدوا ذلك التيار الجارف من الاكاذيب والمختلقات الزائفه قبل ان تتغلغل فى الافكار وتبلغ من الناس درجة الاعتقاد بصحتها وكان الناس فى غاية التأثر لشدة وطأة الانقلاب وتبدل الأحوال ودخول الامة تحت سيطرة جديدة . لاسيما وتعسف الغالب على المغلوب . قد وجدت تلك المؤلفات المجال ذاسحة وجرت بشوطا بعيداً حتى غابت عن مسارح النظر . وقد أصبحت مرجعا لبعض

الكتاب فكانت كداء الكلب ما تغدى منها كتاب إلا أحدث تسمما فى الافكار . ولما انقشعت سحب السياسة وهدأ جوها والتفت بعض الوطنيين للاشتغال بالصحافة . فانصرفوا الى الاشتغال باطراء الحكومة والثناء على كبار رجالها رياء وملقا واستجداء لعرض هذه الحياة الفانية مع اهمال تاريخ البلاد الذى هو الحياة الخالدة الباقية ما بقيت الدهور حتى ينفخ فى الصور ويبعث ما فى القبور اذ ليس أشرف للامة ولا أجدى لسمعها وأبقى لحياتها من جميل الذكر الذى لا يعادله تشييد القصور . والمباهاة بركوب العربات وحمل الوسامات كما قال القايانى

وان وساما يعتلى صدر جاهل ... جنى من الازهار يحمله قبر

وانما الشرف كل الشرف عمل يأتيه الرجل فى أمته فيدع لاثر الحميد فى حياتها الاجتماعية أو السياسية أو الادبية أو الاقتصادية . ويسجل له فى بطون التاريخ حياة ثانية

فالتاريخ انفس متاع الأمة وانبل مقاصدها واعماله لعبث المؤرخين وخلط الكاتبين وصمة عار تزرى بالامة . هذا وكتاب السودان بين غردون وكتشنر لمؤلفه ابرهيم فوزى باشا ستهدف لنقد ما به من عوج فالمؤلف جمعته الظروف بالكولونيل غردون فى سنة ١٢٩٠ هـ : ١٨٧٤ م الذى عين مأمورا لخط الاستواء فاول شىء بدأت به قبيل سفره من الخرطوم همس لغردون بان الحكمدار اسماعيل باشا أيوب يعرقل مساعيه فطرق غردون بذلك لسمع اسماعيل باشا الخديوى الذى نبح اسماعيل أيوب وامره باجابة طلبات غردون ولو كان فى ذلك مرافقته بنفسه ولما بلغ غردون جبل الادوشال النيل ١٧١٥ كيلو مترا جنوب الخرطوم تطور فوزى تطورا سريعا حتى بلغ رتبة البكباشى فى سنة ١٢٩٤ هـ فعين مديرا للدون والمكارك ، ثم رافق غردون باشا لمصر وهناك رقى الى رتبة القائمقام فى رمضان سنة ١٢٩٤ هـ ولما عاد عين مدير البحر الغزال ونقل الى مديرية خط الاستواء بدلا عن الكولونيل غردون وخلط وفتح جيبه للرشوة من تجار الرقيق وكان يقيم الى جنبه محمد أمين بك حكيم صحة خط الاستواء الذى أخذ يراسل غردون سرا عن أعمال ابراهيم فوزى بك حتى أوعز صدوره منه فعزله من مديرية خط الاستواء وارسل مسجونا الى الخرطوم ورقى محمد أمين الى رتبة الباشا فيه وصار مديرا لخط الاستواء أما ابراهيم فوزى فانه أعيد الى القاهرة ووجد ثورة عرابى باشا غضة فى

خطواتها فاشترك فيها ولما فشلت قبض على فوزى ووضع بالسجن ثم عفى عنه . ولما انتدب الجنرال غردون حكمدارا للسودان بدلا عن عبد القادر حلمى باشا رافقه ابراهيم فوزى بك ظانا انه يجد حظا فى رحلته الاولى ولكن ما كل مرة تسلم الجرة . فعين محافظا لمدينة الخرطوم . وكان بها السيد أحمد العوام أحد خطباء الثورة العرابيه الذى نفى الى الخرطوم فأول أعمال ابراهيم فوزى باشا اتهم هذا السيد بزعم انه اشعل النار بالجبخانه ولكنها اطفأت قبل وصولها البارود فتولى ابراهيم فوزى باشا التحقيق واثبت الجريمة على السيد أحمد العوام الذى حاكم بالاعدام رميا بالرصاص . ولما أريد أعدامه بالخرطوم توسط السيد حسين بجدى المصرى ورجا الجنرال غردون بان يسمح باعدام أحمد العوام خارج العاصمة حفظا لكرامته لانه رجل من كبار علماء مصر فقبل غردون فاعدم بالخرطوم بحرى فسخط الناس على فوزى بك وبعد الحادثة مباشرة قام ببلوك مع أوردي باشرق لمحاربة الثوار بجلفابه الملوك وكسرت رجله وهو بالسقاله وعاد كما أسفلنا عنه مع انه كتب عن هذه الحادثة فى تاريخه بمالم يوصف به روميل البطل الألمانى

(٢)

جاء فى الصحيفه ٣١ جزء أول قوله « وفى خلال ذلك تبنيت من أمر ادريس ابتر أنه رجل غير مستقيم مثير للفتن ذو سوابق سيئة بينه وبين جميع التجار فرأيت أن أزجه فى السجن لأتدارك ما كنت أتوقع من شروره . ليت شعرى ماهو الدليل على عدم استقامته وأى فتن أثارها وما هى سوابقه مع التجار اللهم لاه ا ولا ذاك . بل كان ادريس حازما أبى النفس لم يقبل طبعه ذلك الجفاء والاستبداد الذين ظهر بهما أمثال ابرهيم فوزى باشا وغيره من الضباط الذين كانوا معه أهم البواعث فى هياج السودان وعقوقه مصر وقطع الرابطة بين القطرين بعد ان ذهبت بدورات المال وهيج الرجال . ولم يقف الباشا عند ذلك الحد بل رأى ان يهاجم السودانيين بتلك الاقلام . المأجورة . وقد فاته انه بدلنا من مراجعة تلك الاذاعات وطرح مالم يقم الدليل على صحته . هذا وادريس بك ابتر رجل معروف بين مواطنيه بكرم اخلاقه وطهارة ذيله . ثم قال فى الصحيفة ٣٤ جزء أول تقدم لى الكلام على ادريس أبتر وزجى اياه فى السجن لما تبينته من حاله . فلما عدت الى الخرطوم جلبته معى اليها مخافة ان يكون فى

بقائه هناك مايجلب الشرور والمفاسد . وكانت عنده فى بحر الغزال كمية وافرة من سن الفيل اخذناها منه كما اخذنا مثلها من الشركات الاخرى ونقدناه ثمنها بعد عودتنا الى الخرطوم (١) والمال اقوى شفيع للانسان فى كل حال اذ تمكن ادريس ابتر لوجود المال معه من استمالة قنصل ألمانيا بالخرطوم اليه . وبالفعل خابر القنصل الكولونيل غردون تلغرافيا . بان ادريس قد سجن ظلما وانه برىء من كل مانسب اليه . والقنصل المذكور كان من أخص أصدقاء الكولونيل غردون ويثق به ثقة عمياء . ولدى عودة الكولونيل غردون من سواكن سرت للقائه خارج المدينة على احدى البواخر . ومعى الفريق عثمان رفقى باشا القائد العام للجنود السودانيه وقتئذ فأول كلام فاتحنى به رغبته فى عودة ادريس ابتر الى بحر الغزال . فاخذت اشرح له بأدلة أما عساه يقع من عودة هذا الرجل . وبينت له بالاسهاب أعماله السيئه الماضية فلم يكترث بشى من ذلك وأصر على ارجاعه الخ . يؤخذ من هذا الاعتراف ان الباشا كان وشيا عاتما للسودانيين ومن المخجل ان يسمى المصرى لهدم شخصية بارزة وهمة وثابه طامحة ويرده افرنكى قدلاتربطه بالسودان جامعة جنس او دين اولغة . هذا وقد خدمت ثلاثين عاما من مارس سنة ١٩٠٤ الى ابريل سنه ١٩٣٤ فكنت أرى كثيرا من المأمير المصريين يظهر الرجل منهم بمظهر الشدة ويقسو فى معاملة الاهالى . واذا رفع الأمر الى الانكليزى تسامح وعفى . واذا لمته لاحد أصدقائه . قال لك انه مأمور من الانكليزى الذى تسامح . مع ان هذا دناع أو هى من حبال العنكبوت . مع انى رايت بعضهم اذا امر من الانكليزى بشىء يقول بصراحة امر المفتش أو المدير بكيت وكيت . حتى لايلام على فعل قط . ولهذه المناسبة كان سمو الرئيس اسماعيل داود نائب مأمور كورتى راى من ضعف الاهالى مالا يصح مطالبتهم بالمتأخرات فأخذ يطالب بشطب تلك الضرائب حتى اضطر الماليه الى التصديق باعمائها . وفى اكتوبر سنة ١٩٣٤ م طلبت من سمو الأمير عمر طوسون باشا بان تختار حكومة مصر اكرم ابنائها للخدمة فى السودان لشد ازر الوحدة وتقوية الرابطة بين القطرين وكان ذلك فى محادثة خصوصيه فسر لذلك ولو مد الله فى اجله لنفذ ماطلبته . لان فى ذلك مافيه من دواعى الغيرة وتوحيد الكلمة

---

(١) ماكانت هذه الطريقة عادله وليس من الحكمة أن يسجل الباشا على نفسه تلك المعامله التى هى ضرب من ضروب الجورانزرى ولكن

لا يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

« ٣ »

قال فى الصحيفه ٣٦ جزء أول ثم رأيت أن لا أطيل الاقامة فى مركز وظيفتى قبل أن أمر على بقية مراكز المديريات لتفقد حالة العمال والاهالى . وهكذا سرت انتقل من جهة الى أخرى مدة أربعين يوما . ثم عدت الى اللادو ثانية وأقمت بها نحو ١٥ يوما . قمت بعدها متابعا المرور شمالا قاصداً مديرية بور وسبت وبينما كنت سائراً بوابور الاسماعيلية فى مرورى هذا شمال مديرية بور . قبل أن أدرك محطة شامبى بنصف ساعة اذ سمعت لغطا كثيرا من العساكر الذين معى . فسألتهم عن سببه فأخبرونى . ان اناسا سائرين على الشاطىء حاملين راية حمراء يستغيثون بنا وهم يطلقون بنادقهم فى الهواء استغاثة لنا . فقمت وأخذت منظارى بيدى وتحققت من أمرهم . فأمرت برسو الوابور وانتظارهم . وبعد هنيهة وصلوا الينا بادريس بك أبتر مدير بحر الغزال مقبلا علينا . فاندهشت لرؤيته فى هذا المكان . وسألته عن سبب قدومه فأخبرنى . أن سليمان بن الزبير . قد هجم على مركز المديريه وأخذ كل ما فيه من الاسلحة والذخائر فاستفهمت منه عن السبب الذى حمله على فعله هذا مع أنه أقام فى هذه المديرية سنه كاملة لم يقدم فى خلالها على مثل هذا الامر فأنكر ادريس بك السبب الحقيقى قائلا انه أقدم على هذا الامر من تلقاء نفسه ولا أعلم له من سبب . ورجانى اعطاءه عساكر لمقاومة عصيانه وردعه عن طغيانه . فقلت له لا بد أن تكون أنت السبب فى عصيان هذا الرجل . ثم استفهمت منه عن حقيقة ماجرى من القاضى والضابط الذى أصحبهما معه ادريس بك . فحاولا اولا . مداراة مديرهما ثم رأيا أن لا سبيل الى المداراة ولا مصلحة فيها فأقرا بما كان . وهو ان ادريس أبتر لما وصل زريبه شركة المعلم خطاس أدب له مستخدموا الشركة وجلهم من الدناقلة بنى جلدته مادبة حوت كثيرا من أنواع المسكرات . فلما لعبت بنت الخان برأسه أخذ يقول انه تعين مديراً رغم عن ابرهيم فوزى بك . وأنه انفق فى هذا السبيل الف جنيه للقنصل فريدريك الذى تقدم لناذكر شأنه معه ولا بد من استمالته ، بتوزيعها على موظفى المديرية ثم لابد من تجريد حملة عسكرية لقهر سليمان بن الزبير وتخريب زريبته وقتله وصار يتخذه بألفاظ السباب والشتائم فى حق ابن الزبير . فلما بلغ ذلك ابن الزبير قام هاجما على مركز المديريه وكان منه ما كان . الى ان قال وعلى اثر ذلك ارسلت ادريس ابتر الى غردون مخفورا بعشرة من العساكر وواحد من

الضباط ولذلك ارسلت له الأوراق التى باشرت فيها التحقيق لى قوله وما بلغ ادريس ابتر الخرطوم حتى زجه عردون باشا فى السجن الخ هذا قول مكذوب والاجراآت التى قام بها فهى خطأ محض كيف يبلغ بعصيان سليمان وغارته على المديرية ويجرى التحقيق مع المبلغ هذه القصة سمعتها من اوثق المصادر والروات كالآتى

١ الميرلاى النور عنقره بك مدير كاكل وكبكابيه

٢ الملازم أحمد اغا دفع الله السرورابى كان فى جيش الزبير

٣ محمد افندى عبد الرضى سوركتى سار مع حملة جيسى باشا

٤ اليوزباشى نورين أفندى سليمان قام فى بلوك المحافظة على ادريس فى مشروع الرق

قال الأول لما اعتقل الزبير باشا بمصر . قدم الجنرال غردون الى المديرية دارا وكان فيها جيش الزبير برئاسة ابنه سليمان الذى تآمر مع بعض ضباطه على اغتيال الجنرال غردون انتقاما لأبيه المعتقل ومهاجمة الفاشر وغيرها فنصحته وحذرته ، وكتب السعيد حسين كتابا الى الجنرال غردون فى الطريق قبل وصوله وبعثه اليه فى الدلنج فرد الفاشر فرد عليه غردون يشكر وكتب الى القائمقام صالح بك حجازى مدير دارا يأمره بالاستعداد للطوارىء فما كان من هذا الا انه حصن المديرية بزريبته من الشوك وبنى بداخلها ابراجاً عاليه ووضع بها المدافع واستدعى العساكر الموزعين بالمأموريات ومنع الناس من الدخول استحكام المديريه وبعد بضعة ايام وصل غردون باشا ومر من امام جيش سليمان الزبير فلم يجرأ احد على اغتياله وفى اليوم التالى استدعى ضباط الزبير فسرنا جميعا فوجدناه جالسا على خيمه امام المديريه ومعه صاطى بك وحواجه ارمنى مترجم والمدير وبعد دعانى وبعد المصافحة سلمنى طرفامقفولا وكذا سلم السعيد حسين الجيحانى ظرفا وكذا سلم سليمان الزبير وادن لنا بالانصراف ولما عدنا الى ثكناتنا فتح كل منا ظرفه فوجدت فى ظرفى ما نصه ، نظراً لخدماتك الجليلة فقد منحناك رتبة البكباشى وان تكون نائبا لمدير بحر الغزال وكما قال للسعيد حسين وان تكون نائبا لمدير شكا وفى ظرف سليمان الزبير قال له خير أحد الأمرين اما السفر الى دنقلا أو تلحق بأبيك فى القاهرة

وبعد قال النور عنقره كلف سليمان الزبير باشا بأن يكتب مذكرة يعتذر فيها الى الجنرال

عمل حدث منه ففعل وقدمته للجنرال ورجوته فى الصفح عنه لجدالة سنه وقلة تجاربه فاقتنع وعفا عنه واستلم منه الطرف الاول ودفع له طرفا آخر منحه به رتبة البكباشى وعينه وكيلا لمدير بحر الغزال ثم استلم منه الطرف الأول الذى سلمنى اياه وكتب لى آخر رفع رتبتى الى قائمقام وانا اكون مديراً للكلكل وكبابية وقال كل منكم يقوم لمحل عمله فسرت انا الى كبابية . وكذا سار سليمان والسعيد حسين الجيعابى فى طريق واحد لكى يتأخر السعيد فى مديريه شكا ويواصل سليمان الزبير سيره الى بحر الغزال ولكنه كان غاضبا من السعيد حسين لكتابته للجنرال غردون باشا بشأن المؤامرة على اغتياله فى دارا فهى جنح الظلام هجم على السعيد حسين وقام ذلك من نومه وتبادلا اطلاق النار تقريبا من نصف ساعه وبعد سار سليمان لبحر الغزال وكتب السعيد حسين الى الجنرال غردون فى دارا وهذا أبرق للحكمدارية بالخرطوم أن تجهز حملة عسكريه بقيادة جسى باشا وأن تقوم بسرعة لبحر الغزال لحرب سليمان الذى باغت المديرية وقضى على حاميتها وقتل عثمان أبتر نائب المدير وأسر شاهين المدير أدريس الذى كان غائباً بأموريه بالخرطوم وفتك بالتجار ونهب أموالهم . هذا وقال أحمد دفع الله الضابط بجيش الزبير كلاما لايتعارض مع رواية النور بك وقال محمد أفندى عبد الرحمن سوركتى انه لمجرد وصول تلغراف الجنرال غردون اعدت الحملة بقيادة جسى باشا ورافقه الميرالاى يوسف بك حسن الشلالى والقائمقام عثمان بك أبو القاسم فرافقت أنا الأخير ثم سارت الحملة الى شامبى ومنها خرجت من البواخر وسارت براً الى واو ومنها الى قندة وحدثت بين جسى وسليمان حرب فهزم الأخير وسار الى حبال كبوا كا فى كفا كنجى ومنها قام الى دارفور وفى دار التعايشى سلم الى حسنى باشا الذى اعدمه وضباطه كما ذكرنا ذلك عند الكلام على رابح فضل الله سلطان برنو . وقال اليوزباشى يوسف سليمان أفندى سرنا من الخرطوم ببلوك واحد لنحافظ على ادريس بك وعائلته فى مشرع الرق وكان ضابط البلوك يوزباشى مصرى وملازم تركى فتوفى اليوزباشى بالكوليرا فدفناه بها وسار بنا الملازم التركى الى المشرع فوجدنا ادريس بك وعائلته فقابلنا بغاية الاكرام فانتظرنا به الى أن قتل سليمان الزبير وعاد ادريس بك لمديريته فى قندة هذا وانى حال عودتى من اكنجا فى نوفمبر سنة ١٩٢٦ مررت بقندة ونظرت الاستحكامات التى كان بها الحرب . فانظر بك الى اختلاف تلك الرواية فادريس أبتر بك لم يسجن وكان الجنرال بدارفور لا بالخرطوم وهيهات فوزى باشا لو صدق فيما قال على فرض كيف يأتى اليه المظلوم يقبض عليه ويبعثه راسة الى الخرطوم ولا يسأل الظالم أفهذا تصرف مدبر

« ٤ »

ومن المضحك وغير المعقول ما يضحك جاء بالصحيفة ٥٦ قال ان شاعراً ينظم القصائد الغرامية دخل على أحد ملوك الفرنج فانشد قصيده مدحه فيها . وجاء في آخرها ذكر طه صلى الله عليه وسلم . فانكر الملك هذا الاسم . وسأله مستفهما أمن الصحابة طه هذا . فسكت الشاعر فاعاد عليه السؤال فقال الشاعر كيف لا تعرف طه فقال أظنه من صغار الصحابة لاني أعرف الاكابر كلهم ولم أسمع بهذا الاسم وقس على أمثال هذه الحماقات الى ان قال عن ملك الفرنج مظالم هذه الدولة غنت عنها ولا جرح . فان الملك وسائر قواده وذوى قرابته لهم أن يأخذوا من كل بيت حسناء ويتمتعوا بها كيفما طوعه لهم ملك اليمين . ولا يمكن ان يقل عدد الخطيات في بيت الملك عن الألف ومعه دونه عن المائتين فنقول اما حكاية الشاعر والمحاورة التي جرت بينه وبين ملك سنار . بشان اسم طه عليه السلام فكذب صريح فان الملوك سنار مبات من الذهاب الى الرقيق [illegible] وهي أصح منه بمضاعف على ولا عرف انها تعرف الفضل لذوى الفضل

يوم بك وفي رحلة الدكتور محمد بيازى الذى كان طبيب الآلاى المصرى بهذه سنه ١٢٨٢ هـ أما ذكره أما عن أخذه كل حسناء وتمتعها بملك اليمين فكذب لا حقيقة له . كان يرى في دور ملوك سنار رقيق ليس بينهن حرة بعربية الامر الذى ما كان خاص بالملوك دون غيرهم . ولو لمست عند الفونج من التعفف والحرز الى هذا الحد لما دامت ٣٢٦ عاما قابضه على صولجان الملك بعد عيث تكاد تذهب غيرة وحماساً . فتقول لابرهيم فوزى باشا رفقا بأسلافه لما من خلائل الاعمال ما يقف القلم عجزاً عن وصفه كيف لا . وقال الدكتور محمد بيازى في العدد ١٤٩٥ من جريدة الوقائع المصرية يوم الخميس ٢٢ ذى القعده سنة ١٢٩٩ الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٧٨٢ م ما نصه ولهذه الواقعه او لاجل شهرة سنار في الاقطار الاسلاميه الى ان بلغت أخبارها الى السلطان الاعظم والخاقان الاكرم ملك المسلمين عليه فمن بذلك مروراً عظيماً وبعدها وردت الى سنار وفود الحجاز والهند والسند وصعيد مصر والمغرب الخ .. وهل يعقل ان ملكا جاهلا غبيا لا يعرف امر طه تعجب به الافرنج الاسرى

ولم ينتج مزه

(١) الواقعه يقصد بها واقعة الركيك التي هزم فيها ملك سنار العادل [illegible] ١٠٠ الف مقاتل في سنة ١١٣٦ هـ

سعى اليه وفودها من بلاد الهند والسند والمغرب التى لو نظر أحدنا الى الخرائط يظن ان الحلقه مفقوده بينها وبين السودان لو ما تحققت من ذكاء وأباء يكللان هامات أولئك الملوك الذين بهروا العالم بأنبل الخصال وأجل الأعمال ولكن

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

مجـــلة أم درمان

بالعدد ٨ فى ٩ يناير سنه ١٩٣٧ و ٨ شوال سنة ١٣٥٥ جاء فى الصحيفة ٦١ جزء اول وله عن مقتل الامير اسماعيل باشا

(وهنا أبسط للقارىء حقيقة أرى من الواجب على تقريرها فان الأقوال تباينت فى ايضاح السبب الذى من أجله قتل الملك نمر الامير اسماعيل باشا . فروى بعضهم . ان الامير رأى امرأة هى أخت هذا الزعيم .. فسأله عنها . فقال احدى جوارى . فقال له مما زحا أطلب منك ماته مثلهـــا فلم يحمل الزعيم هذا القول على المزاح بل ظن ان الامير انما يود التطاول لهتك عرضه فاضمر له الشر وفعل مكيدته التى يراها فى هذا المقام (واردف ذلك بقوله على ان هذا لا نخلو من انتقاد . لانه المطلع على أخلاق وعوائد اعيان الســودان . يرى انهم من الرفيع الى الوضيع لا يأنفون من تقديم الجوارى لاى ضيف ولو وضيع فضلاً عن حاكم ذى مقام سام كالامير اسماعيل باشا الخ)

لاغرو انه يقصد بذلك ان السودانيين يقدمون الجوارى للضيوف ليتمتعوا بهن سفاحا وذلك مما لايقول به من له ذره من العقل ليت شعرى اين كتابنا الاذكياء وشعرائنا النبلاء واين الجهلة الاغبياء الذين يثورون لغير سبب ويهدون ويتوعدون لدون موجب كيف ساغ لهم هضم هذه التهم وكيف وجموا عن الرد على تلك الوقاحه الشائنة . اقل رضوان التجرد عن الصفات الانسانية والخصائص العربية التى تحتم عليهم الذود عن العرض ليقاسموا الحيوانات فى حظوظها لا سمح الله ، أم كان ذلك رهبا وجبنا لضخامة لقب المؤلف الذى دلنا بمؤلفه هذه على مبلغ نزهاته وسخافة قوله الذى ما كان يهدف ببالى غير النقائص . وكان يجهل أو تجاهل أن السودانيين أكثر سكان البسيطة الارضية محافظة على العرض وانهم ان قدموا لضيوفهم

الحواري انما يكون ذلك هبة فالموهوب له أصبح مالكا (١) له حق التصرف كيف شاء وهذه عادة عربية يشكر الواهب لا يذم . روى الهيثم بن عدي قال بينما عبد الله بن جعفر يسير بأزقة المدينة إذ سمع غناء فأصغى اليه فإذا بصوت شجي رفيق لجارية تغني

قل للكرام بنينا يلحقوا ... ما في العصابي بالغنى حرج

فنزل عبد الله بن جعفر عن دابته ودخل على القوم بلا استئذان فلما رأوه قاموا اجلالا وتعظيما له ورفعوا مجلسه ثم أقبل عليه صاحب المنزل وقال له يا ابن عم رسول الله دخلت منزلنا بلا إذن وما كنت هذا تخلق . فقال عبد الله لم أدخل إلا بإذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه حيث سمعتها تقول قل للكرام بنينا يلحقوا الخ فقلت كنا كراما بأبنا الاولين فنحن كذلك ولسنا نرضى لانفسنا الا بالمكارم فمرحبا بمن هذه أخلاقه ثم أقبل القوم على جاريته ودقه على ملاحظته . فقال له صاحب المنزل صدقت جعلت فداك ما أنت إلا من أكرم الأكرمين فجلس عبد الله ودعا جارية له رأى بها أثر ضنى فغنت حتى طرب الحاضرون ثم دعا ثيابا وطيبا فكساهم وطيبهم بالغالية ووهب الجارية لرب الدار قائلا له هذه أهدي بالعافية من جارينك وخرج . أهل ينتقد السودانيون على أكرم صفات العرب وأجمل شمائلهم ؟

ومن الغريب المضحك قانون الصحة الذي جاء أسوأ من عهد اسماعيل أيوب لمشا اختلت النظامات التي كانت تسير عليها المجالس التي تأسست في سنة ١٢٩٦ هـ وتلاعبت بها حيث جعل كل أعضائها من رجال السودان الجهلاء الذين لا يعرفون غير تجارة الصمغ والمسوحات وعهدت الرئاسة الى رجال لا يفهمون كلمة من المكالمات التي تتركب منها جمل القانون وفي أكثر الاوقات يكونون أميين . والقضايا لا يفصل فيها مع الطول المدة . فيظل الخصمان ينتظران بالرشوة حيث يحرص الخاسر ويشدد على الخصم في الاستظلاق فيجتمعوا حتى خصمه ويتقدم المال فيقلب الشديد على الآخر وهكذا حتى يملا الانفاق فيتصالحان

---

(١) تذكر هذا المثال واحداً من مئات حدثت في الاربعين في عهد حكومة مصر التركية الى فرأى فتاة دار حامد في شمال كردفان وول في شجرة ظله وأحد يمرض في أسباه فتاه به شابه والسمه اخال فسأل عنها فقيل له هي عروس لذلك الشاب فاستدعى وليها وكلمه بأن يبقى له حصانه من الآبار الى نفد حصته أو الدرهتت بالحصان وسار به وبعد الحندي براقب العروس حتى وكلها فعلت الخاص بها فتقبل ما بها وما بيده لها وما رفعت هدومها بحضرته حتى اطمئن بها على ما وله فعطا عذا فهو الى صاحبه وسمه بسير عادي وهما وحدهما في فراشها وقد قالت بالعيان ان ولدت أما مولوداً ذكرا بالامر ان سوما ان هذا الحندي دخل على وحدتي وفعل بي كذا وكذا بعد أن كتب وكتبت لها إذن خدي حصتك لدار أبيك وبعد خروجها اشعل الدار في منه فاجتمع الناس لاطفاء الحريق وحاله الحندي ووقفته ولم ينجح من عليه زوج المرأة وخلفه وولج به النار كالمر فصاراً كثة من الفحم . هذه قصة واحدة ولو أردت في غيرها لاحتجنا لمؤلف ضخم

وساءت تصرفات المأمورين الى حد أن المطالب بأداء الضريبة يجوز ضربه حسبما نه جلده وأن يؤدى ولو بضعة قروش . ويتفننون فى طرق التعذيب حتى ابتدعوا مسألة القط . حيث يوثق الرجل كتافا ويدخل قط فى سراويله . فضلا عن تطاول أولئك على أعراض الناس ويقبضون على كل امرأة حسناء عجز وليها عن أداء الضريبه . ولهذه الاسباب امتلات قلوب السودانيين بالضغينة وبايعوا ولاهم لهم غير تدبير ثورة يتهيأ لهم الخلاص من هذا النير . فاغتنم محمد احمد المهدى هذه الفرصة وادعى المهدويه فهرول باتصديق والرضى من كل انسان حتى أن بعض المشايخ قال له) أعاهدك سواء ان صدقت فى دعواك أو كذبت ما دمت على عداء الحكومة وحربها) شهد شاهد من أهلها فاذا كان قد تحقق الجور وهتك العروض والتلاعب بالامة بمثل تلك الالاعيب الصبيانية وقام رجل مسلم لازالة ذلك الجور وانقاذ الشعب بصرف النظر عن دعوى المهديه كيف يوصم بالدجل والشقاء ويستعان عليه بالافرنج . اللهم رحماك هذا نقول أما قوله عن فساد النظام فى عهد اسماعيل أيوب باشا ليس ذلك وقفا على وال دون آخر أما الامية فضاربة أطنابها فى ذلك خورشيد باشا حكمدار السودان قال لى بعض المصريين انهم شاهدوا بعض المديريين تمضى له علامه بأعلى ختمه كهلال أو نجمة لانه لا يعرف أعلى الختم من أسفله هؤلاء غير السودانيين . وكان يلقب الكاتب بالافندى والأعمى بالاغى والقبطى بالمعلم والوطنى بالفكى أى الفقيه وكل منهم يعمل على هضم حقوق الاهالى فكان وطنى يشغل منصب كاتب قسم الخرطوم يجرى تناول الضريبة من الاهالى بدون أن يملى عليها ايصالات فاخذ رجل يلح عليه فى طلب الايصال وانه يقول له طلبتك مجيبة تحت الخصم من دفاتر المتأخرات فقال الرجل

الفكى شيخنا كاتب القسم ... الديمه عليه تايه فى الرسم

جميع مستحقات القسم ... سواها تجيبه تحت الخصم

ولا يعقل ان يهضم الكاتب مال تلك الضرايب مع وجود المأمور وانما يحتمل أن يكون واسطه بين الحاكم والمحكوم وله اجر المناولة من رئيسه . ثم جاء فى الصحيفة ٨٢ تحت عنوان ذكر جبل ماسه وقدير قوله يوجد فى الشمال الغربى من فشوده جبل لا يزيد ارتفاعه عن علو المقطم وشكله كزاوية مستديرة مع فرجته من جهة الشرق . وفى داخل الدايرة بركة يجتمع فيها ماء المطر يسمى هذا الجبل (القدير) ثم حذفت أدات التعريف فصار جبل قدير . ولم

يكن اسم (ماسه) معروفا لهذا الجبل قبل ظهور دعوة المهدية . وإنما اتفق أن المرحوم الشيخ حسن العدوى من أشهر العلماء المالكيه بالأزهر الشريف ذكر فى كتابه (مفارق الانوار أن المهدى المنتظر ستكون هجرته الى جبل ماسه . فادعى المهدى أن ماسه اسم لجبل قدير . أن كل السكان ينكرون هذا الاسم ولم يعرف به قبل هذا الوقت . وبالنسبة لما للشيخ حسن العدوى من الشهرة فى بلاد السودان راجت حيلة المهدى عند كثير من البسطاء وعدوه من الآيات الدالة على صدق دعواه . فنقول لا شبه بين المقطم وجبل قدير . وماسه هو غير جبل قدير وإنما هى هضبة صغيرة تتصل به . وقال لى الشيخ مصطفى فدال التاجر بمركز رشاد (سمعت الملك بونس الذى هو ملك جبل قدير . قال لما جاء الينا المهدى خرجت لمقابلته فلما أن صافحته يداً بيد وبايعته على الجهاد . قال لى ما اسم هذا وأشار بسبابته الى تلك الهضبة فقلت له اسمه حجر المسن لان اسم حجر يطلق فى عرف النوبه على كل جبل سواء فى ذلك الجبل الكبير والصغير فأجاب المهدى قائلا كلا بل اسمه (ماسه) فاذا حذفنا أداة التعريف أصبح ماسه وهذا قريب الشبه من ماسه مع تحريفه . ليحتمل أن تكون حقيقة الاسم ماسة وحرفت مع تقادم العهد وعجمة السكان ويحتمل أن يكون غير ذلك . وسواء ان كان هذا او ذاك فلا تأثير لهذه التسمية فى الاعتقاد بصحة الدعوة لما كثر ما كان يرى من الآيات البينات التى على ذلك كنقش اسم المهدى على بيض الدجاج وورق الشجر . وذلك علاوة على ما تبين كثير من كبار العلماء والاتقياء قبل ظهور الدعوة . وما كان الذين بايعوه وآمنوا يندفعون من السذاجه الى الحد الذى يقذفون بأنفسهم فرقا مارج من نيران المدافع لمجرد رواية الشيخ حسن العدوى وما شاكله من الفقهاء .

وجاء فى الصحيفة ٧٣ قوله وأخذ يدعو السكان للاسلام لأنهم لا دين لهم . والاعراب يزعمون أنهم مسلمون وأكثرهم لا يعرف الشهادتين فضلا عن غيرهما . يقصد باللادينيين الزنوج والاعراب كنانه وأولاد حميد والحوازمة وهذا عار يأباه العقل ويبطله البرهان . نعم قد يوجد منهم المسلمون والمثقفون . أما العرب فمسلمون ولكنهم جهلاء وذلك أمر لم يخلوا بالاسرة

الافطار المصرى الذين تقوم فى بلادهم مئات او الوف المدارس مع ازدهارها الشه ولم ينج من

الاحصاء الرسمى سنة ١٩٣١ كما يأتى

	ذكور	اناث	جملة
الاحصاء	٧ر٠٥٨ر٠٧٢	٧ر١٦٩ر٧٩١	١٤ر١٧٧ر١٦٤
غير متعلمين القراءة والكتابه	٥ر٦٧١ر٢٣٠	٦ر٨٣٥ر٧٣٩	١٢ر٥٠٦و٩٦٩
متعلمون القراءة والكتابه	١ر٣٨٦ر٨٤٣	٣٣٤ر٠٥٢	١ر٦٧٠و٨٩٥

فاذا كان هذه نسبة التعليم فى بلاد تعتبر فى المكان الأول من بلاد الشرق قاطبة ، إذن افسكيف يلام بدو السودان الذين لم يروا لدور التعليم شبحاً ولا شموا للثقافة رائحة . وهنا يجب على من يتعرض لنقد غيره ان يتحقق من ذاته اولا قبل الاندفاع وقريحته انقى من هامة الاصبع ليس بها من ماده ما يؤهله لالتقاط تلك الدرر من قاع المجهول اللهم ارنا الحق حقاً فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه

كنين KENNIN

تدهشنى جداً ثقة السودانيين بكل اجنبى عنهم وان كنا لانعتقد المصرى اجنبياً وانتظارهم الحقائق التاريخية عن حوادث قطرهم حتى الآن فى حكم المجهول لدى غيرهم ولسنا فى حاجة الى اقامة الدليل على ذلك بأكثر من مقالاتى التى تصدر تباعاً فى الرد على المؤلفات المصرية كتب حضرة عبد الماجد افندى ابراهيم مأمور نيالا الى مجلة الرسالة يسألها عن الاصل فى قبيلة كنين فى دارفور وانها علقت على سوآله بقولها (وقدرايا ان تذيع الاستفهام على صفحات الرسالة عسى ان يتقدم من الباحثين الذين توفروا الله يقصد توفقوا ، على دراسة السودان الحديث من يتفضل باجابة الكاتب عن سوآله) فنحن نجيب السائل ولو اننا تأكدنا عدم ثقته من [illegible] ت سماء هذا البلد لمسكين الكى يعلم هو وغيره من ابناء جلدته انه ليس فى [illegible] وكل [illegible] من هو أعلم منهم بتاريخ بلادهم فنقول الكنين قوم يرجعون أصلهم الى قبائل

قبائل البربر كما رواه العلامة عبد الرحمن بن خلدون وكانو يقيمون فى منطقة تحد شرقا بالقطر المصرى وغربا بالمحيط الاطلانتيكى وشمالا بالبحر الابيض المتوسط وجنوبا بالصحراء الكبرى وقد تشتمل تلك المنطقة على الاقطار ابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش فكان يقدر سكان هذه المنطقة من ١٥٠٠٠ مليون نسمه . وذكر المؤرخون فى سبب تسميتهم بالبربر ما خلاصته ان افريقش IFRIQSH أحد ملوك التبابعة عز ولما وجدهم يتكلمون بالرطانة قال ما اكثر بربرتهم فسموا بالبربره وفى اللغة العربية اختلاط الاصوات غير المفهومة ويعرف الكيناويون عند سكان الجزائر بالتوارج أو بعبارة أخرى بالطوارق الان الاصح الاولى واشهر بلادهم هناك (هكار HAKAR)أو (هجـار HAGAR) (وازجر AZGAR)

ولقد اجتمعت بزعيمهم الشيخ محمد سيدى ابن امام بالقاهرة فى مارس ١٩٣٠ وكان هذا كهلا يناهز الثلاثين من عمره وسألته عن سبب كنيتهم فقال انهم من اصل عربى هاجروا الى السودان الغربى واقاموا فى صاحبة على وسكنو ولما احتل الفرنساويون تلك البلاد هاجروا منها الى وداى وعند بدء هجوم الفرنساويين على الاخيرة ايضا هاجروا الى دارفور الا انه بعد هنالك . هدان يؤيد عكس ذلك ولما وصلت الى كتم اجتمعت بكثير من عقلائهم الذين اكدوا لى على انهم من أصل التوارج كما رواه ابن خلدون وذهب اليه كثير من المؤرخين والكتاب

صفاتهم

الكيناويون نحاف الاجسام دقيقو الاطراف ذو وجوه مستطيلة شاحبة اللون ضارب الى السواد غالبا وقد يوجد فيهم اللون الاصفر الذهبى وقاماتهم رشيقة وشعورهم سابلة وقد تضفر المرأة منهم شعرها بضع ضفائر سميكة تسيرها من الأمام الى مؤخر الرأس وهن وصيفات الطلعة بديعات الجمال

لغتهم

يتكلم الكيناويون بلغة خاصة تخالف لغة البربر ولعل ذلك ناتج عنه ولم ينج من قبائل نيجيريا أو افتباسهم بعض الالفاظ لتقليدهم لهجات البلاد شأن العالم ومع ذلك فانهم يتكلمون اللغة العربية بطريقة لا تخلو من شائبة العجمة

الاخلاق

قل ان يوجد فى العالم اليوم أناس يجارون الكنيناويين فى كرم اخلاقهم فانهم فى
ية العفه والاستقامة قال لى عوض افندى بلال ضابط بوليس الفاشر انه خـــدم فى
رفور ١٦ عاما لم ير فى غضونهـــا رجلا ولا امرأة من الكنين دخل غرف السجن
ما واحداً لذنب جناه ، وانهم فى غاية الشجاعة والنجدة والثبات والصدق والوفاء
لانفة والوقار وسلامة النية مع اتحاد الكلمة واحترام القومية

ومن الغريب إذا تردد الاسد على سطو أبقار الاهالى فى شمال دارفور يؤجرون
رجلا من الكنين ببقرة واحدة فيمكن له بزريبة الماشيـــه واذا مارأى تشويش
بقار خرج له بسيفه وضربه ضربة اطارت رأسه

العـادات

أغرب عاداتهم توحيد الزوجة واذا فرض ان رجلا تزوج امرأتين جعل للاولى
يار والحريه المطلقة بين ان تقيم فى عصمته راضية بما هناك من الضرار أو الطلاق الى
ت ومن ذلك نجدهم أشد الناس حرصا على توحيد الزوجة بين الشعوب الاسلامية

وقد تتحلى النساء الكنيناويات بلبس الصليب فتلبس المرأة صليبين من أنواع مخ
فى عنقها ويكون مقبض السيف والسكين والمخاليف أى رأسها بهيئة لصليب ولقد
كثيراً منهم عن سبب هذه العادة فكانوا لا يعللون ذلك بغير انهم وجدوا آباءهم يف
ذلك وهم على آثارهم مقتدون . ولكنى سمعت من خالد افنـــدى حسن خالد المح
بمديرية دارفور قال انه شهد احد علماء كنين بدارفور وسأله بعضهم عن سبب استع
الصليب فى الحلى وغيره فأجاب العالم قائلا (ليس ذلك بصليب وانما هو فرندى الـ
كانت تلبسه العرب بالصحراء رمزاً الى الشجاعة وقد أخذ من هذه العـــادة بعض
المؤرخين الافرنج على ان الكنيناويين يرجعون فى أصلهم لى الرومانيين مع ان ذلك قو
فاسد ليس من الحقيقة فى شىء . ومن عاداتهم لثام الرجل مع كشف يافوخه وسفو
المرأة سفوراً برزت به عن ظل الحجاب الشرعى ويحتمل ان يكون هؤلاء بقايا دولة
المثمين التى قامت بالمغرب ويحتمل ان يكونوا من غيرها وقد ذهب المؤرخون فى
تعليل لثامهم مذاهب شتى وتفرقوا الى طرائق قدداً فقال أحد الشعراء فى ذلك

لما حووا أحراز كل فضيـــلة غلب الحيـــاء عليهم فتلثموا

ولا يرتدى اللثام شاب دون سن الرشد بل يرجئون ذلك الى مابعد بلوغه سن
الرشد وهناك يحتفلون بوضع اللثام على فمـــه فيضعه رجل يعتقدون صلاحه بعد ان
يمحض النصح الى الملثم ويحذره الكذب والغيبة والنميمة والشتم وادمان المسكرات
واجتراح السيآت . أما المرأة فتقتصر فى لباسها على ازار أسود وقميص صغير قد لا يسـ
اليتيها لولا ما هناك من الازار كما أسلفنا وتارة تكون حاسرة الرأس وطور تضـ
على رأسها خماراً خفيفاً ومع تلك الخلاعة وتتردد المرأة بين الاسواق فلا تكاد تسمع
عنها شيئا يدنس عرضها . ولهؤلاء رقص بديع بالسيوف يقيمونه فى الافراح وايا
الاعياد الاسلامية يتبارون فيه رجالا ونساء بحركات هادئة ونغمات مطربة

كانت قبائل البربر تدين بالمسيحة لى صدر القرن الأول الهجرى وهناك ا
وقامت بدعاية اسلاميه واسعة النطاق فى بلاد نهر النيجر والسنيغال . فال
على تمسكهم بديانة التوحيد وانهم يابسون فى الاعتقاد بها الا ان الجهل متف
يكاد يوجد المتعلمون منهم الا نادرا ومع ذلك فانهم يحافظون على اد
ويتقربون بالنوافل ويحجون الى بيت الله الحرام ويخرجون الزكاة وحاص

لهم شدة فى دينهم وثباتا فى يقينهم

قوافلهم

ان الغالب فى حيواناتهم الابل وهم عبارة عن بدو يقيمون فى الأودية حيث توجد المراعى الخصبة وانهم يشتغلون بنقل بضائع التجار بين كردفان وأبشى ويجلبون العطرون من الصحراء الى دارفور ولهم فى ذلك جلد وصبر على تحمل المشاق والسير فى صحراء جرداء ولا ماء بها ولا كلاء وطالما كنت أقابلهم أثناء أسفارى لدرافور سائرين فى القوافل مدججين بالسلاح مطبوعين بطابع الخشونة تلوح على محياهم علائم الرجولة والجبره كأنهم ليسوا من أهل هذا الزمن فترت فيه الهمم وضعفت فيه العزائم وشغل أهلوه بتنسيق القوام وجمال الهندام ناسين او متناسين قوله صلى الله عليه وسلم تخشنوا فان النعمة لا تدوم

المباشر مخـــائيل ابو عبيـــد

هذا رجل قبطى عينته حكومة مصر فى عهد خورشيد باشا حكمدار السودان ولقب بالمباشر وهو عبارة عن ناظر حسابات السودان وصرفت له ماهية ثلاثة أشهر مقدما وقد تعهد هذا بمراجعة إيرادات ومصروفات سنار ويقدم عنها حساباً مضبوطاً فى مدة ستة أشهر كاملة ولكنه كان بليداً لا يمكن أن يفى بوعده فكتب عنه خورشيد باشا وأفهم حكومة مصر بعجز الرجل فتألف مجلس المشوره وقرر بأن يؤخذ مخائيل أبو عبيد كعامل فى الترسانه بأجرة رقيقين فى اليوم . وقد يكون هذا برهانا على فساد النظام إذ ذاك فكيف يعين رجل كهذا فى منصب خطير قبل معرفته كفاءته ؟.

احمد ابو ادان باشـــا وتمرد الرقيق

أبو أدان باشا كان حكمداراً للسودان منذ سنة ١٢٥٤ هـ وهو أول من فكر فى ادخال ولد فى بلدة أد السودان وانه جمع عدداً كبيرا من الأرقاء وعمل مصانع فى الخندق بدنقلا والمتمه ١١ هـ ١٧٧٨ م وخلافها الى أنه تمرد الزنوج فى عهده من شندى الى سنار فى يوم واحـــد وبعد (بريه) سكان لتركت فيها جنود الحكومة والأهالى رد البعض وأفلت كثيرون الى جبالهم

أما أحمد باشا فقد قدم له أحد زعماء السودان أمراً من السلطان سليم يقضى بأن يكون السودان ولاية اسلامية تابعة لسلطنة تركيا رأسا فكتب هذا كتاباً للصدر الاعظم فى الاستانة يسأله عن حقيقة ذلك ولما سمع والى مصر أنكر عليه مخاطبة الصدر الأعظم من غير طريق مصر ومن ثم بعث ٤٠٠ جندى سوارى من عساكر الالبان بقيادة السنجق دمرس اغا ليقبضوا عليه ويعودوا به الى القاهرة مسجوناً إلا انه ما كاد يسمع أحمد ابو ادان باشا ذلك حتى شرب سماً وتوفى لوقته ودفن فى القبة الشرقيه امام جامع الخرطوم الحالى وكانت وفاته سنة ١٢٥٩ هـ ١٨٤٤ م وخلفه احمد المنيكلى باشا

اراكيل بك حاكم مصـــوع

كان هذا اخا نوبار باشا الارمنى رئيس وزراء مصر جىء به حاكماً للسودان وقد قابل الناس ذلك التعيين بغاية الاشمئزاز كما ترى ذلك فى ترجمة أحمد بك أبى سعد ولما تأكد سمو اسماعيل باشا الخديوى نفو الناس منه لمخالفته لهم فى الاعتقاد نقله حاكماً لمصوع وفى سنة ١٢٩٢ هـ : ١٨٧٦ م أول شىء بدأ به هناك غزا بلاد الحبشة بثلاث اورط مصرية . ولقد رافقه من الضباط المصريين اربعة يكباشيه كالآتى

١ — اليكباشى على افندى راتب

٢ — « أحمد افندى فوزى

٣ — « أحمد افندى سعيد قومندان الطوبجيه

٤ — « عمر افندى رشدى اركان حرب الحمله

وما كان اراكيل بك يفقه شيئاً من مكائد الحروب ولا اساليب القيادة ولكن قضت حكمة الله ان يقود ذلك الجيش بحكم وظيفته الادارية . يدخل حدود الحبشه من جهة سنهيت وفرق جنده فرقا صغيرة تقدمت تلك الفرق ازاء بعض لاحتلال اسمره . وكان الأحباش فى غاية الاستعداد للذود عن حياضهم نظراً لغزو الجيوش المصرية لحدود بلادهم حراساً فهربوا فى الجاو واحاطوا بالجيش المصرى إحاطة السوار بالمعصم وفتكوا به فتكا ذريعاً وعاملوا بالاسرى حيث قطعوا مذاكيرهم وغنموا كل ما بيدهم من اسلحة وجبخانة ومهمات وماشية ولم ينج من الجنود المصريين الا بضعة عساكر

اللواء ماسنجر باشـــا

كان ماسنجر باشا ضابطاً سويسريا استخدمه سمو اسماعيل باشا حكمداراً للسودان الشرقى وكان ماسنجر عادلا فاضلا وهو أول من بدأ بزراعة القطن فى نهر القـــاش فجاءت تلك التجارب بمحصول جيد . وحلب محلجاً من أوربا شيد عليه بناء شامخا اتخذه بطاليون طابية لمحاربة أحمد فضيل أمير المهدية كما ذكرناه فى ترجمته . ونخلوا عنها ورطة العرب الشرقية . ومن أنبل اعمال هذا الضابط أنه ألف كتابا صغيراً طبع اللغة العربية عن جغرافيا وتاريخ السودان الشرقى بطريقة موجزة مفيدة .

وفى سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٦ م قام ماسنجر باشا بحملة عسكرية كانت تتألف من ٢٤٠٠ جندى من الباشبزق الشايقية ورافقه من الضباط « السناجق » الملك سعد صبـــير اغا الملك محمود والملك جاريش آغا والشيخ عبود أغا والشيخ الازيرق اغا والشيخ محمد بير أغا والشيخ العطا أغا . ولقد كانت تلك القوة من الفرسان المدججين بالســـلاح سارت من القضارف الى بلدة دوكه جنوبا ومنها الى القلابات . ومن ثم أوغلت فى حدود الأحباش الذين تجمعوا لها وبينما هى معسكرة فى إحدى الغابات اذ جاءها جند الدر بنحو ٥٠٠٠ بقيادة أحد رؤس الأحباش ثم أحاط بها احاطة السوار بالمعصم فهجم الأحباش على الحملة المصرية التى أصبحت تدافع لتفتح لها طريقا لكى تخلص به تلك الورطة وقد نجا ماسنجر باشا مع بعض جنوده بعد أن منوا بخسائر فادحة . وكان من القتلى يومئذ الشيخ ود عبود اغا ووقع سعد اغا ود الملك صبير فى الاسر مع بعض الجنود . ولما نجا الشايقية الى القضارف جمعوا قدراً عظيما من المال بعثوه مع وفد الفور سكان القلابات بعد مفاوضات أجريت مع الرأس قائد الاحباش الذى قبل ثم ذلك الفداء وأطلق الأسرى

ادريس شيخ محمـــد

ولد فى بلدة أبى قسى فى الشاطىء الغربى من النيل شمال الدبه بدنقلا حـــو الى سنة ١١٩٢ هـ ١٧٧٨ م : وكان والده الشيخ محمـــد من فرع (دسكنجى) الذين هم دناقله ديريه) سكان ابو قسى وجزيرة تنقسى وبشميه فى حفير مشو بدنقلا . تعلم ادريس

ما تيسر من القرآن . واشتغل بتجارة الرقيق والصمغ والريش بين جبال تقلى التى
اليها مع شقيقه شريف شيخ محمد (١) حوالى سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٥ م على أثر عمهما
عربى ود دسكى الذى كان من كبار الاغنياء والذى سنترجم له فى غير هذا المكان .

سار ادريس شيخ محمد فى تجارة عظيمة الى القاهرة سنة ١٢٣٣ هـ ١٨١٨ م ون
بوكالة (الخان خليل) وقد صادف ذلك أن زهراء باشا كريمة محمد على باشا الأ
وجرم محمد بك الدفتردار فى حاجة ماسة الى عشر جوارى لخدمة سرايتهما .
بعثت مندوبا من معيتها لاختيار تلك الجوارى فلم يظفر المندوب بجوار أطول قام
وأرشق قدا لدى أحد عبر ادريس . فاختار المندوب ذلك العدد من الفتيات وط
من ادريس شيخ محمد أن يخبره بالثمن ليدفعه اليه . فاجابه بقوله (هن هدية منى لا
النائب عن خليفة المسلمين) فدهش المندوب لاخلاص التاجر وكرمه الحاتمى . فقص
الجوارى الى تلك الاميرة التى كافأته باضعاف ثمن الجوارى ووعدته خيرا . وقد أخذ
بيانا بعنوانه فى السودان . ولما قدم الجيش المصرى للسودان وانتصر على الغود فى
سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢٠ م استدعى محمد بك الدفتردار ادريس شيخ محمد وعينه حاكما
عموم كردفان . بادية وحضر حتى سكان جبال النوبة وجبال تقلى . وفوض له فى الاحو
حتى كان يولى ويعزل . ويصدر أحكاما بالاعدام دون أن يعارض فى احكامه التى أقر
فيها وجار وقهر الاهالى ومنع أن يضرب نحاس فى جميع كردفان بغير نحاسه . وأن
يركب رجل على فروة (مرعز) التى هى نوع من جلد الماعز الآتى من تركى وارمنيا
وقد يصبغ بين أحمر وأخضر وأصفر ومنها ما يكون ذا لون أسود وأبيض الخ .
سنة ١٢٣٨ هـ ١٨٢٣ م سار ادريس شيخ محمد فى جيش جرار من أخلاط الجوامد
والبديرية والشوبحات والدناقله والهوارى ودار حامد وغيرهم لمساعدة محمد بك الدفتر
فى حربه الانتقامية ضد الحملين لمناسبة حرق سمو الأمير اسماعيل باشا فى سنة
وساهم بدوره فى الغارات لجباره المشهورة وبعد يسير عاد ادريس الى الابيض وظم

---

١ — شريف هو هذا الجد الثانى لمؤلف هذا السفر الذى هو محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم
شريف بن الشيخ محمد

٢ — كان أولاده وحفدته يباهون بقولهم ونحن أبناء البدى النحاس ويقطع الرأس حتى كان ذو
فى كراهة الناس لهو وتفورهم عن الاختلاط بهم الى عهد قريب

٣ — لم يزل هذا النوع من الفراو يستعمله ذو اليسار من السودانيين . وقد خص به ادر
ولايته بكردفان

ن الخشونة واستبد وكان أول من فرض ضريبة الويركو واستعان على تحصيلها
كرباج بطريقة تعافها المروءة ويأباها الشرع . حتى اضطر كثير من الأهالى الى الفرار
قراهم واعتصموا بجبال النوبة فى جنوب كردفان وذهب آخرون الى جبال كاجا
نول وكاجا السروج وكاجا البوطه فى الشمال الغربى

الدكتور محمد نيازى افندى

تخرج محمد نيازى من مدرسة الطب فى القصر العينى . وهو مصرى الأصل . وقد
طبيبا لمديرية الجيزة . وفى سنة ١٢٨٢ هـ : ١٨٦٦ م نقل للالاى المصرى المرابط
مدنى . فأقام محمد أفندى نيازى زمنا طويلا . واختلط بأهالى السودان اختلاطا استطاع
تأليف رحلة وصف فيها البلاد وسكانها وعاداتهم وأخلاقهم وخرافاتهم . فهو لئن
ساب فى كثير من بحوثه . فقد زلت به القدم وخلط فى بعضها خلطا شوه به تلك
حوث القيمة . ولا تثريب عليه فى شىء من ذلك لانه ضمن رحلته جهوداً عظيمة
يعقل ان تسلم من شائبة الخطأ . وحاصل القول ان الدكتور محمد نيازى ساهم باكبر
يب فى تاريخ قطرنا . اذ صور منه جزء مهما لقراء وادى النيل تصويراً مفيداً وانه
ل جهوده هذه بز غيره من الموظفين الأتراك والجراكسه والمصريين الذين أضاعوا
ت فى الجرى وراء المادة حتى ايقظوا نيران الفتن وخضبوا عرصات البلاد بدماء
ئها البريئة .

عاد الدكتور محمد أفندى سالما الى وطنه ومسقط رأسه بمصر ونشر رحلته فى سلسلته
لات فى جريدة الوقائع المصرية . وقد نقلناها وعلقنا عليها فى مواضع الخطأ وغيرها
مؤلف وهو مائل للطبع الآن إذا هيأ الله المادة

صباحى محمد الكاهلى

ان صباحى محمد رجلا جبارا أسس له كيانيه فى بلدة « جقمنى GAGGIMNI »
لمر بضم الحاء جنوب الاضيه وشرق المجد . كانت لصباحى فصيلة من جنود البارنقر
منتيز و ١٠ جندى أى غير نظامية مسلحة ببنادق من الطراز الذى يحشى من
يسطو على قبائل الزنج يقتل ويأسر وينهب الماشية ولما صدرت الأوامر

الخديويه بمنع الاسترقاق . بعثت مديرية كردفان على أفندى الخاتم الـ بأقوام بها . على رأس ١٠٠ جنـــدى من فرسان الباشبزق وزودته بتعليمات بأقسام صباحى وتجريد جيشه من السلاح ومصادرة الجبخانة والرقيق الموجود بعامى من الخطل فى الرأى ان يكلف المعاون بالقبض على رجل جيشه ١٠ أضعاف الى جند المديريه . وما كاد يعلم صباحى من نوايا الحكومه ضده حتى هاجم تلك الـ بحرب بددها وفتك بالمعاون وفر الباقون من جنود الباشبزق الى مدينه الابيض وا المدير بذلك . وكان صباحى خطب أخت أحمد بك دفع الله وقبل ان يتم زواجه حدث منه ذلك ضد الحكومة . فكلف المدير أحمد بك بان يؤمنه بالنيابة عن الحكـ ويستقدمه لاجراء الزواج فاغتر صباحى بتلك الحيلة وجاء الى الابيض . وهناك المدير بالقبض عليه واقصى الى المنفى فى فاز على فظل بها حتى توفى الى رحمة مولاه ١٢٩٩ هـ الموافق سنة ١٨٨٢ م

عوض ولد العـــرض العركى

كان هذا من وكلاء كشك على . ولما ضمت كتانية الى الحكومه تبع العوض كـ الزبير رحمت باشا وعندما خرج سليمان على الحكومة . قبضت الحكومة على العو الذى كان يشتغل مستقلا فى ديم قوجو الكائن جنوب بير على بعد يوم ونصـ منه وأقصته فى سنوت فظل بها الى ان توفاه مولاه الى رحمته فى سنة ١٢٩٨ هـ : ١٨٨١ أما املاكه فصادرتها الحكومة بلا مسوغ . فكان رحمه الله بطلا لايبالى بالمكاره

محمد بك تومان مدير دنقلا

عين هذا مدير لدنقلا فى سنة ١٢٧٠ هـ : ١٨٥٤ م كان هذا المدير محسنا عادلا دمث الاخلاق وهو الذى حفر الآبار فى طريق الماتول فى عهد محمد سعيد باشا و كثيرا فى احياء الشعائر الدينية الا انه لم يبق فى منصبه أكثر من أربع سنين وبعد الى جهـــات أخرى

عبد الله بك كردى مدير دنقلا وبربر

عادة العامة أجباراً متعسف وهو أول من استعمل الكرباج وارهق الناس بظلمه . ولما مرض مزينجى الاى فى كسلا نقل اليها لكنه استبد هناك استبداداً صير الناس يدعون له فما لبى إلا بضعه أشهر حتى توفاه مولاه الى رحمته ولا غرابة لقوله صلى الله عليه وسلم من أفلح من صلى عليه ، فاصلاه هنا بمعنى الدعاء

على فضلى بك وكيل الحكمدارية

لا كان هذا مثال الكمال والانسانية وانه قويم الاخلاق حسن السيرة يابسا فى دينه خوفه لومه لائم فى الحق . عين مديرا لدنقلا سنة ١٢٨١ هـ ثم نقل وكيلا لحكمدارية دان وبينما كان يشغل منصبه الاخير اذ باغتته المنيه فدفن باحتفال عظيم فى ارز قبب الباشوات شرق جامع الخرطوم الحديث

شيخ خضر

كانت فى دنقلا قبيلة تعرف بالشرباشية يقيمون فى جزائر الاشراف وبلدة فى شاطىء النيل الشرقى والخناق فى غرب النيل . وكانت للشرباشية مملكة صغيرة ن ملكها « شيخ خضر » قابل هذا حمو المرحوم اسماعيل باشا عند وصول الحملة رية دنقلا سنة ١٢٣٦ هـ فأنعم عليه اسماعيل باشا بكسوة شرف ولقبه بالكاشف قسم دنقلا فأصبح يشتغل بجباية « الويركو » وشيد له قصراً فى شمال النيل تجاه جز شراف أى جنوب قصر المنفوخ قريبا منه فأخذ يسحر الحنافية « الاشراف » فى نحت حجار والقيام بعمل الشبابيك والأبواب حتى سئموا البقاء هناك فهاجر السيد الله والد السيد محمد أحمد المهدى بحرمه وأولاده الى الخرطوم ونقل منها الى كرى م هناك الى وفاته .

أما القصر فصار بعد وفاة شيخ خضر الى الولى ود نميرى واشتهر بنسبته اليه لأنه ر الكاشف بعد شيخ خضر . قابلت الأخير فى عمار سنة ١٣١٢ هـ فرأيت منه رجلا نوع القامة نحيف الجسم أميا ليست له من المؤهلات مايستحق الذكر ولكن .

يشقى ويشقى آخرون بهم ... ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته ... لكن جدود وأرزاق بأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد ... يرمى فيحرزه من ليس بالرامى

عثمان بك صدقى مدير دنقلا

كان هذا ظالما مستبدا لا يهمه غير حشو جيبه . عين مديرا لدنقلا فى سنة ١٢٨٤ هـ ١٨٦٨ م فأول أعماله فرض « ريالا » يجبى من كل ساقيه وبديهى ان بالمديرية مالا يقل عن عشرة آلاف ساقية وأصدر تعليماته للكشاف بان يحصلوا ذلك الريال قبل ضرب الويركو وقد اشتهرت تلك المغارم اذ ذاك باسم « ريال الكاشف » وانما لجأ المدير لاسيما وانه عرض الوظائف الى المساومة فنالها اندى الناس كفا بالعطاء . فكان يرى الموظف من عمله ويخلفه فيه آخر بغير سبب وكان ذلك من البواعث التى دعت الموظفين والاعيان الى رفع الكل شكاوى عنه كان لها أثرها فى عزله وتوجيه منصبه الى حسين باشا خليفه فى سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧٢ م الذى ما كاد يستلم مهام المديريه حتى أرق الى وزارة المالية بالقاهرة يقول لها ان سلفه حمل ٤٠ صندوقا من الذهب والفضة وطلب ضبط تلك الأموال والتحقيق مع عثمان صدقى بك عن الموارد التى تناول منها الثروة العظيمة وهناك اذاعت حكومة مصر نشرة سرية الى مديريات الوجه القبلى تأمر بضبط المال وصاحبه الذى كان كالثعلب فى دهائه فى كل ناحية ضبط فيها يتخلص بدفع رشوة ثم له سبيل المرور ولكن وجد فى المنية مديرا نزيها رفض قبول الرشوة ولما بدأ التحقيق معه . قال انه أتى به بصفة هدية لسمو مولانا الخديوى المعظم . والى هنا فقل المحضر واخطرت المعيه السنية بقدوم الهادى وهديته التى حلت محل القبول والاستحسان هكذا كان الغالب من ولاة السودان الا ان عثمان صدقى بك حرم من ثمرة جهوده بسبب يقظة حسين خليفه باشا وغيره من المديرين

الفريق محمد راتب باشا سردار الجيش المصرى

كان راتب باشا ضابطا شهما له دراية وخبرة تامة بالفنون العسكرية وهو سردار الجيش المصرى فى عهد سمو اسماعيل باشا خديوى مصر الذى اصدر له أمرا يقضى بعمل

ريدة لغزو الحبشة انتقاما منهم لما مثلوه مع الجنود المصرية الذين وقعوا فى أسرهم .
يأ محمد راتب باشا تلك الحملة التى كانت تتألف من ثلاث فرق عسكرية مصرية وتولى
يادة العامة بنفسه ورافقه سمو الامير حسن باشا نجل الخديوى كرئيس شرف انما
رض من ذلك كان لاجل تدريبه على القيادة العامة . وبالرغم من كفاءة محمد راتب
ا فان الخديوى اشترط عليه بأن لا يعمل عملا مالم يوافق عليه الجنرال لورنج
مركانى الذى كان أركان حرب الحملة مع أنه جاهل بفنون العسكرية وغير مخلص
كومة مصر التى كانت تطمئن بأمانة الأجنبى وكفاءته ولا تطلب اقامة الدليل على
ك با كثر من بياض وجهه وشحوب بشرته وحضرة عينه وتلك غريبة فى انتخاب
جال !! وكان الجنرال يحيط به رهط من الضباط الأمركان . ولقد احتفل الوزراء
لامراء والذوات بتوديع تلك الحملة احتفالا بهيجا فغادرت القاهرة ملحوظة بعين ملؤها
حترام سائرة الى بور سعيد ومنها الى سواكن ومصوع وقد كان سيرها سيرا بطيئا افلق
ديوى الذى أمرها بالاسراع فى الزحف وهناك تحركت الفرقة الأولى بقياده اللواء
ان رفقى باشا وسار مع هذه محمد راتب باشا السردار وأركان حربه فى أول أغسطس
١٨٧٦ . وفى صبيحة الغد سارت الحملة وكانت تتألف من ٥٠٠ دابه برئاسه البكباشى
حمد أفندى عله ابى (السيد احمد عرابى باشا) وسارت الى جانبها اورطة بقيادة البكباشى
ج أفندى عبد العال الملقب (بالدكر) وكان سير الجيش وبالاخص الحملة فاقدة للنظام
الة تدل بوضوح على سوء التدبير . قال السيد أحمد عرابى باشا فى كتابه كشف
ستار ما نصه

فلما بعدنا عن مركز أم كلكو بنحو ستة أميالى وجدت الحمال والخيل والبغال السابق
سالها مع الفرقه الأولى منتشرة على رؤس الجبال وبطون الأودية بأحمالها . بعضها
تع ويرعى وبعضها مشبك فى شجر السلم وشجر الأبنوس وشجر أم غيلان وبعضها
ق أحماله من الجبخانه والبقسماط والتبن والشعير والفول الخ

كان ذلك لاهمال الحرس وفرار الحمالة منها . وكان أحد القسس الفرنساويين المبشرين
الحبشة يتردد على الجنرال لورنج ليأخذ عنه أخبار الجيش المصرى وتحركاته وكان ذلك
قس وصلة الاتصال بين الامبراطور يوحنا كاسا نجاشى الحبشة والجنرال لورنج على
خطط الحرب والمكائد التى دبرت ضد الجيش المصرى وبعد هجم الامبرطور بجيش

يقدر بنحو ٨٠٠٠٠ مقاتل على فرق مصرية كانت تتألف من سبع أورط مصر
وبطاريتين طوبجية قريبا من قبا خور وما لبث ذلك الهجوم ساعة واحدة حتى قضى
الفرقة المصرية القضاء المبرم من ضمن القتلى المصريين يومئذ اللواء راشد باشا راقب
والأميرالاى محمد جرنك وكثير من الضباط ذوى الرتب الصغيرة . ووقع كثير
المصريين فى أسر الأحباش الذين غنموا المدافع المصرية ولعدم معرفتهم باستعمالها كرهوا
الأسرى المصريين وكلفوهم باطلاق تلك المدافع على الجيش المصرى فى واقعة يو
١٤ أغسطس سنه ١٨٧٦ وبالرغم من فعل المدفعية فقد ثلث المصريون وخاضوا غم
تلك الحرب بثبات وحرص جديرين بالاعجاب . وكان البكباشى على الروبى افند
قومندان فرقة الفرسان يطوف بخط النار محرضاً الجنود المصرية بقوله (ان مصر
بعيدة عنكم ان لم تصبروا على الدفاع فانتم مقتولون بلا شك) وقد اظهر محمد راتب باشا
من الحنكة والثبات ما استطاع به رد الجائحة العظيمة اذ رد الاحباش عن مراكزهم الأمامية
خط النار . ومن الغريب ان الجنرال لورنج ورهطه من الامركان خلعوا الطرابيش المصر
وارتدوا القبعات وربطوا على اعناقهم مناديلا بيضاء اشارة على انهم مسيحيون ليأمنو
بطش الأحباش . هذا وبعد حروب تبودل فيها الكر والفر مراراً هزم المصريون بعدا
منوا بخسائر فادحة . ولقد تأثرهم الاحباش واستردوا المناطق التى انتزعتها مصر
بلادهم ونجا محمد راتب باشا وسمو البرنس حسن باشا وبقية الجيش المصرى . فاستشا
سمو اسماعيل باشا الخديوى وأراد محاكمة الضباط الشراكسة ولكنه كف عن ذلك لك
لايحدث استياء عاما بين صفوف الجيش . أما الامبراطور يوحنا فانه شمخ بأنفه وحر
بلاد المسلمين فى الحبشة بحجة انهم كانو فرحين بقدوم المصريين وفتك بكثير منهم واضطهد
الى اقصى حدود الاضطهاد إلا أن انتقم لهم منه على يد انصار المهدية الذين قتلوه ش
قتلة وحزوا رأسه فبعث مع إسلابه وتاجه الأثرى الى خليفة المهدى بأم درمان وكانت
واحدة بواحدة جزاء

MONS DANELE COMBONI

(المطران دانيال كمبونى)

كان هذا أول دعاة المسيحية الكاثوليكية فى السودان وانه اسس جمعية الارساليات التبشير

فى جميع أنحاء أوربيا . وأعد الراهبات لهذا الغرض .

ولد دانيال كمبونى بمدينة ليون بايطاليا فى يوم ١٥ مارس سنة ١٨٣١ م الموافق سنة ١٢٤٦ هـ وكان والداه من أسرة إيطاليه ذات أصل عريق ثم أدخل صغيراً فى دير فيرونا Verona بايطاليا فتلقى علومه الأولية والابتدائيه . ومن ثم انتظم فى سلك طلبة كليه (متسا Mazza) التى هى بمدينة بيرونا أيضاً . وكان دانيال كمبونى آيه فى ذكائه وحدة ذاكرته فانه بز اقرانه فى كل علم من العلوم المقررة ونهج نهجاً فى المذاكرة وحفظ اللغات الأجنبيه جعله فى المكان الأول من خريجى تلك الكليه حيث أتقن من اللغات غير لغته لايطاليه ١ — الانكليزيه ٢ — العربيه ٣ — الروسيه ٤ — اليرلنديه ٥ — الفرنسيه ٦ — اليونانيه ٧ — لاسبانيه ٨ — المجريه ٩ — الالمانيه ١٠ — العبريه ١١ — اللاتينيه ١٢ — اليونانيه القديمه ١٣ — الاوربيه . ومن الغريب الدهش أنه لم يحفظ من هذه اللغات بالمدرسه عدا أربع لغات فقط وحفظ ما بقى منها باجتهاده فمن ذلك انه حفظ اللغه الألمانيه فى ١٥ يوما وهو مما يكاد يبرز عن دائرة المعقول . وفى سنة ١٢٦٩ هـ : ١٨٥٣ م تعين (مدرساً) فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٥٤ ثم صار كاهناً وبعد زمن يسير عينه (بنى . ن تسيدرر John Nepom-uceno of Tscnideper.) قسيساً لمدينه (ترانتو Tranto) بايطاليا وفى يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ م انتدب مع خمسة اشخاص آخرين بعثه دينيه لمدينه الاسكندريه وواصلت تلك البعثه سيرها جنوباً حتى بلغت مدينة الخرطوم فى يوم ٨ يناير سنة ١٨٥٨ م وغادروها سائرين نحو الجنوب ولما بهم كانوا يقومون اكتشاف البحيرات الاستوائيه قبل وصول استانلى اليها ولكنهم عندما بلغوا مدينة كندكرو التى تبعد عن الخرطوم جنوبا ١٧٣٠ كيلو متراً تفشت فيهم الملاريا وبلغ بهم الجهد مبلغاً عظيما فاضطروا أن يعودوا إلى الخرطوم فبلغوها فى ٤ ابريل سنة ١٨٥٩ م ولملازمة الملاريا لهم غادروا تراً إلى مدينه (بيرونا Verona) بايطاليا فى أواخر سنه ١٨٦٩ م وذلك بعد أن تزودوا بمعلومات جغرافيه وتاريخيه ذات قيمه عظيمه إلا أننا لم نقف على ما أداعوه بين العالم الاوربى الذى كان متعطشاً للمام تلك المناطق العنيه بمناجمها غاباتها .

نظر بريك إلى الجهود الجبارة والمجازفات التى يقوم بها دعاة المسيحيه فى بلاد أوربيا

وعلماؤها وأغنياؤها فى سبات عميق لم يدر فى خيالهم منافسة الافرنج فى الدعايه إلى دينهم ولا استثمار خيرات تلك البلاد وضم شعوبها لزيادة القوادم من جناح المملكة المصريه . مع أنها لو جاءت بالقليل من فضلات ثروتها الطائلة لترامت شعوب أواسط افريقيا إلى أحضانها ، ولأصبحت مصر كالروسيا عدداً وعدة . وربما بزتها فى قوة البأس ومضاء العزيمه . وها نحن نأتى بصورة رسالة لأحد المبشرين لجمعيه حالما كان جائلا موغلا فى تلك القارة التى أصبحت بين فكى الاسد الاستعمارى .

قال (ان المرسلين من الافرنج لاينجحون فى تلك البلاد . فكان أمزجة أهلها مخالفة لمشربهم على خط مستقيم . وانى أشاهد المرسل من المسلمين مع مابه من الفقر والحاجة . لايزيد على ان يسمع شيئاً من كلامه . فيميلون طربا ويهتزون عجبا . ثم يكتبون منه بعض كلامات ويبلغونها تبركا بها . ويستشفون به على كل داء . وارى المرسل من غيرهم يبذل لهم البشاشة والمال ويواسيهم . وهم لايزدادون الا فرارا) هذا قد ضرب المبشرون على ذلك الجفاء قرناً كاملا ولم نر فى غضون هذه المدة بمسلم زاحمه ! ! ومن الغريب ان الأوقاف المصرية تفكر فى اعداد المبشرين فى اليابان التى تكاد تكون الحلقة مفقودة بينها وبين مصر وهذه كما قيل سئل رجل (بهل تحفظ القرآن ؟ قال نعم وأزيد فيه ! !) هذا ولنرجع الى سياق الكلام عن المطران دانيال كمبونى فنقول انتدب لمدينة عدن لمنع تجارة الرقيق ولكنه مالبث هناك زمنا طويلا بل عاد الى فيرونا وسار منها الى روما حيث قوبل من اصدقائه ومعارفه بغاية الحفاوة والتكريم . وفى سنة ١٢٨٠ هـ ، ١٨٦٤ م تبادر الى ذهنه القيام بدعاية واسعه النطاق فى افرقيا ومن ثم صار يتجول بين فرنسا والمانيا والنمسى لعرض فكرته على ذوى الشأن من دعاة المسيحيه الذين قابلوه فى مكان بالايجاب والقبول وفى ٦ يناير سنة ١٨٦٦ م كان فى سيلان ؟ ومنها قفل راجعا الى باريس الى اوربا مرة أخرى . وفى سنه ١٨٦٧ م انشاء جمعيتين ثم ذهب الى باريس للمفاوضه فى شؤون افرقيا الدينية والسياسيه . وفى اثناء عودته الى ايطاليه زار المانيا والنمسا للمرة الثانيه طالبا المساعدة للتبشرية الافرقيه . وفى سنه ١٨٦٩ م قدم الى القاهرة لأجل الشروع فى اعماله التى كرس حياته لخدمتها . ولكنه عاد الى روما فى سنة ١٨٧٠ م ليحظى بالتأييد الادبى والدينى من مجلس الفاتكان . اليابا . ثم عرج فى سيره الى المجر وبولندا وروسيا وفى سنه ١٨٧٢ م صودق جمعياته فى روما وعين رئيسا للارساليات الكاثوليكيه فى السودان . وكان اذ ذاك فى درجة

(فكار) (Ro - Vicar) التى هى أعلى من القسيس واقل من المطران ومن ثم سافر فينا عاصمة النمسا ومنها الى الخرطوم مقر عمله فبلغ الاخيرة يوم ٤ مايو سنه ١٨٧٣م وهناك شيد الكنيسة الكاثوليكيه الاولى من نوعها فى الخرطوم بل فى كل افريقيا وغرس حولها حديقه غناء وكان أول من ادخل طريقه انشاء المدارس فى الارساليات لانه قد يدرك فى الشباب مالا يدرك الكهل . وهى طريقه لها قيمتها من حيث العقائد الدينيه . وفى سنه ١٨٧٧م استدعى الى ايطاليا وعين قسيسا لروما ولكنه كان يميل بطرفه الى المجازفات والخدمه فى غير بلاده فلذلك عاد الى الخرطوم فبلغها يوم ٤ ابريل سنه ١٨٧٨ م واستانف عمله بها الا انها صارت ساوره الحميات فعاد الى روما سنه ١٨٧٨ م لتغير الهواء وبعد اشهر عاد الى الخرطوم وقام برحلات فى جهات كردفان وجبال النوبه وغيرهما لتأسيس كنائس فرعيه وتابعه للكنيسة الكاثوليكيه بالخرطوم . ولكنه سيل بينه وبين مايشتهى حيث ادركه الوفاه فى ١٠ كتوبر سنه ١٨٨١ م الموافق سنه ١٢٩٨ هـ وقد صادف ذلك ثورة المهدية ووقوف دولاب حركه التبشير وقوع بعض المبشرين فى فخ الاسر الى سنة ١٢١٦ هـ : ١٨٩٩ م كالاب أهو الدوى مؤلف كتاب اسر عشرة سنوات فى اسر المهدى .

كلية الكمبونى التذكارية

فى سنة ١٣٤٧ هـ . ١٩٢٩ م

COMBONI COLLEGE

كانت للبطرق دانيال كمبونى مكانه عظيمه فى نفس الشعب الايطالى لا سيما ورجال الدين الذين لا زالوا يتعبون بأعماله الممتازة وطفراته المدهشه وذكائه المفرط . فعزى على الآباء الكاثوليج أن تمر شخصيه كهذه من عالم إلى عالم بدون ان يكون لها أثر خالد ففى سنه ١٣٤٧ ١٩٢٩م وضع الاب (بنى H.E. Bishop F.X. Bini) الحجر الاول من بناء كليه وذلك بعد أن قام آباء الإرساليه الكاثوليكيه بجمع الاكتتابات وقد ساعد الاخوان الكمبونيين) من جمعية (القلب المقدس) مساعدة عسوسه إذ أعدوها مشروعاً حسناً وفى سنه ١٣٥٢ هـ : ١٩٣٤ م زيد اتساع البناء . وانشئت دار للطلبه الداخليه يسع فى الوقت

الحاضر ٤٠٠ سرير . وكانت جميع الابنيه على قواعد هندسيه من أحدث طراز . والقسس هم الذين قاموا بالرسم والبناء والنقش وأحيطت الكليه بسور وغرست بداخله حديقه غناء ذات منظر مفرياً خذ بمجامع القلوب . ومن الغريب لم يكلف ذلك البناء سوى ، وذلك لاشتراك القسس فى كل الاعمال المهمه

منهاج العمل

يتضمن منهاج كليه كبونى ثلاثة أقسام . القسم الثانوى . والابتدائى . والتحضيرى (١) القسم الثانوى . يستمر هذا القسم لمدة اربع سنين كامله ويتضمن بتاريخ العهد القديم والحديث . اللغه الانكليزيه وآدابها اللغه العربية والفرنسيه . الرياضيات . العلوم . التاريخ الجغرافيه . مسك الدفاتر . مبادئ الاختزال . الكتابه على الآله الكاتبه . الفن . الغناء الموسيقى والرياضه البدنيه . واكثر الطلبه يقدمون أنفسهم لعمل المكاتب بالتخصص فى العلوم التجاريه والباقون يوجهون إهتمامهم توجيهاً خاصاً للعلوم ليكونوا اكثر إستعداداً للهندسه والقانون والطب والاقتصاديات وما يماثلها من العلوم الجامعيه الاخرى أو لاى عمل آخر اقل اهميه كتابيه

السنه الخامسه من هذا المنهاج تعد طلبه القسمين التجارى والعلمى معاً لامتحان شهاده كامبردج الذى يسهل الحصول على الماتريكيشن من اى جامعه إذا كان نجاح الطلبه يتفرق .

(ب) القسم الابتدائى . ويستمر لمدة اربعه اعوام كامله ويتضمن العلوم الدينيه . اللغتين العربيه والانكليزيه . الحساب باللغتين . التاريخ . الجغرافيه . علم الحياة . الصحه . الرسم . الخط . الغناء . الموسيقى . والرياضه البدنيه . ويتبع هذا القسم فى دروسه المنهاج المصرى لكى يعد الطالب لامتحان الشهادة الابتدائيه المصريه فى آخر السنه الرابعه الابتدائيه . إلا ان اللغه الإنجليزيه تدرس فيه إلى مستوى اعلى حتى تهيء الطالب لقسمنا الثانوى .

(ج) القسم التحضيرى ويستمر لمدة ثلاثه اعوام لطلبه الذين تقل اعمارهم عن التاسعه ويتلقى الطلبه فيه مبادىء اللغتين الانكليزيه والعربيه . وشيئاً من الحساب والرسم والخط الملحوظ . ودرس اللاتينيه والاغريقيه والايطاليه والارميه والعبريه كجزء من المقرر

للطلبة الذين يبدون استعداداً ورغبة فى الإلمام بها : —

هذه خلاصة ما أخذناه عن الأب سيمبيانى Symbianini أستاذ التاريخ فى كلية الكمبونى وما هو مدون فى لائحة الكلية المذكورة . فاذا صرفنا النظر عن مسألة الخطر على العقائد ونظرناه بالعين المجردة عن الغاية لقلنا ان التعليم فى هذه الكلية أرقى منه فى مدارس السودان الأخرى وأنه يتمشى مع حاجة البلاد. وأنه يهيء الطالب للدخول فى أعظم جامعات العلم اذا درس لغاتها درسا صحيحا وإنى لاحظت فى أثناء محادثتى للأب سيمبيانى Symbianini أنه رجل وديع الأخلاق الى درجة يغبط عليها فاذا كان بقية المدرسين كالأستاذ التاريخ أو دونه بقليل لزاد ذلك فى قيمة الكلية وصيرها مفخرة للايطاليين . هذا وفى أوائل عهد الحكم الثنائى منذ سنة ١٨٩٩م ١٣١٦ هـ أخذت مدينة الفاتيكان ترسل بعثاتها التبشيرية الى السودان حتى بلغت كنائسها ٤٠٠ كنيسة يساعدها الانكليز من خزينة السودان بمبلغ ٢١٦ الفا من الجنيهات سنويا لاسيما ما يلاقى القسس من التسهيلات عند سفرهم بيواخر وسكك الحديد السودان لقد بطر القسس بطرا شديدا حتى صاروا يتحدون المسلمين هناك ويطالبون بطردهم من بلاد ظلوا بها عشرات السنين فانتدب لذلك مأمورا ن هما أبو الدهب افندى المصرى كان أبوه من بوليس سواكن ومحمد افندى أحمد حامد الحلى العمرابى فالأول حرق دور المسلمين بواو وخرب حدائقهم واستبد بطرق لم يسمع بها منذ عهد بعيد وهكذا قام احمد حامد بدوره فى طرد المسلمين من راجا وكنا كنحى حتى مات بعضهم فى الطريق ظلماً ولما سرت فى بحث التاريخ فى يناير سنة ١٩٤٦ وجدت للرجلين سمعة لا يحسدان عليها من جفاء وعداء للانسانية كما أخبرنى أمين الشيخ الطيب الذى مات كمدا لطرده وتبديد ثروته ومن المدهش لما تصدق للاستاذ السيد محمد الامين القرشى بالدعاية الاسلامية احتج الكاثوليكيون طالبين ايقاف هذا العمل الذى احتكر لهم نصف قرن الا أن الحكومة لم تسمع لندائهم فى إبان اليقظة وتبرم الشعب من نير الاحتلال وضغط الاستعمار.

ابلغ أنواع الزهـــد

لقد بالغ المهدى فى وعظه مبلغا عظيما من التاثير على رجاله الذين زهدوا فى متاع هذه الحياة الفانية الى درجة لم يتصف بها أحد منذ الصدر الاول من التاريخ الهجرى ففى ٢٠ يناير سنة ١٨٨٥ عند ماهزم جيش المهدى غردون دون أن يمد أحد يده الى شىء من الغنائم المنثورة فى دور الأغنياء وخزائن الولاة فانتدب المهدى خمسة كتاب لجمعها وتقديمها لأمين بيت المال بدون رتيب عليهم وهم :

١ — عبد السلام الحاج بله كاتب إمارة عبد الرحمن النجومى
٢ — أحمد محمد قباجى كاتب امارة أحمد أبى سن عدلان اللبيح
٣ — بشير ود بادى كاتب إمارة محمد عثمان ابو قرجه
٤ — شيخ ادريس احمد هاشم كاتب إمارة مكين ود النور
٥ — مكى ود العقب كاتب إمارة شيخ فضله

وانتدب مع كل منهم ٤٠ جنديا مدججين بالسلاح للمحافظة على المال والمندوبين لجمعه إذ ربما يكون بداخل دور الأهالى أناس مختبئين يدافعون دون مالهم فأبدى أولئك المندوبون من العفة وطهارة النفس ما يدعو الى الغبطة والسرور فانهم جمعوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وسلموها الى بيت المال دون أن يختلس فرد من الكتاب وجنود الحرس درهما ولا دينارا ولو فرض وحدث شىء من ذلك لظهر أثره فى أنجالهم وحفدتهم الموجودين حتى الآن وآخذ أمين بيت المال يصرف الذهب فى مرتبات الأنصار فهبط سعره الى درجة صار ثمن أوقية الذهب باثنين جنيه مصرى

ولما استرجع السودان فى سبتمبر سنة ١٨٩٨ وجد الانكليز فى خزينة عبد القيوم أمين خليفة المهدى ما يربو على عشرة مليون جنيه نفقت على باخره من أم درمان الى بربر ومنها الى سواكن فلندن كما روته جريدة المؤيد وعزز تلك الرواية الملاحظ عبد الله بكر بك الذى سمع عن القائمقام سعيد بك عثمان الذى كان رتبة الملازم أول وبلوره حرصا على ذلك الذهب عند نقله للباخرة بميناء أم درمان .

أم درمان

هذه أحدث عواصم افريقيا بعد القاهرة ذلك رغم حداثة عهدها وترادف أزجانها فى يوم الجمعة ١٣ ربيع الثانى سنة ١٣٠٢ هـ ٢٩ يناير سنة ١٨٨٥ م ضرب المهدى نحاسة ونفخت بوقات المحرب وسار فى جميع يقدر ٢٤٤٠٠ نسمة الى ان اتاح لاقته فى مكان القبه الحاليه ثم خطط جامعه البالغ ١٢ فدانا أو ٥٤٦٠٠ متر مكعب حتى تعد ذلك خط

قبـــة المهـــدى

دائره شرق الجامع وخطت منازل خلفائه حوله وكان موضع المدينة عبارة عن غابة كثيفة واخذا نصاره كل طائفة تقطع الأشجار وتبنى مكانها منازل عبارة عن اكواخ ورواكيب متواضعة جلها فى الأشجار التى تظلت واخذ الناس يهدمون منازل الخرطوم

وينقلون الأنقاض لعمارة أم درمان ففى بضعة أيام شغلوا المنطقة الواقعة بين خور شمبات شمالا وديم الفتيحاب جنوبا والنيل شرقا وغربا كادت العمارة تتصل بجبال المرخيات ولكن لا نظام بها وليس هناك شوارع مهمة غير شارع العرضه الذى تسير به جيوش المهدية غربا للاستعراض بطريقه أشبه شيء بالمناورات الحربيه لدى الجيوش المتمدنة أما البناء فانه اخذ يتطور تطورا بسيطا الى واقعة كرزى واحتلالها بعد معركة سال الدم بها أنهارا كما تذكر بعد وهناك اخليت المدينه ولم يبق بها من السكان عدا ٢٥ /

وكان ذلك سببا فى تلاف البناء بطول الامطار وبعد بضع سنين صار الناس يعودون لترميم منازلهم السكن بها . ثم اخذت الحكومة فى تخطيط شوارع المدينة وتنظيم البناء واصبحت الحاجة ماسه لغرس الحدائق فصار السكان يغرسون حدائقا صغيرة بداخل منازلهم وقامت شركة الماء والكهرباء بربى المدينة وانارتها وسار الترام بالكهرباء وصارت تنافس أعظم المدن حضارة واليك وصفها الآن فانها تقوم فى شمال النيل عند ملتقى النيلين حيث الدرجة ١٥ والدقيقة ٣٨ من خطوط العرض الشمالى والدرجة ٣٢ والدقيقة ٢٩ من خطوط الطول الشرقى ويبلغ ارتفاعها ١٢٥٦ قدما عن مستوى المحيطات تكتنفها من جهة الغرب جبال المرخيات ومن الشمال جبال كرزى ويتحدر عليها واديان اللذان هما خور أبو عنجه إلى مصبه بالنيل بعد ان يقسم المدينة الجنوبى إلى شطرين وكذا خور شمبات الذى يصب بالنيل شمال المدينة

وهنا تقول سطح المدينة متناسب فى الوسط والشمال ومتنافر فى شاطىء النيل والجنوب ويربط بينها والخرطوم كبرى النيل الأبيض والتربة تنقسم إلى ثلاث عناصر الخضوة والجير والطين الضارب لونه إلى الحمرة . هذا ويقال أن أسمها قديما « وشل » الذى هو أسم لاحد ملوكه العنج « النوبه » وبعد موته وليت أمرأته كان أسمها أم درمان فسميت المديرية باسمها ومن الغريب إذا حسبت عدد حروف وشل بالجمل تجدها ٣٣٦ وكذلك يكون حروف أم درمان وذلك ضرب من التحليل أقرب من الحدس والتخمين لم يقم برهان على صحته وذهب آخرون على أن بعض العرب يبدلون

علام فيها كما ورد في الحديث ، ليس من امير أمصيام في أمسفر ، وعلى هذا القياس فقد يصح في نظرهم ابدال الميم لاما فيصير الدر ، ومن معناها كذب فيكون المعنى كذب الدر أي أنه ليبدو اكاذ في جانب باحصبا هذه المدينة وهو وجه من التعليل لا تقطع به وهناك تعاليل كثيرة يجيدها سكان هذه المدينة ويجتهدون في استخراجها الكثيرون ولو خاموا في الاسماء لانتقل لاراحوا أنفسهم بهذا العناء . اما انصار المهدية فكونها دار أمان ذلك ان الذي يقيم في هذه المدينة العظيمة الى وضع المهدي اساسها على لا إله إلا الله . ان آمنا . وقال الحرد لو الذي كان قائما على المهدية

بالهوى ، ومرقي فرطـــا ، وفارق ... وفي البقعة أم جيوش رقدن جوارق (١)

حديثهم شين ، واللهج غارق ... بشوب درب الدخل ما جانا مارق (٢)

أم ن ن حيدة الهواء عذ ... ناه كثيرة المساجد خلاوى القرآن مع المعهد الديني ... تألف من نحو الالف ... لب إلا أنهم صاروا يهجرون الدراسة به ويذهبون لمصر ... به حرمانهم من السكر ... لذي بني خصيصا لهم بنحو ١٨ ألفا من الجنيهات بواسطة ... سخ حسن المأمون قا ... القضاة الذي دعا إلى الاكتتاب مع أن مصر تعطي لكل طالب ... مسة جنيهات لمصاريف ... ثلاثة جنيهات أخرى فسكنه ذلك خلاف الدين بعثت بهم إلى الخارج ... ع تسهيلات السفر ... أقصى جهات السودان ذلك خلاف مائدة الافطار ... للكبة التي تشتهر ... مالذ وطاب مدة شهر الصيام فالطالب السوداني له أكرام خاص ... لامر الذي جعلا ... به يتدفقون إلى القاهرة فليحي الفاروق ملك الفقراء وعامل المحسنين

حوادث أم درمان

لئن قدم درمان حديثة العهد ولكنها كثيرة الحوادث والمزعجات فأول حوادثها ... الجدري في سنة ١٣٠٢ وبعد منافسة الخليفة عبد الله في الرئاسة حتى أطلق لأشراره ... رصاص عليه في الجامع الأمر الذي اضطر خليفة المهدي الى الاستعانة

---

(١) الهوى شمال النيل ، وفرطا أي عرفت والبقعة يقصد بها أم درمان التي هي معقل جيوش المهدية ... واحدها جرق الذي هو الثور العظيم استعاره للرجل الضخم كثيرة الحركة والدهاء ...

(٢) حديثهم شين والدين السمح والمسهجن لركاكة الفاظه واللهج بمعنى اللهجة ومارق أي ... الوضع العرفي الفصيح يقصد بهم البقارة وسكان دارفور كالمارق وناما ورعاوى وفور وخلافهم ... ن اشتهروا بالظلم وشذوذ الاخلاق ، ويقصد درب الدخل ما جانا مارق أي إلى أوى كل من ... م درمان لم يخرج منها سالما لما كانت تجار من العقوبات بالسجن والنفي إلى الرجاف وامتهانهم على ... نبة الصلوات الخمس إلى جانب مع الجالية العديدة

ببطانته التعايشي وكان ما كان من شأنهم . وهناك أصبح كثير من الأعيان جواسيسا ضد خليفة المهدي الذي اجتهد في تأليفهم وهيهات لأن الشيخ النذير خلد قاضي القضاة قال كانت حكومة مصر تعرف لهم ماهيات من سنة ١٣١٠ هـ وأخيرا قبض خليفة المهدي على الياس باشا امبرروزج به في السجن الى وفاته به وهاجمت جيوشه عبد الله ود سعد فقتل ومن معه في ساعة واحدة وكان أشدهم عداوة له بأم درمان .

« واقعـــة كرري »

أخذت الأخبار تترى بانهزام جيوش المهدية في الأطراف والعدو يتقدم بسرعة لاحتلال أم درمان وكنت أنا إذ ذاك ضمن ملازمين خليفة المهدي بأم درمان بعد ان كنت في الحدود منذ — ١٨٩٦م فرأيت منه أمرا غريبا وهو كثرة السهو في الصلاة وجبره بالسجود وذلك بالرغم من ثباته وعدم مبالاته بالبلاء المتجهم . وفي سبتمبر سنة ١٨٩٨ م صرفت الجبخانة للجيش بدون تمرين غير أني كنت ضمن طائفة من الملازمين أمر القائمقام اسكندر بك التركي الذي كان قومندانا لأورطة مصرية بالأبيض يعلمنا الحركات العسكرية كحاز در ورحاز در بدون طلاقه النار على الهدف

وفي يوم الأربعاء ١ سبتمبر سنة ١٨٩٨ تحركت جيوش المهدية وخرجت من باب جامع المهدي الغربي وسارت أرباعا بشارع العرضة وكان الربع يتألف ما بين ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ جندي يسير في طليعته الأمير ممتطيا فرسه شاهرا سيفه ثم البيرق والموسيقى فالجيش أربعات وكان الصمت ضاريا أطنابه مع الرهبة وكان وميض الأسنة كالكواكب والبك نشيدهم « لا إله إلا الله . لا إله إلا الله . لا إله إلا الله » جودوا [1] الكفار في شان الله

وبعد انتهاء جنود الربع الأول وتقدمه بقدر ٤٠٠ يارده يسير الربع الثاني هكذا والثالث فالرابع وهلم جرا من الساعة السادسة صباحا الى حوالي الساعة الرابعة مساء ونصبت لخيام غرب المدينة بشكل نصف دائرة في وسطها خيمة الخليفة عبد الله وهي خيمة النجاشي يوحنا التي جاءت ضمن اسلابه لها نقوش وزخارف بديعة وحوله الخلفاء والأمراء والملازمين ثم بات الجيش تلك الليلة هاديا لا يكاد يرى فيه علائم الاضطراب

(١) جودوا الكفار في شأن الله أي كأمره القائل اقتلوهم حيث وجدتموهم .

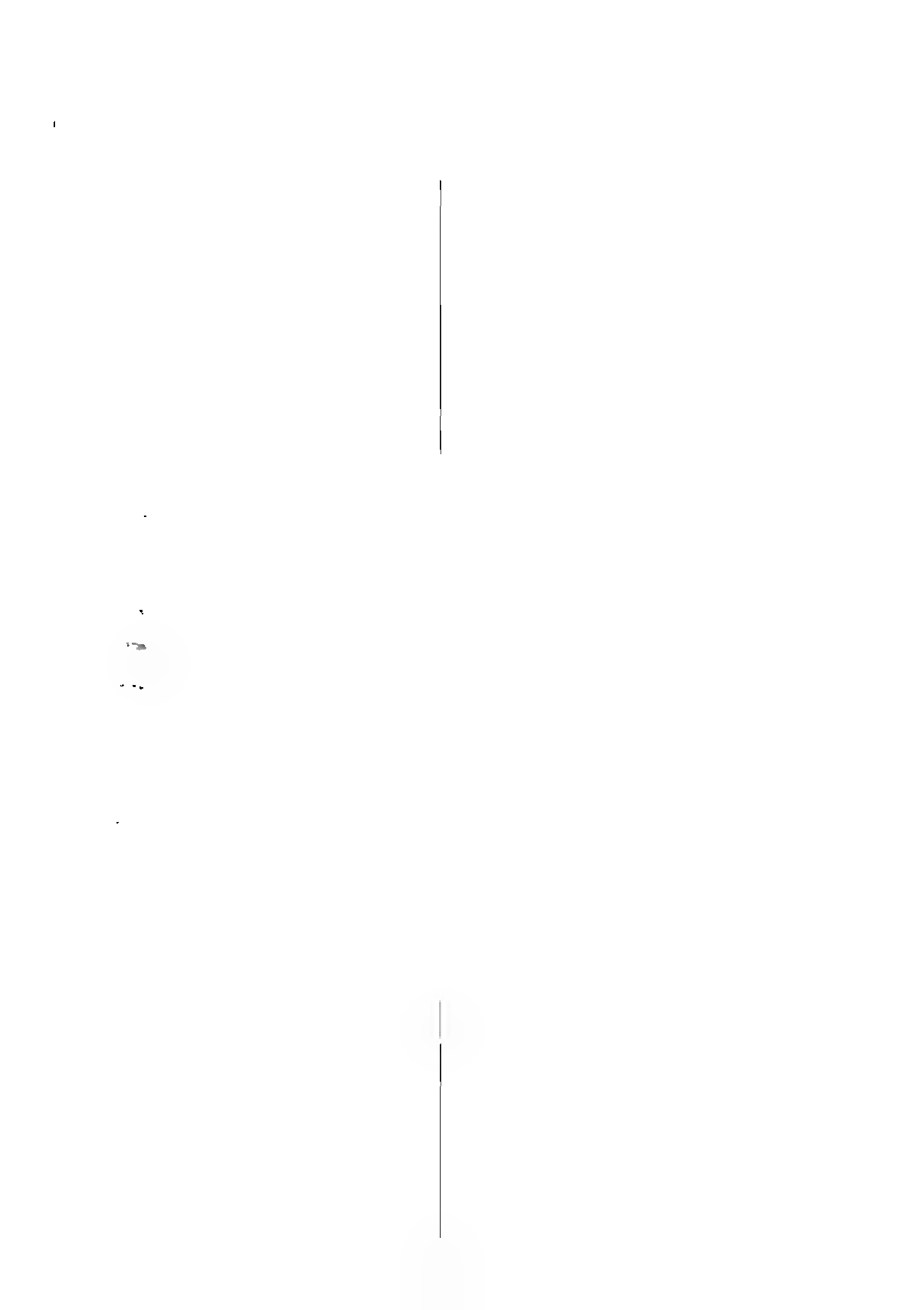

سرور كل وتلامذته الكشاف ملابس أهديت اليهم من جلالة عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز

ر	خطا	صواب	ملحوظات
٢٢	لا يقلون به	لايقول به	
٢٣	سفاجر	سفاحا	
٣٤	كالصعيد	كالصيد	
٢٥	الانونج	الانرنج	
٢٥	منها كلية كبوني	منهاج كلية كمبوني	
٢٥٠	اكوخ	اكواخ	
٢٥	الخضرة	الحصوة	
٢٥	كاذ في جانب باحصياء	كاذبا بجانب حصباء	
٢٤/	طلاقة	اطلاق	
١٢	وأخرب بهم	واعتربت بهم	
١٢٠	اراد	ادار	
٢٦٢	لخطة	كخطة	
٢٧٠	بالقاهرة	للقاهرة	
٢٨٠	باسورق	ياجرق	

نمرة	خطأ	صواب	ملاحظات
١١٦	ومستوعا	ومستودعا	
٨١١	بتانيا	بتابيا	
١٢٥	السوادى	الوادى	
١٣٦	والمرماح	والرماح	
١٣٨	المربيع	المرابيع	
١٤٣	غردون باشا	هكس باشا	
١٤٤	بصيا	نصيا	
١٤٨	كيداسا	كيداسا	
١٤٩	بالمدفعية	المدفعية	
١٥١	عضوتها	عصوتها	
١٦٣	طَبجات	طبنجات	
٢٠٢	الى حده	الى لحده	
٣٠٢	وموصوع	ومضوع	
٢٠٦	فاظهر غاية الغبطة	فاظهر الناس غاية الغبطة	
٢١١	فراجت وراجا	فراجت رواجاً	
٢١١	صخامة	ضخامة	
٢١٨	والامرا	والامراء	
٢١٩	تدين بالسلام	تدين بالاسلام	
٢١٩	اسلفيا	اسلفنا	
٢٢٠	الرحاب	الرحاب	
٢٢٠	أنقذ	انقذ	
٢٢١	قبائل	قبائل	
٢٢٦	هبريل	ابريل	
١٢٢٦	الاستجامات	الاستحكامات	

ملحوظات	صواب	خطأ	نمرة
	الفتيحاب	الفتيحات	٤٢
	ديبوى	ديبون	٤٤
	لجائزا	جائزا	٤٩
	لاعلاء	لاعلان	٥٣
	عبد الله المحسى	عبد الله المسن	٥٩
	أبو قرجه	أبو قرحه	٥٩
	بيت	بين	٦٠
	اولاد	اودلاد	٦١
	الدراويش	الدرويش	٦٤
	اسبتالية	استبداليه	٦٤
	رهط	وهط	٧٣
	الاعتراف	الاعتدال	٧٥
	الانفصالية	الاتصاليه	٧٧
	١٩٣٤	١٩٢٤	٧٧
	يكتب	يكتب	٧٩
	اسمهم	اسمهم	٨٠
	مندوب الاهرام	مندوب الاهرام	٨٤
	معادن	معاون	٨٥
	فسارت	فسارس	٨٧
	الهواره	الهواورة	٩٢
	سموك النمر	سموك النمو	١١١
	وبيده	وبيده	١١١

نمرة	خطأ	صواب	ملحوظات
٨	مضغت لحم	مضغة لحم	
٨	سلابه	اسلابه	
١٠	ياور	باور	
١١	الجنو	الجنود	
١٤	عدنى	مدنى	
١٤	قداسى	فداسى	
١٥	أحمد المهيدى	احمد الهدى	
١٦	لجلالة الملكه	جلالة الملكة	
١٩	نوتى	نوتى	
٢١	الرباطات	الرباطاب	
٢١	لامير الثور	الامير الثور	
٢٤	فطر	قصر	
٢٧	الخامة	الخامسه	
٢٧	لمطالع	لمطامع	
٢٧	نيصبه	نصيبه	
٢٢	التى القاهرة	القاهرة التى	
٣٧	المتلألة	المتلألاة	
٤٠	اداران	ادران	
٤٠	طويلا	طولا	
٤٠	تقول	يقول	
٤٢	بيع	ربيع	
٤٢	صيور	سيور	

شفاه الله !

ولقد كانت تلك الحادثة سببا فى زيادة مكانة ساتى ماجد ورفعته فى نظر الهيئة الاجتماعية، وبعد هنيهة من الزمن ادعى أحد القسس الكاثوليكى بأنه نبى آخر الزمان ووضع كتابا بلغته زاعما أنه القرآن وقال ان محمدا سبق وادعى النبوة فى غير وقتها فرد ساتى ماجد عليه بما فيه الكفاية وسار لمصر ليطلب الفتوى ببطلان دعوى القس ولما وصل القاهرة أفتى علماء الأزهر له ما عدا الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الذى قال له انك لم تحمل شهادة ولا يصح قيامك بالدعاية فى بلاد عظيمه كامريكة فأجاب ساتى ماجد بقوله أرسل معى بعثة من حملة الشهادات وأنا أرافقها للدلالة فرفض وقد افتى علماء الغرب والشام والعراق والسودان وغيرهم بتكذيب المدعى ولكن كان المراغى حجر عثرة فى سبيل الدعاية وربما كانت بغمزة من الانكليز أو الأميركان او القنصل الايطالى بالقاهره الذى قد لا تعجبه هزيمة جيوش الفاتكان المنتشرة فى الكرة الارضية لأن لسياسة الاستعمار مضمرات لا يعرفها الا الراسخون فى علم المكر والدهاء فاضطر الشيخ ساتى ماجد الى العودة لوطنه بالغدار بدنقلا نزلت فى ضيافته فى ديسمبر سنة ١٩٤١ أثناء احدى رحلاتى لبحث التاريخ فرأيت منه رجلا طويل القامة كث اللحية متناسب الاعضاء وقعورا وكان كريما دمث الاخلاق يرتدى الملابس الافرنكية وعلى رأسه قلنسوة سوداء مما يلبسه العراقيون عادة ولو كان السودانيون يقدرون الرجال لاقاموا التماثيل لأمثال أحمد محمد سوركتى وساتى ماجد ولكن التاريخ هو الحكم فى أقدار الرجال وابقى لسمعتهم ما دامت الدهور حتى ينفخ فى الصور ويبعث من فى القبور .

خاتمه

لقد تم طبعه بعون الله تعالى يوم السبت ٢٨ رمضان سنة ١٣٧١ الموافق ٢١ يونيو سنة ١٩٥٢ و ١٤ يؤنه ١٦٦٨ وقد بلغ المؤلف ٧٦ عاما من حياته ولله الحمد وسأردفه بجزء ثانى اذا كانت فى العمر بقية والله ولى التوفيق

القس فانظر بربك الى مصارعة هذا البطل الذى ضرب الرقم القياسى فى الشجاعة والاقدام حالة كونه منفرداً فقامت ضجة صحفية فى الاخذ والرد بدرجة الفتت نظر الحكومة والشعب فلقبوه (بشيخ الاسلام بأمريكا الشمالية) وصار يجتمع بالعلماء ويناظرونه فى المسائل الدينية وقد يأتى بأجوبة سديدة يقيم الدليل عليها من القرآن الشريف . ولقد تمكن من دحض حجج الكاثوليك وبينما هم كذلك اذ حدث كسوف فى الشمس حتى رأى الناس النجوم نهاراً فدعت حكومة الولايات المتحدة رؤساء الاديان الى اجتماع عام ليعظوا الناس للكف عن المعاصى والتمسك بتعاليم الاديان السماوية لعلى يرتفع البلاء وقد دعى شيخ الاسلام فى نيورك ليلقى كلمته فأعد الشيخ ساتى محاضرة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما جاء الميعاد اجتمع الناس حتى ضاقت بهم رحاب المكان . وأخذ يدعى زعماء الاديان بنظام واعطى لكل زعيم الوقت اللازم لوعظه ثم يتنحى عن المنصة لغيره . ولما نودى بالقس الايطالى كان وعظة فى ذم الشرق والشرقيين والطعن على تعاليم الاسلام ونسب كل ما يرى من البلاء والغلاء الى الاسلام والمسلمين ولم يقاطع فى شىء من ذلك للنهاية . ولقد نودى بشيخ الاسلام فى نيورك فقام ساتى جد وتكلم عن الاسلام وهديه بعبارة بليغة ثم عطف واستدعى القس الايطالى الذى وقف وهناك وجه اليه أسئلة حارة كان أولها . قال له أفهل عيسى الذى تعبده من دون الله ولد فى الشرق أم فى أوربا فأجاب القس قائلا فى الشرق فقال اذن كيف تحط من كرامة الشرق وهو الذى أنجب الهك واليها بائك وهبائك دوى المكان بالتزقيف اعجاباً واعقب ذلك بأسئلة أسكتت القس ولما انتهى الاجتماع وازدحم الناس فى الخروج طعن ساتى ما جلد بسكين حتى خرج طرف الريتة (الفشة) من بين أضلاعه فسقط على الارض يتضرج فى دمه فأوقف البوليس الناس وصار يفتشهم لكى يجد الآلة التى طعن بها ساتى ما جلد وأخذ الاطباء فى اسعافه بالعلاج وقد قال لهم (ان وجدتم الجانى فانى عفوت عنه) فدهش الحاضرون لهذه المكارم وأخذوا من ذلك أن الاسلام هو دين التسامح دين مكارم الاخلاق فاتهم المئات بسبب ذلك الحادث وهذا قد بذل الاطباء الهمة فى علاج المجنى عليه حتى

حفظ سانى ماجد القرآن فى بلدته وهاجر للازهر بالقاهرة لطلب العلم وما لبث أن سار لانكلترا واجتمع هناك برجلين أحدهما كنزى والثانى يمانى فأسس الثلاثة جمعية للتبشير بدين الاسلام فكانت خطوة أولى من نوعها وشجاعة أدبية مقطوعة النظير ولحسن حظهم كان سانى ماجد خطيباً بليغاً وجريئا لايبالى بمنابر الدعاية جهورى الصوت خبيرا بالاقتباس من القرآن وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان أحد صديقيه يجيد اللغة الانجليزية ويعرف آدابها فصاروا يجولون فى الجزر البريطانية يقوم سانى ماجد بالقاء المحاضرات فى أم المجتمعات باللغة العربيه ويترجمهـــا زميله الى الانكليزية أجتمع الانكليز رجالا ونساء لسماع تلك المحاضرات إلا أنها لم تؤثر فى عقائدهم. وكان أحد المبشرين الايطاليين بامريكا ينشر مقالات فى الطعن على تعاليم الدين الاسلامى ويرسمه بشكل رأس تمساح فاغرا فاه بارز الأسنان ويصفه بالوحشية وأنه يأمر بأكل لحوم البشر فثار أعضاء الجمعية الاسلامية وتشاوروا فى خير الوسائل لكبح جماح ذلك المبشر فتطوع سانى ماجد بأن يذهب الى أمريكا ويرد على ذلك المبشر فى نفس الجريدة التى اعتاد النشر بها ولما كانت حرية الأديان كاملة هناك لايشوبها شىء من الاضطهاد ولدعائها أن يجولوا ببعض البلاد عجانا فطابت الجمعية الاسلاميه التصريح بجانا لسانى ماجد الذى تصرح له وسار الى أميركا غير مبال بطول الشقة وعواصف المشقة وكان اذذاك يدرس اللغة الانجليزية حتى أجادها ولما وصل نيورك وجد هناك خمسة أشخاص أتراك فهم القنصل التركى ومترجم القنصلية والسفير التركى ومترجم السفاره وإمامهم ففرحوا به وانضموا اليه وصاروا يساعدونه فى الرد على ذلك القس الذى اسلفنا عن عقوقه الإسلام فقدم سانى ماجد مقالاته الى الجريدة الامريكية التى كانت تنشر للقس ولكنها رفضت النشر عند القس فما كان من سانى ماجد الا أنه رفع قضية بالمحكمة فى نيورك طالب الزام الجريدة بنشر مقالاته فى العمود الذى كانت تنشر به مطـــاعن القس واحكم له بما تألف جنبه رد شرف نظير التشهير بالاسلام والحط من كرامة الشرفيين فحكمت المحكمة بنشر مقالات سانى ماجد فى العمود الذى اعتادت تنشر به مطاعن

ساتى مـــاجد

أو

(شيخ الإسلام بأمريكا الشمالية)

كان هذا أول مجاهد جازف بالدعاية لدين الاسـلام فى قارتى أوربا وأمريكا حتى اعترفت به الأخيرة ولقبته (بشيخ الاسـلام بأمريكا الشماليه) ولد فى دنقلا العجوز سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م كان والداه من الزياداب الذين هم فرع من البديرية أى (عباسيه) كما رواه مؤلف كتاب صبح الأعشى فى الجزء الرابع بقوله (أبناء بدير العباسيه) .

وهيئاتها وأوقاتها كما ورد عن الشارع بدون زيادة ولا نقص ولا تغيير وعليها وعلى بعض أحكام المحدودة تحمل آية (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وحديث (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وحديث (من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه) فهو رد — هذا ما تيسر والله ولى التوفيق.

من المطيع والخبيث من الطيب كما فى تحويل القبلة قال تعالى (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) ومعنى نعلم هنا نميز وقال تعالى (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) أى بما رأيته مطابقا للحق وموافقا لحالة المجتمع والمحكوم لهم والمحكوم عليهم وقد أوجب الله على المؤمنين فى صدر الاسلام أن يثبت العشرون منهم لمائتين من أعدائهم ويقاتلوهم حتى يغلبوهم ويولوهم الادبار الا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة بقوله تعالى (ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) نظرا لما كان فيهم من قوة الروح والصلابة والزهد فى الحياة ثم بعد مضى ذلك الطور تحضر المسلمون واترفوا وذهبت عنهم تلك الصلابة والقوة والصبر ومالوا الى الملذات نسخ ذلك الحكم تبعا لما طرأ عليهما من الضعف بقوله تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مأتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) وليس معنى علم هنا تجدد علمه بعد أن كان يجهل حقيقته بل معناه بمعنى انه تعالى علم طرأ عليهم من الضعف وبدل الحكم بما يناسب حالهم وفى الآية توضيح خفى على ما صاروا اليه من الضعف ولا تناقض فى شىء مما ذكر ولا فى شىء مما يشبهها مما فى الكتاب والسنة حتى نلجأ فى الحكم عليها بالتناسخ المطلق لأن التناقض لا يتحقق الا فيما اتحد فيه القضيتان المتناقضتان فى وحدات ثمانية وهى الموضوع والمحمول والزمان والمكان والكلية أو الجزئية والاضافة والشرط والقوة أو الفعل هذا وما يشرح موضوع لزوم الاجتهاد بعض الشرح حديث معاذ حينما أراد الرسول ارساله الى اليمن فقال له الرسول ما معناه بما تحكم اذا وردت عليك قضية ، فقال معاذ . احكم بما فى كتاب الله ، فقال له الرسول فان لم تجد ؟ فقال ، فبسنة رسول الله ، فان لم تجد ، فقال اجتهد رأيى قالوا فضرب الرسول صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله أو كما قال وأما العقائد والعبادات فلا اجتهاد فيها بل يلزم ادامها مع التزام الفاظها وصورها

بكم العسر) وقوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)

هذا وعلم ما تقدم أن الاجتهاد فى أحكام المسائل الاجتماعية والمسابقات الحيوية وتطبيقها على مصلحة الأمة بحسب الزمان والمكان والحال من أوامر الدين ومن الأمور التى اكمل الله بها هذا الدين واتم به النعمة على المستمسكين به لان حوادث الزمان وتطورات الحياة غير محدودة ولا ثابتة فى مركز محدود بل هى فى صعود وهبوط وتقدم وتأخر دائما ويجب على الأمة الاسلامية ان تحتل افضل المراكز واعلاها فى كل طور وفى كل حال من الأحوال وقد ضرب الله لنا أمثالا كثيرة فى كتابه العزيز أننا نتلو فى كتاب الله قوله تعالى (وما أرسلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل) وقوله تعالى (انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقوله تعالى (وما أنت عليهم بجبار) وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) وأمثال ذلك ثم نتلوا بجانبها قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقوله تعالى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) ثم نتلوا بجانبها قوله تعالى (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وأمثالها كل ذلك من باب تبديل الحكم بتبدل الزمن والمكان والحال وهو نسخ غير مطلق بل نسخ للحكم لانتفاء موجبه مطلقا أو موقتا كما أو كيفيا وكلما يتخيل نسخه من القرآن فمن هذا الباب وربما ما كان منسوخا فى وقت يكون ناسخا فى وقت آخر اذا اقتضاه الحال قال الله تعالى (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) فأحسنه بمعنى وفقه لزمان والمكان والحال لأن أقوال الله تعالى كلها متساوية فى الحسن لذاتها وانما يختلف الحسن العارض بمقتضيات الاحوال وقال تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) أى بأوفق منها للطور الذى انتقل الناس اليه ومن فوائد نسخ الآية أو الحكم بمثله الاختبار وتمييز العاجى

خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون هذا بالنسبة لذات الشخص واما بالنسبة للجميع فان الله تعالى يقول (واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ومن المعلوم أن اقامة الصلاة غير مجرد فعل صورة الصلاة . فالصلاة التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر هى المقرونة بالخشوع والخضوع والطهارة من الارجاس المعنوية والحسية التى يكون مقيمها مناجيا بها ربه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم . (المصلى يناجى ربه) وطبيعى أن الذى يقف أمام ربه خاشعا واثقا بوعده ووعيده ستحضر الهيبة وجلاله خمس مرات فى اليوم لا يستطيع أن يرتكب فحشاء ولا منكرا فى خلال ذلك وأما صورة الصلاة الخالية من الخشوع المشوبة بالرياء والسمعة أو تقليد الغير فى القيام والقعود فقط لا لقصد طاعة الله فلا تنهى صاحبها عن فحشاء ولا منكر وقد قال الله تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) وقال فى صفة المنافقين ، (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس) فمن كان كامل الايمان وادرك أن الصلاة تكون موجبة لقوة بدنه وروحه وصحتها وانه يناجى بها ربه وأنها تكون سببا لسعادته وسعادة مجتمعه فى الدنيا والاخرة سهلت عليه وخفت ولا يرى فى ادائها أقل حرج ولا ثقل بل تكون غاية لذاته وسعادته حينما يناجى بها ربه كما قال صلى الله عليه وسلم . (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ومع ذلك فقد خففها الله بان جعلها ركعتين فى السفر وأباح فيه الجمع بين الصلاتين المفترتين فى الوقت وأباح اداءها للذى يجد تكلفا فى القيام ان يؤديها قاعدا أو مضطجعا أو بالاشارة إذا لم يقدر على غيرها وجعل فى وسيلتها التيمم عند عدم الماء أو كلفة استعماله وأباح فيها المسح على الخفين كما أباح أداء الصلاة بالنعلين وفى ثوب واحد وفى أى مكان أدركه وقتها .

هذا ومن المشاهد المطرد أن السلطان اذا دعا أحدا لمحادثته ومناجاته فرح الشخص وافتخر واحب ان تكون مدة مناجاته اكثر مدة عما يأمر به السلطان ويجد فى ذلك لذة وسرورا لشعوره برضاء السلطان عليه ومحبته له واذا اخبره طبيب يثق به بأن فيه مرضا مهلكا وأن دواءه الشق والقطع والكى المؤلم فانه يسلم نفسه الى ذلك الطبيب ويتحمل كلما يفعله من غير أن يجد حرجا فى نفسه ثقة بقول ذلك الطبيب وايمانا به فكيف المؤمن بالله الواثق بوعده مع هذه التكاليف السهلة وقس على ذلك الصوم وتخفيفاته تالياقوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد

ومعنى النية القصد الباعث للعمل وهو لازم طبعا لكل عمل إختيارى ومحله القلب والاعبرة بغيره ولايكون العمل السيء المخالف لاوامر الله المضاد لمصلحة الأمة حسنا بدعوى حسن النية كما يدعيه البعض .

وأما القياس من حيث مدلول لفظه فهو أمر معقول لا يخلو منه عاقل ولا يستقيم مع الخلو عنه عمل وهو نتيجة الفكر والفقه والاعتبار الذى امتاز به الانسان على غيره وهو الأمر الذى يجب أن يكون الحاكم والمفتى والقاضى ومن يكون مترئسا فى شيء من أمور المسلمين متفوقا فيه والا صار سببا فى تقهقر الأمة وخذلانها .

وأما قياس التمثيل الذى يلجأ اليه بعض الفقهاء وهو الحكم على شيء اخر سابق له نص عليه الشارع لتساويهما فى علة الحكم أو كانت عليه الصفة الجامعة بينهما يقينيه أيضا فلا مراء فى مساواة الحكم وان كان غير ذلك فهو ظنى يجب أن ينظر فيه الى المصلحة الراجحة على حسب الزمان والمكان والحال ويطبق عليها ليؤخذ به أو يترك لأن الاساس مصلحة الأمة وتفوقها وقوتها فى الحياة ومواضيع المسابقات الحيوية وهذا الموضوع هو محك عقول الرجال والمفاهيم لان كثيرا من الناس يسوقهم الغرور والطيش وقلة التجارب وقلة التأمل وعدم معرفة نفسية الأمة وضعف الاستعداد ويقودهم الى غير ما يحبون .

وأما الحرج فالمقصود منه ثقل التكليف والامر الذى يوجد ضيقا فى النفس وتكلفا فى ادائه وسببا للاعراض عنه واستحقاق العذاب بتركه وهذا قد تنزهت عنه التكاليف الاسلامية بصورتها وعوارضها ولنلفت النظر الى أهمها واثقالها وأكبرها معنى وتكلفا على غير الخاشعين الذى قال الله فيه (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) .

والظن هنا بمعنى اليقين لانه من معانيه ، فنقول : (الصلاة فيها رياضة بدنيه توجب استمرار الصحه لمن داوم عليها بعد الطهر الكامل من الأدران والنجاسات لاخلاء البدن عن الفضلات الخبيثة والجراثيم الضارة وفى الوقت نفسه فيها رياضة روحية توجب قوتها اذا أقيمت بشروطها وأهمها الخشوع والطهارة الكاملة من أرجاس الشرك والانتماء الى غير الله لان الله تعالى يقول (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) ويقول ان الانسان

الله ورسوله وما رضيه الله لنا من الاشادات ويدخل تحته جميع ما أنعم الله به علينا من حكم واحكام ومواعظ وعبر وقصص ذات معان غزيرة ومغاز عاليه وأوامر ونواهي على درجاتها وارشادات كليه وجزئيه ومصالح خاصه وعامة وتفصيلات لكل ما يحتاج اليه البشر فى معاشهم ومعادهم قال تعالى : ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، وكله كل شيء هنا نوعى كما يدل عليه السياق . ومعناها كل شيء يحتاج اليه البشر من الارشادات التى لا توصلهم اليه عقولهم المجردة وهى كقوله تعالى . ما فرطنا فى الكتاب من شىء لان ذلك هو الموضوع الذى أرسل له الرسل وليس لمقصود مايصل علم النجارة والحداده والكيمياء أوغير ذلك لانه لا قائل بان الأنبياء والرسل ارسلوا لذلك فمعنى جملة « اليوم اكملت لكم دينكم » ضمنه جميع الارشادات والقواعد والوسائل التى لكفل خيرى الدنيا والآخره لمن يتمسكون بها حق التمسك ويضعونها فى مواضعها وهو معنى الاسلام هنا الى قوله تعالى . « ورضيت لكم الاسلام دينا » يعنى ورضيت لكم هذا الاسلام الذى اكملته واتممت به نعمتى عليكم دينا تتمسكون به وتخضعون لاوامره ونواهيه .

وقد يطلق كلمه (الدنيا) بوجه خاص فى عرف الشارع على الامور التى ليست داخلة فى الموضوع الذى أرسل له رسله وبميز الانسان حسنه من قبيحه بفطرته وتجاربه . كالزراعة والنجارة والحدادة وعلم المعادن وما أشبه ذلك ، وعلى المباحات المندرب اليها القابلة للتحسين والتنويع والملذات المباحه التى لا تبلغ من حد السرف والتبذير كما فى قوله صلى الله عليه وسلم (حبب الى من دنياكم الطيب والنساء) وكما قال (أنتم اعلم بأمور دنياكم) وقد تكون كلمة الدنيا وصفا لموصوف مذكورا ومحذوف كالحياه ونحوها بمعنى القريبة أو الحقيرة أو نحوها كما فى قوله تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) وقوله (تريدون عرض الدنيا) وقوله (ربنا آتنا فى الدنيا حسنه) .

وأما سبيل الله فهو كل طريق يوصل الى رضاء الله وكل عمل مأذون فيه صراحة أو داخل تحت قواعد الدين العامه يقصد به اعلاء كلمة الله بشرط أن يكون تنفيذه مطابقا لارشاداته ووصاياه من فعل خير ودفع شر بالوجوه المشروعة لنفسك أو لامتك أو لدينك ويعرف بفهوم من ظواهر آيات الكتاب المحكمه كقوله (وانفقوا فى سبيل الله) كقوله (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ،

وبما أن هذا هو المقصود فى السؤال على حسب الظاهر فلنشرحه قليلا فنقول (حدة الأوامر والنواهى باقسامها محدودة كانت فى كمها وكيفها وأوقاتها كالصلوات المفروضة وصوم رمضان والحج وحدود بعض الجنايات أو كانت محدودة فى التكيف دون الكم ، كالنوافل والصدقات المفيدة بعدم الرياء والمن والايذاء أو غير محدودة فى كمها وكيفها ما دام فى حيز السياج القواعد العامة وفعل الخير والاستعداد للنوائب . والسعى فى طلب الحلال والتفوق فى العلوم والصنائع والقوة وأحكام بعض الجنايات والمعاملات ، والمصالح المرسلة التى تتحور على حسب الزمان والحال ، ويوكل أمرها الى أولى الأمر الذين يجب عليهم ان الى ترجيح المصلحة الراجحة للامة وما يفوزون به على غيرهم فى معركة الحياة ، ولهذا أوجب الأئمة على القاضى والمفتى أن يكونا مجتهدين دائما ليطبقوا احكام المسائل الاجتماعية الغير المحدودة على مانقتضيه المصلحة الاسلامية ويضمن سعادتها وفوزها على غيرها ويكون كل ذلك دينا وعبادة بوجه عام ويعد الله الثواب عليها أن فعل طاعة لله واتباعا لأمره .

ومن غفلة الأمة عن هذا الأساس نشأ عن [illegible] الأمة وخذلانها واستعباد الاجانب لها فى كل قطر وقد قلنا أن كلمة الدين وكلمة الدنيا فى هذا الباب يريدان معنى خصوصا [illegible] ولا يخفى عليه أن قلنا ان جميع أوامر الدين داخله فى عموم أوامر الدنيا من حيث المقصود الحقيقى منها ويدرك فاعله ثوابه فى الدنيا قبل الآخرة من صحة بدن وسعادة حياة وعلو همة وغيرها . وما وعد الله المتقين لاوامره فى الآخرة من النعيم وخسران المذنب فمن محض فضله ورحمته وان جميع أوامر الدنيا داخلة فى أمور الدين من حيث مراقبة الدين لها وهيمنته عليها وبيان حدود الضارة منها والنافعة وما دام الوازع أو المنفذ لأحكام الدين وأوامره ونواهيه مفقودا فى هذه البلاد لعدم حكومة اسلامية تقوم ذلك وتوقف كل واحد فى حده فى المسائل الاجتماعية فيجب على المسلمين أن يحافظوا على الأساس الاول وهو سلوك الطريق الذى يضمن لهم الفوز والسعادة والتفوق فى معركة الحياة ويكسبهم القوة والمنعة . وهذا لا يخفى على أحد ذى بصيرة وبصر ينظر بها ما بين يديه وما خلفه ان كان من غير المصابين بداء التقليد العمياق أو داء التعصب الذميم أو حب المصلحة الشخصية الحقيرة .

وأما قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى) فهو شامل لجميع ما جاء عن

الحمد لله وحده

حضرات الأماجد أعضاء ادارة الجمعية المحمدية المحترمين دام توفيقهم آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصل كتابكم الكريم رقم (٢٢٩٥) بما احتوى عليه من الأسئلة المهمة وبما أن أجوبة هذه الاسئلة اذا أريد كتابتها بالتفصيل واستيعاب الأدلة والوجوه تحتاج الى مجلد كبير على الأقل وأن قوتنا وأوقاتنا وعيوننا التي لا نستطيع أن نقرأ بها ولا نكتب لا تساعدنا على ذلك أحببنا أن نكتب عليها كلمة وجيزة جد الايجاز لئلا نرد طلبكم رغما من كل وجه ، فكتبنا هذه الأسطر التي نقدمها على استحياء امـــلاء على بعض التلاميذ . ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . ونرجوكم المعذرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهي هذه :

ان الدين والدنيا . يطلقان في اللغة العربية على معان متعددة ، وكذلك في كلام الشارع وبينهما عموم وخصوص من وجوه ، ويفهم مدلول كل لفظ ومقصوده بحسب المقام والسياق والمقتضى على حسب أسلوب الكتاب والسنة . واشتقاقه من دان يدين بمعنى (خضع) ومن معاني الدين ، الجزاء كما في قوله تعالى (مالك يوم الدين) أو يوم الخضوع المطلق وكقوله تعالى (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) وقوله تعالى (وان الدين لواقع) وهي معانيه العبادة أي التقرب الى الله بما أمر أن يتقربوا به اليه . وأهمها العقائد والعبادات كما في قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) وقوله تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) وقوله تعالى (يا أيهـــا الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) وقوله (لكم دينكم ولي دين) ومن معانيه (القانون السماوي) الذي يجب أن يخضع لحكمه بغير اختيار غير مأذون فيه . ويسلم له تسليما من غير أن يوجد حرج في النفس ، جزما بان الله أعـــلم واحكم وأن اختياره للناس خير لهم من اختيارهم لأنفسهم ان كانوا مؤمنين ، وليكون اتباعه وسيلة لهم لنيل سعادتي الدنيا والآخرة ، كما في قوله تعـــالى (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقوله تعالى : (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

ويخضعوا لاحكامه ثم سيحاسبوا من عداهم باعمالهم ويفاضلوهم بآثارهم ويخرجوا فائزين من هذا الميدان ولكن طمس الطيش والغرور على عقولهم فاخذوا يصارعون أحكام الله حتى صرعتهم وازلتهم من عروشهم وهم لا يشعرون ..

كان يجب عليهم قبل الدخول فى ميدان الدعوة الى المبدىء المشرفه أن يزنوا أنفسهم ويتبينوها هل هى من النفوس العاليه المطمئنه التى لا تخاف فى الحق لومة لائم ولا تنخدع بخدعة هوى أو عصبية أوهى من النفوس السافلة المذبذبه التى لا تثبت على مبدأ كما كان يجب عليهم عندما نووا الهزيمة والتقهقر عن مبادئهم أن يزنوا ما بايديهم من الحجج وما فى حقائبهم من زاد التفرد والجاه . هل يكفى فى أن يخرجهم من الميدان سالمين ويرجعهم الى مركزهم الأول الذى كانوا عليه قبل الدخول أم لا .

لا أعلم لهم ملهيا عن التفكر فى ذلك كله سوى الغرور نسأل الله أن يعافينا واياهم منه .

المتطفلين على مائدة السياسة وعلى النفق الذى يوصلون به قبائل الدمار والشتات تحت أسس حياتهم ومدارسهم وهى نافذة العصبية العامة ونفق المزون المشترك والحسد الخفى وسوق الجملة كانت حملة هؤلاء عكسية وزأيهم شديدا لولا أنهم ارتكبوا غلطة كان متبعها الغرور والاعجاب بانفسهم حتى أعياهم الامر بعد الانتصار على اخوانهم وتعاصى عليهم فى حل العقدة الاخيرة ووقعوا فى ما وقع فيه اخوانهم من سوء السمعة والذبذبة فى القول والعمل واستفحلت فكرة عدوانهم الحزبية والمساواة بين عامة الناس وحالت بينهم وبين ما يشتهون فانقلب بعضهم على بعض يتلاومون . فلما أسف حكامهم واساتذتهم الذين انتصروا بواسطتهم رأى الشيخ أحمد عبد السوركتى الانصارى ومن قدم معه، ارتحلوا عنهم وتركوا بعضهم يموج فى بعض ولما لم يرجع اليهم من قدم حتى اليوم ويهتدوا الى سواء السبيل :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

ولقد أصبح القوم بين مشاكل متقابلة لا يهجون نا نخلصهم من بعضها فلا يمكنهم التخلص من جميعها ودوائر المشكلات المحيطة بهم كلما من ضيع السنتهم وايديهم فلا القوم [illegible] العلوم والحياة الاوربية كما كنتم نخالف على ما أعلم بل لا هم [illegible] بما عليهم حسب الحرية والعلم وفاوتهم الموارد الطبيعية التى كانوا [illegible] قوى الطبيعة بعلم الفلاحة والعلم السليم من الطريق الذى سلكه الجارف الاوربيون والذى لا يعلم لهم الخلاص الا بالخلوص الى الغاية من سلوكه وعلمهم بان اهم فى جميع اعمالهم [illegible] من تكوين الارض الى [illegible] وهذه [illegible] الاستعمار القوم الموانع الفعالة بين الطبقات الثلاث المقصودة بهذا الشيخ احمد عبد السوركتى الانصارى وعلى رأسه أيضا بفتح تركوها فى ميدان القتال بدون ارجاع ولا تحفظ عليها للعلى الخلافة والغرور فاستولى عليها من شاء بها عليهم واصبحوا اجانب ولقد كانوا اعز من عند الناس انظارهم الى الصلاح وفرارهم فى شدائدهم الى الله فاسقطوا ذلك الاجمل من اليد فيه بما كانوا فى اعوانها وفرارهم الى بغاث الطير وانتصارهم بسواه واعتصامهم بحبل العصبية والحمية الجاهلية دون حبل الله المتين وعروته الوثقى

[illegible] الحكام والعلماء عليهم [illegible] فى المشاركة [illegible]

الواجب الالتزام عليهم ان يسيروا ولا ريبة المساوئ تبع اهل المناصب على الاقل انهم
يوافقوا الى قلب الموضع وعكس القضية يجعل العلل منهم جاهلا والسائل عالما وهذا
لا قدره لهم من طريق النهوض الروحي المجدد والاصلي طارق الثورة احملوا اسلاحهم ادلة
الشرع وقوانين المدينة ثم الى تعليمي اهل المناصب ايتم الوجه العالية النظامية
وحبب العلم والتعليم وجعل المساواة العامة مظهرين ان اهل المناصب العلم الحق
الوحيد مع ادراك امنيتهم لما تربوا عليه من الفخفخة والتقديس الذي كان في
وبذلك استطاعوا ان يشوشوا على
قليلا حتى كادت
والجاه بالكلية
نطاق افكارهم
الجمعيات وفتحوا
في ذلك الشبان قام في
وطفقوا
الجمعيات والاندية واستعمال الالقاب المصطلح عليها فيها كتلقيبهم الرئيس
بالمرشدين والكاتب بالكرير ووضعهم الرسوم في محل مركز الجمعيات ومعالمهم
في بعض الكتب التي فيها رسوم بعض الرجال او بعض الحيوانات . كل ذلك لينفروا
العامة عنهم ويخذلوهم عن مقاصدهم ولما رأى المتنورون المستضعفون ذلك وخافوا
على مراكزهم من العامة أرادوا ان يبرهنوا للناس على علو مقاصدهم ويحسنوا لهم حبهم للعلم
والتعليم والاخاء الاسلامي فشمروا في فتح المدارس الدينية وتنظيم خطتها وطلبوا
المعلمين من اقطار البلاد واسلاوا المجامع بالاصلاح بكلمات الحرية والمساواة
وذم العوائد القديمة والجمود والتوا بالتشنيع على فلان (أي الدولة) والتخفيف حتى
افلسوا أعداءهم الجامدين وهزموهم في جميع المواقف ولقد كاد يتم لهم كل مرغوب
لولا مهارة اولئك الشبان من أهل المناصب الذين انغمسوا فيهم مظهرين لهم من المجازات
أكثر مما يلزم ليقتدوا بهم . ولقد ظل أولئك الشبان زمنا طويلا يبارون تيار أعمال
المستضعفين ويستكشفون مقاصدهم ويجري افكارهم حتى عرفوا كيف يصرفونهم
ويشتتون شمل جموعهم وجمعياتهم ويميتون مدارسهم ويجعلونهم آلة لخراب مبادئهم
بأيديهم ويشهدون العالم على خيبتهم وكذبهم على الله والناس ولله درهم من شبان غانم
بفضل المدارسة والتأني والصبر في مرابط الخداع استدلوا على الكرة التي على أديمة أولئك

لعمرك أنى يوم سلمع للأمم لنفسى ولـــكن مايرد التلوم
أأمكنت من نفسى عدوى ضلة ألهفى على مافات لوكنت أعلم
لو أن صدور الأمر يبدون للفتى كأعقابه لم تلقه يتقـــدم

وأما القسم الثالث أى المتجمدون فقد انكشف حالهم واضطربت مسالكهم وعجزوا عن حفظ مواكزهم لكونهم جهالا وارثين متصنعين لاموجودين مؤسسين ولاحكماء محنكين . ولم يبق أمام الجميع إلا أحد أربعة أمور . أما أن يقطعوا النظر على كل ماكان يخطر ببالهم من أمر الخلافة والأمارة والجاه ويزهدوا فى اذة الفخفخه والشمة ذى القيلة والامنياز باسم النسب ويلتفتوا للصنائع والتجارة ويمتزجوا مع المسلمين ويعيشوا معهم إخوانا بمعنى الكلمه وأما أن يبيعوا إســـلامهم وينضموا إلى إحدى الحكومات الأجنبية ويندمجوا فى إحدى الأجناس الأوربية وينفصلوا عن العالم الاسلامى ماله وماعليه ، وأما أن يرجعوا إلى الدين ويخضعوا لأوامره بمعنى الكلمة ويتخلقوا بمكارم الأخلاق ويستميلوا بها المسلمين لحتى يرفعوهم إلى مايحبون بعد طول الاختبار والتمرين وهـذا يحتاج إلى صبر طويل لتمكن سوء الظن بهم فى قلوب الناس لما تظاهروا به من الأفعال المتناقضة وأما أن يبقوا على مركزهم اليوم يسافهون الناس ويسافهونهم ويكيدون للناس ويكيدون لهم ويتكبرون ويتكبر عليهم ويكيلون ويكال لهم حتى يصلوا إلى أسفل الدرجات ويلقبهم العالم بألقاب السقوط والحقارة والعار حتى يصل أحدهم إلى التبرىء من نسبه والهروب من بين القوم الذين يعلمون اسمه ولقبه وذلك ما نخشاه عليهم ونعوذ بالله من شره .

وأما حركة عرب جاوه فهى فى الحقيقة متفرعة عن حركة العلويين هذه وتوضيحه إن الذين يسمونهم مثورين من الذين تاقت نفوسهم لادراك الأمارة والخلافة فى ضمن الدعوة الاسلامية التى تقدم ذكرها كان قسم عظيم منهم أى من شبان العلويين الذين جات موى وحضر وكانوا من أهل البيوتات الصغيرة المستضعفه بالنسبة للقواعد والعوائد المتبعه بحضرموت وحيث ان اهل المناصب منهم قد اختصوا بالجاه والنفوذ الروحى دونهم واستأثروا بالهدايا والنذور والتفخفخة عليهم بغير استحقاق مع انهم سقط منهم فى الادب والعلم وربما يسبقونهم الى مناصب الامارة والخلافة الموهومة فى خيالاتهم عند نضاج تلك الفكرة التى يسعون فى ابرازها وادراكها ، رأوا من

جيل بدون أن يمارس علما من علوم السياسة ، ولا أن يتصف بخلق من الأخلاق العالية ، ولا أن يبرز فى علم من علوم الحياة . فكان حال هذا القسم كحال الرجل الأحمق المعروف بأشعب على ما يحكى وهو انه خرج ذات عشية من داره فاذا رأى فى طريقه عروسا مزفوفة إلى دار زوجها فرجع أشعب إلى داره بسرعة مدهشة وأمر بتنظيم داره وفرش ساحتها والطريق المسامتة لها . فلما سئل عن سبب ذلك قال لعل أهل العروس إذا رأوا المكان مهيأ يظنون أنه المكان المقصود فيغلطون ويدخلون العروس فى دارى فأغلقها وأدعى انها زوجتى وأتمتع بها .

أما القسم الثانى فخيل إليهم أن إدراك الخلافة والامارة سهل عليهم إذا أزالوا الخلافة العثمانية الموجودة اليوم وهدموا أركانها فأخذت تتناول جرائدهم تعمل وحملاتهم تتوالى وشحذوا ألسنتهم من جميع الأقطار وانقضوا على الخلافة التركية من جميع الجهات وأيدهم بعض ساسة الغرب الذين ينتظرون هذه الفرصة الثمينة من أزمان طويلة بفارغ الصبر ولله درهم من ساسة . ولقد أدرك القوم من الخلافة العثمانية بعض المرغوب من اسباب الهدم والتقطيع إلا أن الشقة بينهم وبين أمنية الخلافة أصبحت أبعد من ذى قبل والسور الذى كان بينها وبينهم أمسى أمتن وأقوى بدرجات كثيرة .

وأما القسم الثالث فقد بقى على حاله المعروف مظهر الجمود والتصوف ومقاومة الجديد وتقديس القديم لحفظ خط الرجعة للجميع وتلقى المنهزمين واليائسين من القسمين الأولين كما هو مشاهد بالعينين ويفهم بالبداهة خطأ الأقسام الثلاثة من اقتران جميع اعمالهم بالخيبة وانعكاس نتائجها عليهم ولا أعلم لخذلانهم فى جميع المراكز شيئا سوى الغرور والاستهجال المنبثين عن الجهل وقلة التهذيب فقد آب القسم الأول منهم بلقب الرفض وسوء السمعة بين جل المسلمين الذين بيدهم أمر الخلافة كما كان سببا لكشف حال الأدلة الساقطة التى كانوا يموهون بها على العامة ولا يبعد أن يكونوا أيضا سببا لكشف حال أنسابهم وتواريخ آبائهم بجمعهم المتوالى . وقد آب القسم الثانى بأقبح مما آب به الأول من تمليك ديارهم وأمتهم للأجانب الذين لا يرضون عنهم كما قال تعالى حتى يتبعوا ملتهم وخذلوا من كان يرعاهم ويترضى عنهم فرجعوا بضعفين من الخزى والعار آسفين على ما ارتكبوه نادمين على ما فعلوه ولات ساعة مندم فما أشبه هذه الحالة بحالة من قال :

خطوات العرب بجاوة

وفكرتنا الخصوصية فيها

إن خطوات عرب جاوة تابعة فى الحقيقة لحركة عامة المسلمين إلا أن مبدأها غير المبدأ العام فى مقاصده ووسائله . وغير خاف ولا مجهول إن المسلمين من أول هذا القرن تحركت فيهم روح جديدة قد كانت مدوخة منذ قرون عديدة بفضل المجهودات العظيمة التى بذلها الساسة الروحيون الماديون ومن لهم التأثير من الميتافيزيقيين والمتصوفين عالمين وغير عالمين ممن أميتت قلوبهم بحب الفخفخة ، وسكرت نفوسهم بثناء العامة وركبت أدمغتهم على تحالف المخالفة والشقاق بدون نظر إلى حق أو باطل ، ومشروع أو مبتدع فكان من حركة تلك الروح الدينية . والنهضة العلمية ماهو معروف بين الأحزاب الناهضين وبين الزعماء الروحيين والمتفيقهين من المعارك الأدبية فى جميع الأقطار ولما كانت تلك الحركة قائمة على أساس الرجوع إلى أصول الدين تحرك فى مضمنها العلويون إلى تمثيل أدوارهم الماضية فى طلب الخلافة الاسلامية والزعامة العربية متوكئين كما اعتادوا على عصا الانتساب إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون ان يعدوا العدة الكافية لنيل ما يرومونه من العلوم والمعارف والصنائع والأخلاق الجاذبة لأرواح الأمم . وقد انقسموا فى أعمالهم كهيآت منظمة باتفاق أو بغير اتفاق على ثلاثة أقسام وسكر الجميع بخمرة هذا الأمل البعيد وظلوا فى وادى هذا المطلب الخطير الذى لا يدرك فى هذا اليوم بالأمانى والانتساب مولا بالتفنن فى قواعد التصريف الاعراب ، ولا بالعكوف عند المنبر والمحراب . فطفق قسم منهم يخطىء الخلفاء الراشدين فى إقدامهم على الخلافة والامارة . دون جدهم على زعمهم ويفسق الصحابة فى مقاومته ورده وليس غرضه من ذلك على مايظهر استحقاق حق ولا ابطال باطل وانما غرضه طلب الخلافة لنفسه من طريق الوراثة وتهديد من ينازعه بالتفسيق الذى ألصقه بمن نازعوا جدهم ليصلوا إلى ذلك المنصب العالى . هكذا كالتمثال الذى ينصب على رأس

الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم . ليت شعرى كيف غلت الأيدى وفترت الهمم وضنت تلك النفوس الصغيرة بالمساهمة فى الأعمال الخيرية رجاء الثواب وحسن المآب ؟ وقد فاتها أن المسلم قوته بإيمانه وعزه بدينه وثقته بربه الذى فرض عليه عون أخيه وتكفل لهما بالرزق بقوله تعالى « وفى السماء رزقكم وما توعدون هذا وماسبح الغربيون فى الجوزاء وغاصوا بين لجج الماء إلا بفضل ثراتهم وتقدير حكوماتهم » إذن فماذا يضرنا إن الفنا الجمعيات وواصلنا التبرعات لشد أواصر المجتمع واعداد تلك النفوس الطامحة الوثابة لتلقى اسمى الفيوضات واستلهام الهدى ورشف أفاويق الحضارة التى مدت قطوفها للجانى من بنى الانسان فى القرن العشرين الذ دهش العالم فيه لما شاهدوه من فلسفه الصناعة والاختراعات الدالة على سمو مدارك البشر : هذا وقبل ان نذهب بالقارىء بعيداً فنقول له إن الأعمال والجهود الجباره التى قام بها الأستاذ احمد محمد سوركتى لهى اكثر وأجل من ان تحصر فى مثل هذه الفذلكة الوجيزة وانه رفع رأس السودان عاليا فى جاره ولولا ماهنالك من الموانع الشرعية لاقترحنا عمل تمثال يقام له فى وسط جزيرة ارقو تخليداً لذكراه ولكن التاريخ احرى واضمن بأن يجعل له حياة ثانية تبقى ما بقى الحديدان وتبادل الفرقدان

وفى سنة ١٩٤٣ توفى إلى رحمة مولاه فى بتابيا واحتفل بدفنه احتفالا عظيما تغمده الله برحمته :

تزواتهم عن مجارات أولئك السابقين فى مضمار البذل والاحسان مع أنهم ربما يفوقون غيرهم فى الجهاد بأنفسهم فى سبيل الله كحضرات الأدباء الشيخ على بن سعيد بن مغيث والشيخ سالم بن عمر بلفاس والشيخ عبد الله بن عبد القادر بن هرهرة ومن نحا نحوهم من أبطال الاصلاح والارشاد عن أمنية الاحسان. فعسى الله أن يحفظ اعمالهم الصالحة وعزائمهم الصادقة : وسنذكر إنشاء الله آثارهم وما لاقوا من الابتلاءات فى سبيل إصلاح أمتهم مع إخوانهم القاطنين فى بلدان جاوه الأخرى إنشاء الله تعالى ليكون تذكرة للاتين وعبرة للمعتبرين . أما من هم ولوا أولئك من الخشب المسندة الذين يعدون بالمئات أو الالوف فجلهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ولا يستحقون الذكر مع المذكورين حتى ولا باللعنة . فتعسا لهم وسحقا لأموالهم التى أساسها السحت وتمامها الفساد وقانا الله من شرورهم . هذا وأرانى أتركك واجباً أقضى عما لا ينبغى الاغضاء عنه إن لم أثنى الثناء الجميل على أولئك السادات العظام الذين بذلوا الأموال وجادوا بتلك الهبات العظيمة للمدرسة الخيرية أمد الله الجميع بالتوفيق لمرضاته. ولولا أن جريدة حضرموت قد سبقتنا لنشر أسمائهم لنشرت الذخيرة بذكرهم تفصيلا . فعلى منوالكم فلينسج الناسجون . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون . .

إن الاسهاب فى ترجمة السيد أحمد محمد سوركتى اضطرنا إلى كشف النقاب عن تاريخ شعب نبيل قربطنا به رابطة الدين والجنس واللغة مهما نأت الأوطان وتعذرت سبل المواصلات .

وما كان يخطر بالبال أو يتاح الكلام عن العلاقة به لولا أن قيض الله لها هذا المصلح الذى وضع حجر الزاوية فى نهضة الشقاقة هناك . واماط لنا اللثام عن تلك المكارم الممتازة والهبات المشرفة لأولئك السادة الذين ضربوا الرقم الهيامى وحملوا لواء الاحسان وساروا بأمتهم سيراً حثيثاً فى هذا المضمار . فكانوا بذلك قدوة حسنة لمن هم دونهم اقداما من مواطنيهم. أن فى ذلك لعبرة وذكرى لاولى الالباب من الجاويين خاصة وشعوب الشرق عامة التى لم تزل تتلكع فى سبيل الاصلاح بدفع جزء من فصول تلك الثروات الطائلة خوف الوقوع فى وعيد قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله . والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل

الناس يتعاملون فيه بالوجوه والوعود دون النقود . ولقد التجأ هؤلاء إلى التنازل من هذه المبالغ العظيمة التي ربما لا يجمعون مثلها في سنة كاملة لشدة تفانيهم في حب الخير ومعرفتهم قيمة العلم والتعليم وابتغاء لمرضاة الله وعدم رضاء نفوسهم الشماء بالدون لا غير ..

إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فنهنئهم على هذا التوفيق ونشكر لهم هذا السعي المبرور الذي قلما وفق لمثاله جواد في تلك الديار في مثل هذا الوقت العصيب (قل بفضل الله وبرحمته فذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فبمثل هذه النفوس السمحاء تترقى الأمة ويعم العلم وتنتشر مكارم الأخلاق . وبمثل هؤلاء الرجال تدرك الغايات العظيمة وتذلل المصاعب . لا بمثل أولئك المحرومين الذين لا حظ لهم في [illegible] ولا ذكر لهم بين أهله . أعني الذين لا يزالون يتطاولون في البنيان ويتباهون بالفساد في الأرض . أولئك الذين كانوا يناجون الله في أيام فقرهم وقد كانوا عاهدوه بتلك العهود الغليظة التي أحصاها الله ونسوها . قائلين . لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين : فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتواروهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . هذا ولا ريب أنه مما يجمل بالحكومة ويحسن بتاريخها ويرغم الناس على الاعتراف بفضلها . أن تحترم أولئك الكرام المتبرعين . وتعرف قدر إنسانيتهم وترفق بهم وتأخذ بأيديهم ليمثلوا الانسانية ولينشروا مكارم الأخلاق . ويفيدوا البلاد والحكومة بأعمالهم الخيرية لأنها تؤدي بذلك واجب [illegible] الانسانية [illegible]

[illegible] التي نحن بها فقد يوجد فيها عشرات من أغنياء العرب الذين يملكون عشرات [illegible] مئاتها . ولكنك قلما تجد بينهم لمن يجيب داعي الخير . أو يمد يد المساعدة في أمر [illegible] أفرادا يعدون على أطراف الأصابع أجلهم وأسرعهم في ذلك حضرة الماجد المفضال [illegible] بن يوسف منقوض رئيس العرب بها وصنوه في الفضل والسماحة الشيخ سعيد بن [illegible] ويتلوهما السيد [illegible] [illegible] والشيخ سعيد عبد العزيز . يلحق بهؤلاء أفراد قليلون علت هممهم وقصرت

الشيخ سالم باشميله عنه ولأخيه أيضاً مقدار ٨٠٠٠ ريبة . وختم مجلسهم بالاحسان حضرة الغيور الشيخ سالم بن سعد بن نبهان عنه وعن أخيه الماجد متبرعا بمبلغ ٦٠٠٠ ريبة ، فبلغ مجموع ماتبرع به الخمسة الأفاضل فى ذلك المجلس ٤٨٠٠٠ من الريبات .

ولشدة حرصهم على تنفيذ هذا العزم وإيصال هذا الخير الذى أنعم الله عليهم بالتوفيق إليه . قاموا فى الحين إلى عمل النوتاريس « أى العدل المنصوب من جهة الحكومة لتسجيل الأوقاف وغيرها » وطلبوا إلى الأفوكات « أى المحامى المدنى » الذى أمرهم بتنظيم صورة صحيحة الوقفية التى يريدونها ، وبعد تنظيمها على الوجه المطلوب . أمضى الجميع على ذلك بعد أن دفع كل واحد منهم ألفا من ذلك على يد النوتاريس قبل الامضاء لتكوين أصل الوقف وتحقيق حيثيته أولا على حسب قانون الحكومة . ووضعوا ذلك المبلغ فى المصرف المتفق عليه بواسطة العدل . ثم كتب الجميع سندات رسمية بواسطة النوتاريس على أنفسهم مضمونها أنهم مدينون لهذا الوقف بما تبرعوا له به من المبالغ . وأنهم يدفعون ذلك مقسطاً فى مدة ثمانية أشهر للوكيل المنتخب لحفظ المال والذى يلزمه أن يضع كل مايستلمه فى المصرف الذى اتفقوا عليه لوقت الحاجة . على أنه لايجوز له أن يتصرف فيه لأى غرض غير التعليم ووسائله وبعد الامضاء فى جميع تلك الأوراق انقلب الجميع إلى أهليهم شاكرين الله على ما من به عليهم من التوفيق ، طامعين فى فضله العظيم أن يتقبلها منهم قبولا حسناً موقنين بوعده الذى وعد به المحسنين فى قوله تعالى « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه . وهو خير الرازقين(١) . هذا ولاينبغى أن نستغرب هذا التوفيق ، فانما ذلك نتيجة كسب المال من الطرق الشريفة التى أحلها الله . وأما من جمع المال من الوجوه المحرمة والطرق الخسيسة فيبعد كل البعد أن يوفق لمثل ذلك . وسننشر فى فرصة أخرى نص المكاتبة التى سجلت بديوان العدل مترجمة إنشاء الله تعالى .

وبعد أربعة أيام قضيناها معهم مسرورين شاكرين لفضلهم معجبين بتلك الهمم العالية والغرائم الماضية . بارحنا مدينة سورابايا تاركين كثيراً من أهل الفضل والاحسان لمن افاضلها على جناح النحوص بأولئك المحسنين بالمشاركة لهم فى هذا الخير العميم . ولعلنا نوافى القراء بأسمائهم فى اعداد الذخيرة الآتية إنشاء الله . ذلك ماحظينا به من نعمة التوفيق التى يحسن التحدث بها شكراً لله تعالى وطمعاً فى المزيد منها لقوله تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم » ولقوله تعالى « وأما بنعمة ربك فحدث » . وبالخصوص فى هذا الوقت الحرج الذى أصبح

---

(١) ماذا يضر اثريانا لو الفوا جمعية لخدمة العلم وبلادنا لم تزل فى الدرك الاسفل من الجهل وليس أدل على ذلك من رجل من جبال الميدوب بدارفور تزوج بنت أخيه شقيقه ولم يعرف الحرمة حتى استولدها بضعة أولاد قبل فسخ زواجه بمحكمة كتم الشرعية على يد القاضى الاستاذ حسين حسن سعد

فشاع خبره وذاع وكاد يخترق السبع الطباق فى بلاد الهند ونال إعجاب الطائفة المتورة خصوصاً الافرنج الذين شحنوا مؤلفاتهم بالاطراء والثناء على رجل غريب وحيد يجاهد كالجندى المجهول بين ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة حتى فرض عليهم احترامه . وصارت ترد إليه الفتاوى الدينية من الأفراد والجماعات ومافتىء يواصل ليله بنهاره فى تحرير الفتاوى وتأليف الرسائل العديدة حتى كان سبب عشرة الهجوم هذا المصاب . وهاهو حتى الآن أى سنة ١٣٥٩ هـ : ١٩٤٠ م يزاول عمله بهمة لايعتورها كلل ولايخالطها ملل هذا وليرجع بالقارىء إلى إتمام الكلام عن مكارم الجاويين وتقديرهم للعلم والعلماء .

مبرة عظيمة

فى سنة ١٣٤٢ هـ . ١٩٢٤ م

إنه لمما يدعو إلى الغبطة والسرور ما قرأناه فى مجلة الذخيرة الاسلامية بعددها الصادر فى رجب سنة ١٣٤٢ هـ عن تبرعات المحسنين فى تلك البلاد لأوقاف مدارس الارشاد وهو

«شكران على إحسان»

قد كان فضل الله تعالى أن . حركتنا إرادته السامية فى غرة هذا الشهر المبارك أى شهر جمادى الأول من هذه السنة سرت من مقرنا ببتافيا إلى مدينة سورابايا لزيارة لمدرسة الارشاد القائمة هناك . وبمناسبة حضورنا عقد الاخوان الارشاديون مجلساً مختصراً للمذاكرة فى شأن التعليم ومصالح الجمعية . وبعد الفراغ من المذاكرة فى الشؤون المهمة التى عقد لأجلها المجلس صادف أن جرت المذاكرة فى مالية تلك المدرسة مع خمسة من أولى العزم والأريحة من الرجال الذين كانوا حاضرين يقيموا وقفاً خاصاً أبدياً لضمان استمرار حياة المدرسة وتقوية تعاليمها واستحسنوا أن يبدؤا أولا بأنفسهم بوضع أساس هذا الوقف . ثم يدعوا غيرهم بعد ذلك إلى مشاركتهم فى هذا الخير . فتبرع حضرة الجواد الشهير الشيخ ربيع بن مبارك بن طالب بمبلغ ١٥٠٠٠ من الربيات . وتلاه حضرة الماجد الشيخ عثمان بن محمد العمودى متبرعا ١١٠٠٠ ربية وتلاهما الشاب الأصيل مثال المروءة والنشاط الشيخ أبو بكر بن أحمد باشراحيل عنه عن أخيه الأكبر الشيخ سالم بن أحمد باشراحيل ب ٨٠٠٠ ربية . وقد حضرة السرى النجيب

ويقولون بعدم كفاءة المسلم لزواج المرأة العلوية أثار عواطف المسلمين فى جانبه واستهدف أولئك المجازفون لسهام النقد المر يذ وحد الأستاذ أحمد محمد سوركتى المجال ذا سعة للحملة عليهم واقامة الدليل القطعى على فساد دعواهم ودحض حججهم التى كانت أوهى من خيال العنكبوت . كيف لا وقال الله تعالى « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ولم يقيد الكريم بانه عربى أو زنجى . بل حكم أزليا بافضلية التقى مهما كان عنصره . ولما نزلت الآية الشريفة « وأنذر عشيرتك الأقربين » دعا النبى صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا العام والخاص وطلب أن ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال « يافطمة بنت محمد . ويا صفية بنت عبد المطلب ويابنى عبد المطلب . لا املك لكم من الله شيئا . غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها » . ثم قال « يابنى هاشم لايأتين الناس يوم القيامة بالآخرة على ظهورهم . وتأتونها بالدنيا على ظهوركم . لاأغنى عنكم من الله شيئا » .

روى عن الاصمعى رضى الله عنه أنه رأى على بن الحسين رضى الله عنهما باكيا من شدة خوفه من الله تعالى . قال له ياسيدى ماهذا البكاء وما هذا الجزع وأنت من أهل بيت النبوة . أليس الله تعالى يقول . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا . قال يا اصمعى هيهات . إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا . وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا » وقال الامام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه . الشرف كل الشرف من يشرفه عمله . والسودد كل السودد من اتقى ربه . وقال النبى صلى الله عليه وسلم « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وقال القطب الربانى والغوث الصمدانى السيد أحمد بن ادريس الشرف طال وليس على فروج النساء اقفال اى ذروا الاتكال على عصا الانساب واعملو عملا جديا كما قيل . اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » هذا قليل من كثير مما ورد فى هذا الموضوع إذن لامكان لافضلية إلا أن كل ما أوردناه لايتعارض مع محبة آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم لاسيما الصالح منهم أما الذى يخرج عن جادة الاعتدال ويذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال المجاهر بالكبائر كالزانى وشارب الخمر ولاعب الميسر والمدلس المتظاهر بالصلاح لاستدرار عطف المسلمين لابتزاز أموالهم . ومطية الاستعمار الذى يستعمل نفوذه الدينى لاخضاع المسلمين لمن هو على غير دينهم وهو يعلم علم اليقين أن الذى يسعى لاخضاع المسلمين له إنما هو عدو فى ثوب صديق . قد يعمل على إرهاق المسلمين وهدم دينهم !! أهل يجوز لنا شرعا نعتقد افضلية من أمثال هذا . ولاغرو أن الحواب سلبيا أكثر منه إيجابيا . فحاصل القول ان الاستاذ احمد محمد سوركتى عاد من جهاده مرفوع الرأس ظافرا منصورا

الدينية الصحيحة . فتألفت جمعية خيرية كانت تتكون من صفوة الجاويين تحت رياسة الأستاذ أحمد محمد سوركتى فاعدت تلك الجمعيه المال اللازم لانشاء مدارس الارشاد التى خطت خطوات موفقة حتى بلغ مجموع مدارس الارشاد ثلاثين مدرسة وقد جلب الأستاذ أحمد محمد سوركتى المدرسين من السودان كالشايخ :

١ — الشيخ أحمد العقيب المحسى .

٢ — الشيخ محمد [illegible] دنقلاوى

٣ — الشيخ صديق [illegible] سوركتى هذا ابن أخى الأستاذ أحمد محمد سوركتى ونائبه فى [illegible] .

٤ — الشيخ [illegible] ور دنقلاوى .

٥ — الشيخ [illegible] حامد

قد استخدم [illegible] خريجى مدارس الارشاد مدرسين بها واحضرت لهم حكومة هولنده مدرسين هولنديين لتعليم اللغة الهولندية على حساب الحكومة ومما يحسن ذكره أن الا[illegible] أحمد محمد سوركتى صار يعرف أربع لغات العربية والتوبية والمالنزية وال[illegible]ية . وأصدر مجله دينية أسماها الذخيرة الاسلامية، أرسل لى مجلدا عن سنة منها فى عرم [illegible] ١٣٠ هـ . وفبراير سنة ١٩٤٠ م فقرأت منها بحوثا دينية وفتاوى تدل بوضوح [illegible] نة المحرر وغزارة مادته . وكانت بها بعض مقالات فى الدفاع ضد الحملة التى قام [illegible] وعيون قاليك مثال ما كانوا يحققونه من الحجج والبراهين على افضلية العلويين على [illegible] رضعوا فى ذلك رسائل عديده . وكانت تلك الضجة الصحفيه مشارا لاعم [illegible] س من الآيات البينات التى أدلى بها الأستاذ أحمد محمد سوركتى وقوة يقي [illegible] ه ولاغرابة .

إذا أراد الله نشر فضيله ... طويت أتاح لها لسان حسود

الحرب القلمية التى اثارها أولئك الشيعة القائلين بافضلية العلويين على سائر [illegible] بلافرق ولا تمييز وأخذوا يؤلفون الرسائل لاثبات ذلك الخ [illegible] .

معلومة . ولقد سافر من مكة المكرمة إلى جاوه فى سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١١ م واستلم مهام منصبه الجديد . ومما يوصف به كان من أولئك الأشراف أو من أتباعهم جماعة يعتقدون مذهب الشيعة ويتظاهرون بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فأراد أولئك العبث بعقائد الطلبة من طريق غير مباشر . فأرادوا أن يدسوا فى برنامج التعليم بعض عقائدهم التى لاتتفق بحال من الأحوال مع ظاهر الشريعة الاسلامية مثال ذلك القول بأفضلية العلويين على سائر البشر ماعدا النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهناك ارتضمت سفينة الاتفاق فى صحور تلك النزعات التى يراد دسها على العقائد على يد احمد محمد سوركتى الذى كان يقظا دقيق الملاحظة ولكنه أبى عليهم ذلك ولما حاولوا اضطهاده انعكست الآية وكانت النهاية بداية فانه أنصرف عنهم واسان حاله يردد قول الشاعر

امطرى لؤلؤا سماء سرنديب ... وقيضى آبار تكرور تبرا
أنا ماعشت لست أعدم قوتا ... وإذا مت لست اعدم قبرا
همـــنى همة الملوك ونفسى ... نفس حر ترى المذلة كفرا

ومما زاد الطين بله أن العلويين يرون عدم كفاءة المسلم مهما كان شأنه لزواج المرأة العلوية وإن كانت فقيرة . فكتب أحدهم يطلب الافتاء فى هذا الأشكال ، فأفتى الاستاذ أحمد محمد سوركتى بجواز زواج المسلم بالعلوية المسلمة وحدث هناك هرج ومرج (١) وكانت للعوليين جريدة تعبر عن أغراضهم فأخذت تنشر مقالات تكيل فيها الطعن جزافا بدون أن تقيم للحقيقة وزنا . وليت الأمر وقف عند ذلك الحد كلا بل صار جماعة من المتطرفين يكتبون للاستاذ أندارا ينوعدونه فيها بالقتل والتنكيل ويرسمون له بخناجر ومسدسات فلا يكاد يفض ظرفا يرد اليه فى البريد الا يرى فيه شيئا من ذلك ولكنه كان يقابل تلك الأعمال الصبيانية الغاشمة بغاية التؤدة ورباطة الجاش . ووشوا به إلى الانكليز زاعمين انه قام بدعاية لصالح تركيا فى إبان الحرب العظمى ولما اراد هؤلاء القبض عليه حال حاكم هولندا بينهم وبين مايشتهون لاعتبار الأستاذ تابا لحمايته . وقد صرح له حاكم عام هولنده بفتح مدارس اسلامية لمدة ثلاثين عاما واطلق له الحرية بأن يعلم ويضع البرنامج الذى يراه كافلا لحاجة البلاد وقد وجد من الجاويين أمة بارة كريمة الشمائل ذات استعداد للنهضة ونفوسا خصبة لقبول التعاليم

(١) اذا كان الغرض صون تلك الارحام الطاهره ممن هو دونها فكيف لا يترفع الاشراف عن أراقة نطفهم فى أرحام الحوارى وغيرهن من وضيعات الحسب والنسب وهم أولى بالتنزيه مع أن الكفاءة حددها الشرع ولم يترك مجالا لقائل ولا يخفى ان حرمان الشريفة من متعة الزواج والذرية كما يتمتع أخوها مسألة فيها نظر ! قد لاتتفق مع العدل وسلامة الذوق لانها ربما تبقى الى سن الشيخوخة وذهاب بهجة الشباب ، وذلك سجن لغير ذنب سوى نسبتها لآل البيت

« انكلترا »

تملك انكلترا من جزر الهند اربع جزر مهمة وهى ١- جزيرة بورنيو الشمالية بريطانية ٢- جزيرة ساراواك التى تقع فى الشمال الغربى من بورنيو ٣- سنة بروناى ٤- جزيرة ليوان الكائنة بالقرب من ساحل جزيرة بورنيو الشمالى الغربى وهذه جزء من مستعمرات المضيق . وأهم صادراتها البن والساجو والتبغ والصمغ المرن والتوابل والطباق والتبيوكا وزيت البترول والفحم الجيد .

(الولايات المتحدة)

تملك الولايات المتحدة الامريكية جزر فلبين الممتدة بين جزيرة فرموزه وجزائر سيليب وأشهر تلك الجزر [illegible]ون ومنداناه . وهذه الجزر تربتها جبليه كثيرة البراكين وبها غابات كثيفة . وبالر[illegible]ن ذلك فانها خصبة وتبلغ مساحتها ربع مساحة القطر المصرى ويربو عدد [illegible]ا على ١٢٠٠٠٠٠ نسمة . وعاصمتها « مانيلا » ومناخها حار كثير الرطوبة [illegible]م حاصلاتها القنب والسكر والتبغ والسجاير والارز وزيت جوز الهند الخ .

هذا ولنرج[illegible]ام ترجمة الأستاذ احمد محمد سوركتى فنقول إنه وجد المجال ذا سعة لأظهار مواه[illegible]ة المثال وما كان اشتغاله بالدرس يثنى همته عن المذاكرة والاطلاع حتى صار [illegible]مراً بشتى العلوم الدينية والعقلية والاجتماعية والسياسيه كانما عناه الشاعر [illegible]

الذكاء فانه اذكى وابرع من اياسه
[illegible]حى البديع رفيقه لما تفرد فى جناسه
[illegible] أى فن شئته فكانه بانى أساسه

كانت فى جاوه جمعية تسمى « جمعية خير » أسسها جماعة من الأشراف المعروفين بالعلويين ولهذه الجمعية مدرسة كانت فى حاجة إلى مدرس يعلم الناشئة التعليم [illegible]ى . فمن أجل ذلك استدعى الاستاذ أحمد محمد سوركتى للخدمة هناك بشروط

بعض احفاد المؤلف فى الشمال والدهم السيد عبد الرحمن اسماعيل البيلى الموظف بمالية السودان .

أما والدتهم فالسيدة حسنى كريمة المؤلف وأحمد جمال الدين محمد عبد الرحيم وفى اليمين السيد محمد أبو إيد خال والد الأول وجد أحمد لأمه .

أرجو الله أن يرعاهم فيثبتهم نباتاً حسناً إنه بالاجابة جدير

من الأمور الادارية وبديهى ان الاعضاء لايجرمون الى ابداء رأى يتعارض مع هوى المستعمر الذى يشرف على تلك الاراء ويمحصها تمحيصاً قد لا يتفق مع رغبة الأمة التى تضطر الى الاذعان والرضى بما يرضى السياسة الهولنديه وهذا الضرب معمول به فى كل زمان ومكان أوقعه سوء الحظ وتحس الطالع فى مخالب الاستعمار واذا تبرم الناس وشكوا جوراً قيل لهم هذا مما وضعه الاعضاء الوطنيون ورأوا فيه صالح البلاد وهذا امضى لجام لكم الأفواه عن المعارضة وحاصل القول ان اعضاء المجالس مسيرون لامخيرون والذى يشمئز ويأبى طبعه الانقياد والطاعة العمياء وصف بالشذوذ وعدم الاخلاص فأبعد عن العضوية ونالب المرشحون لها من رواد الظهور وعفاة الشهرة فما أكثرهم فى أحوال كهذه وليس أدل على ذلك من منافسة المرشحين لعضوية المجالس البلدية فى بلادنا وما يجودون به فى سبيل الدعاية مع انهم أبخل من مادر

« البرتغال »

تملك البرتغال النصف الشرقي من جزيرة تيمور . وهذه القسمة وان كانت صغيرة بالنسبة لاولوية البرتغاليين فى استعمار تلك البلاد ولكن مابيدهم الآن لا يستهان به لما هناك من كثرة المحصولات كالبن والكاكاو وجوز الطيب والفلفل وزيت البترول وغيرها من المعادن .

« هولنده »

تملك هولنده معظم جزر الهند الشرقية وأشهرها سومطرة وجاوه وسيليب ونحو ثلاثة ارباع جزيرة بورنيو . ثم جزائر الملوك وجزائر سنده الصغرى والنصف الغربي من جزيرة تيمور وغابه الجديدة . هذا وكانت تعامل هولنده الأهالى هناك معاملة حسنه إلا أنها صارت أخيراً تتدخل فى شؤونهم الدينية كالأوقاف والوصايا والمواريث اوالانكحة إذ تعارض فى تعدد الزوجات ونحو ذلك من التعسف الذى يتعارض مع النواميس الدينية . ولقد نبت نفس الأهالى وأبوا الاذعان والانقياد الاعمى ولست لذلك الخلط وقلب الأوضاع الاسلامية . ولكنهم مكرهون على السير مع القوة ولست أدرى اتجنح تلك الحكومة المتمدنة إلى اسلام احتفاظا برلاء الأهالى أم تصر على الاسترسال فى خططتها المعوجه التى لايرضاها المسلمون أيا كانوا وليس فى جاوه فقط ا

اما طريقة الأحكام ووضع اللوائح والقوانين فهى ن فى البلاد استقلالا صوريا أشبه شيء بادارة المحاكم الاهلية فى السودان . فالحاكم العام الهولندى والذى يلتقى الأوامر من ناظر المستعمرات الهولندية وينفذها بواسطة رؤساء الادارات كادارة العدلية . والمالية والمعـــارف والزراعة والصناعة والتجارة والاشغال العمومية Couverement qedyyoen industries ، والحربية والبحرية . والسكرتارية العمومية

نصف أعضاء هذا المجلس تنتخبهم الأمة والنصف الثانى يعينه الحاكم العام . وهذا المجلس يؤخذ رأيه فى الأمور المهمة من فرض الضرائب وغيرها

الفريقان فى واقعة بحرية فاز فيها الهولنديون ومنى البرتغاليون بخسائر فادحة . وكانت من نتائج تلك الحرب خروج البرتغال من جزر الهند الشرقيه .

وفى سنة ١٦١٧ م عين « Jan pieters_t » أول حاكم عام من قبل هولند لجزر الهند الشرقية . وفى ١٢ مارس سنة ١٦١٩ م سميت القلعة التى كانت قاعدة حربية لجيوش هولند « بتافيا » وفى ٣٠ مارس من السنة المذكورة ترحل الناس إلى المدينة وصارت عاصمة لتلك الجزر إلى سنة ١٣٠٩ هـ ١٩٤٠ م

« الحكومة »

إن الجزر الهندية الشرقية تهيمن عليها الآن أربع دول التى هى البرتغال وهولند وانكلتر والولايات المتحده الامريكية وها نحن نأتى ببيان ما لكل دوله من السيطرة والنفوذ على تلك الجزر الهندية الشرقية فنقول .

ولنها أشبه شىء بمدينة الخرطوم من جودة النظام والتأنق فى البناء وتكتنفها من الشمال جبال كجبل كنيا الذى يسميه الأهالى « ميرو Meyro » وفى جنوبها على مسافة ٨ أيام جبل « كلنجارو Kalm'nenro » محيط بهذه المدينة وديه وينابيع تتفجر منها المياه . أما الاصل فى سكان تيرونى « مساى Messai » و « كوكيو Cocio » فالاولى وثنيه أما الثانيه فقد أسلم بعضها . وقد أصبح أغلب السكان من العرب والهنود والصومال والافرنج وغيرهم ويوجد بها حسه حوامع وهناك شركات جمة وقناصل لايطاليا وفرنسا . ويقوم فى تلك المدينه بتمثال للملكه فكتوريا وثلاثة تماثيل أخرى أحدها لجندى عربى والثانى لجندى سواحلى والثالث لجندى زنجى رمزا إلى شجاعة الثلاثة عناصر التى مهدت للنفوذ البريطانى فى تلك المجاهل . هذا وكانت سلطنة زنجبار تهيمن على تلك البلاد زمنا طويلا بدون منافس . ولما أذاع مستر ستنلى وغيره أخبار تلك البلاد أرسلت انكلترا الشركة الافريقيه الشرقيه إلى زنجبار وفوضت لها فى بناء السفن التجارية المسلحه : فطلبت هذه قطعه أرض من سلطان زنجبار فاقطعها الأرض المطلوبة وصار رئيس تلك الشركة يتحكك بالسلطان ويتدرجه بالهدايا إلى أن أرضاه بزيارة لندن لمقابله الملكه فكتوريا وفعلا سار السلطان زنجبار إلى لندن وأكرم بها وهناك تدخل الانكليز فى شئون سلطنته ولم يزالوا كذلك حتى أعلنوا الحماية على بلاده وقوض نفوذه وأصبح الآن ملكا صوريا مغلول اليد فى بلاده كغيره من ملوك الاسلام الذين وقعوا فى مخالب الاستعمار .

من التغلب على الملك البوذى واستولى على (بنتان BANTAN Cheribon
وقد كان ذلك سببا فى احتكار البرتغاليين لتجارة الجزر الهندية الشرقية . واشتدت تلك
الحركة التجارية بين سنة ١٥٩٠ و ١٦١٠ م حيث بلغت البواخر البرتغاليه فى ٥ واطىء
الجزر بين ١٥٠ و ٢٥٠ باخرة فى كل قافلة . وكانت لسبونه Lessabon أغنى
الموانئ الأوربية بسبب ذلك النشاط . وفى سنة ١٥٧٧ م جاء المستر دريك Drake
الانكليزى فى أثناء سياحته حول الأرض فمر بجزائر الملوك Kings port
ووصف تلك الجزر فى رحلته . وفى سنة ١٥٩٤ م منع البرتغاليون دخول البواخر
الهولنديه فى ميناء لسبون Lissbon وبذلك شلت حركة التجارة الهولنديه
وصار الهولنديون يبحثون على طريق تؤدى الى جزر الهند الشرقية وقد تمكنوا من
ذلك بدلالة Cornolis Houtman الهولندى الذى كان يساكن البرتغال
ويعرف أسرارهم وقد أنشأ تجار أمستردام شركة للتجارة مع جزر الهند الشرقية .
وفى ٤ ابريل سنة ١٥٩٥ م سارت أول قافلة تجارية كانت تتألف من أربعة بواخر التى
هى « Mauritis Holandi » حمولة كل منهما ٤٠٠ طن . وامستردام Amisterdam
٢٠٠ طن . و Duyfie حمولة ٥٠ طنا وكانت تحت قيادة « Cornellis Houtman
فوصلت تلك الموا إلى « Bantan » بجاوه فى ٢٣ يونى سنة ١٥٩٦ م
ثم أرسل الهولنديون قافلة أخرى تحت قيادة « Cornellis VanNeck »
فى سنة ١٥٩٨ م وعززوها بثالثة ولما رأى البرتغاليون نشاط الهولنديين . أرسلوا ٣٠
باخرة حربية لقطع طريق البواخر الهولندية الذهبية إلى الشرق الأقصى .. وقد تقابل

وهناك مدينة « لامو Lamou » على ساحل المحيط الهندى تبعد عن بمباسه ٢٤ ساعة تسير
البواخر . بها ثلاثة جوامع وكنائس أما السكان فعرب وهنود وافرنج يشربون من الآبار .
بها ميناء وكذا مدينة « كسمايو Kismayo » وهى شرق لامو تبعد عنها بمسيرة ٢٤ ساعة كان
سكانها « بورن Born » تزوج أما الآن فساد بها العرب والصومال الساكنها فخم وبها ميناء
انكليزية وأخرى إيطالية . أما موقع المدينة فى ساحل المحيط الهندى الغربى حيث تكون
الأرض رملية . يشرب سكانها من الآبار والأهالى مواش كثيرة كالأبقار . ومحصولاتها
من الذرة والذرة الشاميه وغيرهما . والمناخ جيد جدا .

« نيروبى » هذه عاصمة مستعمرة كينيا فى شرق أفريقيا . تأتى إليها سكة حديد من ممباسا
وتسير منها إلى كافرندو فى بلاد « كزومو Kazovmo » ومنها تسير إلى جنجا ثم إلى كيلا
السكائنه عند مخرج النيل من بحيرة فكتوريا . هذه أعظم العواصم الواقعة فى شرق أفريقيا

الطريق المؤدية الى الهند . وكانت فى الزنجبار جالية من العرب حذر أحدها ذلك الهندى بان لا يدل أولئك المبعوثين الى بلاده فيكون رائداً لشر يأتيها من جراء عمله ولكن عبثا حاول فان الهندى أغرته المكافأة التى بذلها له البرتغاليون فدلهم الى احدى جزر الهند . وكان مليك تلك الجزر يدعى (الزامرين) أى معناه (ملك البحار) فأكرم الملك رجال البعثة وعقد معهم محالفة تجارية تغلغلوا بسببها فى أحشاء جزره الشرقية وفى القرن الخامس عشر الميلادى وصل فالسكودى جاما الى مكان مدينة كلكتا Calcuta أى فى سنة ٩٠١ هـ : ١٤٩٦ م وكانت هذه أول خطوه فى سبيل الاستعمار . وفى سنة ٩١٦ هـ ١٥١١ م بلغ البرتغاليوق (انتوناو دى أبرو ثم الى Antonco De Abru) جاوه وامبون بندا . وفى سنة ١٥٢٢ م أرسل البرتغال الى بنتام Bantam من جزيرة جاوه التى لم تزل حينذاك هدويا بوخريا . وكان من حسن حظ البرتغاليين وجدوا العداء مستحكما بين الملك البوذى والأمير المسلم Cheribon فاستجار الأول بالبرتغاليين ووعدهم باعطائهم أرضا لبناء معمل وأن يكون قاعدة تجارية وأن يعطيهم جزية سنوية قدرها ١٠٠ كيس من الفلفل . فقبل البرتغاليون ذلك الشرط منه ووعدوه بالمساعدة على عدوه الا أنهم عادوا ليأتوا بقوة تمكنهم من الوفاء مع ذلك الحليف . ولكن قبل عودتهم تمكن أمير شربون المسلم

الأرض « سرف » ويشرب البعض من « المشيش » . السكان فاخلاط من العرب والسواحليين والهنود والارباويين .

وهناك جزيرة أخرى « بمباسية » كانت تقيم بها قبيلتان زنجيتان هما « ونيكا » والثانيه « ديقو » وقد دخلها العرب منذ عهد قديم ونشروا الإسلام بين الزنج حتى صارت لهم مساجد ومعابد وهذه الجزيرة ذات حضارة عظيمة . وبها خمسة جوامع وبعض كنائس لدعاة المسيحية ومدارس إسلامية . وتربطها بنيروبى سكك حديدية . وقد تنار بمباسة بالكهرباء وبها ميناء تجارية مهمة . تسافر البواخر من بمباسة إلى زنجبار ١٢ ساعة أما السكان فانهم من اخلاط العرب والهنود والافرنج ويشربون من الآبار . وفى بمباسه أقام الانكليز تمثالا للمستر « إسمبت مكنزى » فى عدة شمال مذكرة « دفتر » وهو يشير بسباته اليمنى إلى جهة الغرب إشارة على أن هناك بلادا عظيمة يجب احتلالها والاستئثار بخيراتها .

بينه وبين أغراضه المادية والسياسية . فأخذ الأوربا ويون يشحذون القرائح ويسرحون الافكار للتخلص من تلك الطريق المصرية . وبينما هم كذلك إذ قام هنرى الملاح يفرض الكفاية فأراح أوربا بجهوده الجبارة واكتشافاته التى أماطت اللثام عن كثير من المجاهل التى ما كانت تدور فى خيال النائم من سكان أوربا فى ذلك الوقت الذى لم يمض فيه من حضيض القديم . فكأنى بقبائل يقول من هنرى الملاح ؟ فأقول هو أنبل ملوك البرتغال التى هى دولة صغيرة فى غرب أوربا . كانت داخلة فى مملكة الأمويين فى الاندلس . ولقب هنرى بالملاح لكثرة ما أحدثه فى انهاض الملاحة وحققه من الاكتشافات التى ربطت الهند بأوربا من طريق رأس الرجاء الصالح .

أنشأ الملك هنرى ورشة لبناء السفن التى أدخل فيها (بيت الابرة) أى البصلة ناقلا ذلك من العرب . ثم أخذ يرسل بعثاته يتلو بعضها بعضا فكانت البعثة من هاته تسير فى شاطىء المحيط الاطلانطيكى وترسم الشاطئ والبلاد والجبال والبحار المنحدرة الى المحيط ومتى يتطرق اليها السأم عادت أدراجها وبيدها الخريطة بالحد الذى بلغت اليه ثم تتلوها بعثة أخرى فتبدأ اكتشافها من آخر نقطة بلغت اليها البعثة الأولى وهكذا حتى اكتشف (فالسكودى جاما) رأس الزوابع فاسماه رأس (الرجاء الصالح) تفاءلا وما زال يجوب ذلك المجهول غير مبال بطول الشقة وعواصف المشقة حتى أدى به المطاف الى زنجبار (١) ووجد هناك جماعة من الهنود استأجر رجلا منهم لدلالته الى

---

(١) زنجبار أو زنزبار والأصح الأول لأن الثانى من لفظ الأعاجم . وكان الأصل فى الأول بلاد الزنج ثم أدغمت الكلمتان فى بعضهما فصارتا زنجباراً مع بعض التحريف فالزنجبار هما عبارة عن جزيرتين تقعان فى الساحل الغربى من المحيط الهندى . كان ينيتن الأول « متنياتو Mottonbato » و « ام حديو om Khideme » هما قبيلتان زنجيتان وثنيتان ولكل منهما لغة عجمى خاصة . ولكن انتزعها العرب من عهد قديم وأسسوا بها سلطنة عظيمة . وهى اليوم جزيرة إسلامية بها أربعة جوامع وبضعة زوايا وكذا بها أربع مدارس إسلامية وبضع كنائس للدعاة المسيحية . تقام المبانى من الحجر الحرابيط على قواعد هندسية بها ميناء ممة وخطوط سكك حديد ضيقة . وقد تنار المدينة بالكهرباء وهى أعظم العواصم بها سراى السيد برقس سلطان زنجبار يشرب السكان من خيران آتية من ينابيع تتفجر من

الصغيرة الموجودة في الشمال الشرقي من سومطره لانهم اعتنقوا بواسطة تجاوب العرب . ولما دخل ابن بطوطه سومطره سنة ١٣٤٠ م وجد بها ملكا مسلما يسمى (الملك الزاهر) وكان هذا الملك يبسط نفوذه على جزء من الأرض واسع النطاق وكان عالما يميل الى المناظرات العلمية ويوجد في حاشيته كثير من العلماء والشعراء .

وقد كان للعرب نفوذ عظيم لا سيما للاشراف منهم الذين هم من سلالة الحسن والحسين رضي الله عنهم . وقد صار ملوك تلك الجزر يزوجون فتياتهم للاشراف وينباهون بتلك المصاهرة . وقد نسل الاشراف من بنات الملوك أولادا آلت اليهم الرئاسة مثل سلطان بونتيانك من جزيرة بورنيو Borneo . منذ القرن السابع عشر الميلاد كان اكثر المهاجرين العرب الذين يؤمون جزر الهند الشرقية من حضرموت وكانوا تجارا ثم احترفوا الملاحة وكانت لهم سفن شراعية تمخر عباب تلك البحار وبالوزوه واسعة الى سنة ١٨٥٥م وهناك زاحمهم الاوربايون بسفنهم البخارية وتدهور الملاحون الحضارمة وكفوا عن الملاحة وتلاشت مراكبهم شيئا فشيئا حتى صارت في أكمان العدم .

دخول الاوربايين

الى جزر الهنـــد

كانت التجارة الهندية تنقل بحرا الى الخليج الفارسي . وتنقل منه برا على الجمال الى الاسكندرونه أو الاسكندرية . وكانت تلك المدينتين تحت سيطرة دولة المماليك الجبارة التي تفرض على تلك التجارة عوائد جمركية تعادل سدس ثمن البضائع يوم وصولها الميناء وكذا تحصل عنها بقدر هذا الرسم يوم تصديرها إلى مدينة البندقيه في ايطاليا وتتوزع منها الى بطون أوربا . وقد يلاقي الأوربايون أعظم المشاق في دفع تلك الجمارك الجائره . ولم ينبشوا ببنت شفة احتجاجا أو تألما من تلك المغارم . لأن الشرق كان إذ ذاك يجول بين عروقه دم العزة والقوة المعنوية فلن تستطيع أي دولة غربية الجولة

جزء عظيم يحافظ على وثنيته الى القرن الثامن الهجرى . وهناك قام أفراد قليلون بالدعاية الاسلامية ووفقوا غاية التوفيق . وقد دخل العرب الى تلك الجزر فى عهد غير معروف بالضبط . الا أنه من المعلوم دخل العرب بالتجارة فى الهند قديما . وفى القرن السابع الميلادى نشطت التجارة عن طريق سيلان Cylan حتى وجد كثير من التجار العرب فى كنتون Conton بالصين فى منتصف القرن الثامن الميلادى . وفيما بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر أى الى حضور البرتغال لم يكن للعرب منافس فى التجارة ، ومن ذلك يحتمل أن العرب دخلوا بتجارتهم الى الجزر الهنديه الشرقية فى القرون الأولى الهجرة وان كانت تذكر فى مؤلفات العرب لغاية القرن التاسع الميلادى . اذ ربما كان ذلك من طريق الاهمار وفى كتب التقويم الصينية . انهم وجدوا جالية عربيه فى جزيرة سومطره سنة ٦٧٤ م كانت تقيم فى الشاطىء الغربى منها : ويؤخذ من تدين سكان تلك الجزر بمذهب الامام الشافعى أن العرب انحدروا الى تلك الجزر من طريق شواطىء الملابار فى جنوب الهند اذ كانت تأتى تجارة من الصين واليمن وبلاد فارس لان البلاد المتاخمة لجزر الهند الشرقية من الجهات تدين بالاسلام على مذهب الامام أبى حنيفة وكان ذلك قبل طواف ابن بطوطه فى القرن الرابع عشر الميلادى .

وكذا انتقل مذهب الشيعة من الهند الى هذه الجزر الهندية الشرقيه ولم تزل بقاياها راسية فى أفنيات توجد فى جاوه وسومطره ويؤخذ من رحلة ابن بطوطه أن سلطان سومطره Somatra المسلم قد حسن العلاقات بينه وبين ملك دلهى Delha وكان مع الأول رجلان من كبار العلماء جاء اليه أحدهما من شيراز والثانى من أصفهان أى كلاهما من بلاد فارس وصار العالمان يعلمان فى سومطره . وقد أخذت ترد على موانى تلك الجزر دوائل الدكن Decan الذين احتكروا التجارة فى تلك الجزر وكانوا مسلمين يابسين فى الاعتقاد بالوحدانية وقد يرجع الفضل اليوم فى الدعاية الاسلام حتى كونوا أول جاليات تدين بالاسلام وهنالك أخذت تتلاشى عبادة الأوثان وتتضاءل أمام ذلك القبس الذى أنار سبيل الحق فى وجوه القوم . وكان ذلك قبل دخول البرتغال الى تلك بلاد كما ذكره السائح مركوفولو Marys Folo الذى قضى نصف عام فى الشاطىء الشمالى من سومطرة فى سنة ١٢٩٢ م ان كل السكان كانوا مجوسا وعباد أصنام عدا سكان البلدان فى مملكة برلاك parlak

ساكنهم من العناصر الأخرى . ولكن أبى سوء الحظ ونحس الطالع إلا أن يحتكر الأجانب تلك المعادن ويستثمروها على مرأ من أصحابها المستضعفين الذين أصبحوا ينوؤن تحت نير الاستعمار

لنـــاخ

أن فى تلك الجزر الهندية الشرقية تبلغ درجة الحرارة فى النهار العادى ٥ ر ٢٦ بميزان سنتجراد . أو ٨٠ بميزان فارنهيت . تبلغ درجة الحرارة بالليل ٢١ بميزان سنتجراد أو ٧٠ فهرنهيت . وقد يختلف الهواء اختلا[illegible] عظيما بسبب عدم تناسب تكوين البلاد . وقد تتنافر أوضاعها لأن هناك جبالا تكاد تـ[illegible]ح السحاب بقنانها . ومنحدرات وحجار كثيرة للاودية تضح لتلك الاودية رواسب و[illegible]فعات يتولد منها الناموس وكثير من الحشرات . وكل ما زاد العلو قلت الحرارة وزادت [illegible]ودة بنسبة نصف درجة سنتجراد فى كل ٣٠٠ قدم أو درجة واحدة فى كل ٢٢٠ قدما فبـ[illegible]عر المرء بالصيف فى الأماكن المنخفضة قد يكون فى فى نفس الوقت الهواء عليلا . و معتدلا فى الأماكن قليلة الارتفاع أى (المتوسطة) وقد تكون قنن الجبال بردا قا[illegible] كما هى الحال فى اركويت بالبحر الأحمر وكتم فى شمال دارفور [illegible]و ذلك لاختلاف يكـ[illegible]اخ رديئا مع غير سكان البلاد الأصليين .

الأديان

ان الدين العام [illegible] جزر الهند الشرقية هو الاسلام على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه . وتوجـ[illegible]ية والنصرانية والاخيرة دعاة تساعدهم الحكومات المسيحية على نشر تعاليمهم(١) [illegible]ـف الله ومجيء المجاهد العظيم الأستاذ أحمد محمد [illegible]وركتى إلى تلك الجزائر الاسلاميه [illegible]شرون شوطا بعيداً .

وهنـ[illegible]ن نعود الى الكلام عن تاريخ العرب لانهم هم دعاة الاسلام فى تلك الجزر الهندية [illegible]نقول لئن يكن دخل الاسلام الى أقطار الهند فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله [illegible] أول عصور التاريخ للهجرة ولكنه لم ينتشر انتشارا يعتد بمثله . بل ظـــل

لمسيحية تضافر وعنايه بالغة اقصى حدودها فى المستعمرات فى سنى ١٩٢١ و١٩٢٢ [illegible]روك نائب مدير منجلا يوصى تجا[illegible] بمساعده النفس اسحق ابراهيم المقنبراوى [illegible]ن) والاستاذ مصطفى المراغى شيخ الازهر يقف عقبه فى سبيل ساقى ماجد الذى مهد الاسلامية فى امريكا الشجاعة التى لا يفيد فى يد فاتو الهمة الجبال كما قيل لا يعمل السيف [illegible]يد بطل فانه أخمد همة ولماية ولم يلد لها بغيرها مدة حملة الشهادات وما اكثرهم بالازهر [illegible]ح للاسلام من زعمائه الذين يريدون حصره فى منطقة حنيفة

(نيوغينيا الهولندية)

هذه جزيرة تبلغ مساحتها ٣٩٧٫٠٠٠ كيلو متر أو ١٥٣٫٠٠٠ ميل مربع أى تعادل مساحة اليابان بدون ملحقاتها . وهناك جزائر الملوك أو جزائر التوابل وهى عبارة عن جزر صغيرة كائنة بين جزيرة سيليبس . وجزيرة غانة الجديدة . وأشهر حاصلاتها التوابل والارز والساجو والذرة والأخشاب وجوز الطيب والقرنفل . وعاصمتها (أمبوينه) ويبلغ سكان تلك الجزر ٣٫٣١٩٫٠٠٠ نسمة

هذا وقد بلغ مجموع جزائر الهند الشرقيه ١٫٩٣٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع أو ٧٣٣٫٠٠٠ ميل مربع . أى بقدر ما يعادل الدول الآتيه :

١ انكلترا
٢ فرنسا
٣ المانيا
٤ بلجيكا
٥ هولنده
٦ سويسره
٧ الدانمارك
٨ السويد

أو نصف مساحة أوربا بدون روسيا . هذا ومجموع طول شواطىء هذه الجزر يعادل طول دائرة الارض .

المعـــادن

يوجد فى جزر الهند الشرقية كثير من المعادن التى كان أشهرها . القصدير والفحم الحجرى وزيت البترول والأحجار الكريمه . وفى بحارها الاصداف واللؤلؤ . وغير ذلك مما لم يكتشف فمن هنا يعلم القارىء أن جزائر الهند الشرقيه هى أغنى قدرة وهبتها الطبيعة للبالغين ومن

« سومطرة »

تقع هذه فى الجنوب الشرقى من ارة آسيا ويفصلها عنها بوغاز ملقا . وكذا يفصلها عن جاوه بوغاز سنده . وهى جزيرة بركانية ذات جبال . وقد خلعت عليها الطبيعة حلة سندسية خضراء تأخذ بمجامع القلوب بهاء . يستخرج منها الصمغ الهندى والكافور وأخشاب الدباغة والصباغة وشمع وتبلغ مساحة سومطره ٧١٠٫٠٠٠ أو ١٦٢٫٠٠٠ ميل مربع . أى أكبر من مساحة انكلترا وأشهر ماين الطباق . وأهم صادراتها الفلفل الاسود . وأهم مدنها بالمبانج وهى ميناء ذات حركة ارية . وسكانها ٢١٨٫٠٠٠ نسمة .

« بورنيو الهولندية »

هذه أكبر جزا لم بعد استراليا وجزيرة غانة الجديدة . وبورنيو كثيرة الجبال وهى ذات غابات ك أجام متعانقة بها انفس الأخشاب . وقد يبلغ محيط هذه الجزيرة ٥٥٣٫٠٠٠ كيلو أو ١٢١٫٠٠٠ ميل مربع . وهى تعادل مساحة فرنسا وتملك هولندة الجزء الجنوبى منه مهر حاصلاتها . الأرز . والفلفل . والسكر والتبغ . والبن . والكافور والقرنفل . و ن . « التى هى العشاش التى تبنيها الطيور من مادة غروية تؤكل » وشمع العسل والعدى . وعاصمة هذه الجزيرة « بنجرمسن » الكائنة فى جنوبها . ويسكن اغلب هاء الـ بيوت الضافية على الماء . ولهذه الجزيرة روابط تجارية مع بتاوه وسنغافوره

« سيلبس »

و سيليت كما عرفها بعض علماء الجغرافية . هذه جزيرة ذات شكل غير منتظم . رقيه من جزيرة بورنيو . ويفصلها عنها بوغاز مكسر وهذه أجود مساحة وتبلغ مساحتها ١٨٥٫٠٠٠ كيلو متر أو ٧١٫٠٠٠ ميل مربع . وهى أكبر اشنطون) بالولايات المتحدة الأمريكيه . وأرض جزيرة سيليبس من أخصب راعيه ومن أظهر محصولات البن الجيد . وعاصمتها (مكسر) الواقعه فى . وأهم صادراتها التوابل . أما سكانها ٣٫٣١٤٫٠٠٠ نسمه

ويلهمينا وحكومتها العادلة التي بأسمها تصدر وتنفذ القوانين . ونرجو فى المستقبل خيراً كثيراً من الحاضر » وإلى هنا يحق بنا أن نأتى بأسماء جزر الهند الشرقية كل على حدتها فنقول :

(الجزائر)

تقع جزائر الهند الشرقية الهولندية من آسيا إلى استراليا كما ذكرنا بين الدرجة ٩٥ والدرجة ١٤١ من خطوط الطول الشرقية . والدرجة ٦ شمالا من خط الاستواء والدرجة ١١ جنوباً منه .

وابعد خط من الغرب إلى الشرق ٥٠٠٠ كيلو متر . حيث بين الشاطىء الغربى لارلند فى المحيط الاطلانطيق . وبين الشاطىء الشرقى للبحر الأسود آسيا ... وابعد مسافه من الشمال إلى الجنوب ١٠٠٠ كيلو متر . وكذلك تعادل هذه المسافة بين البحر الأبيض الشمالى ومدينة روم

« جاوه ومدورا »

تبلغ مساحة جزيرة جاوه ٥٠٨ و١٣ كيلو متر أو ٥٠٧٦٢ ميلا مربعاً . وتعادل هذه مساحة انكلترا بدون أسكتلندا وويلز وارلندا . وجاوه أهم جزر الهند الشرقية ويفصلها عن سومطره بوغاز سنده . وهى أكبر جزائر الأرض وأكثرها سكاناً وأعظمها تقدما فى الزراعة . وتمتد تلك الجزيرة من الشرق إلى الجنوب الغربى بالغرب من خط الاستواء وانها أعظم جزيرة بركانية فى العالم خصبة التربة وبها رياض بديعة زاهرة اهم محصولاتها الارز وقصب السكر والبن . والشاى . والتبغ والقمح والذرة . والقطن . وشجر الكينا وجوز الهند . والطاط « أى اللستك » وعاصمتها « باتاما » أو بتاوه . وقد تبعد عن بورت سودان ٤٥٠٠ ميل تقريبا . فيتافيا بلدة عظيمة البناء انيقة المظهر تقوم على ربوة عالية ذات شوارع معبده بالأسفلت مطلة على خليج فى الشاطىء الغربى من الجزيرة . وهى بلدة حربية . وهى قاعدة الحاكم العام الهولندى وبها عدة شركات وفروع الكثير من البنوك أما سكانها ومدورا فانهم بحسب أحصاء سنة ١٩٢٠ م ٠٠٠ر٤٠٠ر٣٦ نسمة .

للصينيين . ثم بعد ذلك ابتدؤا فى تأسيس جرائد لأنفسهم بالعربية . ولكن بالأسف لم تبق هذه الجرائد مدة طويلة . بل سقطت واحدة بعد واحدة بسبب عدم اهتمام العرب بها . ولعدم مساعدتهم لها بالمال . والعجيب أن فى كل فترة من الزمن لا تزال ترى خروج جريدة . والموجود الآن هى بور . وبودور . فى ويلكفرد ان والفسطاط فى سرابايا . وبعد كتابة المقالة هذه ظهرت هذه المجلة الموسومة بمجلة الدعوة الاسلامية التى تكتب فيها هذه المقالة . وهى دينية محضة ليس لها دخل فى الأحزاب المحررة .

وعدد العرب الحضارمة لابد يزداد بازدياد سهولة المواصلات بين حضرموت وهذه الجزائر . وبكثرة التوالد بها . ففى سنة ١٨٥٩ لم يكن هناك احصاء للعرب فى جزائر الهند الشرقية . وعلى حسب الاحصاءات الرسمية يبلغ عدد العرب .

سنة	جاوه ومادوره	الجزائر الاخرى	المجموع
١٨٥٩	٤٩٦٢	غير معروف	غير معروف
١٨٧٠	٧٤٩٥	»	»
٨٥	١٠٨٨٨	»	»
٩٠	١٩١٤٨	١٠٤٤٠	١٩٥٠٠
١٩٠٠	٢٧٨٠٦	١٧١١٥	٤٤٩٢١

من الاحصاءات السابقة نرى أن عدد العرب فى ازدياد وذلك بالرغم عن الشدة فى تطبيق قوانين الهجرة عليهم وهذا ناتج من تحسن أحوالهم فى المدة المذكورة .

فمثلا سنة ١٩١٦ ابطلت الحكومة جزئياً وفى سنة ١٩١٩ كلياً قانون حصر العرب فى أماكن مخصوصة بعد ان كان لا يجوز لهم السكنى فى بعض الأماكن إلا بإذن خاص . وابطل كذلك فى السنين الاخيرة مسألة أى تذكرة المرور والتجول فى داخل البلاد .

ثبت أن الحرية والأماكن خاصان للسادة فى حضرموت بينما جمع الحضارم من سادة وارشاد وقبائل وضعفاء حائزين لكل ذلك فى هذه البلاد فجدير بهم أن يشكروا الله سبحانه

جزائر الهند الهولندية وان كانوا قلما يستعملون اسماء الثلاثة الأخيرة . بل الأكثر يعرفون بمكلمة السيد أو الشيخ . والسادة فى هذه الجزائر كذلك حائزون لاحترام من الأهالى والعرب . وفى هذا الباب نذكر عادة شم اليد حيث أن الشيخ الكبير فى العمر ولو كان غنياً يشم يد السيد الصغير العمر ولو كان فقيراً . وهذه العادة ابتدأت تتقهقر بسعى طلاب المساوات . والذى دلهم على ذلك هو شيخ افريقى المولد مكى التعليم جاء إلى هنا سنة ١٩١١ لطلب من السادة ليكون استاذاً للتعليم [1] وتصريحه بزواج الشريفة بغير السيد هو سبب تنازعات فيما بين العرب . ولم تخمد نيران تلك المنازعات الا ببرودة أسواق التجارة . وكان من نتيجة هذه المنازعات انشاء جمعية الاصلاح والارشاد العربية ١٩١٤ وقد فتحت أول مدارسها فى يناير سنة ١٩١٥ قبل ٢٥ سنة كان تعليم ناشئة العرب منخفضا جداً جداً ، أى سقيما . وفى الوقت الحاضر رفعوا شأن التعليم ونظموه . ومن قبل ذلك الحين ظهرت جمعيات ولها على ما نظن جمعية الخير التى أنشئت سنة ١٩٠٣ للتعاون . ثم أنشأت سنة ١٩٠٥ أول مدرسة لها . وتوجد الآن فى جاوه ١٤ مدرسة عربية .

وفى سنة ١٩١٩ أجتهد أحدهم فى تأسيس المدارس الهولندية العربية لاولاد العرب مثل المدارس الهولندية الصينية لاولاد الصينيين . وأظهرت الحكومة رغبتها فى تأسيسها على شرط إظهار العرب رغبتهم كذلك وارسال أولادهم إليها . ولكن لم يتأت ذلك بسبب عدم اتفاق العرب . وهذا التنافر هو سبب فشل المسعى فى تأسيس الوحدة العربية التى كانت تسعى فى توحيد بروقرام التعليم فى المدارس العربية . وبديهى أن هذه الأحزاب تحتاج إلى سن حال لها لتعبير ما فى ضمائرهم . فاستعملت هذه الأحزاب فى الابتداء الجرائد الملايوية التابة

---

١ — هذا الاستاذ أحمد سوركتى لم يسافر الى جزر الهند لطلب منصب ولكن نشرت الجمعية تطلب معلما بشروط معلومة ، ولم يرض العلماء الذهاب عدا أحمد محمد سوركتى الذى قام من مكة بعد الاتفاق معه ولما عرض له فى البرنامج . ان العلوى أفضل الناس ما عدا النبيين رفض تدريس هذه المادة التى تعارض قوله تعالى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) حدث الخلاف بينه وبين العلويين كما أخبرنى الشيخ العاقب الذى كان مدرسا فى مدارس الارشاد

ولكى نعرف كثرة المراكب العربية . فانه جدير بالذكر أن فى سنة ١٧٧٥ أى فى وقت تقهقرهم كان لم تزل ٧٥ مركبا عربيا باقية . ولم يبق الآن من ذلك كله إلا تذكارات أليمة فى عقول بعض الشبان العائشين الآن بكل بساطة . بعد ان كانوا من قبل فى منصات الرئاسة وذروة الشرف والترف . والعرب من الوسائل المهمة فى تبادل التجارة بين الأوربا ويين والأهالى . وان كانوا فى ذلك أقل من الصينيين . وأكثر تجارتهم فى البرسيم الباتيك أى الارز الملونة وكثير من معامل الباتيك تحت أيديهم أو تمشى برؤوس أموالهم . وقد اغتنى كثير من ذلك . وفى السنين الأخيرة اجتهد بعض العرب الذين تعلموا فى أوربا فى توريد الحوائج التجارية رأسا . وروبا وأمريكا واستراليا ولكن لم تكلل جهدهم بالنجاح النهائى بسبب سقوط الأ[illegible] فى سنه ١٩٢٠ . ويكثر فى العرب من يملك الأراضى الوسيعة والبيوت الكبيرة فى [illegible] الكبيرة والقرى وقد ابتدأت الحكومة تشترى منهم البذية هذة الأراضى الوسيعة . [illegible] الأسف نقول أنه مع ذلك كله يوجد فى العرب من يكسب المال بواسطة الربا [illegible] فى دين الإسلام ، ولكى نفهم حالة العرب الاجتماعية فى البلاد [illegible] أن نذكر [illegible] بكلمات قصيرة تقسيماتهم فى حضرموت حيث ينقسمون إلى أقسام كثيرة أهمها

١ — [illegible] وهم أنجال سيدنا الحسين ابن بنت الرسول . وهم لايحملون السلاح إلا آل الشيخ [illegible] ولهم مكانة رفيعة ونفوذ عظيم . ووظيفتهم الاصلاح بين المتحاربين وكذلك التعليم [illegible]

[illegible] وهم حملة السلاح . وهم دائمو المحاربة فيما بينهم .

— الضعفاء وهم الفلاحون والصناع .

٤ — العبيد أكثرهم من أفريقيا أصلا .

وبنات الحضارم لايزوجن لمن هو أقل منهن مقاماً (١) ، وهذه العاده متبعة كذلك فى

---

(١) ما احرص العرب على تقاليدهم وعاداتهم الموروثة مهما تفرقوا فى أطراف الكرة الارضيه وتأثروا بالبيئات والأوساط الأجنبية . هكذا العادة فى السودان وغيره اذ قال أحد ندمائهم

وبكر قلت موتى قبل بعل ... وان اثرى وعد من الصميم

أأمزج باللئام دمى ولحمى ... فما عذرى الى النسب الكريم

وكذلك ابتداء علاقاتهم التجارية غير معين . إلا أنه من الحقيقة التاريخية التي لاتقبل النقض أن مجيئهم إلى هاته الديار قبل البرتغال الذين هم قبل الهولنديين في أواسط القرن الثامن الميلادي أقام كثير من تجار العرب في مدينة كانور . ومن المعلوم أيضاً أن العرب كانوا سادة الشرق فيما بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر من الميلاد . ونستدل من ذلك . أن مجيء العرب في هذه الجزائر كان من عهد قديم . وان ابتداء تجارتهم معها من أمد بعيد .

قبل القرن التاسع لم يذكر احد جغرافي العرب هاته الجزائر من ابتداء القرن السابع عشر كان أكثر العرب المهاجرين إلى هاته البلاد من العرب الحضارمة الذين تحصلوا على نفوذ كبير بذكائهم الفطري وبكونهم من جنسية نبي الاسلام عليه السلام . اي بكونهم عربا وكثير منهم الذين خدموا الحكومة الهولندية خدمات جليلة بين سنة ١٨٢٠ وبين ١٨٢٧ ارسلت الحكومة السيد حسن بن عمر الحبشي إلى ملك سيام وسلطان برو في وامراء بالي وسورا كارتا لمخابرات كرذات اهمية . وكان للسيد المذكور نفوذ كبير في تلك الجهات . فاستعمله لنجاح مهماته السياسية . وفي سنة ١٣٨٠ قدم السيد المذكور تقريراً مهماً للحاكم العام للهند الهولندية . في بيان الوسائل الناجحة في قطع دابر لصوص التجار . وجازته الحكومة باعطائه لقب (فخيران) الذي هو اعلى لقب الاشراف الجاويين سنة ١٨٢٢ . وكذلك باعطائه معاش تقاعد مبلغ ٤٨٠٠ جنيه في كل سنه اقراراً بفضله . وممن خدم الحكومة الهولندية في حرب اچي السيد ابوبكر عيد يد الذي كان رئيس العرب في بتاوي . وقد تحصل لذلك سنة ١٨٧٧ على لقب مايور . وبعد بضع سنين تحصل ايضا على لقب فخيران دليلا على تقديرها خداماته

ومن أهم أسباب المعايش العربية بجزائر الهند من الزمن القديم . إلى زمننا هذا التجارة وكانت أيضا من منابع ثروتهم استخدام المراكب التجارية البحرية . وكان بيدهم زمام الترحيلات البحرية . وكان منهم « الناخوذا » أي القبطان ونائب القبطان ومدير البضاعة في . وأما سوى الثلاثة فكانوا من الأهالي الوطنيين . وفي ابتداء القرن التاسع عشر كانت المراكب البحرية هذه من الأسباب العظيمة من نمو ثروة العرب ورفاهيتهم . وقد بلغت تلك المراكب أسمى مراتب القوة المكانية فيما بين ١٧٤٥ و١٨٥٥ . ومن ذلك الحين ابتدأت مراكبهم التقهقر بسبب منافسة المراكب البخارية لها في تلك البحار .

والتبغ والنيلة والارز والتوابل ولب النخيل (ساجو) والصمغ المر وجوز الطيب والسنكونر وصموغ الاشجار وكل أنواع الحبوب كالقمح والذرة والذرة الشامية والفول السودانى الخ :

وقد يعادل محصول تلك الجزر ٥٠ ٪ من محصول جزر الهند فى العالم و٧٠ ٪ من محصول البسكر.

أما معادنها فعظيمة جدا وأهمها القصدير والفحم الحجرى وزيت البترول والاحجار الكريمة . وفى بحارها الاصداف واللؤلؤ . وأهم صادراتها السكر والبن والتوابل والجوتا بركا وصموغ الاشجار وزيت جوز الهند والقصدير وجوز الطيب والسنكونا .

وتبلغ مساحتها ضعف مساحة القطر المصرى . أما عدد سكانها فيربو على ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة منهم ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ من الصينيين ونحو نصف مليون من الاروباويين وهؤلاء هم المسيطرون على الجزر . وأما العرب فلا يزيدون على ٥٠٠٠٠٠ نسمة . وقد تضاربت أقوال المؤرخين فى دخولهم إلى تلك الجزر فمنهم من قال دخلوا فى سنة ٨٠٨ هـ : ١٤٠٦ م وكان أولئك هم الرعيل الأول الذى حمل لواء الاسلام . وأسسوا مملكتى بنتام ومتارام . وقد حدثت انقسامات وتطورات حتى صارت فى جاوه أربع ممالك عربية لكل منها نظام قائم بذاته وكان ذلك قبل مجىء البرتغاليين فى سنة ٩٣٤ هـ : ١٥١٠ م ولنرجىء الكلام على تفصيل تلك الجزر إلى مابعد هذه الديباجة . هذا ولقد عثرنا على مقال طريف نشرته مجلة الذخيرة الإسلامية لصاحبها الأستاذ أحمد محمد سوركتى ننقله هنا لما فيه من فائدة تاريخية وهو كما يأتى : —

« التاريخ »

مقالة عن العرب الساكنين بجزائر الهند الهولندية الشرقية مترجمة من اللغة الهولندية بقلم الشاب النجيب السيد اسماعيل العطاس . وهى المقالة التى كتبها السيد المذكور بمناسبة احتفال حكومة الهند الهولندية بجلوس الملكة ويلهلمينا مدة ٢٥ سنة على تخت الملك . وقد نشرت هذه المقالة باللغة الهولندية فى ضمن كتاب مخصوص ألف لتذكار الحفلة المذكورة واهدى منه نسخة للملكة فى جلد مزركش داخل صندوق من الفضة . وهذا ترجمة ما المذكورة (إن أول مجىء العرب إلى هذه الجزائر الهندية الشرقية غير معروف بالتحديد

ولد هذا الحبر الجليل فى جزيرة ارقو بمديرية دنقلا فى سنة ١٢٩٢ هـ : ١٨٧٦ م وهو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد سوركتى ومعنى سوركتى فى لغة الدناقله « سور » كتاب « وكتى » تستعمل للدلاله على كثرة الكتب ومعنى ذلك « محمد كثير الكتب » لأن اباه محمد كان من خريجى الأزهر وعاد من القاهرة يحمل كميات وافرة من الكتب العلمية . وهو من سلالة الفقيه النور صاحب القبة الكائنة فى يمين النيل شرق جزيرة مقاصر بدنقلا العرضى ويتصل الأخير فى نسبه بجابر بن عبد الله الخزرجى . فالاستاذ أحمد سوركتى خزرجى من جهة أبيه وامه . نشأ أحمد متوقد الذهن حاد الذاكره كبير الهمة شديد الرغبة للطلب . فقد حفظ القرآن قبل أن يتجاوز الحلقة العاشرة من سنى حياته ثم تلقى مبادىء العلوم الدينية والعربية على والده وهناك تكونت فيه ملكة الفهم وطمحت نفسه إلى المزيد . فسار إلى الحرمين الشريفين لاداء مناسك الحج . وبقى يطلب العلم بالمدينة أربع سنين أخذ فى غضونها على كثير من كبار العلماء كالأساتذة الشيخ فالح المغربى المحدث والفقيه أحمد الحاج على المجذوب الذى توفى إلى رحمة مولاه فى بلدة الصوفى بالقاضرف وشيخ القراء الشيخ الخيارى المغربى والشيخ أحمد البرزنجى والشيخ عمر حمدان المغربى .

ومن ثم عاد إلى مكة المكرمة . واستأنف دروسه بها . ولم يزل مثابراً مجداً غير آبه لما هنالك من الغربة وطول البقاء حتى نال الشهادة العالمية بتفوق وعين مدرساً فى الحرم المكى سنة ١٢٢٦ هـ : ١٩٥٩ م فكان أول سودانى تبوء مقاعد التدريس فى ذلك المسجد ولحق به نفس العام الاستاذ عبد الله حمدوه الخناق الذى ترجمنا له فى غير هذا المكان . وقبل أن نتبسط فى الكلام عن أعمال الأستاذ أحمد محمد سوركتى فى جاوه . يخلق بنا إن نأتى بفذلكة وجيزة عن جغرافية تلك البلاد إتماماً للفائدة التى نرمى إليها فنقول : —

« ماليزيا »

ماليزيا أو ارخبيل الملايو هى عبارة عن جزر الهند الشرقيه وقد تقع تلك الجزر بين جنوب شرقى آسيا واستراليا . يقال سميت كذ الأصليين لأنهم من الجنس الماليزى الأصفر . وتلك الجزر ذات جبال عالية وبراكين جمة وجوها حار ورطب وتربتها خصبة ذات حاصلات مهمة الـ

« الاستاذ احمد محمد سوركتى »

هو نابغة الزمان ومعجزة البيـــان الذى ضاقت مناطق الصحف الافرنكيه والعربيه بأخباره الغريبة المدهشة وجهاده العظيم فى الذود عن كرامة الدين الحنيف . وكبح جماح دعاة البدع والضلال الذين يستهوون عقول السذج بما ينمقونه من الأحاديث الموضوعة والنزهات المستهجنة السخيفة لغاياتهم التى قد لا تتجاوز ارضاء شهوتى البطن والفرج [illegible] للعاقبة حساباً ولا مقيمين لآخرتهم وزناً فاظهم الله أن يؤفكون

(الاستاذ احمد محمد سوركتى [illegible])

١ — محمد اغا أبو مطر	أولاده	يقيمون	بحلة	المعيه
٢ — رزق أغا	»	»	»	»
٣ — مبروك أغا بسيونى	»	»	فى	مدينة سنجه
٤ — ابراهيم أغا الكتاب	»	»	»	حلة الهلاليه
٥ — محمد أغا حسن ضابط	»	»	»	» »
٦ — حسن افندى على	»	»	»	» »
٧ — إسماعيل اغا مطر	»	»	»	» »
٨ — أحمد أغا بسيونى	»	»	»	الكاملين
٩ — دفع الله اغا بسيونى	»	»	»	بمدينة الخرطوم
١٠ — محمد افندى يوسف	»	»	»	الابيض
١١ — الحاج محمد المغربى الذى كان تاجر	»	»		بيضة بالمسلميه

وكذا يوجد كثير منهم فى نواح عديدة فى السودان ويقال ان اولاد بسيونى من عرب بنى على بالقطر المصرى

اقفال واكر وترابيس من الذهب . فانتدب خورشيد ضابطا تركيا للتحقيق مع عبد السلام والزامه برد ذلك الركاز لخزائن الترك التى ملئت من منهوبات البلاد فجاء الضابط مكشراً وارهاب عبد السلام إلا أن عبد السلام كان قوى الإرادة ثابت الجنان لم يبالى بالتهديد والوعيد . قيل ضرب ١٠٠٠ كرباج فى فترات متواليه حتى تناثر لحمه ولم يعترف بدرهم واحد فعفوه بالسجن زمناً ولما يئسوا افرجوا عنه .

وفى سنة ١٣٠٢ هـ : ١٨٨٥ خربت الخرطوم وقتل أهلها الا بقية أم درمان التى أصبحت العاصمة للمهدية وفى سنة ١٣١٦ هـ : ١٨٩٩ م انعكس الآيه وكانت النهاية بداية إذ ضربت أم درمان ولم يبق سواعدا القليل من سكانها وانتعشت الخرطوم وبدأت فى طورها الحالى حيث شيد بها جامع وكليه وكنيسه انسكانيه وحديقه للحيوانات ونورت بالكهرباء وغرست فى شوارعها أشجار لم ترى فى القاهره ونصب فيها تمثالان احداهما للجنرال غردون جهة الكنيسة الانكليزية لتغدق عليه الصلاة فى كل آن لانه كان السبب فى تسابق السودان بطرق الاستعمار المؤلم وتمثال اللورد كتشنر الذى غسل أثيم البلاد بدماء المجاهدين

«ضباط المغاربه»

كان المغاربة من اقوى دعائم الجيش المصرى فى عهد سمو محمد على باشا الأكبر وانهم ساهموا فى الحمله فى السودان فى سنة ١٢٣٦ هـ ١٨٢١ م وتجشموا المصائب والاحن فى كسبح نجاح الثورات عندما تبرم السودانيون من نير الجنود الالبانيين وخلافهم من الضباط الذين كانت تقصيهم مصر إلى شقيقتها السودان . وبالرغم من قتل المغاربة فى الخدمة المستديمة فى السودان فانهم كانوا أمضى سلاح فى السودان نكافح به فى وقت الشدة حتى ماتوا فى جهات شتى تاركين اولادهم متفرقين بالبلاد . ولما استرجع السودان فى سنة ١٣١٦ هـ : ١٨٩٩ م ا حكومة مصر إلى تعهد تلك البيوت العسكريه بالتعليم والرفع من شأنها وهى الآن الحرف وتعانى مر الحياه واليك أسماء اولئك السناجق ومكان أولادهم كما رواه الكريم لسيونى بالكاملين

الخرطوم

١٢٤٥ هـ : ١٨٣٠ م

ما كان للخرطوم شأن يذكر وهى من القرى العاديه . سكانها جماعة من المحس كاولاد الفقيه حمدنا الله واولاد القاضى . ومنازلها متواضعة سقوفها من القش وجلود الماشية سميت الخرطوم لانها فى ملتقى النيل الازرق بالنيل الأبيض يمثلان خرطوما أشبه شئ بخرطوم الفيل . والخرطوم لغة هو الأنف كما قال تعالى سنسمه على الخرطوم (١) هذا وقد تقع فى الدرجة ١٥ فى الدقيقة ٣٦ من خطوط العرض . والدرجة ٣٢ والدقيقة ٣١ من خطوط الطول . ويبلغ ارتفاعها عن المحيطات ١٢٥٦ قدماً . فتلقى خورشيد باشا أمراً بنقل الرئاسة إليها . بعد حادث حرق اسماعيل باشا ولو لاملا عدل محمد على باشا عن أختيار الأطباء لشندى بعد مدنى . وكانت فى سوبا آثار مدينة أثيوبية يبدو آثار انقاضها فوق كثيب من الرمل فأمر خورشيد باشا الشيخ عبد السلام وعيم المغاربة فى حلة كوكو بصاحبة الخرطوم بحرى بحفر الطوب الأحمر من تلك الآثار ونقله على المراكب للخرطوم وكان عبد السلام ذا شخصيه بارزة جبارة فاستدعى أهله حراراً وعبيداً وامرهم بهدم آثار سوبا ونقل الطوب منها فكشفوا الرمال ونقلوا الطوب إلى الخرطوم ثم جاء المهندسون لتخطيط سراى الحكمداريه وجامع الخرطوم الأول فقامت المبانى بأسرع مايكون هذا وانى شاهدت نظام البناء فى سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ عندما دخلها المهدى فكان نظامه عموما يدل على عدم سلامة ذوق المسئول عن تكوين المدينة شوارعها وتفاريج الازقة وتنافر دور الاهالى ووجود المقابر بين الأحياء ولست أدرى تعاقب كثير من الولاة واقروا تلك الأوضاع السقيمه وبعد افراغ من بناء الحكمداريه والجامع شيد المستشفى وثكنات الجنود وقصور الضباط ومن ثم نقلت الرئاسة إليها

ولنذكر هنا حادثاً نظيماً جرى على أثر اتمام ذلك البناء وهو تقدم أحد الوشاة وأبلغ خورشيد باشا قائلا أن الشيخ عبد السلام وجد فى آثار سوبا بعض الشبابيك والأبواب

---

(١) كان الوليد من أذوا النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيه قوله تعالى سنسمه على الخرطوم أى الأنف كما أصيب باطه فى واقعة بدر الكبرى فبقى أثره

ليت السموءل كان حيا ليعلم أنهم أحق بقوله.

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ... ونكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولو طل منا حيث كان قتيل

واقعـــة العفينات

زات الحكومة ضرورة كبح جماح العديات فأعدت لهم حملة عسكرية كانت تتألف من ١٢٥٠ جنديا بين نظاميين وباشبزق ومدفعان وتطوع فى جانب الحكومه عبد الصمـــد ود أبو لحفيه واسماعيل الدلندوك ومع كل منهما نحو ٢٠٠ مقاتل وكذا انضم اليهم الشيخ نواى زعيم الحوازمة ونيط بالقيادة العامه الى محمد بك يس الدولابى أما الشيخ على كنونه فانه حالف الشيخ تاور أبى جرده الحازمى وبعض الجراعمة (الفضيلية) وكان جيشه يقدر بنحو ٦٠٠ مقاتل بين فارس وراجل إلا أنهم مسلحون بالرماح التى قد لا تتكافأ مع الإسلحة النارية . وكانت نقطة تجمع العديات فى قرية (العفينات) فهاجمتهم جيوش محمد يس بك وتشبث بينهما حرب أطم الفريقان فيها من ضروب الشجاعة ما يدهش وكان جيش على كنونه يتعرض فى كراته لنيران العدو التى برحت به تبريحا فظيعا وخسر كثيرا من صفـــوة رجاله وبالرغم من ذلك فانه هزم جيش الحكومة واستولى على المدفعين ولكن مالبث أن كر محمد يس ورجاله لحرب العديات فهزم العديات واستعاد المدفعين وهنا توجل على كنونه وفرش وأمر ثلاثة من أولاده بالفرار من نير ان العدو وكانوا أحد على كنونه والياس على كنونه والمراد على كنونه فضرب كل منهم الى ناحية ونبعته نصيله من جيش أبيه الذى جلس متربعا فى الميدان فاجهز عليه فرسان الحوازمة وطعنوه بضع طعنات حتى خرجت أمعاؤه وهو يردد الشادتين إلى أن فاضت روحه ولقد مثلوا به أبشع تمثيل وقد خسر العديات وحلفاؤهم نحو ١٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح ولأهل كردفان خرافه غريبة وهى أنهم يعتقدون أن بعض الأموات يقومون بعددهم ويتغنون فى نفوسهم فمن ذلك يقولون عن رجل قتل فى واقعة العفينات قام بعد موته يغنى قائلا :

ياجورنى ألما دقيتو ... ويا ولدى ألما سميتو

جور على ما خل زول فى بيتو

أى انه كانت له مزرعة من الدخن عظيمة فقد حصدها ولكنه لم يدقها ورزق بمولود يحتفل بتسميته لدعوة على كنونه له لتلك الحرب التى قضت على آماله فى الحياة هذا ولزعماء العديات حروب كثيرة تارة مع العرب فى إقليمى كردفان ودارفور وطورا مع النوبه كان ذلك سببا فى ضعفهم وتبديد رجالهم وما كدنا نسمع بأن زعيما عديا مات حتى فأ

الشيخ على ود كنون

ولد بدار الفديات غرب الرهد بكردفان حوالى سنة ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م كان على ود كنونه غدوى الأصل أى (أموى) وإنه ذو حسب ونسب قديم فان لأسلافه الرئاسة العامة على كل قبائل كردفان بادية وحضر الى أن اغتصبها المسبعات بعد حروب مع الشيخ عبد الله جدى بلولة المقتول فى احدى تلك الحروب التى كان منشأها تنازع البقاء . فعلى ود كنون كان كبير الهمه طموحا يتوق بفطرته الى شق عصا الطاعة وطرد حكومة الترك المصرية ببعيد دولته الدائلة ومجده المنقرض وهيهات . فذلك أمر عسير لا يمكن أن تقيم به عشيرة واحدة كالفديات ولو كانوا ذو يأس وشجاعة لأن بالسودان أكثر من ٤٠ ألفا من أخلاط الجنود المصرية و ٥٠ مدفعاً فلا يمكن يقابلها ألف أو ألفان من حملة الرماح .

وفى سنه ١٢٦٩ هـ : ١٨٥٣ م رأى على ود كنون ضرورة الاستيلاء على غدير الرهد بعد طرد الجوامعة منه وحالف النوبة (الضباب) لهذه الغاية ثم سار فى جيش جرار فقابله جيش من الجوامعة الفضيلية ولقد تحاربا حربا هائلة هزم فيها الجوامعة فردم الفديات الآبار بجثث الموتى من الجوامعة فغضب الجوامعة وكروا على الفديات فى جبل كردفان غدا فبددوهم تبديداً فظيعا ونهبوا أموالهم . وفى نفس اليوم هجم جيش من الجوامعة على حلة أم هجيليجه وفتكوا بالشيخ أبى ساره زعيم الفديات ومن معه وكان ذلك فى ١٤ محرم سنة ١٢١٩ هـ كما جاء فى مذكرة القاضى عربى ود كنون قاضى شرعى كردفان إذ ذاك

وما زال يتجاوب صدى تلك الحروب على الاذهان الى سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م جاء على كنونه لدفع الضرائب ولما وجد الياس باشا أم بربر عين مديرا لكردفان . (قال هذه ار قدل فيها الورل . أمثلى يدفع الضريبة لالياس ») ثم خرج من الابيض ساخطا وما دت تمضى بضعة أسابيع حتى شق عصا الطاعة وأخذت خيله تغير على دور الولاة وتقطع طريق لمباه فقال شاعره

اسم المشرك أنت هبرت شروك العقيد الغى الخلا بشوروك

يا لبدين تبيلا ما بكالموك (١)

---

(١) تبيلا فى اصطلاح عرب كردفان هم حثالة البشر

الحاج عربى ود دسكى

ولد فى بلدة أبى قسى بالدبه حوالى سنة ١١٨٠ هـ أما أصله فيدير أشتغل بالتجار واقام فى تقلى جنوب أم روابه ورحل منها إلى الأبيض وشيد دارا بجوار الفولة المنسو لعبيد والصحيح إنها له حفرت لبناء منازله كان الحاج ثريا طلبت حكومة مصر ذه تسبكه جنيها مصريا بموجب عمولة وتعيده إليه فاحضر لها ٥٠٠ر٠٠٠ أقية ذهبا وضعه يوما أمام ديوان المديريه فلقبوه بالحاج ود دسكى جبل الذهب ، ولكن لم يكن مة ولم يعلم أولاده فكان ذلك سببا فى انهيار تلك الثروة الطيمة التى لم يبق عدا أسمها و يدعو إلى الغبطة والسرور انتظام أحد احفاده ، مختار عبدالله ، بمدرسة الطب بجامعة ا بالقاهرة فى سنة ١٩٥١ نرجو أن تكون هذه أول خطوات انتصار هذا البيت العر

لك الوادى لما تبذله من الانفاق على طلبة العلم من جميع العالم وقيام أول بعثة للتبشير
ن الجنوب برئاسة الأستاذ العلامة محمد أمين القرشى الذى عرف بورعه وشجاعته
قوة ارادته فلذلك سوف ينهض الاسلام وينمو بتلك المجارى الأربع ولا يجد مزاحما
هانحن نرى الآن بضعة آلاف من رواد العلم يترددون على الازهر تحت عناية جلالة
ناروق ملك مصر والسودان والأمل وطيد أن يسير الاسلام سيرا يكلل بالفوز الدائم

الرئاسة

وقـــد تكون الرئاسة لولد وفى بعض القبائل لأبن الأخت كقبيلة الميدوب فى
فور ولابن ابنت ولكنهم لا يعرفون نظام الوراثة بل يترك الامر وبعد موت
لطان او الملك يطالب كل فرد من أبنائه وأبناء اخواته بالرئاسة ويتحاربون حتى
ون للغالب كما ذكرنا ولا شك هذه من أهم سقطات السياسة لدى الزنج .

القضـــاء

لم يكن للقضاء قانون ولكن يؤدونه بطرق شتى منها المستحسن والمستقبح ومنها
دى بوحشيته كقطع اليدين ومصادرة المال وغير ذلك مما تأباه المروءة وتنفر منه
باع كقطع المذاكير والخصاء ، وفى حالة القتل تعطى بنت القاتل لابن المقتول وغير
ك والزانى يغرم بعدد من الماشية يعطى لوالد المرأة أو لزوجها .

هذه مقتطفات بسيطة فإذا ما أفردنا مؤلفا لقبائل الزنج ذكرنا من عاداتهم بما
ر إلى الدهشة والاستغراب كالاعتقاد بالجبال والآبار والشجر وغير ذلك ويذكرا
عرف لدى العالم .

سبيل الرقى الأدبى والسياسى والاقتصادى حتى ضربت الرقم القياسى للعالم وإنها تتمتع بحرية كاملة أو شبه الكاملة .

الدين

يدين السواد الأعظم من زنوج زنجبار وأوغندا والصومال والسودان حليو والكنغو والداهومى والدنا كل واسمره والسودان ووادى والسنغال بالاسلا مع جهل تعاليمه ويبشر دعاة المسيحية فى كثير من تلك المناطق بغير جدوى هذا وة لوثروب ستودارد الأمريكى فى كتابه حاضر العالم الاسلامى فى الصحيفة ٢٨٦ جزء تحت عنوان (مجارى الدعوة الاسلامية فى أفريقيا) فالمجرى الاولى هو التيار المرا الذى يتكون من زوايا المغرب العديدة ومدارس فاس ومراكش ويخترق بلاد الأد (بجهة السنغال) فينشر دعوة الاسلام فى كارنة وفوتاجالون والسودان .

والمجرى الثانى وهو الذى يخرج من مدارس القادرية فى تنكتو ومن بعض ز التيجانية ويتسع مجرى النيجر الى بلاد سائها بالكنغو الفرنسى فيتلاقى مع مرا التبشير المسيحى فى ملتقى نهرى النيجر وابنيوى

والمجرى الثالث هو الذى صدر عن زوايا السنوسية فى الجنوب وغدامس منة جهات بحيرة شاد وبه أصبحت وداى وبرنو مراكز تتأجج فيها حماسة الاسلام .

والمجرى الرابع يخرج من الأزهر بمصر فيتبع النيل إلى(١) كردفان والى أو حيث يذارع مبشرى البروستانت والكاثوليك على قيادة الأرواح إلى أن قال و يقال إن الإسلام فى هذه الصفحة الأخيرة من تاريخه قد دل على أنه يملك حيوية و وقابلية شديدة الانتشار الخ ليس هذا ما عثر الباحثون عليه أخيراً بل كان الأزهر يزل يحتفظ بالاولوية فى هذا المضمر وانه ينبوع الهداية واكبر شمس تمد اشعتها أقطار العالم سواء فى ذلك الشرق والغرب بل كان يقف فى سبيله شح المسلمين ع دون المجازفات فى الأقطار النائية الأمر الذى تلاشى بما قامت به حكومة جلالة الم

(١) « حلفا ودنقلا وبربر وحكيلا وسنار وكردفان وداف ر وادى بحر الغزال ونيجريا وهو أقوى تيار اسلامى كما كان منذ القرون الوسطى .

ريد الزواج بفتاة يدفع مبلغا زهيدا يسمونه فتح خشم وهناك يباح له الاختلاء بها يكون المولود لخاله إذا لم يدفع المهر ويتمم الزواج.

الخرافات

لا يكاد يخلو زمان ومكان من الخرافات حتى أهل التمدن قال لى المستر مكفيل لانكليزى مفتش كفا كنجى إن الانكليزى منهم إذا سقطت لقمة من يده أثناء الأكل يعتقد أن الشيطان نظر اليه وسحره فيأخذ ملحا من الملاحة بالسبحة ويقذفه من فوق كتفه الشمال الى ورائه ويعتقد أن الملح يصيب عين الشيطان فيفقعها وفى أوائل رجب سنة ١٣٧١ زرت القرافة بالقاهرة فقال لى شيخ التربة أن بعض المصريين يدفنون مرداً الى التربى ليقطع لهن من كفن الميت لتربط المرأة به وسطها فينزل عنها وجع ظهر إذا كانت عقيما تبول فى فم الميت فتحمل ومن خرافات عرب السودان المشاهرة يطبع ثوب المعادية وتذهب به الى أحد المشعوذين ليعمل لها به عملا يصير صاحبة

أما خرافات الزنج فلا كثر الاعتقاد بها جازما فيها إذا نضج الزرع فلا يأكل منه ى الكمجور والذى لا يحترم تلك التقاليد ويسبق الكمجور فى الأكل من المحصول ترسه السباع. وإذا أتهم أحد وأنكر يحضرون له سندالة من الحديد ويضعون معها ة بمالا يزيد عن ٢٠ درهما ويوضع منه ورشال ثم يؤمر المتهم بالقسم على السندالة ول وحيات السندالة أنا ما فعلت كذا وذلك بعد أن يضع حيات من الذرة جنبها ويضع يده على الثلاثة أنواع الحديد والورشال والذرة فاذا كان كاذبا يموت غ عقرب أو ثعبان أو يسطو عليه أسد أو نمر والكمجور ينزل المطر ويعالج مراض بطرق عقيمه ويقول علماء النفس أن شيوع الخرافات فى أمة بعينها من مم المنحطة لأقوى دليل على حدة التصور فهى ولهذا تدل على استعداد وتهيئة تدفعان خطوات شاسعة نحو الكمال الفكرى والاجتماعى فى يوم ما، وكذا نا برهانا ما كان لدى اليونان من خرافات دعت بهم إلى فسحة يزوا بها العالم وجروا شوطا ا حتى غابوا عن مسارح النظر. فقال أحد الحكماء (هبطت الحكمة من السماء على ة اليونانيين وأيد الصينيين والسنة العرب) وهاهى طائفة الزنج بامريكا تغلغل فى

اخـــلاقهم

ليس من المستطاع أن نصف كل قبائل الزنج في مثل هذه الفذلكة الضيقة لأن منها الفاضل والمفضول ولكن نأتي بعبارة بسيطة على سبيل الإجمال ونترك الاسهاب الى ان نضع لهم مؤلفا خاصا كما في لعزم اذا مد الله في الحياه .

يغلب على فطرة الزنجي الخفة والطيش كما رواه العلامة ابن خلدون في مقدمته وانه يرقص لأي نغمة ويفرح لغير موجب ولو سار الرحل في الطريق يحمل (ربابة) التي هي آلة ذات أوتار كالعود يضربها الرحل أثناء سيره في الطريق ويترنح طربا هذه أحوال ما تكون في قبيلة كريش وغيرها في بحر الغزال . وبالرغم من ذلك فانهم في غاية الصدق والوفاء والسرقه لا تكاد تعرف بينهم إلا نادرا ويدمنون المشروبات البلدية المعروفة لديهم بأسماء (المريسة . البفو . وأم بلبل . وعسلية . وكشيب وبقينه . ودسيار عمده . وعرق لعيش) وغيرها . فهذه تكاد تكون غذاءهم الرئيسي

الشجاعـــة

إن أبرز صفات الزنج الشجاعة . وحب الفتك لأقل الأسباب والصبر على المكاره كما قال المتنبي

واصرف نفسي كما اشتهي وأملكها والقنا أحمر

ولهم حروب دائمة لولا أن ضربت الحكومات على يد مثيروها لاصبحوا أثرا بعد عين . ونقلوا الى أمريكا قدر بعض المؤرخين ما يوخذ سنويا بخمسة ملايين فهم الذين نافسوا الأمركان في مرافق الحياة

العـــادات

ما أكثر عاداتهم التي لا يمكن حصرها في مثل هذه المقتطفات المؤجزة الشغار الذي هو تبادل النساء لدى غير المسلمين . وعادة المرأة لا يهما إذا لم تلد المهر لذي الدنكاويين ووطأ الولد زوجات أبيه في حال الوفاة الوالد أو مرضه أو وكل ما تلده الزوجات ينسب الى الأب المتوفى لدى الباريا والدنكا وغيرهما . و

(الزنـــج)

هؤلاء فصيلة من البشر . من سلالة زنج بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام يعرفون لدى الافرنج بالجنس الأسود . وهم أقل العالم ادراكا لبعدهم عن الحضارة حتى أنه لتوجد قبائل زنجية فى أفريقيا الوسطى وغيرها لا تزال تمثل الانسان الأول فى زيه وحياته وقد دلت التجارب على أنهم ليسوا بأقل ذكاء وأهلية من غيرهم أن توفرت لديهم شروط التعليم ، ولقد قسمهم المؤرخون على قسمين عظيمين فالأول منهما زنج الشرقيون سكان أوقيانيا وبلادهم هناك مالايزيا . وجزائر أندمان وفيليبين وغانة الجديدة وميلابيريا واستراليا وتسمانيا . تلك مواطنهم الأصلية أما الآن فانهم يعيشون فى شبه جزيرة ملقا واندمان وبعض جزائر الأرخبيل الهندى وفيليبين وغانة الجديدة وميلانيزيا واستراليا ويقدر عددهم بنحو ثلاثين مليونا

أما الزنوج الغربيون فهم سكان أفريقيا الشمالية والغربية والوسطى وهؤلاء ينتشرون فى المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر والمحيط الهندى شرقا وبين المحيط الاتلانتيكى غربا وصحراء ليبيا شمالا والبحيرات الاستوائية جنوبا أو بعبارة أخرى فهم ينحصرون بين الصحراء الكبرى ورأس الرجاء الصالح .

صفـــاتهم

زنج طوال القامات متوسطو الأجسام قد لا تكاد ترى فيهم مفاصل الأعضاء وانهم كبار الهامات ذو أطراف سابلة وأصابع دقيقة وشعور جعدة وفى بشرهم فطست الأنوف غلظ المشفرين وأسنانهم بيضاء مصقولة متناسبة لماعة . إلا أن ألوانهم سوداء حالكة قد يوجد فيهم اللون الأبيض والنحاسى وهذان أكثر ما تكون فى قبائل مقندو ونياسى لندى وتركانا وانزكره والزاندى فى المناطق الاستوائية وكذا القرعان والماليت رفور ، والشمنم واندقو وبندى فى بحر الغزال ويوجد بعض الأقزام فى أوغندا قون باسم بنبتى لا تزيد قامة الرجل عن ١٢٠ سنتيمترا ، ولكنه مفتول العضل بدانية .

تعتبر أمين باشا عالما فى العلوم الطبيعية وراندا فى المجاهل الافريقية . ولم يزل يعمل أمين لصالح أمته وشعبه الألمانى حتى مهد له وسائل الاستعمار وقد أصيب بضعف فى بصره وبينما كان فى الدور الثانى من داره التى كان يقيم بها فى أواسط أفريقيا إذ خانته قدماه فسقط على الأرض وتسبب له رضوض فى الجسم وارتجاج فى المخ ومن ثم اخذت صحته فى التدهور والانحطاط رغم عناية الاطباء به حتى توفى الكنغو البلجيكى وإليك شهادة طبية عن وفاته .

« وفاة أمين باشا الألمانى »

الدكتو ادوارد شنيتزر

فى اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٨٩٢ أصدرت ولاية الكنغو أشهادا رسميا عن وفاة أمين باشا موضحا بها أن الوفاة حدثت فى مكان يقال له « كنينه » فى شهر نوفمبر سنة ١٧٩٣ نوضح الآتى بالاشهاد الرسمى .

حكومة الكنغو الحره
مكتب المسجل نمرة ٣
شهاده وفاة

أنه فى السنة الثمنمائة وثلاث وتسعين بعد الألف وفى اليوم الرابع عشر من ديسمبر من تلك السنة حضر أمامى أنا سكرتير الشؤون الخارجيه الشخصان هنرى ارثر بارتر البالغ من العمر ٣٤ عاما ووظيفته مساعد سكرتير الشؤون الداخلية بحكومة الكنغو وريمون لومبارد وعمره ٣٤ عاما ووظيفته رئيس الكتبه بالشؤون الداخليه بحكومة الكنغو . وأعلنا ان شخصا اسمه ادوارد شنيتزر المعروف باسم محمد أمين باشا البالغ من العمر ٥٢ عاما ويحمل لقب دكتور فى الطب . ومحل إقامته . . . . توفى فى بلدة كنينه بالكنغو الحره من شهر نوفمبر سنة ثمنمائة واثنين وتسعون بعد الألف . المتوفى ولد ببلدة أيلين من أعمال سيليزيا . ووالده ووالدته . . . تقدمت إلى المستندات على الشخصين صاحبى الاشهاد ووقعا على هذا بامضاء

أمضاء الشهود
هـ . ا . بارتر — السكرتير العام
د لومبارد . عن سكرتير الحكو
الامضاء : ع . ا . ه : كوفلير

ـتابا ضمنه أصح الخرط وكان إذ ذاك الكولونيل غردون مامور خط الاستواء فى اللادو شمال النيل جنوب الخرطوم يبعد عنها ١٧١٢ كيلوا مترا . ولما نقل غردون اشا حكمدارا للسودان وخلفه ابراهيم فوزى بك مديرا لخط الاستواء وجد محمد أمين مجالا واسعا للطعن فى كرامته وسوء تصرفاته فأخذ يكتب ذلك للجنرال غردون حتى وغر صدره عليه فكتب الجنرال بعزله وتعيين محمد أمين مديرا لخط الاستواء مع منحه رتبة الميرمران مع لقب باشا فى سنة ١٨٨٤ م وقد صادف ذلك احتياج المهدى مديريه كردفان وانتصاره فى واقعة «شيكان» التى قضى فيها على حملة الجنرال هكس باشا ووصل كرم كركساوى أمير المهديه إلى روميبك بعد احتياج حامية بحر الغزال وأسر لبتن بك مديرها مختار أفندى عوض باشمعاون المديرية وكتب إلى أمين باشا يدعوه إلى الطاعة واخبره بسقوط مديرية كردفان وهلاك حملة هكس باشا وبعث إليه ببعض عرائض الضباط برساماتهم ففر أمين باشا مع الموظفين الافرنج والمصريين إلى ودلاى الواقعة فى الدرجة والدقيقة ٤٥ من خطوط العرض الشمالى ولم يكن معه عدا ١٥٠٠ جندى وعشرة ضباط مصريين واثنين أوربا ويين هما جنكر والكبتن كازاتى أما الأول فروسى الجنس ـد فى مسكو سنة ١٨٤٠ م ارسلته إحدى جمعيات برلين العلمية إلى تلك المناطق بمأمورية ـية . والثانى طليانى الأصل جاء سائحا إلى افريقيا وربما يضمر غاية سياسية ولما دخل ـاقة خط الاستواء كما مرت الثورة فى سبيله فاضطر إلى البقاء هناك هذا ولقد استطاع ـكتور جنكر الوصول إلى مصر عن طريق زنجيار فى سنة ١٨٨٧ م ومنها سار إلى ربا وأذاع سوء حالة أمين باشا وفراره من محل عمله وبقائه بين تلك الشعوب وحشة فاحدث ضجه صحيفة أوربيه تطالب بضرورة انقاذه مما هو فيه من ذلك الخطر ـت الشركة الإنكليزيه الشرقيه فى الزنجيار تسعى لبسط نفوذها على تلك المناطق فاتخذت ألة أمين باشا سبيلا إلى التوغل فى المناطق الاستوائيه فارسلت المستر ستانلى الذى ـ له اليد البيضاء فى العثور على بفجيشون السائح الذى مكث بضع سنين فى زوايا ـ ائية لم يعرف له أثر بان يبحث عن أمين باشا . فسار ستانلى فى نهر الكنغو ١٨٨ وكانت حملته تتألف ٦٠٠ رجل ثم استأنف ـر أورهيمن ومنه ودلاى التى وصل إليها فى اول يوليه ـرا كنشف أكبر بحيرات خط الاستواء فسماها بحيرة الصحف العالمية بتلك النتائج وكانت الدوائر الجغرافية

وخيل لايخر لها طعين كأن قنا فوارسها ثمام

هذا والذى يسمع بمحمد أمين باشا الذى ملأت شهرته العالم يتبادر إلى ذهنه أنه من أعرق السلالات العربية . والواقع أنه جرمانى الاصل يهودى المذهب . ولد فى أيلين من أعمال سيليزيا فى سنة ١٨٤٠ م الموافق سنة ١٢٥٥ هـ وتلقى علومه الأولية بها . ثم انتقل إلى جامعة بروسيا ودرس الطب حتى نال شهادة الدكتوراه وكان أسمه الدكتور ادوارد شنيتزر . وهناك انتدب للأمورية سياسية فى تركيا . فأرسل لحيته وارتدى زيا شرقيا وأسمى نفسه « محمد أمين الاصفهانى » ثم أخذ يطلب العلوم الدينية الاسلاميه على مذهب الامام أبى حنيفة النعمانى فى جامع « أياصوفيا » حتى نال شهادة عالمه وكان يراسل دولته سراً بأحوال تركيا وكان يسعى جهده للتعرف بالولاة والتودد إليهم مع بذر الفتن بينهم . وكان يتعاطى مهنة الطب واشتهر به وعين طبيبا لحاكم آسيا الصغرى ومن ثم وجد المجال ذا سعة لألاعيبه السياسية فمثل دورا كاد يقلب به عرش السلطان عبد المجيد خان فى الاستانه لولا مافطن له الأتراك وعلموا من دسائس هذا الماكر التى كان يبثها من وراء حجاب لنيل عرش المملكة وأضعافها بالفتن الداخليه حتى لاتطمح إلى ما وراء بلادها المحاطه بالاعداء والمنافسين كروسيا ودول البلقان وغيرها من دول أوربا . ولما أراد الاتراك القبض عليه واضرب على يده . مرق من بينهم مروق السهم من القوس حيث حلق لحيته وارتدى زيا أفرنكيا ليباح له السفر . ثم غادر الاستانة على إحدى البواخر القائمة بالقاهرة . واختفى فى سراى نوبار باشا رئيس الوزارة المصرية وعندما أهمل الاتراك أمر البحث عليه . سافر إلى السودان يحمل كتابا إلى جعفر مظهر باشا حاكم السودان يوصيه بتعيينه فى منصب يليق به إلا أن جعفر باشا رأى من ملامحه وشحوب بشرته وخضرة عينيه مادعاه إلى الشك فى أمره ولكنه رأى العقليه السودانيه متعبا خصبا للدعاية الدينية . فرأى أن يمثل دورا جديدا . فنهج نهجا جديدا حببه إلى الناس فى الخرطوم . بما كان يدرسه من التفسير والحديث ويعطى الطريقة القادرية زاعما أنه من خلفائها . فهرع الناس اليه . وأخذ السنج يبالغون فى أطرائه على أنه شريف من آل البيت ومع ذلك فإنه يعالج المرضى حتى كانت له مكانة فى نفوس القوم .

عين الدكتور شنيتزر « محمد أمين » لصحة خط الاستواء فى « لادو » وما زال يعمل فى هذا المنصب ويدرس حالة البلاد الجغرافيه والسياسيه والتاريخية حتى ألف عنها

محمد امين باشا

مازال العالم فى دهشة لما تفيض به الصحف من أخبار لو . اس ومبتكراته السياسية التى كادت تكون ضربا من ضروب الأساطير والأحاجى مع أن هذا التلون أصبح بيدنا وخلفا ملازما لرواد الاستعمار منذ القرون الوسطى والعصور المتوغلة وقد أفلح كثيرون وذهب آخرون ضحية المجازفات العديدة فى بلاد تغمرها المستنقعات وتتخللها

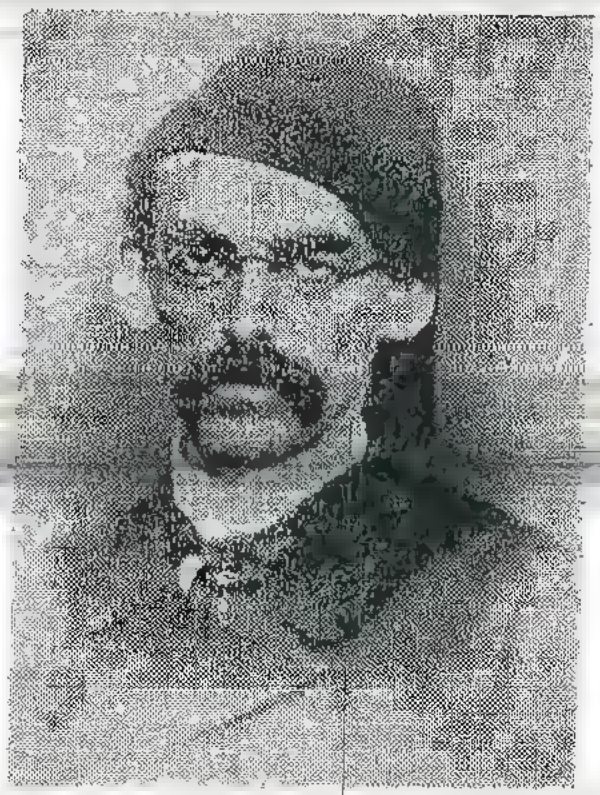

محمد أمين باشا

ابات لاسيما ماهنالك من جبال شاهقة وكهوف غاصة بوحوش ضارية تجعل المرور من أعسر الأمور والشرقيون لاهون بأنانيتهم الجوفاء وبطرهم المحجوج منصرفون ى السياسة حتى أفل أو كاد يأفل نجمهم ويدرجون فى أكفان العدم فرحم الله أبا الطيب ث قال .

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
أرانب غير أنهم ملوك مفتحة أجفانهم نيام

(رب السيف والقلم)

كلمة حق لا أخشى فيها لومة لائم . كنت جنديا من أنصار المهدى . قضيت الشطر الأول من حياتى بين صلصلة السيوف وموارد الحتوف . شهدت كثيراً من أخبار المهدية واشتركت فى أربع مواقع وهى عكاشه وفركة والجفير وكررى وأصبت فى الأخيرة بشظيتين من الدفعيه الانكليزية بقيت إحداهما فى فخذى الأيمن من الأمام ثمانى سنين من سبتمبر سنة ١٨٩٨ الى مايو سنة ١٩٠٥ حتى أخرجت بعملية جراحية على يد الدكتورين مستر وتر فيلد الانكليزى والبكباشى حسن زكى المصرى . انتهى ذلك الطور بمزعجاته ودمائه ، وهـا أنا أدافع بقلمى عن عرض أمتى تحت وحدة وادى النيل لا أريد من ذلك غير الثواب فى دار المآب »

أما الصور فانها تمثل احتفالا عظيما تكرم بإقامته حضرة السر السيد عبدالرحمن المهدى باشا فى فناء قبة الامام المهدى . لمناسبة مرور ٥٠ سنة على واقعة كررى وقد ترى فى يده الشمال اطاراً به صورة ألاى انكليزى كان تطلق النار فى أثناء هجومنا عليه ويقف خلفى صف من أبناء الشهداء الذين ضحوا بحياتهم دفاعا عن الحرية واعلاء لكلمة التوحيد تغمدهم الله برحمته . هذا ولى مؤلفات عن مشاهدات بريئة عن عبث الرواة اليك هى :

طبعت

١ — نفثات اليراع فى الأدب والتاريخ والاجتماع مزين بالصور
٢ — العروبة »
٣ — الصراع المسلح على الوحدة فى السودان »
٤ — النداء فى دفع الافتراء »
٥ — بدايع الآثر فى أخبار المهدى المنتظر »
٦ — الدر المنثور فى تاريخ العرب والغور »
٧ — أثيوبيا الجديدة »
٨ — المسامرات فى الأدب والتاريخ والمضحكات
٩ — أمثال الحضر والبوادى بلهجات سكان الوادى
١٠ — فاروق الأول أو أبطال التاريخ فى السودان مزين بالصور
١١ — اقامة الدليل على وحدة وادى النيل

المؤلف فى زى فارس انصارى

صورة المؤلف فى رحبه جامع الامام المهدى فى صفر سنه١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م

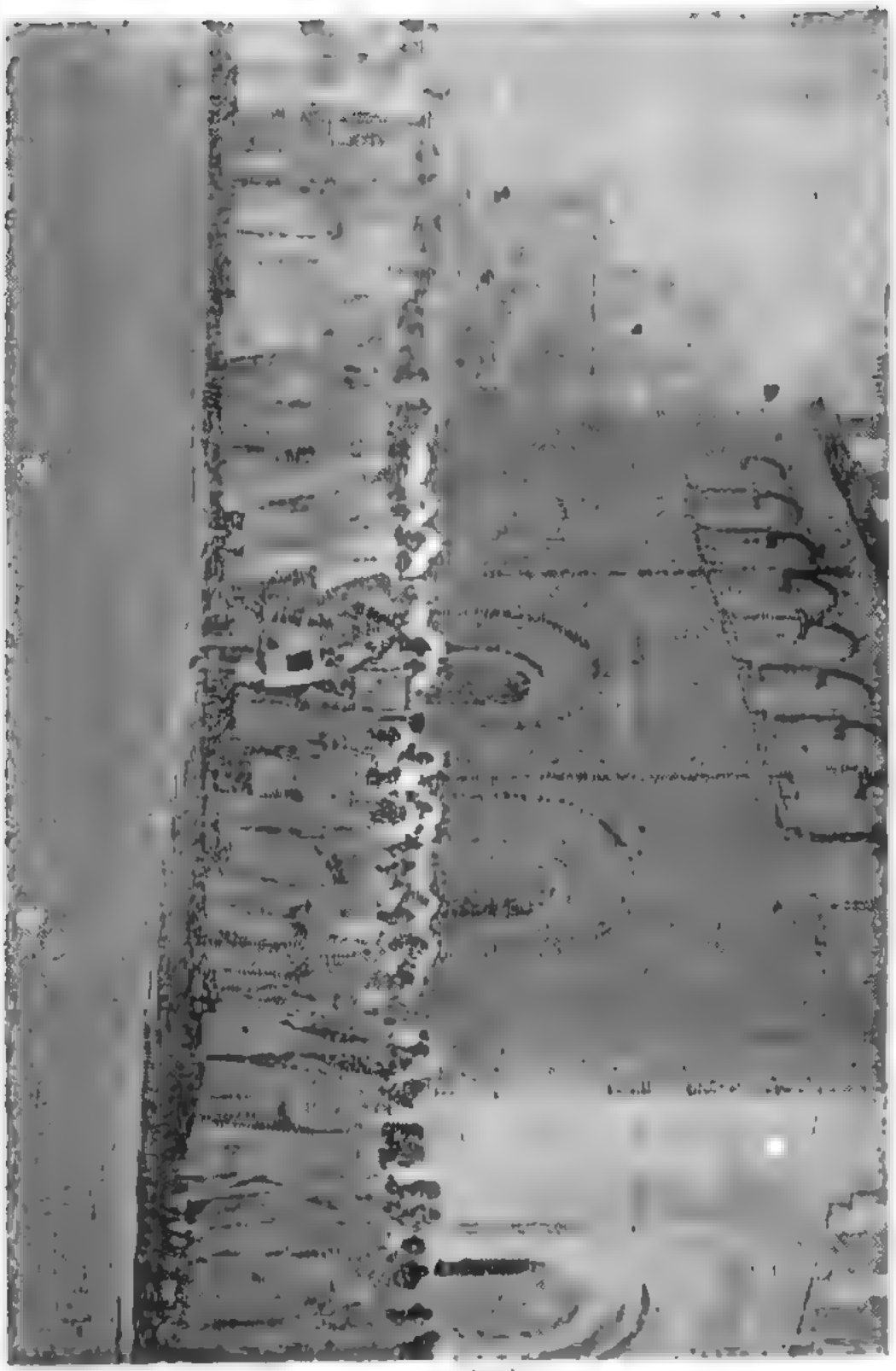

المؤلف

ويقف من ورائه أبناء الشهداء الذين ضحوا بهيآتهم في سبيل الحرية واعلاء كلمة التوحيد وبيده اليسرى إطار به صورة ألاى أنكليزى يطلق النار علينا أثناء هجومنا عليه .

يا سائل إن الدين عهدهم كان الزمان لهم من الأعوان
كانوا إذا عضوا الزمان بنابه ضاق الفضاء بها من الفرسان
ولهم طاعات الرؤس مهابة ولهم على الأمر الخطير يدان
ذهبوا فأصبحت الديار بلاقعا وبقيت في عسف الزمان أعاني

لايتحرك ولا يضرب كأنه تمثال من صخر لايتأثر ولكنه سقط فى آخر الامر وانتهت بذلك الواقعة . وبعد انتهائها سرت بنفسى لاتفقد محل الواقعة فرأيت أكثر من ثلاثين محاربا مجندلين حول الراية (١) ورأيته الذى بقى آخرهم طريحا على الارض بجانبها . وفى جسده أكثر من عشرين رصاصة أصابته .

ولقد استمر به بعد هذا المنظر المؤثر اطلاق النيران من جنودنا بضع دقائق حتى خلا الجو من رائحة الدراويش . وكان بعضهم قد طلب الفرار وبعض ألقى بسلاحه إلى الارض كدرا وحزنا وصار يمشى الهوينا غير مكترث بالرصاص الذى يتبعه ولم يسلم إلينا غير النذر اليسير الخ .

هذا هو مظهر من مظاهر الرجولة وعزة النفس ذهبت بذهاب أولئك الابطال وبقى أناس كما قال الاستاذ أمام دوليب .

أطريد دهر أم صريع غوانى ... أم واحد لحوادث الازمان
أم أخلقتك عظائم أملتها ... أم ارهقتك طوارق الحدثان
لابل بليت بامة خرجت ... على دين النبى وطاعة الرحمن
أن الشبيبة وشيوخ كليهما ... يتسابقان لمورد الخسران
كم فاسق قذر ووغد ساقط ... متظاهر بالدين والاحسان
يحتال فى برد الغباوة راقلا ... متسربلا بكبائر وهوان
ولحى كاعشاب الربيع بربوة ... معقادة الافك والبهتان
حسبوا المكارم بزة وصاءة ... أو مخدعا متطاول الاركان

الى أن قال .

---

(١) أن من أهم دواعى الفشل عدم تكافؤ السلاح واهمال التدريب وفساد الذخيره وتلاشى الاخلاص من ٧٥ ٪ لم يشتركوا فى الحرب . قال لى محمد افندى عبد الرحمن سوركتى كاتب ود الشريف فى الخرطوم ورد كتاب من خليفة المهدى الى ابراهيم ود الشريف يأمره بالبحث فى أم درمان عن الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد واعدامهم الا أن ابراهيم ود الشريف رفض تنفيذه

يتجاولون . ثم تطايروا إلينا مفوقين رماحهم ومرتقبين تارة تارة فى الهواء . ولكن صاروا يسقطون واحدا بعد آخر حتى كان آخرهم أسبق الينا ولم يصب برصاصة إلا بعد أن كان على نحو ٣٠ ياردة منا وعندئذ انثنى دون الفرسان . وقد فرست الارض بأجسادهم جميعا . على انه لم يكن هذا المنظر آخر مناظر الشجاعة الفائقة التى شهدناها بل كانت مقدمة لشجاعة أغرب وأقدام أعجب وأبهر .

آخر الحملات وحماة الراية الزرقاء

كل مامضى لم يثن من عزيمة رجال التعايشى الراجلين بل هو زادهم حماسة واقداما وكانما نيران حب الانتقام اتقدت فى صدورهم فساروا الى الامام آخذين السهل عرض وجوههم مطالبين بثأر أولئك الفرسان البواسل. وقد ظلوا هكذا لا يلوون على شىء ويطلقون بنادقهم آنا فآنا وهم زاحفون على جنودنا حتى سار الجو اقتم مغبرا بسمائهم ولكن لحسن حظنا كانت مراميهم عالية فكان رصاصهم يتطاير فوق رؤوسنا بغير جدوى (١) وكانت هذه حملة الخليفة الاخيرة تخفق فى وسطها رايته الزرقاء وقد أخذت مدافعنا وبنادقنا تصب عليهم نيرانها حامية حتى قطعت صفوفهم لا سيما المدافع التى كانت على مرتفع مطل على الوادى فانها عملت عملا تذكر . إلا أنا شاهدنا بعدذلك منظرا من أعظم مشاهد القتال شجاعة واقداما واخلاصا لا مثيل له فى تاريخ الامم ولا فى خيالات القصص والروايات حيث كانت الراية الزرقاء المنقوش عليها بعض الكلمات الدينيه تخفق وحولها الدراويش زرافات ووحدانا صرعى بقنابل مدافعنا ورصاص بنادقنا الى أن فر الخليفة التعايشى وبقيت الراية بين رجلين فقط . وقد وقف بجانبها وكل واحد منهما قابض عليها بيده ، سعد الدين وسعد ، أعز اثنين من السلاح مواجهين النار . ثم سقط أحدهما مصابا برصاصة ولكنه بعد سقوطه تجلد وقام على ركبتيه ومد يده فأمسك الراية مع رفيقه وظل كذلك حتى تشحط فى دمه مسلما روحه مفارقة الحياة الدنيا .

عند ذلك فارق الراية وبقى رفيقه قابضا عليها بيده اليسرى ومواليا بوجهه نحونا

---

(١) الراية الزرقاء حملها من قبيلة البرقو لهم أمير يكنى بأبى جديرى اما الذين خاضوا بها المعركة فى ذلك اليوم فرجلان هما سعد الدين وسعد الذان سلما من ضروب البطولة مادهش العالم تضعضها الله برحمته .

خليفة المهدى القائد العام لجيوشه وهو الذى يأمر بالهجوم ويلاحظ حركات رجاله

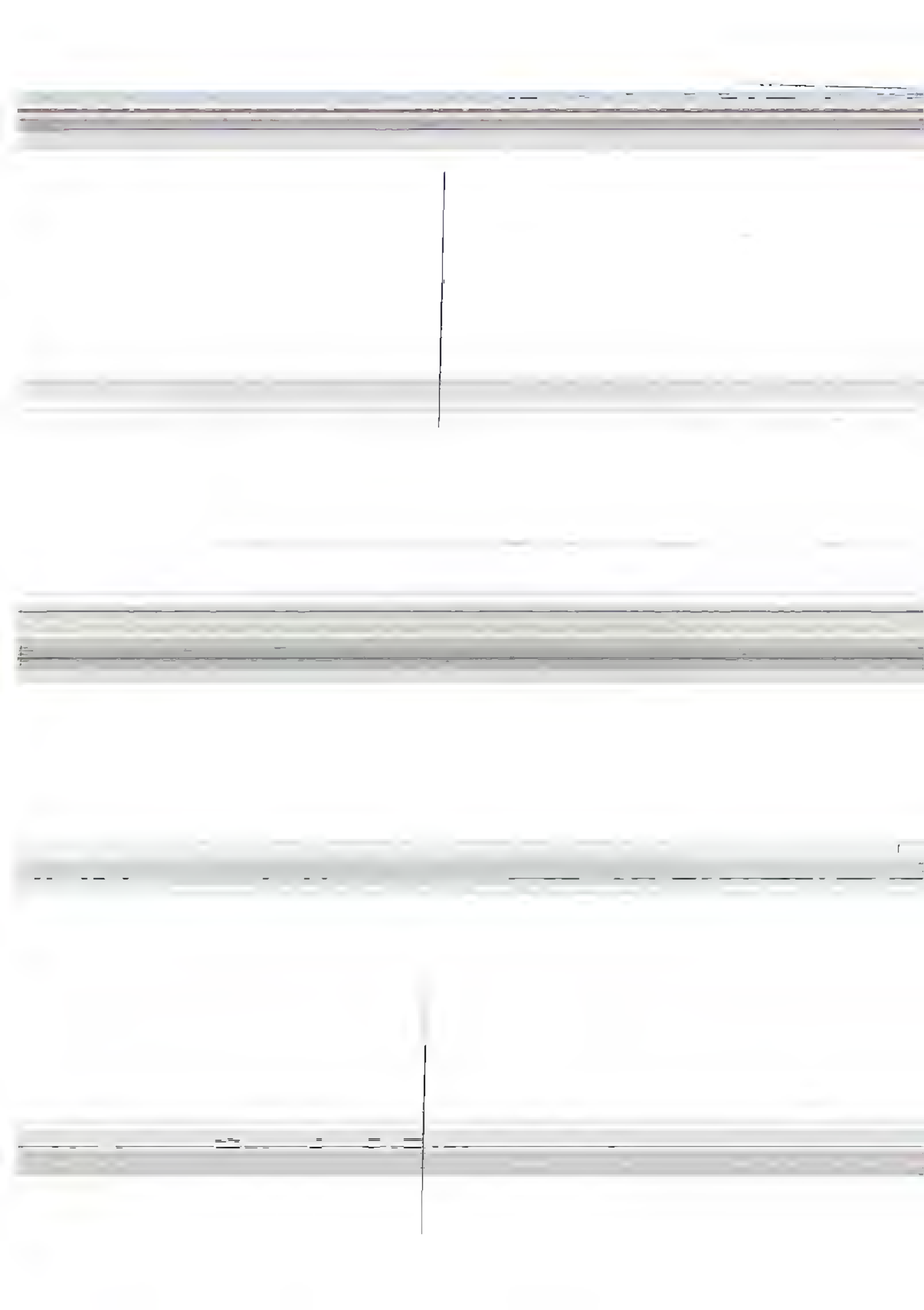

على الدراويش حتى اضطرتهم وهم أشجع البقارة وأقدرهم على القتال الى التقهقر فخفت وطأة هجومهم الشديد عما كانت عليه فى أول الواقعة . وكانت الجنود الانكليزية فى ساعة هذه الواقعة تشاهد القتال اذ كان العمل كله للجنود الخديوية

شجاعة الدراويش

ولم تكن فرسان الدراويش قد عملت الى هذه الساعة عملا يذكر حيث كان الراجلون يقدمون أنفسهم للموت قربانا بدون أدنى اكتراث ، ولكن بعد ذلك شاهدنا منظرا هائلا من الشجاعة والاقدام . فان الدراويش بعد تقهقرهم أول مرة انتظموا ثانيا بالجانب الغربى من الوادى وحملوا حملة أخرى حيث كنا نراهم على بعد لحظ واحد فى غاية الانتظام تلمع السيوف والحراب فى أيديهم لمعان الكواكب . وفى مقدمتهم نحو الفين أو ثلاثة آلاف فارس على صهوات الجياد مسلحين بالحراب وكانوا يقصدون أن يحملوا حملة شديدة على مقدمتنا ليمنعوا الجنود من اطلاق النار فيتمكن بذلك راجلوهم خلفهم من الالتحام معنا يدا بيد غير أن هذا العمل الحربى ليس من السهل اجراؤه مطلقا وإن كان الدراويش لم يخافوا عاقبته فاندفعوا بشدة غير منتظمين وساروا الى الامام متقدمين لا يبالون بشىء حتى كانوا على مقربة من منطقة نيراننا . وقد أوقفنا اطلاق النيران برهة وجيزة بينما كان كل جندى من جنودنا يشاهد بعينيه هذا الاقدام منبهرا مندهشا وكيف أن هؤلاء الفرسان يتقدمون الى الموت بهذه البسالة العجيبة وظلوا هاجمين حتى صاروا على مقربة من صفوفنا وقد ساد السكوت وخيمت الرهبة على الوادى بأجمعه واهتز الجند بالاعجاب العظيم لهؤلاء الفرسان الكواسر ولكن بعد بضع دقائق انقطع هذا السكوت حيث الفرسان لا يزالون يتقدمون الى أن صاروا على ٣٠٠ ياردة عند ذلك أطلق جزء من لواء مكدونالد عليهم النار ، ثم فارسين من فرسان البقارة [illegible] يميلان من سرجيهما . ثم اندفع أحد جواديهما الى صفوفنا . فانصبت عليهم نيران البنادق كالسيل الجارف وقد سقط منهم ستة الى الأرض ثم صاروا يسقطون واحدا بعد آخر حتى لم يبق من ذلك الركب العظيم سوى ١٢ فارسا ظلوا زمنا

---

(١٢) كان هذا الهجوم من فرسان الراية الزرقاء الذين ليس هم من البقارة خاصة وانما هم من أخلاط قبائل دارفور ومن اليعقوباب سكان الجزيرة وغيرهم

والسودانية قبل ذلك والتجأ العدو إلى التقهقر ولم يحصل فى اليوم الأول على غير هذه الحركات

وفى اليوم الثانى كان التعايشى برجاله مستعدا للقتال فى أعالى الموقع ثم إستأنف الحمل على الجنود المصرية وحينذاك اندفع كالسيل الجارف الى الأمام غير أن المصريين والسودانيين قابلوهم بشجاعة وثبات يمدح عليها أعظم الجيوش المدربة على القتال السنين الطوال . وقد اصطفت الجنود المصرية على خط واحد معها لواء مكدونالد السودانى الذى كان جناحه الايمن مركزا على النهر والجناح الأيسر واصلا الى سفح الأكمه العالية كانهم جميعا واقفون للتمرين أو الاستعراض لا يبالون بالموت الزؤام ولم تظهر عليهم علامة ما للاضطراب والقلق حتى فى النقط التى كان الهجوم عليها قويا شديدا بل استمرت الجنود على اطلاق نيرانها بثبات غريب ومهارة فائقة ينصب رصاصها فيفتك بالعدو الذى بلغ عدده خمسة عشر ألفا وأكثر فتكا ذريعا . ولما كان السردار فى هذا الحين يبتدىء فى الزحف على أم درمان حيث الساعة ٨ صباحا وقد رأى ما هو واقع أمامه فى الجناح الأيمن اضطر أن يوقف سير الجنود ويحول وجهها للاخذ بناصر الجنرال مكدونالد وقد كان الا أن ثبتت الجنود المصرية والسودانية على ما كانت عليه ثباتا وشجاعة حتى أن الجندى الواحد أفرغ فى هذه المعركة ساعتئذ ١٢٠ خرطوشا وفى الواقع ونفس الأمر أن الانتصار الباهر اكتسب فى تلك الساعة . وأنه لم يات لنصرت الجنود المصرية السودانية فى هذه المعركة الهائلة من الجنود الانكليزية سوى أورطتى (السيفورت) و (الكمرون هالندرس) ويمكننا أن نقول بعد ذلك بكل ارتياح أن الفضل فى رد الدراويش على الأعقاب والقضاء عليهم فى ذلك اليوم هو الجنود الخديوى المصرية السودانية . وفى ذلك الوقت عمدت بطارية مكسم وأورطة الميدان الثانيه والثلاثون عملا نذكر . وقد كانت بالقرب من الواقعة دروع عاليه كانت عليها فيه من الدراويش تطلق الرصاص فسار اليها السردار بالجنود الانكليزية وطردها من مكانها . ثم سحبت المدافع بسرعة عجيبة الى أعلا الذروة التى كانت تجاور السهل المنبطح الذى كان ميدان القتال بين الجنود المصرية والدراويش ولما وضعت المدافع فى ذلك المكان أرسلت الى البقاره نارا حاميه أصلتهم واخرت بهم فاضطروا الى التقهقر ولكنه لم يثبت القتال وقتئذ .

فقد حاول الدراويش أن يندفعوا مرة ثانية عن جهة الوادى غير أن الجنرال مكدونالد امير الاى الأورط السودانية أراد مقدمة جنوده بتحويل وجهها جنوبا . وناهيك بهذا العمل الصعب فى موقعة هائلة لا كما يكون مثله وقت الاستعراض والتمرين غير أن الجنود انتظمت بسرعه مدهشة وبعد بضع دقائق كانت تيران بنادقها تنصب

الأمراء وتفاوضوا فى أمر الهجوم فقال الغالب لاوفق أن يكون فى جنح الظلام ماعدا الأمير عثمان شيخ الدين قال بأن يكون الهجوم الصبح وفعلا كان كما قال وكان الأصلح رأى الجمهور كما عرف أخيرا

ففى الساعة السادسة صباحا من يوم الجمعة ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ بدأنا بهجوم عنيف ووقف الجيش المصرى الانجليزى خطا واحدا فى شاطىء النيل وصفت المدافع أمام الجنود متجهة فوهاتها غربا واصطفت البواخر المدرعة بالنيل لحمايتها أما هجومنا فقد كانت أوله مع ابراهيم الخليل صعد فى طرف جبل (سرقام) الجنوبى حثا الجنود على ركبهم واطلقوا النار والراية الصفراء أميرها الخليفه على ود حلو فهؤلاء هجموا متجهين شرقا فى شمال جبل سرقام فى سهل واسع منبسط وهجم الامير عثمان شيخ الدين نحو الشمال الشرقى وكنت أنا ضمن هذا الجيش وبدأ اطلاق المدافع علينا من البواخر والبطاريات بالشاطىء وهجم فرساننا تحت وابل من نيران المدفعية وأسلحة الانكليز والمصريين على اختلاف أنواعها وكاد الدخان يحجب ضوء الشمس ففتكت نيران الانكليز والمصريين والاى السودانى بجيوشنا فتكا ذريعا ففى بضع ساعات أصبح السهل تلولا من جثث الشهداء الذين مزقتهم نيران العدو وقد تراجع الجرحى والنادر من الذين لم يصابو بأذى(١) اما خسائر المهدية فقد كانت زهاء ١٤٠٠٠ قتيل أما الجرحى فأكثر من ٢٠٠٠٠ ومن أغرب ما شهدته فى تلك الحرب أنى لم أر شخصا واحدا أصيب من خلفه وها أنا أقدم للقراء شهاده أجنبى.

جاء بالعدد ٢٥٧٢ فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٩٨ من جريده المؤيد ترجمة مقالا ضافيا للمستر (بنت بيرلى) الكاتب الحربى لجريدة الدالى تلغراف الانكليزية . يصف تلك المجزرة البشرية شارحا ما كان للمصريين والسودانيين من الفضل الأول فى ذلك الانتصار الباهر فرأينا أن ننشر ترجمتها حفظا للتاريخ قال حضرته

(شجاعة المصريين والسودانيين. فى أم درمان يوم السبت ٣ سبتمبر بعد الظهر. ارسل من جزيرة نسرى يوم الاثنين ٥ منه — أصبحت وفى استطاعتى أن أبعث لكم شرحا وافيا عن اليوم الثانى من واقعة أم درمان . ولا يخفا كم انه لم يكن فى الامكان ارسال ذلك فى يوم الواقعة نفسها بسبب الخطر الشديد على المراسلات فاضطررت حينئذ لاختصار فى مذكرتى. واليكم الشرح الوافى عن حملة الدراويش الذين هاجمونا أول يوم فأصدر السردار أوامره للالويه الانكليزية بعد أن صارت الجنود المصرية

---

(١) أصبت أنا فى فخذى الايمن بشيظتين من المدفعية الانكليزية فسقطت على الأرض حتى غرست لحيتى فى رمل كان طريا على أثر مطر خفيف .

الدالة على الجبن والخور . وبعد صلاة الصبح ضرب النحاس وبوقات الحرب وسارت الجيوش يتلو بعضها بعضا الى سمت الشمال الغربي وبعد هنيهة عرجت شرقا الى سهل [illegible] شمال خور شمبات وفي الجنوب الغربي من جبل (سرقام) أحد جبال كرري وهناك شهدنا ست بواخر بيضاء مدرعة سائرة الى أم درمان . وفي نفس الوقت جاءت كتيبة من السواري المصرية كشافة وقفت على بعد ٣٠٠٠ ياردة فتقدم نحوها نحو ٢٠٠ جندي أطلقوا عليها الرصاص الا أنها عادت . ومن ثم ابتدأت البواخر اطلاق مدافعها على طوابي المهدية التي تصدعت واستشهد كثير من الأنصار تحت الأنقاض وتقدمت البواخر الى المدينة وأطلقت النار بشدة على قبة المهدي وسور الملازمية وكان الأمير يعقوب أبو زيد مع نحو ١٠٠٠ أنصاري يرابط بداخل الجامع لحفظ الأمن بداخل المدينة فتكت مدفعية البواخر ببعض أنصاره بداخل الجامع ومن أغرب ما حدث هناك قال لي الحاج [illegible] الخوري [illegible] كان ضمن تلك القوة شهدت فارسا من البقارة جاءت القنبلة بعد مرورها من رأس [illegible] المهدي فمزقته شر ممزق فسقط ظرف من يده فأسرعت الى التقاطه وفضيته [illegible] فاذا هو من خليفة المهدي الى يعقوب أبي زيد يأمره باعدام بعض المسجونين [illegible] منهم الاستاذ محمد شريف نور الدائم أستاذه في طريقة السمانية فأسرعت في [illegible] فنجى بذلك جماعة . وفي الساعة السادسة مساء عادت البواخر والقت مراسيها و[illegible] النيل ونامت ليلة الجمعة ٣ سبتمبر سنة ١٨٩٨ وفي تلك الليلة عقد مجلس من

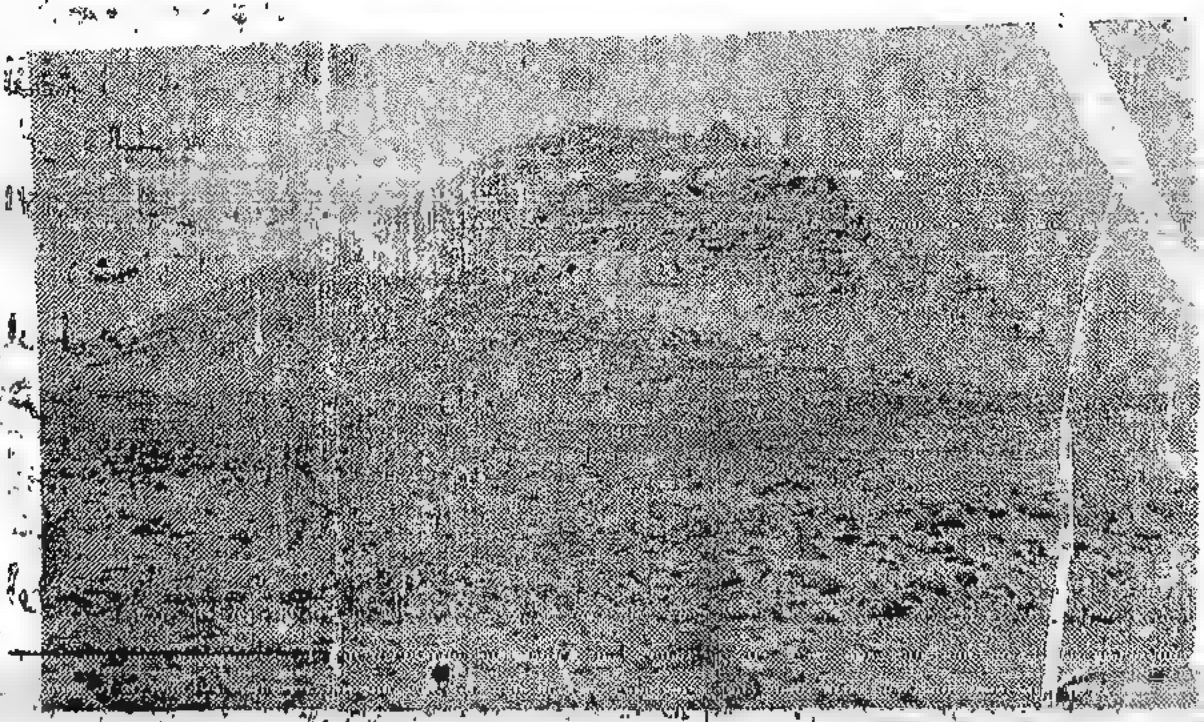

جبل كرري « سرقام »

الصحيفة	الموضوع
٧	ضوء جديد على مصير الجنرال غردون باشا
١٧	اسرى الخرطوم
١٩	اعلام الأسلام
٢٣	اغراق احدى الباخرتين
٢٤	مطابية مكركى
٢٧	الشايقية فى كتاب شبيكه
٢٩	هدم عشرة ايام فى السودان
٣١	سلطان سوداتى
٣٣	الدعاية للاستعمار
٣٥	العفو عند المقدرة
٣٧	شمم السودانيين
٣٨	السمات
٣٩	بؤس السودانيين بالخرطوم
٤٠	مقاومة الامراض
٤١	الازدراء بأم درمان
٤٢	الامير عثمان دقنه
٤٣	مكوار
٤٤	الروابط فى نظر هيكل باشا
٤٦	المراصلات
٤٨	لم يصلح السودانيون للجندية
٥٠	حاج الشيخ شيماوى يطل ازمة الحج
٥٠	رحلة النحاس
٥٢	أيؤخذ تاريخ المهدية من اعدائها؟!
٥٤	اعدام العرب
٥٥	أفهل السودان ملك مصر؟!
٥٥	ضحايا مصر فى السودان
٦٠	كنت فى السودان
٦٢	اعلام الجيش والبحرية
٦٤	شلال اغلا

الصحيفة	الموضوع
٦٥	اللواء خشم الموس باشا
٦٦	« الزبير باشا
٦٦	« محمد نصحى باشا
٦٧	اسماعيل باشا والسودان
٦٨	المؤلف يناظر عن رحلة التونسى
٧٠	جامع باعلى كنيسة
٧٢	المتحف الحربى
٧٣	تفكير اسماعيل باشا
٧٦	ضباط الادارة بالسودان
٨٠	غرائب الجهل
٨١	نسكته
٨٢	مدعى المهدية باسنا
٨٣	المؤلف يحاضر بالقاهرة
٨٥	منع السودان لمصر
٨٥	اذن سلطان تركيا
٨٦	الحملة المصرية
٨٦	الدعاية
٨٦	الاكتشاف
٨٧	قيام الحملة
٨٧	مقتل وردى اغا
٨٧	زحف الحملة
٩٢	واقعة بارا
٩٢	نهب الابيض
٩٣	ولاء القبائل
٩٣	نبأ سقوط كردفان
٩٧	حرق كورتى
٩٨	استئناف الحملة زحفها
٩٨	تفرق كلمة الفونج
٩٩	هدية بادى

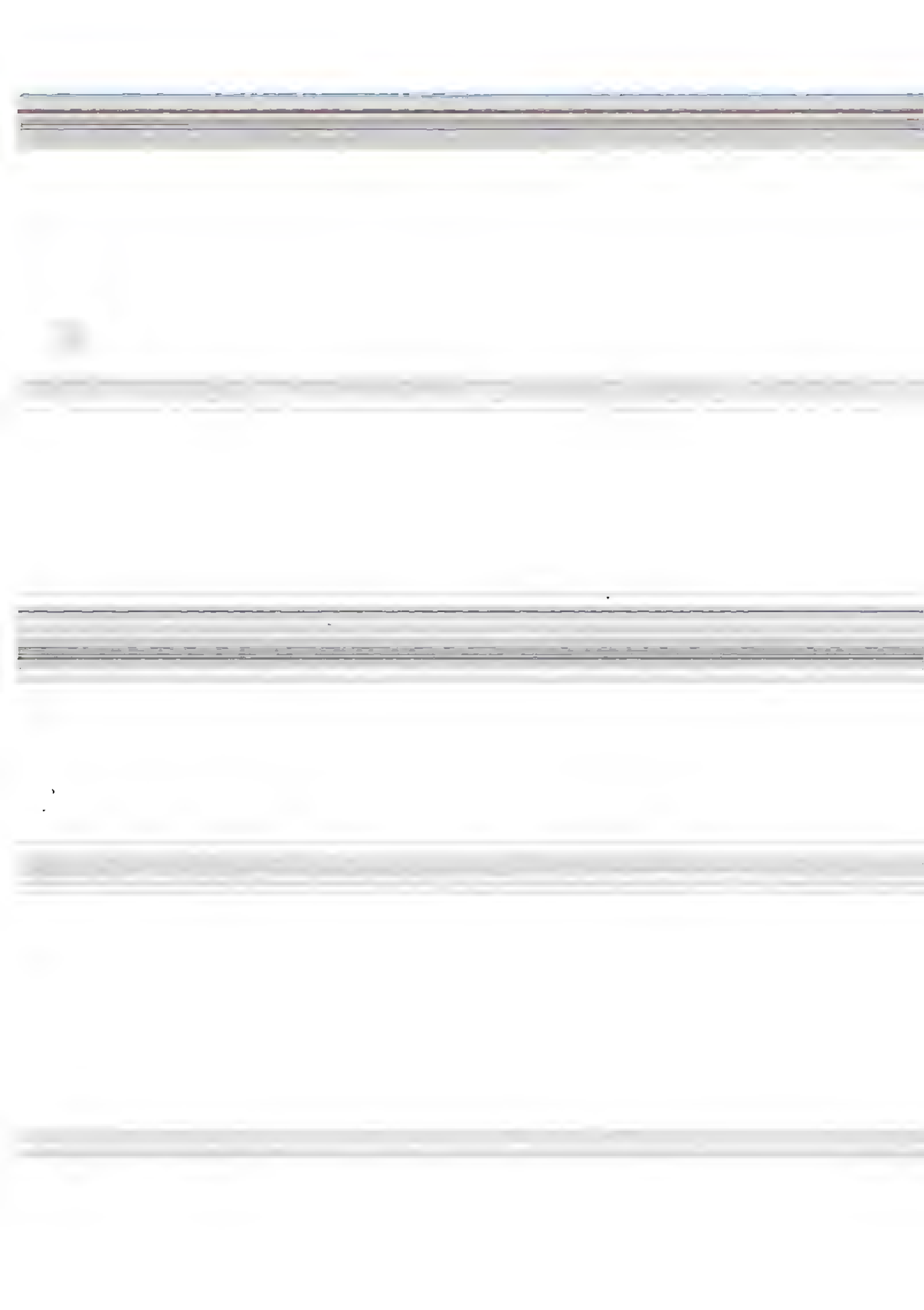

تابع فهرست النداء في دفع الافتراء

صفحة	الموضوع
٩٩	قازقلي
١٠٢	احمد أبو سن
١٠٤	العاصمة
١٠٤	الوباء
١٠٤	مصل [illegible]
١٠٩	الاحتفال بدفن اسماعيل
١٠٩	شعور متبادل
١٠٧	تحقيق الخبر
١١٠	واقعة انبره
١١١	احتفال المحاديب
١١٢	التحريض
١١٣	واقعة قاسوله
١١٥	الصادق ود العصير
١١٦	الزبالعه
١١٦	آدم أبو جريد
١٢١	حوادث سنة ١٢٥٢ هـ ١٨٣٧م
١٢٢	علي بك أبو خمسانه
١٢٣	راشد أنا
١٢٤	الاستعداد
١٢٥	مقتل ادريس شيخ محمد
١٢٥	الملك آدم ام ديالو
١٢٧	الأريته
١٢٩	غزو المؤمن
١٢٩	اعمال آدم ام ديالو
١٣٠	هجرته للجهدي ووفاته
١٣١	مهدي السودان
١٣٤	اللواء سليمان باشا نيازي
١٣٧	مناورات الجنرال هكس

صفحة	الموضوع
١٤٢	واقعة شيكان
١٤٦	الواقعة الفاصلة
١٥٠	رابح او نابليون السودان
١٥١	تسليم السلطان السنوسي ابكر
[illegible]	حرية السلطان كرندي
١٥٢	[illegible] دنيقو
١٥٢	قتله السلطان جيلبو
١٥٢	احتلاله بلدة دندي
١٥٣	حربه السلطان كادي
١٥٣	احتلاله ضفاف بحر اوده
١٥٣	قتله السلطان بنداس ووصوله رمل المهدية
١٥٤	رابح والسلطان بنداس
١٥٤	حربه السلطان وقي
١٥٥	اول حروب رابح للباقرما
١٥٥	مرض رابح
١٥٦	غزوه السلطان سمراي
١٥٦	حربه السلطان عبدالرحمن قورنه
١٥٦	حصر مدينة مسجا
١٥٧	استنجاد باقرما بالسلطان يوسف
١٥٨	احتلال رابح لمدينة مسجا وطرده سلطانها
١٥٩	تسليم السلطان صالح
٢٥٩	رابح وهاشم سلطان برنو
١٦٠	السلطان هاشم والتعبئة العامة
١٦١	رابح واولاد السلطان هاشم
١٦١	الاحتفال بالنصر
١٦١	الغنائم
١٦٣	ولاة رابح على البلاد
١٦٤	القضاء الشرعي
[illegible]	سلطان [illegible]

صفحة	الموضوع
١٦٥	ثورة البر[illegible]
١٦٥	رابح و[illegible]
١٦٦	اسر السل[illegible]
١٦٧	تولية ال[illegible]
١٦٧	تولية ال[illegible]
١٦٨	عصيان
١٦٩	خروج [illegible]
	مدعي [illegible]
١٧١	واقعة [illegible]
١٧٢	السلطان [illegible]
١٧٣	واقعة [illegible]
١٧٤	عودة [illegible]
١٧٤	واقعة [illegible]
١٧٥	مقتل ال[illegible]
١٧٦	ذكرى [illegible]
١٧٧	تولية [illegible]
١٧٧	واقعة [illegible]
١٧٧	واقعة [illegible]
١٧٨	غارة [illegible]
١٧٨	واقعة [illegible]
١٧٩	توجيه [illegible]
١٧٩	توسط [illegible]
١٨٠	مقتل [illegible]
١٨٢	تولية [illegible]
١٨٢	هدية و[illegible]
١٨٣	اللواء [illegible]
١٨٣	مصطفى [illegible]
١٨٣	[illegible]

تابع فهرست النداء فى دفع الافتراء

صفحة	الموضوع
١٦٥	ثورة البرنو وخلعهم السلطان هاشم
١٦٥	رابح ومحمد جارى
١٦٦	اسر السلطان محمد جارى وقتاله
١٦٧	تولية السلطان سندا الكر وقتله
١٦٨	تولية السلطان [illegible]
١٦٨	عصيان سلطان مندرا
١٦٩	خروج حياتو محمد بيلو وقتله وفرار جبريل مدعى خلافة المهدى
١٧١	واقعة جبل كنو
١٧٢	السلطان رابح
١٧٣	واقعة كنو كنج دقل
١٧٤	عودة الفرنساويين لحرب رابح
١٧٤	واقعة كسرى
١٧٥	مقتل السلطان رابح فضل الله
١٧٦	ذكرى رابح والجنرال لامى
١٧٧	تولية فضل الله راح سلطانا على برنو
١٧٧	واقعة سفيجا
١٧٧	واقعة اشقى
١٧٨	غارة فضل الله على البرنو
١٧٨	واقعة بلاريا
١٧٩	توجيه السلطان الى بحر اشكا
١٧٩	توسط الانكليز فى الصالح
١٨٠	مقتل السلطان فضل الله رابح
١٨١	تولية محمد بنى وتسليمه
١٨٢	هديه والتعليق عليها
١٨٣	اللواء عبد الرازق حقى باشا
١٨٣	مصطفى باشا الطوسيه لى
١٨٣	[illegible]
١٨٤	شيخ مصطفى السلاوى

صفحة	الموضوع
١٩٥	المستر شوبر
١٩٧	الفقيه عبدالله احمد الصابونانى
١٩٩	[illegible]
٢٠٣	جعفر قطب باشا
[illegible]	[illegible]
٢٠٧	الجعليون
٢١٠	محاولة النقد
٢١٠	السودان من التاريخ الى رحلة البعثة المصرية
٢١٣	الدنكا
٢١٩	الحملة المصرية فى كتاب الاستاذ عبدالله حسين
٢٢٠	[illegible] الضباط المصريين بايعوا المهدى
٢٢٢	اللواء مصطفى مراد باشا
٢٢٣	السودان [illegible]
٢٢٤	[illegible] ابراهيم فوزى باشا
٢٢٥	[illegible]
٢٢٩	المباشر مخائيل ابو عبيد
٢٣٩	احمد ابو أدان باشا وعمر الرفيق
٢٤٠	اراكيل بك حاكم مصوع
٢٤١	اللواء ماسنجر باشا
٢٤١	ادريس شيخ محمد
٢٤٢	الدكتور محمد رنيازى
٢٤٣	صباحى محمد الكاهلى
٢٤٤	عوض ولد العوض العركى
٢٤٤	محمد بك تومان مدير دنقلا
٢٤٥	عبدالله بك مدير دنقلا وبربر
٢٤٥	على فضلى بك وكيل الحكمدارية
٢٤٥	شيخ خضر
٢٤٦	عثمان بك صدقى مدير دنقلا
٢٤٨	[illegible]

الصحيفة	الموضوع
٢٥١	كليه الكمبونى
٢٥٢	منهاج العمل
٢٥٤	بقيه حوادث المهديه
٢٥٥	ابلغ انواع الزهد
٢٥٥	ام درمان
٢٥٧	حوادث ام درمان
٢٥٨	واقعة كرري
٢٦٢	شجاعة الدراويش
٢٦٣	آخر الحملات وحماة الرايه الزرقاء
٢٦٨	رب السيف والقلم
٢٦٩	محمد امين باشا
٢٧٣	الزنج
٢٧٨	الحاج عربى ود دسكى
٢٧٩	الشيخ على ود دكرونه
٢٨٠	واقعة العفينات
٢٨٢	الخرطوم
٢٨٣	ضباط المغاربه
٢٨٥	أحمد محمد سوركتى
٢٨٦	ماليزيا
٢٨٧	التاريخ
٢٩٢	الجزائر
٢٩٣	جاوه ومدورا
٢٩٣	سومطره
٢٩٣	بورنيو
٢٩٣	سيليس
٢٩٤	نيوغينيا الهولنديه
٢٩٥	المناخ

الصحيفة	الموضوع
٣٠١	الحكومة
٣٠٢	البرتقال
٣٠٢	هولنده
٣٠٥	انكلترا
٣٠٥	الولايات المتحدة
٣٠٩	هجرة عظيمة
٣١٤	خطوات العرب بجاوه
٣٢٨	ثانى ماجد او شيخ الاسلام بامريكا
٣٣٤	خاتمه